

مجلة المجمع العلمي العراقي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الرابع ــ المجلد السبعون

تشرين الثاني ٢٠٢٣م ــ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ

(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشرُ المجلةُ البحوثَ العلميّةَ ذات السّمة الفِكريّة والشموليّة بما يسهمُ في تحقيقِ أهدافِ المَجمَع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويُراعي الباحثون والكتّابُ في صياغتهم الوضوحَ وسلامةَ اللغة إملاءً وأسلوباً .

٣- يُشترط في البحثِ ألّا يكون قد نُشر أو قُدِّمَ للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته أو ثبتَ أنّهُ مسروق ، وَيُقَدِّمُ الباحثُ تَعَهُّداً بذلك ضمنَ استمارةٍ أُعِدَّت لهذا الغرضِ يقومُ بملئِها ويتحَمّل المسؤوليّةَ القانونيّة إن ظَهَرَ خلاف ما قدَّمَهُ من معلوماتٍ تخصُ بحثَه.

٤- تُعرَضُ البحوثُ المقدّمةُ للنشرِ في المجلّة على مُحَكَّمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر ، ويتمُّ اعتمادُ استمارةٍ رَقميّةٍ تُدوّنُ فيها ملاحظاتُ كلِّ مُحَكَّم.

٥- هيأة تحرير المجلّة غيرُ ملزمةٍ بإعادةِ البحوثِ إلى أصحابها في حالة عدم نشرها.

٦- لا تنشر المجلةُ الدراساتِ السياسية التي تمسُّ كياناً معيناً أو تنظيماً خاصاً ، أو البحوث الّتي تَمَسّ العقائدَ والمذاهبَ الإسلاميّة أو الطوائف والأديان الأخرى ، ولا تنشرُ المجلّةُ البحوثَ الّتي تتحدَّثُ عن الفسادِ الماليّ والإداريّ لأيّ مؤسّسةٍ من مؤسّساتِ الدولة.

٧- تخضَعُ البحوثُ المُقَدَّمَةُ للنّشرِ في مجلّةِ المَجمَعِ العلميّ العراقيّ لبرنامجِ الاستلال الرّقميّ ؛ للتأكُّدِ من أنَّ البحثَ لم يتجاوز المقدارَ المُحَدَّد من الانتحالِ بحسبِ تعليماتِ وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ .

٨- تتعهّدُ المجلّة في حالِ نشرِ البحثِ بالحفاظِ على حقوقِ الملكيّةِ الفِكريّةِ للبحثِ ويُعَدُّ جزءاً من وثائقها ، ولا يُسمَحُ لأيّ شخصٍ أو جهةٍ بإعادة نشر البحث أو الأخذ منه من دون موافقة هيأة تحرير المجلّةِ .

٩- يُرسلُ البحثُ إلى المجلةِ بالمواصفاتِ الآتية :

أ. أن يكون مطبوعاً على الحاسوب ومخزوناً على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية تحملُ اسم الباحث وعنوانه الكامل باللغة العربيّة .

ب. أن يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثّقة توثيقا تاماً بحسب الأصول المعتمدة في التوثيق العلميّ .

ت. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على أن يوضح في كل ورقة مكانها من البحث ويُشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ث. يرفق بالبحثِ ملخّصٌ باللغتين العربيّة والانكليزيّة بحدود نصف صفحة لكلِّ مُلخّص .

ج. تُكتب الكلمات الدالّة باللغة الإنكليزية .

ح. أن تستخدم في البحث المصطلحات العربية أو المقرّة عربيّاً .

١٠ – يُعطى صاحبُ البحث (عند نشره) نسخة واحدة من المجلّة مع ثلاثِ مستلّات من بحثِهِ .

البحوث المنشورةُ في مجلَّةِ المَجمَع العلميّ العراقيّ لا تعبّر بالضرورةِ عن رأيِ المَجمَعِ العلميّ العراقيّ

تُرسَلُ البحوثُ إلى السيّدِ رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي العراقيّ

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠) الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

مجلة المجمع العلمي العراقي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين
رئيس المجمع العلمي العراقي

مدير التحرير
الأستاذ الدكتور عبد المجيد حمزة الناصر
عضو المجمع العلمي العراقي

أعضاء هيأة التحرير

العرب

أ.د. عبد العزيز بن علي الحربي
رئيس مجمع اللغة العربية السعودي / مكة المكرمة

أ.د. بكري محمّد الحاج
رئيس مجمع اللغة العربية السوداني / الخرطوم

أ.د. صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر

أ.د. عبد الحميد الهرّامة
رئيس مجمع اللغة العربية الليبي / طرابلس

أ.د. حسن السلوادي
رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني / رام الله

أ.د. مأمون عبد الحليم وجيه
عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

أ.د. محمد ابراهيم حُوَّر
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

العراقيون

أ.د. صبيح حمود التميمي
عضو المجمع العلمي العراقي

أ.د. سحاب محمد الأسدي
جامعة بغداد

أ.د. عبد الله حسن حميد الحديثي
الجامعة العراقية

أ.د. طالب مهدي السوداني
جامعة بغداد

أ.د. لطيفة عبد الرسول (المدققة اللغوية)
الجامعة المستنصرية

أ.د. محمد حسين علي زعيّن
جامعة كربلاء

أ.م.د. علي حسن طارش
جامعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

د. نادية غضبان محمد / المجمع العلمي العراقي
مديرة قسم الجودة

التحرير والمتابعة الفنية
اخـــلاص محيـــي رشـــيـد / مسؤولة شعبة المجلة

تدقيق ملخصات البحوث باللغة الانكليزية
غادة سامي عبد الوهاب / مديرة قسم الاعلام والعلاقات العامة

المحتويـــات

الجزء الرابع/ المجلد السبعون

سلامة اللغة العربية في العصر الحديث

الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد
النجف الأشرف

الملخص:

تتعرض العربية في عصرها الحديث الى أسباب تؤثر في استعمالها حتى في مواطنها. واهم هذه الأسباب غياب التخطيط اللغوي في مناهجها في التعليم بكل مراحله وعدم الاتفاق في المقررات التي تتخذها المؤتمرات اللغوية ما أدى الى ضعف مناهج تدريسها وتشجيع وسائل انتشار اللغات الأخرى كاللهجات العامية ثم فتح المجال للتوسع في استعمال اللغات الأجنبية وخصوصا اللغة الإنجليزية في مناهج التعليم على اختلاف مراحله وفي الاستعمال حتى انك ترى الإنجليزية في بعض دول الخليج هي المفضلة في التعامل.

ثم عدم متابعة وسائل تحسينها بنشر مقررات المجامع العلمية العربية، فترى مقررات لجان المجمع العلمي اللغوي بمصر مثلا لا تتابعها الأوساط اللغوية نفسها أحيانا وعدم اتفاق الدوائر اللغوية العربية في مؤتمراتها اللغوية لما تقرره من الاستعمال الصحيح في لغة التعليم خاصة في مراحله المختلفة، لذلك تبقى المقررات حبرا على ورق ان لم تنفذ وتتابع عمليا.

The Integrity of The Arabic Language in The Modern Era

Prof. Dr. Zuhair Ghazi Zahid
Al- Najaf Al-Ashraf

Abstract

The Arabic language, in its modern era, is exposed to reasons that affect its use even in its native countries. The most important of these reasons is the absence of linguistic planning of curricula in education at all levels, the lack of agreement in the decisions taken by the linguistic conferences which led to the weakness of its teaching curricula, encouragement of the means of spreading other languages, such as colloquial dialects, and then opened the way for the expanding of using foreign languages, especially the English language in the

education curricula at all levels to the extent one can see English in some Gulf countries being the preferred way of communicating.

Moreover, there is a lack of follow-up on the means of improving it by publishing the decisions of the Arab scientific academies. You see, for example, the decisions of the committees of the Scientific Linguistic Academy in Egypt are sometimes not followed up by the linguistic circles themselves, and the Arab linguistic circles do not agree in their linguistic conferences on what they decide regarding the correct usage in the education language, especially in its various stages. Therefore, the decisions remain inactive and would become nothing more than a dead letter if not implemented and followed up in use and practice.

المقدمة:

تحمل العربية صفتين: أولاهما أنها حاملة تراث وناقلة معرفة، وشاهد حي على استلهام الغرب منه نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية[1]، والثانية أنَّها لسان طبيعي عمره أكثر من سبعة عشر قرناً مع الاحتفاظ بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية، وهي من المرونة والقدرة على مواكبة التطور دون أن يضطرب النظام اللغوي ومنظومته[2].

وهناك حملة واسعة تصاحب الحملة الثقافية للعولمة تتقصد النيل من كل الثقافات الإنسانية ذات الجذور الحضارية، وفي مقدمتها الثقافة العربية الإسلامية، وتحتج بحملتها العدائية بالعامل اللغوي، وكثيراً ما اتهمت وتتهم العربية الفصحى بقصورها عن واقع الحياة الحي، فتوهم بأنَّ العامية هي لغة الواقع التي يجب أن تسود فتكون الرسمية، ومثالها الذي تشبه به اللغة اللاتينية وما آلت إليه. كان ذلك منذ توصية مؤتمر كوبنهاكن ١٩٢٥ بتطبيق المقترحات الداعية إلى اعتماد الحروف اللاتينية ابتداءً من ٢٢ تموز ١٩٢٩ بتأييد المعهد الدولي المنبثق من جمعية الأمم، فطبقته من الدول الإسلامية تركيا (مصطفى أتاتورك)ورفضته إيران لتعلق الحروف بعربية القرآن الكريم، وظلت مصر (مجمع اللغة العربية) تناور حتى رفضته ١٩٥٣ وقرر المجمع في القاهرة مواصلة الموضوع بالتعاون مع الجامعة العربية[3].

---

(١) ينظر: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، روزنتال، المقدمة، القسم الرابع، ص١٦٣ وما بعدها.

(٢) العربية والانتحار اللغوي، الدكتور عبد السلام المسدي، ٢٥.

(٣) ينظر التفصيل في أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩...، وحرب اللغات والسياسة اللغوية، كالفي ١٦١ - ١٦٤.

ومرت العربية في مرحلة الاستعمار الانكليزي في مصر والفرنسي في المغرب العربي، بمحاولة قتلها واشاعة العامية.

وكانت دعوة "ولهالم سبيتا" في مصر لنشر العامية وهي تفوق العربية في زعمه بكتابه (قواعد اللغة العامية المصرية)، وكذلك دعوة ولكوكس للعامية[٤]. والاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب وتونس وفرضه الفرنسية في المدارس والتعامل، وبعد عهد الاستقلال أعيدت العربية باستخدام التخطيط اللغوي والسياسة وتعريب ما فرضه الفرنسيون، وهنا تدخلت إرادة الإنسان في إعادة لغته القومية كما كان في الصين واليابان وتركيا وغيرها[٥].

فاللغة مرآة العقل البشري، فهي وسيلة للتفكير والفهم، كما هي وسيلة للاتصال والتعبير، ولتسجيل حضارة الأمم وحفظ تراثها.

واللغة نظام، ولابد لهذا النظام أن يعتمد على أساسين ليتوازن ويستقيم، أحدهما التخطيط اللغوي، والآخر السياسة اللغوية ووحدة القرار. ولغتنا العربية في الوقت الحاضر، عصر العولمة تفتقد الأساسين، لذا تكون آفاقها هشة لاختراق لغة المسيطر المتحكم. كيف نستطيع أن نحافظ على سلامة لغتنا، وهي لغة القرآن هويتنا، في وسط هذا الصراع الحضاري الذي يكتسح القيم الحضارية بقيم حضارة القطب الواحد، كما اكتسح اللغات بلغة القطب الواحد بوسائله الإعلامية العاتية ؟

وما أهم الوسائل التي تواجه بها اللغة هذا العصر، وتستوعب مقتضياته وأساليبه ومناهجه المتطورة ؟

وأكبر ظني أنَّ أهم الوسائل التي ينبغي لنا أن نلفت النظر للاهتمام بها للحفاظ على سلامة لسانا:

١ – التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية.

٢ – التنمية اللغوية ووضع المعجمات التعليمية.

١ – التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية:

وهو حقل من حقول علم اللغة التطبيقي، إذ يدلّ على توجه الدولة الحديثة إلى جعل التواصل بين البشر سهلاً، وجعل الوسائل الإعلامية والتعليمية يتكامل عملها في إطار خطة لغوية واحدة. فالوسائل المعنية بالتخطيط اللغوي تشتمل على المؤسسات الإعلامية، والمؤسسات البحثية كالمجامع اللغوية والجامعات[٦].

---

[٤] ينظر البحث اللغوي ٩٦ – ٩٧.

[٥] ينظر: في غياب السلطة الفكرية أبو زيان السعدي ١٧ – ٣٢، والبحث اللغوي – حجازي ١٠٧، والعربية والانتحار اللغوي، ٥١ – ٥٦، وحرب اللغات ٢٥٥ – ٢٦٦.

[٦] ينظر: حرب اللغات والسياسة اللغوية ٢١٩،و البحث اللغوي ١١٩ – ١٢٤، و العرب والانتحار اللغوي، ص٥٥.

وقد صارت اللغة أهم مقوم من مقومات الدولة الحديثة، لكن العرب أخفقوا في اتخاذ السبل للحفاظ على وحدة لسانهم بلغتهم الفصيحة، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها المجامع اللغوية في مجال العناية بقواعدها، وتيسير الكتابة، ووضع المصطلحات التي تحتاج إليها، ومن المعروف أن العربية واجهت فيضاً من الكلمات والمصطلحات في العصر الحديث، فكانت لجان المجامع المختصة تعنى بقضايا اللغة المعاصرة لمجمع اللغة العربية في القاهرة ومجمع دمشق ومجمع بغداد ومجمع عمان وغيرها، وعن طريق المؤتمرات اللغوية تجدّ في سدِّ حاجة الاستعمال من المصطلحات المقابلة للمصطلحات الأجنبية، ثم اتحاد المجامع اللغوية العربية الذي تأسس ١٩٧٠ قام بالتنسيق بين جهود المجامع، وكذلك عمل مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الذي ألحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهي من مؤسسات الجامعة العربية.

إنَّ هدف إنشاء المجامع اللغوية هو القيام بجهود من أجل اللغة العربية لتعبّر عن العلم الحديث والحضارة الحديثة. فالمادة الثانية من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية في القاهرة[٧] مثلاً: ((المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون))[٨] وهناك جهود فردية في التصويب اللغوي وتصحيح الأخطاء في الكلام أو في الكتابة، وما تنشره مجلة مجمع القاهرة ومجلة اللسان العربي من جهود الترجمة والتعريب، ولكن نتائج هذه الجهود من التصويب والبحوث ونشر مجموعة المصطلحات التي أجازتها المجامع اللغوية يبقى تأثيرها محدوداً، لعدم وجود سياسة لغوية تتابع تطبيق تلك الجهود وإيصالها إلى المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة.

ويمكن القول :إنَّ السيادة السياسية مستحيلة بدون سيادة لغوية، فهل يمكن بناء منظومة تنموية من دون مشروع لغوي ؟[٩].

نحن نرى أن السلبيات تتعاظم في مناهج تعليم اللغة العربية فنعجز عن تطويرها ثم انهيار مستوى التعليم في المدارس، والجامعات وشيوع الأخطاء على الألسنة والأقلام وفي وسائل الإعلام في مجال استعمال اللغة وانتشار الأسماء التي بالغ الناس في اطلاقها في الأسواق وعلى المحال والمؤسسات، وليس هناك من يردعهم عن هذه الممارسات المخطوءة التي من شأنها تدمير اللغة وتشويه صورتها، وظلت هذه السلبيات تتعاظم دون أن تكون هناك قرارات تكون لها سلطة القانون لمنعها، فلابد إذن من مساعدة الدولة لاستخدام سياسة لغوية لمنع تأثير هذه السلبيات في المجتمع ولغته.

---

[٧] انشئ سنة ١٩٣٢.

[٨] أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٥٠٧.

[٩] العرب والانتحار اللغوي، ٢١، ٢٢، البحث اللغوي ١٠٨.

وفي هذه الحال يكون للغة العربية عدوان: أحدهما اللغة الأجنبية التي تفرضها وسائل السيطرة الأجنبية، كما مر بنا في عهد الاستعمار بمصر والمغرب العربي.

والعدو الثاني الأخطر هو إجهاز اللهجات العامية وانتشارها ولاسيما دخولها حصون المؤسسة التعليمية على اختلاف مستوياتها، فتجعل مؤسسات التعليم تعيش انفصاماً بين أدوات المنظومة التربوية.

إنَّ أبرز المشكلات لدى العرب في الوقت الحاضر ضبابية الوعي اللغوي في مجال المعرفة عند صاحب القرار، ثم نجده لدى أصحاب الفكر والثقافة أيضاً، ومما غاب عنهم أهمية العلم اللغوي واكتشافه المعرفي. وأهمية ذلك في المجالات التربوية، وتعليم اللغة في مراحلها الأولى وإيجاد الوسائل لتربية المهارات اللغوية في مراحل التعليم المختلفة، والوعي بأن اللغة تحتاج إلى وسائل ومناهج تحفظها في ألسن المتكلمين بها سليمة. وأولى تلك المناهج أو الوسائل التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية. الحقل الجديد في اللسانيات التطبيقية، وذلك توجه الدولة الحديثة بجعل التواصل سهلاً بين المجتمع يتكامل عمل الوسائل التعليمية والإعلامية في إطار خطة لغوية موحدة تصحبها سياسة لغوية لتطبيق نتائج الخطة والمؤسسات والوسائل التي تخص التخطيط اللغوي منها: المؤسسات البحثية كالمجامع العلمية والجامعات والمؤتمرات التي تقيمها للتعريب والترجمة، ووسائل الإعلام ومناهج التدريس بمختلف مراحلها. والتخطيط اللغوي ينبغي أن يكون واضح الأهداف[١٠] ينطلق من الواقع اللغوي والاجتماعي ومرحلته التي يعيشها.. أما إذا كانت الخطة اللغوية غير واضحة الأهداف ولا موحدة في تنظيمها ولا متكاملة في خطواتها فذلك يؤدي إلى الاختلاف في اتجاهات مؤسساتها[١١].

فإذا كان هدف الخطة إشاعة العربية الفصيحة نطقاً واستعمالاً مثلاً، فينبغي أن تتوجه كل الوسائل نحو هذا الهدف، فما تقره المجامع والمؤسسات اللغوية من مصطلحات وأساليب استعمال ينبغي أن تطبقه السياسة اللغوية في المدارس والجامعات في تدريسها كما تأخذ ذلك وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، فلا يجوز أن تخرج جهة أو أصوات باستعمال العامية، وإلاّ فلم تستطع الخطة اللغوية أن تصل إلى هدفها، وأمامنا تجارب الدول الأوربية الانكليزية والفرنسية والألمانية في دعم لغاتها الوطنية داخل دولها من خلال وسائلها التعليمية والإعلامية والإدارية في حياتها[١٢].

---

[١٠] ينظر البحث اللغوي ١١٩ – ١٢٤، و الهوية العربية والأمن اللغوي، المسدي، ٢٧٥، و ينظر استراتيجيات تدريس التواصل، يوسف تعزاوي، ٧ – ١٨..

[١١] البحث اللغوي، ١٢٤.

[١٢] العرب والانتحار اللغوي، ٦٢ – ٢٥، و العربية والأمن اللغوي، ٨٥ – ٨٦.

لقد وجدت قوانين لغوية في الدول العربية، فقد صدر في العراق سنة ١٩٧٧ قانون سلامة اللغة العربية، وكذلك في تونس وليبيا وغيرها، لكن هذه القوانين جزئية من جهة ومحدودة الفاعلية من جهة أخرى.

واتخذ مؤتمر التعريب الثالث ١٩٧٧ توصية بإصدار نشرة دورية تجمع ما يجدّ من المصطلحات في المجامع والمنظمات والمؤسسات التعليمية في الأقطار المختلفة. فهذه التوصية لم تر النور، وأصدرت اللجنة الاستشارية للجنة تنسيق التعريب ١٩٨٠ توصية بإنشاء بنك عربي للمصطلحات في مكتب تنسيق التعريب، وتوصيات اتخذت بشأن استعمال العربية في وسائل الاتصال الجماهيري موجهة إلى وزراء الإعلام العربي بأن ينفذوا ما جاء في توصياتهم السابقة في استعمال العربية الفصيحة.. ولكن لا إذن تسمع ولا رغبة تنفذ، فظلت المصطلحات تنشر بألفاظها الأجنبية عن طريق تدريسها بلغاتها أو عن طريق شيوعها في الأسواق، قبل أن توضع المصطلحات والأسماء العربية المقابلة(١٣).

فما جدوى جهود المجامع اللغوية في وضع المصطلح، والكليات العلمية في الجامعات تستعمل المصطلح الأجنبي في تدريسها باللغات الأجنبية؟ ففي هذه الحال يقتضي تفعيل القرار السياسي الخاص في داخل الدولة أو الدول العربية، ليصبح قراراً سيادياً حاسماً، وهذا ما تفعله فرنسا من الدول الأوروبية للحفاظ على سلامة لغتها(١٤).

لقد وقّع العرب على إنشاء مؤسسات ومواثيق في دائرة العمل العربي المشترك منها: ميثاق الوحدة الثقافة ١٩٦٤ وزراء المعارف والتربية،و مؤسسة العمل الثقافي المشترك بين العرب ١٩٧٠، وكذا الخطة الشاملة للثقافة العربية التي أقرها وزراء الثقافة العرب ٢٦، ١٩٨٥/١١/٢٨(١٥).

واتفق العرب جميعاً على أنَّ التفريط في اللسان العربي تفريط بالهوية وكسر لهيكل تماسك المجتمع ووحدته(١٦).

وإذا تأملنا وضع اللغة اليوم في واقعها الحي نجد الفرق شاسعاً بينها وبين ما قررته وأوصت

---

(١٣) ينظر البحث اللغوي، ١٠٧ – ١٠٨.

(١٤) ينظر: الأسس اللغوية لعلة المصطلح، حجازي ١٩٥، و الهوية العربية والأمن اللغوي، ٣٩٩ – ٤٠٢ ولم تلتزم بقرارات التعريب سوى الجامعات السورية.

(١٥) ينظر: قضايا الثقافة العربية المعاصرة، محيي الدين صابر، ٢٩ وما بعدها، والأمن الثقافي، الدكتور محمد مصطفى من الحاج، مجلة الفصول الأربعة، ليبيا، ع٨٢، ١٩٩٨، ص٢٩، العرب والانتحار اللغوي، ١٢٧ – ١٢٩.

(١٦) العرب والانتحار اللغوي، ١٣٥.

به الخطة الشاملة للعمل العربي المشترك. نجد العجز من المؤسسات الرسمية بما عرفته المجتمعات الواعية بالتخطيط اللغوي وسن القوانين في مجال استعمال اللغة لرعايتها والحفاظ عليها، لذا لا نعرف بلداً عربياً واحداً له سياسة لغوية بمعناها الصحيح الشامل[١٧].

إنَّ السياسة اللغوية لا تعني سياسة التعريب فقط كما يتوهم كثير من الناس فالتخطيط اللغوي والسياسة اللغوية منظومة من القوانين والقرارات تنفذ بالتكامل مع وعي لأهمية اللغة، كما فعلت فرنسا في تخطيطها اللغوي في اطار المتغيرات العلمية المعاصرة لدعم لغتها وكذلك الصين في تعميم اللغة المشتركة[١٨]، وكما قامت الجزائر وتونس لإعادة حيوية العربية بعد تخلصها من الاستعمار الفرنسي كما أشرنا سابقاً، ولكن المهم في الأمر أن يدرك اصحاب القرار بما تمثله اللغة للحياة بكل جوانبها.

وكان المؤمل بعد أن لفتت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة الانتباه إلى أنَّ اللغة العربية مهددة بالانقراض، وأكدت ذلك مرات (حزيران ٢٠٠٦) تشرين الأول ٢٠٠٧، آيار ٢٠١٢) لم يكن ذلك منها مجاملة ولا تحايلاً، إنَّما كان ترجمة عن تقارير علمية يتولى إعدادها خبراء محترفون يدرسون مهمة التحليل الموضوعي يبين المآل الذي تصير إليه الظواهر. وقد ظهرت حقائق وموضوعات صارت مجالاً للبحث منها (انقراض اللغات) وموضوع (الحرب اللغوية) وصدرت فيها كتب ودراسات، لذا أعلنت الأمم المتحدة برنامجها (اللغة الأم) واتخذت يوماً عالمياً هو ٢١ شباط من كل عام[١٩].

ومع كل الانذارات الخارجية والداخلية في مآل اللغة ظل اصحاب القرار بعيدين عن التشخيص بأن الأمن اللغوي لا يقل أهمية عن الأمن القومي والأمن الاقتصادي فبعد قممهم الثلاث:

الاولى في الرياض ٢٠٠٧ وفيها الإعلان عن إدراج موضوع اللغة العربية ضمن أمات القضايا التي تخص العمل العربي المشترك.

والثانية في دمشق ٢٠٠٨ تمت المصادقة على مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة.

والثالثة في الدوحة ٢٠٠٩ تمت المصادقة على آليات تنفيذ المشروع وتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنجازه.

وقد أوكلوا أمر اللغة إلى مؤسسة من مؤسساتهم ليس هذا تخصصها، فالمنظمة العربية للتربية

---

(١٧) السابق، ١٣٧، اللغوي ١٣٥.

(١٨) ينظر: حرب اللغات والثقافة اللغوية، كالفي ٢٢٢، ٢٢٩، والأسس اللغوية تعلم المصطلح، ١٩٥ – ١٩٦.

(١٩) ينظر: الهوية العربية والأمن اللغوي، ١٢، ١٣، ٣٨٧، ٣٨٨، و حرب اللغات، كالفي، الفصل التاسع، ١٩٩.

والثقافة والعلوم ليس اختصاصها اللغة، فأثبت السياسيون غيابهم عن اللغة وغياب اللغة عنهم – فهي سياسة كبرى لا مسألة فنية أو تقنية، إنّ هؤلاء الساسة تخيلوا أن أمر اللغة من اختصاص المؤسسات التعليمية والجامعة تحديداً، أو ظنوا أن حل إشكالاتها بيد المجامع اللغوية[٢٠]، لذلك حرصت الأنظمة على أن يكون لكل نظام مجمع للغة العربية أو تصوروا أن مكتب تنسيق التعريب تابع للمنظمة يعتبر هو للنظر في الموضوع، ولربما لا يتصورون أن اللغة العربية تكون مشكلاً أصلاً، وأن أجراس الخطر التي تهدد بمخاطر انقراضها هي من قبيل التهويل والمبالغة أو هي مؤامرة لإثارة القلق والخوف.

إنّ المنظمة العربية لها تاريخ وانجازات ثقافية وتعامل معها عدد من الكفاءات، لكنها صورة من مؤسسة جامعة الدول العربية، وكلاهما انعكاس لصورة العرب وحالاتهم المتقلبة في أحوالهم السياسية من فترة لأخرى.

وإذا كان هناك ما ينتقد في أمر الضعف اللغوي فهو عدم متابعة الخطة الشاملة للثقافة العربية التي أقرتها كل الأنظمة العربية ووقعت على نصها، ولكن لم تكن لأي دولة وقفة تأملية لبيان ما تم من انجازها، ليراجعوا نص الخطة الشاملة من جديد، فمصير اللغة كغيرها من الأمور في الجامعة العربية وخلافات دولها السياسية.

وقد تحول مشروع العمل العربي الموحد إلى جمعيات للدفاع عن اللغة بعد أن فقد العمل المشترك إرادته، وغابت الإدارة السياسية الواعية عنه[٢١].

ومما يؤسف له في الوضع العربي أنْ حكمت الظروف التاريخية على مجامعنا اللغوية أن تكون على هامش الإرادة السياسية، ويفترض أن تكون جزءاً منها، فعلى قادة الثقافة أن تتوحد جهودهم وتتوحد جهود المجامع العلمية والجامعات والمؤسسات اللغوية الأخرى أن تأخذ دورها في خلق رأي عربي عام يفهم أولى الأمر بأنه إذا كنا أخفقنا في تحقيق الوحدة والاتحاد في المجال السياسي أو المجال الاقتصادي فينبغي لنا أن نحافظ على وحدة لساننا بلغتنا العربية الفصيحة، لغة قرآننا المجيد، وقد أصبحت اللغة أهم مقوم من مقومات الدولة الحديثة ورمزاً لسيادتها.

وأن نحافظ على جهود من سبقنا من العلماء والمؤسسات اللغوية مع الجهد السياسي فأوصلوا لغتنا إلى منظمة الأمم المتحدة، وجعلها من لغات العمل الدولي، بعد أن اجتازت كل العقبات التي وضعت في سبيلها، فصدر قرار المنظمة أول كانون الثاني ١٩٧٣ بأن تكون سادس لغات العمل العالمية في الأمم المتحدة. علينا أن لا نضيع بضياع هويتنا بعد أن دقت أجراس الخطر بضعفها.

---

[٢٠] ينظر: العرب والانتحار اللغوي، ١٢٧ – ١٢٨، ١٣٧.

[٢١] ينظر: العرب والانتحار اللغوي، ١٤٦ – ١٤٩.

٢– التنمية اللغوية ووضع المعجمات التعليمية:

للعمل المعجمي صلة وثيقة بالمصطلح والترجمة والتعريب، وفي عصرنا عصر الثورة المعرفية صار للمعجم والمعجمية اهتمام واسع حتى دخلت دراسة المعجم في ضمن مفردات الجامعات العربية، والتطور السريع في حركة التأليف المعجمي في العصر الحديث تفرضه سرعة حركة الحياة ثم التطور العلمي والصناعي والتربوي الهائل في العالم ثم سرعة تطور أسباب الاتصال وظهور الحاسب الآلي وما أحدثه وهيأه للإنسان في المجال العلمي واستخداماته والإفادة منه جعل الإسراع في اللحاق بكل هذه الآفاق من التطور العالمي ضرورة ملحة فظهرت المعجمات التي تلبي حاجات الإنسان في مجالاته العلمية بكل مستوياتها.

لقد كان للمجامع العلمية والهيئات اللغوية العربية واللغويين جهود في هذا المجال المعجمي، ويشمل عمل المجامع اللغوية مجالين: أولهما مجال تراث الأمة وحضارتها والآخر النظر في حاضرها ومستقبلها، والسعي لوصل حاضرها بماضيها، فكان جهد المجامع العربية في هذين المجالين. فمجمع اللغة العربية في القاهرة مثلاً انشئ ١٩٣٢ وهو أنشط المجامع اللغوية وأكثرها في مجال التنسيق بين الجهود العربية وحدّدت المادة الثانية من مرسوم نشأته مهامه في:

١– المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون.

٢– القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية.

فالمعجم التاريخي كان من أهداف هذا المجمع لضرورته كما للإنكليز معجمهم التاريخي وللألمان وللفرنسيين – فعهد مهمة المعجم إلى لجنة من اللغويين بمشاركة ثلاثة من المستشرقين أحدهم فشر الذي سُمَّيَ المعجم باسمه، لأنه هو صاحب المشروع. لكن المشروع انتهى بموته ١٩٤٧، ولم يحتفظ منه إلاّ بنموذج طبعه مجمع اللغة العربية[٢٢]. ولم يتحرك العرب إلى إكمال المشروع لحاجته إلى أموال وإمكانات علمية، فالإمكانات العلمية تتوافر، لكن المال يصرف في العالم العربي بسخاء إلاّ في مجال العلم وخدمة هويتهم اللغوية، ولم تتحرك يقظة الوعي اللغوي، وإن كان محدوداً إلاّ بمبادرة قطرية باسم اللغة العربية كإعلان ((منتدى النهوض باللغة العربية)) الذي هو من توصيات المؤتمر السنوي الأول للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وعقد المنتدى مؤتمره بالدوحة في ٢٩ – ٣١ أيار ٢٠١٢ بدعوة من حرم الأميرة موزة بنت ناصر قائلة: ((لقد أكدت لنا الكثير من المؤتمرات والبحوث والدراسات التي تطرقت إلى قضايا واقع اللغة العربية ومشكلاتها أن لغتنا العربية في عصر العولمة تواجه تحديات كبيرة...))[٢٣] ومن

---

[٢٢] ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية: الدكتور حمزاوي، ٥١١.

[٢٣] الهوية العربية والأمن اللغوي، ٢٨٩ – ٢٩٢.

خلال كلمتها دعت مجامع اللغة واتحاداتها في دول العالم العربي والإسلامي لإسقاط الضوء على إنجازاتهم تجاه اللغة والتحديات التي يواجهونها في ظل الظروف التي تمر بها مجتمعاتنا.. ومما دار الحديث عنه هو قصة عجز العرب عن إنجاز معجم تاريخي للغة يضاهي ما أنجزته اللغات الراقية كالانكليزية والفرنسية والألمانية.

وقد تشكلت لجنة من الخبراء وعقدت ثلاثة اجتماعات متتالية في ٢٠١٢ – ٢٠١٣ بدأت الدعوة الأولى القول: ((لا تخفى على أي مهتم الحاجة الماسة إلى معجم تاريخي للغة العربية تبنى فيه ذاكرة لكل لفظ عربي...))[٢٤].

وانطلق العمل والنقاش بالاطلاع الواسع على التجارب الأجنبية والعربية وعلى خلاصات الدراسات والأبحاث المقدمة في المؤتمرات وغيرها... وبناءً على ذلك تم تحديد جملة من المبادئ في منهج العمل في المعجم، فكان يوم الانطلاق للمشروع الاجتماع التأسيسي الأول للمجلس العلمي يوم ٢٣ أيار ٢٠١٣ وأطلق على هذا المشروع ((معجم الدوحة التاريخي للغة العربية)) وتم إقرار تشكيل مجلس أمناء رقم ٤ لعام ٢٠١٣ بتوقيع المؤسس: سمو الشيخة موزه بنت ناصر بتاريخ ١٧ حزيران ٢٠١٣ وبموجب وثيقة التأسيس وبتوصية ((منتدى النهوض باللغة العربية)) تم إنشاء ((المنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية)) ومن أهدافها تشجيع عملية التعليم والتعلم من خلال أداء المعلم والطالب والمناهج ووضع التوحيد الإعلامي بأشكاله كافة ليصبح أقرب ما يكون إلى اللغة العربية الفصيحة المعاصرة[٢٥].

ومع القرارات الجريئة التي اتخذتها قطر للحفاظ على العربية وتقويتها على ألسن الناطقين

وقبلها تأسيس ((جمعية حماية اللغة العربية)) بدولة الامارات المتحدة، ومقرها الشارقة على الرغم من ذلك نجد ((استخدام اللغة العربية في جامعة قطر يعكس حساسيات أوسع حول حماية الثقافة المحلية في البلد الذي يحوي أعلى معدل للهجرة نحو الداخل في العالم. فهناك شعور بأن العربية سرعان ما غدت لغة ثانية في الخليج بما أن الناس يحتاجون إلى استخدام الانكليزية بوصفها اللغة المتداولة لوجود عدد هائل من العمال المهاجرين الذين يعمل معظمهم في القطاع الخاص، ولأن الشباب المتعلم الميسور مادياً يتحدث على نحو متزايد اللغة الانكليزية))[٢٦].

لذلك ظل حلم المعجم التاريخي والاجتماعات المضنية ظلت كما كانت إن لم أقل نسيت،

---

[٢٤] السابق، ٢٩٢.

[٢٥] ينظر السابق.

[٢٦] الهوية العربية والأمن اللغوي، المسدي، ص٢٩٦ – ٢٩٧.

فلا يمكن أن تترك اللغة بيد السياسيين، وإنما يجب أن يجدّ لها ذوو الفكر والعلم أصحاب الوعي في مجال المعرفة اللغوية، لقد كانت العربية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي أفضل مما هي عليه الآن، وكانت مؤتمرات التعريب، والمعجم والترجمة والمصطلح أكثر من خلال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومن خلال مؤسسة العمل العربي المشترك وقد تأسس اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية سنة ١٩٧٠ وقام باجتماعات مشتركة بهدف التنسيق بين الجهود التي تقوم بها هذه المجامع وقريب من هذا العمل مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الذي الحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تشتت كل تلك الجهود، حتى وجدنا العربية تعاني حالياً من وضع بائس لا يربطه تخطيط ولا سياسة لغوية. يعاني تهميشاً كبيراً للغة الأم بوعي أو بدون وعي، بل أحياناً عمل ممنهج في التعليم والإعلام والإعلانات والمعاملات والشارع، وسائر مناحي الحياة، وتستوي في ذلك أقطار العالم العربي بنسب مختلفة، وتدفع العربية تدريجياً إلى أن تكون لغة شعائرية وتراجع استعمالها في إطار تعبدي، كما كان ذلك اللغة اللاتينية.

ومن القضايا التي اهتمت بها المجامع العربية قضية تعليم اللغة العربية في المراحل قبل الجامعة، وقضية النمو المعجمي للتلاميذ في مرحلة التعليم قبل الجامعي فبدأت في مشروع الرصيد اللغوي وتحديد الكلمات الأساسية التي يمكن الافادة منها في كتب التعليم، ويعتمد جمع المادة المعجمية لمشروع الرصيد اللغوي على الكتب المدرسية وعلى كتابات التلاميذ وعلى أحاديثهم في الصفوف المختلفة، ويتم هذا المشروع على المستوى العربي العام فتتعاون فيه وزارات التربية في الدول العربية مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ومن هذا تظهر مع التخطيط اللغوي والتعريب تأليف المعجمات التعليمية لأهميتها في الحفاظ على سلامة اللغة.

أهمية المعجم التعليمي في تنمية اللغة:

تتخذ تنمية اللغة أساليب مختلفة، ولابد لها أن تعتمد المنهج العلمي ليحقق أهدافه، ومن تلك الأساليب العناية بوضع المعجم التعليمي لأهميته في هذا المجال، فوضع المعجمات التعليمية لمستويات التعليم قبل الجامعي فيه تحصين للغة من المخاطر التي تجرها إلى منحدر الضعف والضمور [٢٧]. فمن أبرز الحقائق العلمية ما يتصل بموضوع حياة اللغة من حيث عوامل بقائها ودوامها أو أسباب اضمحلالها وانقراضها، فغياب التحصينات يوقع في المنحدر المؤدي إلى ضياع اللغة، فمن دواعي ضمور أثر اللغة في الحياة العامة قد تكون في إهمال ((أهل اللغة حين يتعمدون إطفاء رحيق لغتهم حين يكونون هم من يدفع اللغة نحو الانتحار))[٢٨].

---

[٢٧] ينظر: اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ٦٥.

[٢٨] العرب والانتحار اللغوي، الدكتور عبد السلام المسدي، ١٤.

نحن لا نجعل اللغة العربية كغيرها من اللغات عرضة للانقراض أو موت اللغة، كما يعبر بعضهم[٢٩] فللغة العربية من السبل ما يمنحها البقاء، إنما هي في خطر اضمحلال وضمور بجهات لغوية مختلفة صارت تمثل لدى الطالب جانباً ينغمس بالغياب والغموض لدى فئة واسعة من الشباب والطلاب.

فكانت العناية بوضع المعجم التعليمي تسهم بشكل واسع في دعم خطط التنمية اللغوية بل يحفظ اللغة من الضياع والاندثار.

فقد كان شعور العرب القدامى أن معاجمهم لها من الشمول والسعة يتسبب في صعوبة استعمالها، فحاولوا تقديم أسلوب جديد في التأليف المعجمي يسعى إلى تحقيق مستوى من المعرفة اللغوية تتوافق وحاجات الكتاب والأدباء فألفوا معجمات تنحو نحو الاختصار والتسهيل، منها معجم (الألفاظ الكتابية) لابن السكيت (ت٢٤٤هـ) وهو أقدم معجم في المعاني وتابعه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بمعجمه (متخير الألفاظ) وهو كما وصفه قائلاً ((إنما ألفت كتابي على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى وجعلت فاتح أبوابه الألفاظ المفردة السهلة))[٣٠].

واستمر التأليف في المعجم التعليمي يمثل منهج الاختصار للمعجمات السابقة لتوفير الجهد والوقت للباحثين[٣١].

وقد صرّح أول معجم حديث أن معجم للطلاب للمؤلف جرجس همام ١٩٠٧ (معجم الطالب المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية) ثم تلا هذا المعجم معجمات للغاية نفسها تمثلت بمعجم (المنجد) تأليف الأب لويس المعلوف ١٩٠٨ والزيادات عليه في طبعاته وتذييله بالصور في طبعته ١٩٥٦ وإضافة الأب فردينان توتل قسماً جديداً حمل عنوان (المنجد في الآداب والعلوم)[٣٢].

وجاءت محاولات المجامع العلمية بدءاً من مجمع اللغة العربية في دمشق ١٩٣٠ إذ كلف الأستاذ أحمد رضا العاملي بصنع معجم متن اللغة وطبع بعد وفاة المؤلف ١٩٤٨ ثم جاء تأليف مجمع اللغة العربية بمصر ((المعجم الوسيط)) وطبع ١٩٦٠، ١٩٧٥، ١٩٨٥..

ومما يميز هذا المعجم صدوره عن هيئة علمية متخصصة ترتيبه الداخلي وسهولة التعامل

---

[٢٩] ينظر: حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، الفصل السابع، ص١٩٩.

[٣٠] متخير الألفاظ، المقدمة ٤٣.

[٣١] ينظر التفصيل، المعجم العربي – نشأته وتطوره ، ٦٠١ – ٦٠٤، الدلالة المعجمية في المعجمات التعليمية، ٢٤، ٢٦.

[٣٢] ينظر المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد، عبد العزيز مطره، وينظر: الدلالة المعجمية في المعجمات التعليمية، رسالة دكتوراه للدكتورة حوراء مهدي، ص٢٢٠ – ٢٣٦.

معه، واشتماله على الكثير من ألفاظ الحياة العامة ومصطلحات العلوم والفنون الشاسعة، كما تم إعداد المجمع لإصدار المعجم الوجيز الذي جاء في مقدمة آن الأوان لإخراج معجم مدرسي وجيز يكتب بروح العصر ولغته، ويتلاءم مع مراحل التعليم العام))[٣٣] وصدر ١٩٨٠.

وكان للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جهد واسع منذ أن أعلنت الجامعة العربية قيامها عند قرارها مشروع ميثاق الوحدة الثقافية سنة ١٩٦٤ وهي تضم تسع مؤسسات منها:

- معهد المخطوطات العربية
- معهد البحوث والدراسات العربية
- مكتب تنسيق التعريب وغيرها من المؤسسات الهامة[٣٤].

وسعيها بالتعاون مع (الهيئة الاستشارية للمغرب العربي في التربية والتعليم) يشارك فيه كل من:

- معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بجامعة محمد الخامس بالرباط.
- معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر.
- قسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث بتونس.

وكان السعي لوضع قاموس مدرسي عصري تتوفر فيه الدقة ويسر الاستعمال، وكان من ثمار ذلك صدور القاموس الجديد للطلاب الذي شارك في تأليفه ثلاثة متخصصين انتهوا من عملهم سنة ١٩٧٤[٣٥].

وقد شجعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو) العمل الجماعي بتكليفها كبار اللغويين العرب فأنتج ((المعجم العربي الأساسي)) يجمع جهود المجامع اللغوية العربية وقد صدر هذا المعجم ١٩٨٨ وميزة هذا المعجم أنه موجد للطلاب العرب، ويمكن أن يفاد من في تعليم العربية لغير الناطقين بها، فهو يمتاز بالإحاطة والشمول ويضم كل ما يحتاج إليه المستعمل[٣٦].

وتبقى هذه الجهود اللغوية الطيبة في خدمة العربية ينقصها التنسيق والتنظيم باستخدام التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية ووحدة القرار لتطبيق نتائج البحوث والتوصيات باتحاد عام للمؤسسات اللغوية العربية.

---

[٣٣] مقدمة المعجم الوجيز، للدكتور إبراهيم مدكور، ص٦.

[٣٤] ينظر: قضايا الثقافة العربية المعاصرة، محي الدين صابر، ٢٩ – ٧١، العربية والأمن اللغوي، زهير زاهد، ٤٩.

[٣٥] ينظر: مقدمة القاموس الجديد للطلاب.

[٣٦] ينظر: تفصيل الحديث عن المعجم التعليمي في الوطن العربي، الدلالة المعجمية التعليمية في ضوء الدراسة اللسانية الحديثة، ١٦ – ٢٨ رسالة دكتوراه للسيدة حوراء مهدي، جامعة الكوفة.

المصادر:

- الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢.

- حجازي، محمود فهمي، البحث اللغوي، مكتب غريب، القاهرة.

- حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتب غريب، ١٩٩٣.

- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ١٩٨٨.

- حمزاوي، محمد رشاد – أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨.

- حوراء مهدي، الدلالة المعجمية في المعجمات التعليمية، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة

- خالد مفلح، اللغة العربية بين الفصحى والعامية، الدار الجماهيرية للنشر (١١٦)، ١٩٨٧.

- روزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنس فريحة، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ بيروت.

- زاهد، زهير غازي، العربية والأمن اللغوي، دار الشؤون الثقافية، ٢٠١٢ بغداد.

- السعدي، أبو زيان، في غياب السلطة الفكرية، دار المعارف، تونس ١٩٧٨.

- القاسمي، علي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ٢٠٠٣.

- كالفي لويس، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٨.

- كولماس فلوريان، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، رضوان، عالم المعرفة (٢٦٩)، الكويت.

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ١٩٨٩.

- محمد مصطلح بلحاج، مجلة الفصول الأربعة ليبيا، ع٢٩، ١٩٩٨.

- محيي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٣.

- يوسف تغراوي، استراتيجيات التواصل، عالم الكتب الحديث.

كتـــــاب

(تقدُّم الفاعل على رافعه وحقيقة إعرابه عند الكوفيِّين)

للأستاذ الدكتور طه محسن[1] .

ط: دار أمل الجديدة، دمشق،٢٠١٩م

عرض وتحليل:

الأستاذ الدكتور وليد السراقبي

جامعة حماة / سورية

الملخَّص:

شاع لدى بعض الدارسين المحدثين أن الكوفيِّين يقولون بإعراب المرفوع فاعلًا، سواء أكان متقدِّمًا على الفعل أم متأخرًا عنه، وتلقَّف بعضهم هذه المقولة وتحمَّسوا لها، وطبقوها في بعض تنظيراتهم النحوية وتطبيقاتها، وهم في ذلك يرون تقدم الكوفيين على البصريِّين في مراعاة المعنى وعدم التطبيق المنطقي للمقولات النحوية.

وهذا الكتاب جاء ليميط اللثام عن حقيقة المسألة، ويبيِّن أن النحاة مجمعون على نقيضها، وأنَّ مَنْ نقل هذه المسألة إنما نقلها عن مصادر متأخرة، ولم يصرِّح نحوي كوفيٌّ واحد بها.

---

[1] الدكتور طه محسن: نحوي له قدم راسخة في الدرس النحوي قديمه وحديثه، وأستاذ في جامعة بغداد من مواليد بغداد في ١٤/١٠/١٩٤٥م. كان أوَّل مَنْ حقق كتاب (الجنى الداني) للمرادي (تـ٧٤٩هـ)، فنال به درجة الماجستير من جامعة بغداد١٩٧٢م، ونال درجة الدكتوراه بكتابه (الاستغناء في أحكام الاستثناء للقرافي (تـ ٦٨٤هـ). أنجز عددًا من البحوث اللغوية والنحوية وحقَّق عددًا من كتب التراث، منها: الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد لابن مالك(تـ٦٧٢هـ) (بالاشتراك)، وأحكام كل وما عليه تدل لتقي الدين السبكي(تـ٧٥٦هـ)، وغيرهما كثير. وكتابه: (تقدُّم الفاعل على رافعه وحقيقة إعرابه عند الكوفيين) الذي هو موضوع عرضنا ودراستنا في هذه الصفحات صدر عن دار أمل الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، دمشق ٢٠١٩ م، وجاء في اثنتين وتسعين صفحة من القطع المتوسِّط .

(The Precedence of The Subject over Its Nominative and The Truth of Its Parsing According to The Scholars of Kufa) A Book by Prof. Dr. Taha Muhsin

Presentation and Analysis:
Prof. Dr. Waleed Alsarakibi
University of Hama / Syria

Abstract

It has become quite common among some modern scholars that the scholars of Kufa say that the nominative subject is parsed as a subject whether it comes before or after the verb. This view has been eagerly adopted and applied it is some of their grammatical theories and application. In this they believe the scholars of Kufa pay more attention to meaning than the scholars of Basra and do not adopt the views that call for a logic-based application of grammar.

This book seeks to examine the plausibility of this argument and to show that, on the one hand, most grammarians challenge this view and reject it and that, on the other hand, the scholars of Kufa never said this, and those who adopt this view have found it in some later sources .

المقدمة:

تعالت في مطلع القرن العشرين المنصرم أصوات كثيرة يحدوها طموح إلى الارتقاء بلغتنا العربية، والنهوض بها لتكون – على وفق مطامحهم – في مستوى اللغات الأخرى حيوية، ويُسْراً في التعلم والتعليم، وتشوُّف إلى إزاحة الحيف والعنت الذي يحيق بدارسي العربية، وسعي إلى جعل المعنى هو المعوَّل عليه، والأساس في التركيب، أما ضبط العناصر اللغوية المشكّلة للكلام فأمرٌ يأتي بعد ذلك، وكان للنحو النصيب الأوفى في هذه الرغبات والمطامح، سواء أكان ذلك في مستوى التعلُّم أم التعليم .

وكانت مسألة علاقة الفاعل برافعه نحو قولنا : استقام التائب، والتائب استقام، وأن المرفوع (فاعل) سواء أتقدَّم أم تأخر، وأنْ لا فرق بين العنصرين في التركيبين = واحدة من

القضايا المثارة، ومسألة من المسائل التي أمسك بتلابيبها الدّاعون إلى التيسير النحوي، إذْ صرَّح صاحب إحياء النحو إبراهيم مصطفى أن الحكم في التركيبين حكم " صناعي لا أثر له في الكلام ، وليس ممّا يصحّح به أسلوب أو يزيّف، وإنّما هو وجه من أوجه الصناعات النحوية المتكلَّفة لا يعنينا أن نلتزمه، بل نحبُّ أن نتحرَّر منه "[٢]، وليس جعل إبراهيم أنيْس الإعراب قصة مختلقة[٣] ومن نسج خيال اللغويين بغائبة عنا .

وقد سرت قضيّة تقدُّم الفاعل على فعله مع الحفاظ على إعرابه فاعلاً سريان النار في الهشيم، وتناقلها الدارسون تناقل البديهيَّات والمسلَّمات من دون أن يتلمَّسوا لذلك توثيقاً ولا تمحيصاً، وحذا بعضهم – من قدماء ومحدثين – حذو متقدِّميهم حذْوَ القُذَّة بالقُذّة، وتابعوهم متابعة غير قائمة على الوقوف على دليلٍ واضح..

وجاء كتاب الأستاذ الدكتور طه محسن ليثبت تسرُّع القائلين بذلك، وعدم دقَّة هذا الرأي، فحمل عنوان : (تقدُّم الفاعل على رافعه وحقيقة إعرابه عند الكوفيين) .

قسّم الباحث كتابه على : مقدمة (ص ٥ – ٨)، وأربعة فصول أطلق عليها مصطلح (القسم) . والأقسام هي :

أ- القسم الأوَّل، عنوانه : (في دراسات النحويين المعاصرين) .

ب- القسم الثاني، عنوانه : (في دراسات النحويين القدماء) .

ج – القسم الثالث، عنوانه : (في دراسات النحويين الكوفيين) .

د – القسم الرابع، عنوانه : (المناقشات والنتائج) .

وألحق بهذه الأقسام مَسْرد المصادر التي عوَّل الباحث عليها في إعداد هذا البحث وجاءت في ست صفحات، خُتمت بفهرس المحتوى، فتم تعداد صفحات الكتاب اثنتين وتسعين صفحة .

يقوم كتاب (تقدم الفاعل على رافعه) على بيان حقيقة أمرين نُسبا إلى الكوفيين:

أولهما: قولهم بجواز إعراب المرفوع إذا تقدم على رافعه فاعلًا.

والثاني: أنَّهم لا يقدِّرون ضميرًا راجعًا إلى الاسم المتقدم، وأنهَّم أجازوا أن يخْلو الفعل من الفاعل إخلاء تامًّا.

وبعد النظر المتأني في مؤلفات الكوفيين أقر المؤلف أن الكوفيين لا يعربون المرفوع

---

[٢] إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،١٩٥١م، ص : ٥٥ .

[٣] من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، الطبعة السابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٨م، ص:١٩٨

المتقدم فاعلًا، ففي إعراب المتقدم فاعلاً ما فيه" من تعارض مع القواعد ومن خلل في الصناعة النحوية"[٤]، ولكنهم يعربونه مرفوعًا بما بعده، وهو الخبر، أو بما يعود إليه من الخبر، أو ما يقع موقعه، وما نُسب إلى الكوفيين من ذلك ليس عليه دليلٌ صريحٌ، ولا قول واضح صدر عن كوفيٍّ. ويؤيِّد هذا ما نقله كبار النحاة أنَّه لا خلاف في أنَّ الفاعل لا يقع قبل فعله، ومن هؤلاء:

آ–أبو القاسم الزجاجيّ(ت٣٣٨هـ)، قال أبو حيان النحوي الأندلسي(ت٧٤٥هـ): "وقد رأيت في بعض التعاليق عن أبي القاسم الزجاجي أنَّه قال: أجمع النحويون على أنَّ الفاعل إذا قُدِّم على فعله لم يرتفع به".[٥]

ب–أبو عمرو بن الحاجب(ت٦٤٦هـ)، قال في الكافية: "الفاعل وهو ما أُسند إليه فعلٌ أو شبهه وتقدّم عليه على جهة قيامه به"، ثم قال في شرحه :" قولنا قُدِّم عليه احتراز من قولنا : زيدٌ قام وشبهه؛ فإنَّه ليس بفاعل. ولما أكثر النحويون الكلام على هذا فيتوهم المتوهِّم أنَّه فيه خلاف، وليس كذلك".[٦]

ج– ابن أبي الربيع(ت٦٨٦هـ) الذي قال: "ولا أعلم خلافًا في أنّ الفاعل من شرطه أن يقع بعد المسندِ، فإنْ تقدَّم لم يكن فاعلاً؛ لأنَّ العرب لا تُقدِّم الفاعل".[٧]

وأمَّا أنَّ الكوفيين لا يقدرون ضميرًا في الفعل يعود على المتقدم ،، وأنهم يجيزون: (الزيدان قامَ)، و(الزيدون قام) فيبطله نصُّ عبارات الكوفيين أنفسهم ،ومنهم أبو زكريا الفراء(ت٢٠٧هـ)[٨]، وأبو العباس ثعلب(ت٢٩١هـ)[٩]،، وأبو بكر ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ)[١٠]=على تحمُّل الفعل ضميرًا راجعًا، وتأكيد أبي جعفر بن سَعْدان الكوفي(ت٢٣١هـ) "أنَّ الفعل إذا تقدَّم قبل الاسم فهو موحَّدٌ، وإذا تأَّخر بعد الاسم ثُنِّي وجُمع، تقول: قام زيدٌ، فإذا ثنَّيت قلت: قام الزيدان، وإذا جمعت قلت: قام الزيدون، وحدت(قام)؛لأنه فعلٌ متقدّمٌ، وتقول في تأخير الفعل: زيدٌ قام، والزيدان قاما، والزيدون قاموا ثنَّيت (قام) وجمعته لأنه متأخِّرٌ".[١١]

فالمشكلة التي جعلها الباحث قُطْب الرحى في كتابه ومركز القضايا شيوع عَزْو القضية

---

[٤] تقدُّم الفاعل على رافعه،ص:٨.

[٥] تقدُّم الفاعل على رافعه،ص:٣٧.

[٦] نفسه، ص:٣٤.

[٧] نفسه، ص:٣٦.

[٨] انظر :تقدم الفاعل،ص:٦.

[٩] نفسه، ص،٦.

[١٠] نفسه ، ص:٥٩

[١١] تقدُّم الفاعل، ص:٤٦.

النحوية التي تناقلتها أسلات أقلام الكتاب إجازة الكوفيين أنْ يتقدَّم الفاعل على رافعه، ويبقى له إعرابه على الفاعلية .

ولهذا الإعراب آثار سواء في المستوى النحوي أم المصطلحي، ومن هذه الآثار التداخل في التوجيه الإعرابي لعنصر واحد، وإطلاق غير ما مصطلح على هذا العنصر، فيكون فاعلاً أو يكون مبتدأ . وهذه مسألة لا يعتقد أنها يمكن أن تندَّ عن فكر الكوفيين وأذهانهم، فليسوا من الغفلة والسَّذاجة ليقرروا ما يبعثر القواعد النحوية فينفرط عقدها، فيؤدي بذلك إلى تداخل المفاهيم واختلاطها[١٢] .

ولعلَّ عرض هذا الكتاب يؤتي أُكُلَه إذا دلفنا إلى فَرْش أقسام الكتاب، ووضع اليد على ما احتجنته من أفكار، وانطوت عليه من مسائل، وصولاً إلى نتائج مبنيّة على مقدمات .

القسم الأوَّل : عرض فيه الباحث الكريم القضية في مستويين :

أولهما : مقولات الباحثين المعاصرين، منهم : علي الجارم، إبراهيم مصطفى، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، فاضل السامرائي، أحمد عبد الستَّار الجواري .

وثانيهما : محققو كتب التراث الذين تناقلوا مسألة تقديم الفاعل على فاعله وجواز إعرابه فاعلاً مع تقدمه على عامله . وعدَّد من هؤلاء : محمد فؤاد عبد الباقي، ومحيي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد الخالق عضيمة، وصاحب أبو جناح، وعيَّاد الثبيتي .

وانتهى الباحث الفاضل في هذا القسم إلى أن عليًّا الجارم[١٣] هو حامل تبعة إشاعة هذا الرأي، فهو أوَّل من جَهَر بهذا الرأي من المحدثين في أثناء انعقاد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة (١٩٤٩ م)[١٤] .

وقد تباينت مواقف هؤلاء المجيزين من الكوفيِّين، فكانوا أصنافاً ثلاثة :

أ – منهم من أخذ بهذا الرأي – رأي الجارم[١٥] – وروَّج له، وهؤلاء هم أولئك الذين حملوا لواء وجوب إعادة النظر في الدرس النحوي وتدريس النحو، وتجديد مناهج البحث فيه وتيسيره .

---

[١٢] مقدمة المؤلف، ص : ٥ .

[١٣] تقدُّم الفاعل، ص ١٤ .

[١٤] كتب الجارم مقالاً بعنوان : (الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية) . ألقاه في المؤتمر المشار إليه في المتن، ثم نُشر في مجلة مجمع القاهرة سنة ١٩٥٣ م، ثم نشر أخرى في كتاب (جارميَّات)، ص : ٣٩٢ – ٣٩٥، الصادر سنة ٢٠٠١، دار الشروق، القاهرة .

[١٥] جارميَّات، ص : ٣٩٥ [نقلاً عن: تقدُّم الفاعل على رافعه، طه محسن، ح ٣، ص : ١٣] .

ب– ومنهم من أخذ بإثبات عَزْو هذا الرأي بالإعراب المذكور، بل نقده وضعَّفه .

ج – السكوت عند إبداء الرأي .

وقد اتّكأ هؤلاء جميعاً على تناثر رأي الكوفيين هذا في كثير من كتب النحاة، ثُمَّ إنَّ هؤلاء جميعاً ضربوا صفحاً عن العودة إلى المصادر لتحري الحقيقة، واكتفوا بالتسليم بالرأي، طالما أنه وارد في كتب النحاة .

جاء في مقال الجارم المذكور من قبل : " حقًّا، إن الكوفيين أجازوا تقديم الفاعل على الفعل، وإنَّ مثل قولك : الرجل قام لا يتضمَّن الفعل فيه ضميراً على رأيهم، وإنه كقولك : (قام الرجل) تماماً .

ولكني أرى أن نحيزة العربي ألاّ يُخْلي فعلاً من فاعله، سواء أكان هذا الفاعل ظاهراً أم ضميراً بارزاً أو مستتراً، وأنَّ ذوقه العام يقتضيه أن يقدِّم الفعل على الفاعل كما نراه في الكلام الكثير من لغة العرب " .

وقد رأى الدكتور مهدي المخزومي، رحمه الله، أنَّ "الأفعال عند الكوفيين قوية أيضاً، تعمل متأخرة كما تعمل متقدمة، وتعمل مقدَّرة كما تعمل ظاهرة، ولكنّ الكوفيين – كما يمليه عليهم نهجهم،– لم يفلسفوها ولم يمنحوها قوة العلل الفلسفية، ولم يعتبروها هي والفاعل بمنزلة الشيء الواحد، ولذلك جاز عندهم أن يخلو الفعل من الفاعل خلوّاً تاماً وذلك في باب التنازع ... أو يتقدَّم الفاعل على الفعل مع بقاء فاعليته وخلوّ فعله من ضمير عائد، كما هو المعروف من مذهب الكوفيين تمسُّكاً بقول الزّبّاء :

ما للجِمال مشْيُها وئيدا   أجندلاً يحملْن أم حديدا ؟"[١٦]

وحين توثيقه الرأي أحال إلى مصدرين متأخرين هما :همع الهوامع ١ / ١٥٩ للسيوطي، وشرح الأشموني ٢ : ٤٣ مع حاشية الصبَّان، والأصل الإحالة إلى مصدر كوفي أصيل من مصادرهم. ولمَّا يكن من المخزومي اعتمادٌ على مصدر كوفي اختار حديثاً للفراء عن الفاعل في قوله تعالى : (وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجره)،، قوله تعالى: (وإن امرُؤ هلك)، ثم انتهى إلى التصريح بقوله : " وأكبر الظن أن المرفوع من الآيتين فاعل عندهم وعند الفراء خاصة للفعل المذكور " ونقل نصًّا طويلاً للفراء يتضح فيه أنه يقول بإعراب المرفوع فاعلاً مقدَّماً على فعله .

فإذا كان الفرَّاء لم يصرِّح بأن المرفوع في الآيتين السابقتين فاعل لفعل محذوف ، فليس

---

[١٦] مدرسة الكوفة،٢٧٧و٢٧٨.

معنى ذلك أنه فاعل للفعل الذي تأخّر عنه، كما ارتأى المخزومي[١٧]؛ إذ ذكر أن العرب تكره اعتراض شيء بين الجازم وما جزم، وفي هذا إشارة إلى أن الاسم مقحم بين الفعل وأداة الشرط، وأنه فاعل للفعل الذي تأخَّر عنه .

وقد بيّن الدكتور طه محسن في كتابه الذي نعرضه –هنا– عدم إقراره صحة تفسير قول الفرّاء فقال: " فمع أني أوافقه على أنْ ليس في النص [يعني في الآيتين] فعل محذوف مفسَّر بالمذكور لا أقرُّ صحة تفسيره قول الفراء : "ويكرهون أن يعترض شيء بين الجازم وما جزم، بأنه يُعرب الاسم المعترض فاعلاً مقدَّماً على فعله "[١٨].

والتقى الدكتور إبراهيم السامرائي مع المخزومي، رحمه الله، في الذهاب إلى عدم التعويل على عزو ما يطرحه وما يوافق عليه إلى أي مصدر، فكان قصارى جهده أن يتكئ على مقولتي علي الجارم والمخزومي معاً . وكذلك كان سبيل الدكتور محمد خير الحلواني من الدارسين المعاصرين في التعويل على قول الجارم المتقدم، فنقل أن الكوفيين يجيزون تقديم الفاعل على فعله حقًّا "[١٩] .

وقد كان الحلواني، رحمه الله، أوّل دارس معاصر يوثق نسبة الرأي من مصدر كوفي، فقد أسند الرأي إلى معاني القرآن (١ / ٣٠١)، و (٢/ ٣٣٢)، وذلك في معرض حديثه عن (ما) في قوله تعالى : (وما أُهلّ لغير الله به) [المائدة : ٣] وفي حديثه عن قوله تعالى : (فما تعلمُ نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون) [السجدة : ١٧]، فقد قال الفراء: " وإذا قُلْتَ: أُخفي لهم، وجعلت (ما) في مذهب (أيٍّ) كانت (ما) رفعاً بما لم يُسمَّ فاعله " . ومراد الحلواني في هذه الإحالة الإشارة إلى أن الفرّاء أعرب (ما) في الموضعين نائباً عن الفاعل متقدِّماً على فعله[٢٠] .

---

[١٧] الدرس النحوي في بغداد، ص: ٦٠ و ٦١ .

[١٨] تقدُّم الفاعل، ص: ١٧ . وانظر في ذلك قول عباس حسن في النحو الوافي ٢ : ٧١ (هـ ٢)، و ٢ : ١٤٢، وإبراهيم السامرائي في كتابه (الفعل زمانه وأبنيته، ص : ٢٠٥ (ط / ١٩٦٦)، و ص : ٢٠٩ . فقد نسب عباس حسن الرأي؛ أعني إعراب المرفوع المتقدِّم فاعلاً، مرة إلى الكوفيين وأخرى إلى فريق من الكوفيين .

وعزاه الدكتور إبراهيم السامرائي إلى الكوفيين وحسَّنه بقربه من المنهج الوصفي الواقعي . وختم ذلك بقوله : وقد كان السيد المخزومي مصيباً باتباعه رأي الكوفيين في هذا الموضوع " . تقدم الفاعل على رافعه، ص : ١٨ .

[١٩] الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، ص : ٣٩٢ .

[٢٠] الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، ص : ٦٧، هـ ٧، وهامش ١، ص : ١١٨، عن [كتاب تقدُّم الفاعل على رافعه، ص : ٢٠].

وإشارة الحلواني هذه تلبَّث عندها الدكتور فاضل السامرائي وردَّ ما ذهب الحلواني إليه، مبيِّناً أن (الفراء) إنما أعرب (ما) كذلك، ولم يصرِّح بأنه مرفوع بـ (أُهِلَّ) . يضاف إلى ذلك أن الفعل (أُهِلَّ) معطوف على ما قبله، وهي قوله تعالى: (حُرِّمت عليكم الميتة...) [المائدة:٣] فهو مرفوع بـ"حُرِّمت " لا بـ"أُهِلَّ" .

أما الآية الثانية فلا دليل للحلواني فيها، إذ المراد أنَّ (ما) مبتدأ، والمبتدأ في رأي الكوفيين مرفوع بالخبر، فهو إذاً مرفوع بما لم يُسمَّ فاعله بدليل أن الفراء قال في قوله تعالى : (والذي أُنزلَ إليك الحق) " فموضع (الذي) رفع تستأنفه على الحق، وترفع كل واحد بصاحبه "، وهذا يعني أن رفع (الذي) بالخبر لا بالفعل[٢١] .

وعزا الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو هذا الرأي إلى الكوفيين، ووثق رأيه من كتب متأخرة أيضاً، منها : شرح ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) ١ / ١٦١ (ت ٧٦٩ هـ) وحاشية الصبان (ت ١٢٠٦) في شرحه على الأشموني ٢ : ٤٥) فكان كمن سبقه من المعاصرين[٢٢].

ب – القسم الثاني :

ولَّى فيه المؤلف شطر الآثار النحوية الأصول للتثبت من الرأي موضوع الدراسة كلها ولمقارنة النصوص، فتبيَّن له أنَّ أبا جعفر بن النحاس (ت ٣٣٨ هـ) في كتابه (إعراب القرآن) هو أوّل القائلين به، وعزا القول إلى أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ) . ودرج النحاة على ذلك بعد النحاس فكانوا بين مطيل وموجز، ومن ناسبٍ الرأي إلى عموم الكوفيين مع اختلاف في صَوْغ العبارات، ومنهم :

أ – ابن السِّيْد (ت ٥٢١ هـ).
ب– أبو البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) .
ج– أبو محمد بن بري (ت ٥٨٢ هـ)
د –ابن الخباز (ت ٦٣٩ هـ)
هـ – ابن يعيش الحلبي (ت ٦٤٣ هـ) .
و– ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) .
ز – أبو الحسين بن أبي الربيع (ت ٦٨٨ هـ) .
ح – أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ).

---

[٢١] تحقيقات نحوية ص ١٠١ [عن كتاب تقدّم الفاعل على رافعه، ص : ٢٠] .

[٢٢] وانظر آراء بقية الدارسين، مثل أحمد عبد الستار الجواري، والدكتور هادي نهر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ومحيي الدين عبد الحميد، تقدّم الفاعل على رافعه، ص : ٢٢ – ٢٨ .

وهؤلاء " الذين تحدَّثوا عن الموضوع اختلفت صيغ عباراتهم، فمنهم من نسب إلى أحمد بن يحيى أنه أجاز : زيدٌ قام بمعنى قام زيدٌ، والزجَّاجي المشافه للكوفيين نسب إليهم ثلاثة أقوال، هي : زيد يرفع بالمضمر الذي في قام، وهو رفع بما عاد عليه من ذلك المضمر، وهو رفع بموضع قام ؛ لأنَّ الموضع موضع خبر، وبه كان يقول ثعلب، ومنهم مَنْ قال على لسان الكوفيين : قُدِّم الفاعل ضرورة "[٢٣] .

وقد صرَّح الزجاجي أنَّ النحاة مجمعون على أنَّ الفاعل عند تقديمه على فعله لا يرتفع به، وهذا ما أكّده ابن أبي الربيع بقوله : " ... فإن تقدَّم – يعني المرفوع – لم يكن فاعلاً" .

وقد أخذ الدارسون المعاصرون أحد هذه الآراء ونسبوه إلى الكوفيين، أعني ما نسب إليهم من جواز تقدّم الفاعل على رافعه، ولكن المشكلة هي أنهم أغفلوا – قصداً أو من غير قصد – أن ثمَّة آراء أخرى، وأن كلاً من الزجاجي والأنباري يريان أن هذا المرفوع إنما رفعه الضمير العائد عليه من الفعل لا الفعل نفسه .

وقد انتهى الباحث إلى أن اختلاف الصيغ أدى إلى سريان وهم إلى الباحثين، وأنَّ لَبساً وقعوا فيه لأنهم فسَّروا هذه العبارات على غير مقاصدها[٢٤] .

ت– القسم الثالث : عنوانه (في دراسات النحويّين الكوفيّين) . والمراد منه تفحّص كتب الكوفيّين، وتقرّي نصوصهم وأقوالهم، والوقوف على توجيهاتهم الإعرابية بهدف تسمية المرفوع المتقدِّم على عامله والكشف عن صلته بهذا العامل .

وقد بدأ الباحث الفاضل هذا القسم ببعض الإشارات قبل الدخول في أعماق تلك النصوص، ومن ذلك[٢٥] :

١– أن الفرّاء لا يستعمل في كتبه، ولا سيما معاني القرآن، مصطلح الفاعل بمعنى المسند إليه فعْل مع إيراده مصطلح (ما لم يُسَمَّ فاعله) ؛ ويعني الفعل المبني للمجهول .

٢– لا يصرِّح الفرّاء، وهو رأس الكوفيين، بمصطلح (المبتدأ) الذي له خبر، ويشير إليه وإلى رافعه بغير لفظه . واستعمل لفظ (المبتدآت) والمراد به الأسماء التي تصلح للابتداء بها . وقد جاء مصطلح (المبتدأ) في معاني القرآن ٢ : ١٠، وأريد به ما قُدِّم لفظاً، ولم يقصد به الاسم المرفوع الذي يكوِّن مع خبره جملة[٢٦] .

---

[٢٣] تقدّم الفاعل على رافعه، ص : ٣٧ . وانظر الحواشي في الصفحات ٢٤ – ٢٨ .

[٢٤] تقدّم الفاعل على رافعه، ص: ٣٨ .

[٢٥] نفسه، ص : ٤١ .

[٢٦] نفسه، ص : ٤١ .

واستعمل مصطلح الرفع على الابتداء وأراد به الرفع على الاستئناف لمجيئه في صدر الجملة ، وكان لغياب مصطلح (المبتدأ) عند الفراء وعند أغلب الكوفيين الوقوع في مشكلة ما نُسِب إليهم، وإلى الخلط بين الفاعل، وهو مصطلح غير مراد، ومصطلح (المبتدأ) وهو المراد .

ج- إن عامل رفع المبتدأ عند الكوفيين ما وقع خبراً له أو ما عادَ عليه من الخبر ؛ ومصداق ذلك قول الزجاجي : " مسألة : أيُّهم ترَ يأتِك، ومن تضربْ أضرِب . قال أهل الكوفة : هذا نظير قولنا : زيدٌ قائمٌ، ترفع (زيداً) بـ (قائم)، و(قائماً) بـ(زيد) "[٢٧] .

فـ" حاصل ما تقدّم أن الفرّاء ومن تبعه يرون الاسم المتقدّم مرفوعاً بما يليه، والذي يليه هو الخبر، وأن هذا الخبر مرفوع بالمبتدأ فهما يترافعان "[٢٨] .

ولمّا كان كتاب (معاني القرآن) للفراء الكتاب الأول للكوفيين، وهو أغنى مصادرهم في موضوع بحثنا = وجد الباحث تعدّداً في صيغ التعبير عن رافع الاسم الواقع مبتدأ ؛ ولذلك شرع بذكر أمثلة من حديث الفراء عن عوامل رفع الاسم المتقدِّم، وهي :

١- الرفع بالاسم الصّريح وبالظرف .

٢- الرفع بالحرف .

٣- الرفع بما رجع من ذكر المتقدِّم .

٤-الرفع بالمؤوَّل بمصدر .

٥- الرفع بجواب القسم .

٦- الرفع بجملة اسمية .

٧- رفع المبتدأ بتقدير محذوف .

٨- رفع المبتدأ بالفعل .

وكانت نتائج هذا القسم ما يأتي :

١- توهُّم الباحثين في المسألة، وهذا عائدٌ إلى اللَّبْس في عبارات الكوفيين وتفسير عبارات الكوفيين على غير مقاصدهم منها، وعدم صحة ما نُسِبَ إليهم من إعراب المتقدم فاعلاً .

---

(٢٧) الإيضاح في علل النحو، ص : ١٤٠، وانظر : الإنصاف، م ٥، ج ١، ص : ٤٤ .

(٢٨) تقدّم الفاعل على رافعه، ص : ٤٤ .

٣- اختفاء المصطلح الدقيق لـ(الفاعل) .

٤- اختفاء التصريح بلفظ (المبتدأ) وإعرابه مع رافعه وهو الخبر .

٥- الخلط بين (الفاعل)، وهو غير مراد، وبين (المبتدأ) المرفوع بالخبر ولا سيما إذا كان فعلاً .

٦- أنواع رافع المبتدأ عند الفراء ثمانية .

٧- إعرابهم المرفوع المتقدِّم على الفعل مرفوعًا بالخبر الذي بعده أو بما يعود إليه من الخبر .

٩- لا وجود لأدلة على المسألة التي نسبت إلى الكوفيين .

وعضد كل ذلك بنماذج مما ناقشه الفراء في كتابه من آيات قرآنية وشواهد شعرية . وانتقل من معاني الفراء إلى أبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) أميز من ترك آثاراً في العربية من الكوفيِّين، وأهمها (إيضاح الوقف والابتداء)، الذي كان ميداناً لتبيان الجوانب الإعرابية في نماذج من التراكيب التي يوردها، و فيه أورد ابن الأنباري تلخيصاً للمسألة التي هي مدار الكتاب الذي نحن في صدد عرضه ؛ فقد قرَّر ابن الأنباري أنه " لا يتمُّ الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، ولا على المنعوت دون النعت، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرافع"[٢٩] . ثم راح يوضح هذا النوع الاخير قائلاً: "وأما المرفوع دون الرافع فقوله جل وعزَّ: (الحمد لله رب العالمين).الوقف على "الحمد" قبيح ؛لأنه مرفوع باللام الأُولى في اسم الله. وكذلك(الله خالق كل شيء).الوقف على لفظ(الله) قبيح لأنه مرفوع ب(خالق) و(خالق) به. وكذلك:(والسماوات مطويَّات بيمينه).الوقف على "السموات" قبيح لأنه مرفوعةٌ بـ "مطويَّات" و "مطويَّات" مرفوعة بـ "السماوات". وكذلك(الله الذي رفع السماوات).الوقف على "الله" قبيحٌ لأنَّه مرفوع بـ"الذي" و"الذي" به. وكذلك(وبالآخرة هم يوقنون).الوقف على هم قبيح؛ لأنَّ "هم" مرفوعون "بما عاد من "يوقنون". وكذلك ما أشبهه)[٧]

وفي شرح القصائد السبع الطوال الجاهليَّات يتجلَّى هذا النمط من توجيه الإعراب. وهو دليل آخر على أن المقدَّم ليس فاعلًا. ولكثرة ما ورد منه في هذا الكتاب[٣٠] سأكتفي بما نقله الباحث من تعليق ابن الأنباري على قول زهير بن أبي سُلمى[٣١]:

لدى أسدٍ شاكي البنان مقاذفٍ   له لِبَدٌ أظفارُهُ لم تُقلَّم

---

[٢٩] تقدُّم الفاعل على رافعه،ص:٥٥.

[٣٠] شرح القصائد السبع الطوال، ص"١٦١-١٦٤.[عن تقدُّم الفاعل على رافعه، ص:٥٩.].

[٣١] ديوان زهير، ص:٢٣،[عن: تقدم الفاعل على رافعه، ص:٥٩].

قال: ((واللِّبد رفع بـ "له" و "أظفاره" رفع بما عاد من " تقلَّم". والذي في "تُقلِّم" اسم ما لم يُسمَّ فاعله"[٣٢] فابن الأنباري الكوفي قدَّر في الفعل "تقلَّم" اسم مالم يُسمَّ فاعله، وهو الضمير المستتر .وهذا يدلُّ على أنَّ الفعل تضمن ضميرًا. إذْ "أظفار" مبتدأ وليس نائبًا عن الفاعل مقدَّمًا، وإلا كان الفعل فارغًا . فتَحَمُّل الفعل ضميرًا للاسم المتقدِّم عليه قال به الكوفيّون خلافًا لما ادَّعاه المعاصرون أنَّهم لا يقدرونه))[٣٣]

وقال محمد بن سعدان :" اعلم أن الفعل إذا تقدَّم قبل الاسم فهو موحَّدٌ، وإذا تأخر بعد الاسم ثُنِّي وجُمع. تقول: قام زيدٌ نصبت (قامَ)؛ لأنَّه فعلٌ ماضي [كذا] فإذا ثنَّيت قلت: قام الزيدان، وإذا جمعت قلت: قام الزيدون، وحَّدت (قامَ)؛لأنه فعل متقدِّم. وتقول في تأخير الفعل: زيدٌ قامَ، والزيدان قاما، والزيدون قاموا. ثنَّيت (قام) وجمعته لأنه متأخر"[٣٤].وقد علق الدكتور طه محسن على ذلك بقوله:" وفي هذا التقرير دليل على أنَّ ابن سعدان لا يجيز مثل: الزيدان قامَ ،والزيدون قامَ. وجاء في (مجالس ثعلب):"عبد الله حدثني وعمروٌ. قال: يكون نسقاً على ما في حدَّثني ولا يكون على الأول)[٣٥] .

قال الدكتور فاضل السامرائي: "وهذا يدل على أن في الفعل ضميرٍا عُطف عليه كلمة "عمرو"، و"عبد الله: مبتدأ وليس فاعلًا مقدَّمًا وإلا كان الفعل فارغًا"[٣٦]

د – القسم الرابع : كان هذا القسم بعنوان (المناقشات والنتائج) وجاء نتيجة الأقسام الثلاثة المتقدِّمة وختامها .

وقد تغيَّا الباحث من قسمه هذا تصحيح أوهام القدماء والمحدثين في توجيهات إعرابية أو أقوال نسبت إلى الكوفيين، ومن ذلك :

١– زعمهم أنّ الكوفيين لا يقدِّرون ضميراً في الفعل يرجع إلى المرفوع المتقدم وبذلك فهم يجيزون (الزيدان قام) و(الزيدون قام) .

٢– أيَّد ما ذهب إليه بقول كلٍّ من الفراء وأبي العباس ثعلب وأبي البركات بن الأنباري بتحمُّل الفعل ضميراً راجعاً إلى المرفوع المتقدّم .

٣– تأكيد ابن سَعْدان (تـ٢٣١هـ) أنَّ الفعل إذا تقدَّم قبل الاسم جاء موحّداً، وإذا تأخّر عنه ثُنّي

---

[٣٢] شرح القصائد السبع الطوال، ص:٤٨٥. [عن: تقدم الفاعل على رافعه، ص:٥٩].

[٣٣] تقدم الفاعل على رافعه، ص:٥٩.

[٣٤] مختصر النحو،ص:٤٣،[عن:تقدم الفاعل على رافعه، ص:٥٩.].

[٣٥] مجالس ثعلب١: ١٤٦،[عن: تقدم الفاعل على رافعه، ص:٥٩].

[٣٦] تقدم الفاعل على رافعه، ص:٦٠.

وجُمع، نحو: زيد قام، والزيدان قاما[٣٧] .

٤- استظهار مؤيدي القضية بشواهد على أن الكوفيين وجهوا إعرابها على أنَّ المتقدِّم فاعل .

٥- إبطال قولهم بأنَّ أغلب هذه الشواهد لم تحتج بها كتب الكوفيين الأصول، وأنَّ ما أورده الفراء جاء على نقيض ما رُمي به وادُّعي عليه روايةً ودرايةً .

وانتهى المؤلف إلى بسط عدد من المشكلات التي تنجم عن القول بإعراب المتقدِّم المرفوع فاعلاً، وما يؤديه ذلك إلى التعارض مع القواعد والخلل في الصناعة النحوية .

وبذلك يكون المؤلف قد ردَّ التهمة عن الكوفيين بأنَّهم مقصرون في فهم المسألة، أو أنهم لا يفطنون إلى ما ينجم عن القول بها من الاضطراب .

وقد اتَّبع المؤلف في كتابه هذا منهجاً تاريخياً يقوم على التسلسل التاريخي والتّتبع الزمني لمقولات المحدثين الذين كانوا الأكثرَ تحمُّساً للانسياق وراء هذا الرأي، فقد أثبت أقوال هؤلاء المعاصرين وتابع مصادرهم واحداً تلو الآخر .

وقد كانوا مدفوعين إلى ذلك برغبة في النهوض " باللغة العربية إلى المستوى الذي يليق بها بين لغات العالم ... وكان للنحو نصيب في جهود هؤلاء "[٣٨] .

ولكنّ ما بيّنه الكتاب الذي عرضناه أنَّ هؤلاء الدارسين إنما كانوا ينساقون وراء توهُّم أن الكوفيين هم أصحاب هذا الرأي، وكانوا إنما يكرّرون في ذلك ما تمخَّض عنه بحث على الجارم المشار إليه في مطلع البحث .

وقد أبان المؤلف في كتابه هذا عن جملة من القضايا، ومنها : إن قضايا كثيرة قد يأخذها الدارسون أخذ المسلَّمات ويتناقلونها تناقل البديهيات من غير ما تروٍّ أو تثبُّت . وفي هذا ما يدفع الباحث إلى التبصُّر في كثير من المسائل التي شاعت منسوبة إلى هذا الفريق أو ذاك .

ومنها أيضاً صبْر الباحث صاحب الكتاب وتأنيه في تناول القضية موضوع الكتاب بعيداً عن التعصُّب الأعمى والافتئات المقيت على الآخرين . فقد انتهج المؤلف النهج التاريخي –كما ذكرنا من قبل–بادئاً بالعصر الحديث الذي فشا فيه هذا الرأي نتيجة الاندفاع غير المعلَّل وراء رأي من الآراء من جهة، وفورة الدعوة إلى تجديد الدرس النحوي وعصرنته، ثمَّ بالعودة إلى الكتب الأصول التي نُسب إلى أصحابها هذا الرأي، للتثبت من احتوائها عليه، وعدم التعويل على تناقل الرأي أو نقله في الكتب المتأخرة التي تبعد قروناً كثيرة عن الأصول .

---

(٣٧) مختصر النحو، ص : ٣٠ .

(٣٨) تقدم الفاعل على رافعه، ص : ١١ .

وقد اتّسمت مناقشات الباحث الفاضل بالهدوء؛ بل بالتناهي في الهدوء، والتزام الموضوعية والحياد، وهما من أهم ما يجب توفّره في البحث العلمي وصاحبه. يزادُ على ذلك دقة الاستنتاجات المبنيَّة على مقدمات، والمستندة إلى الشواهد والأدلة المبينة.

المصادر:

- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر،١٩٥١م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحَّاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد: بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٩م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات بن الأنباري، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٦٦م.
- الخلاف النحوي بين البصريِّين والكوفيِّين، محمد خير الحلواني، حلب: دار القلم العربي، ١٩٧٤م.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النفائس،
- تقدم الفاعل على رافعه وحقيقة إعرابه عند الكوفيِّين، الدكتور طه محسن، دمشق: دار أمل الجديدة، ٢٠١٩م.
- جارميات، علي الجارم: القاهرة، دار الشروق،٢٠٠١م.
- الدرس النحوي في بغداد، الدكتور مهدي المخزومي، بغداد: وزارة الإعلام،١٩٧٤م.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل، نشره محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة السعادة،١٩٦٤م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليَّات، أبو بكر بن الأنباري، حققه عبد السلام هارون، دار المعارف،ط٢,١٩٦٩م.
- الفعل زمانه وأبنيته، الدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الرسالة،
- في النحو العربي، قواعد وتطبيق، الدكتور مهدي المخزومي، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٩٦٦م.
- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، مصر: دار المعارف،١٩٦٠.
- مجالس العلماء، أبو القاسم الزجاجيّ، القاهرة: مطبعة المدني،١٩٨٣م.
- مختصر النحو، ابن سعدان، حققه الدكتور حسين أبو عباس ، حوليَّات جامعة الكويت، ٢٠٠٥م.
- معاني القرآن، الفراء، تحقيق أحمد نجاتي، بيروت: عالم الكتب.
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، القاهرة :مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، ١٩٧٨م.

الحَرَكةُ الإعرابيَّة بيْنَ القُدَمَاءِ وَالمُحدثِينَ

المدرسة الدكتورة اكتفاء مطر شرباك

متوسطة القعقاع للبنين

المُلَخّصُ:

الإعرابُ سمةٌ بارزةٌ من سماتِ اللغةِ العربيةِ، وهو إحدى خصائصها التي لا تنفصل عنها، والمُتأمل في نصوص القرآن الكريم والشعر العربيّ، يدرك مدى الأثر الذي تُحدِثُه هذه الحركات، فغالبًا ما يسهم أثرُ الحركة الموسيقيّ في توضيح المعنى، وإضفاء لون من الانسجام اللفظيّ على السياق العام للكلام.

ولا ريبَ أنَّ الحركة الإعرابية تمثّل قيمةً جماليَّة في الأداء، ولها أثر بالغ في صون الأبنية وحفظها من ذهاب معالمها، ومن هنا كان الإعرابُ من القضايا التي شغلت علماء اللغة العربية قديمًا وحديثًا، وذهبت آراؤهم فيها مذاهب شتّى، فمنهم من يرى أنَّ لها دلالة على المعنى، ومنهم من يرى ألَّا أهميةَ لها في الجملة، وإنَّما تأتي من باب تزيين الجملةِ، أو تعاقب الحركاتِ لا غير.

وفي هذا البحث تعرضُ آراءَ العلماء قديمًا وحديثًا، ومن ثمَّ الوقوف على أهمِّ المحاور التي اختُلف فيها، مُثبتينَ النتائجَ التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: الحركة- الإعراب- القدماء- المحدثين

The Syntactic Movement between The Ancients and The Moderns

Dr. Iktifa'a Matar Sherbak
Al-Qa'qa' Intermediate School for Boys

Abstract

The syntax is a prominent feature of the Arabic language, which is one of its inseparable characteristics, and the contemplator of the texts of the Holy Qur'an and Arabic poetry, realizes the extent of the effect that these movements have. The effect of the musical movement often contributes to clarifying the meaning, and adding a color of verbal harmony to the general context of speech.

There is no doubt that the syntactic movement represents an aesthetic value in performance, and it has a great impact in preserving the

structures and preserving them from losing their features. Hence, the syntactic movement is one of the issues that occupied the Arabic language scholars in the ancient and modern times, and various schools of thought held their opinions regarding it. Some of them believe that it has indication on the meaning, and some see that there is no importance of it in the sentence, but rather comes as a way of decorating the sentence, or the succession of the movements only.

In this research, the researcher reviews the scholars' opinions, old and modern, and highlights the most important topics in which it was not agreed upon, establishing the results that the researcher has reached.

الإعرابُ (لغة) هو الإبانة والإعراب مصدر أعربت عن الشيء إذا أوضحت عنه، ويُقال: فلان مُعرب عمّا في نفسه، أي مبيّن لهُ وموضح عنه، وأصل هذا كلّه قولهم: (العرب)؛ وذلك لما يُعزى إليها من الفصاحة والإعراب والبيان. (ابن جني، ١٩٥٢، ج١، ص ٣٦).

وأمَّا في الاصطلاح فهو تغيير حركات أواخر الكلمات بحسبِ العوامل الداخلة عليها (ابن عقيل، ١٩٨٠، ج١، ص٢٩)، ويُعرّف أيضا بأنَّه أثرٌ ظاهر أو مقدّر يجلبهُ العامل في آخر المعرب (ابن الناظم، ٢٠٠٠، ص ١٦)، فالعاملُ هو الأساس في تغيير حركات الإعراب التي تعتري أواخر الكلمات، ولهُ أثرٌ كبير فيما يصيب أواخر الكلمات من حذف أو تغيير، كالفعل المضارع المعتل الآخر، والأفعال الخمسة حين تُسبَق بأداة نصب أو جزم.

والإعرابُ عندَ المُحدثينَ هو اختلاف حركات أواخر الكلم المعربة باختلافِ وظائفها ومواقعها في التركيب (زهير زاهد، بحث، ص ٧٠٧).

وتُعَد الحركة سواء أكانت مصاحبة لأصوات الكلمة أو واقعة على أواخر الكلمات جزءًا من الوحدات الصوتيَّة التي تشارك في الدلالة، والحركة التي تصاحب أصوات الكلمة تسمّى (حركة البناء)، والتي تقع في آخر الكلمة تُسمّى: (حركة الإعراب)، وهي التي تبيّن وظيفة الكلمة في التركيب وموقعها فيه. (عكاشة، ٢٠٠٥م، ص ٣٤)

فالحركةُ لها أثرٌ فاعل في دلالة الكلمة فهي التي تميّز بين الاسم والفعل وتحدّد زمن الفعل وتميّز بين المشتقات.

ويعودُ الفضلُ في وضع علامات الإعراب إلى أبي الأسود الدؤليّ حين همَّ بنقْط القرآن الكريم

(ابن الأنباريّ، ١٩٨٥م، ص ٢٠)، ويبدو أنَّ الناس قد تشابهت عليهم نقط الإعراب ونقط الإعجام، فأخذوا يبحثون عن طريقة أخرى لبيان الشكل الإعرابيّ، فأبدل الخليل بن أحمد الفراهيديّ نقط أبي الأسود بالعلامات الإعرابية التي نستعملها الآن (الدانيّ، ١٤٠٧هـ، ص ٧) منطلقًا من قيمة صوتيَّة محضة بأنَّها أبعاض حروف، فالضمة من الواو، والفتحة من الألف، والكسرة من الياء (سيبويه، ١٩٨٨م، ج٤، ص٢٤٢).

وظيفةُ حركاتِ الإعرابِ

اختلفَ اللغويونَ قديمًا وحديثًا في دلالة حركات الاعراب على مذهبينِ:

المذهب الأول: يرى أنَّ هذهِ الحركات لا تدلُّ على معان ولم يعرب الكلام للدلالة على المعاني والفرق بين بعضها وبعض» (الزجاجيّ، ١٩٥٩م، ص ٧٠)، وهذا مذهب محمد بن المستنير الملقّب بقطرب، إذ يقول: «وإنّما أعربت العرب كلامها؛ لأنَّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل» (الزجاجيّ، ١٩٥٩م، ص ٧٠)، فالحركاتُ عنده لاعتدال الكلام ولتسهيل النطق بالسكون.

وذهبَ هذا المذهب من المحدثين إبراهيم انيس، إذ يقول: ليس للحركاتِ الإعرابية مدلول، وأنَّ الحركاتِ لم تكن تُحدّد المعاني في أذهان العرب الأقدمينَ، وهي لا تعدو أن تكون حركات يُحتاج إليها في كثيرٍ من الأحيان لوصل الكلمات ببعضها (إبراهيم أنيس ، ١٩٧٢م، ص ٢٣٧).

ويشاركهُ في هذا الرأي أنيس فريحة أيضا، إذ ذهبَ إلى أنَّ الإعرابَ زخرف لغويّ، لا أثرَ لهُ في تصوير المعنى (أنيس فريحة، ١٩٥٩م، ص٥١). ويردُّ هذا ما عليه إجماع النحويينَ قديمًا وحديثًا، وما أثبتهُ علماء اللغات الجزريَّة (السامية) من أنَّ الحركات موجودة في هذه اللغات لغرضٍ معنويّ (السامرائي، ١٩٨٩م، ١/٢٢– ٢٣).

وهناكَ مَن يرى أن رأيَ قُطرب وجيهًا من الناحيةِ الصوتيَّة؛ لأنَّه يحقّقُ التوازن بينَ السكون والحركة في النطق العربيّ، لكنَّه لا يعول عليه من الناحية النحويَّة.

والمذهبُ الثاني يرى أنَّ حركاتِ الإعراب دوال على معانٍ، وهو مذهبُ جمهور النحويينَ القدماء، فذهبَ ابنُ قتيبة إلى أنَّ الله ﴿جَلَّ﴾ امتنَّ على العربيةِ بأنْ جعل الإعرابَ وشيًا لكلامها، وحليةً لنظامها، وفارقًا في بعض الأحوال بين الكلامينِ المُتكافئينِ والمعنيينِ المختلفينِ، كالفاعلِ والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكلٍّ واحد منهما إلَّا بالإعراب (ابن قتيبة، ١٩٧٣م، ص ١٨).

وقـالَ الزجـاجيّ: إنَّ الأسـماء لمـا كانـت تعتورهـا المعـاني، فتكـونُ فاعلـة ومفعولـة ومضـافة ومضـافة إليهـا، ولـم يكـن فـي صـورها وأبنيتهـا أدلـة علـى هـذه المعـاني، بـل كانـت مشـتركة، جُعِلَـت حركـاتُ الإعـراب فيهـا تُنبـئ عن هـذه المعـاني) (الزجـاجيّ، ١٩٥٩م، ص٦٩٢).

ويرى السيرافيُّ أنَّ الإعراب إنَّما كـان فـي الاسم للفصـل بـين المعـاني، فكلٌّ واحـد مـن أنواعـه أمـارة علـى معنـى، فـالرفعُ علـم الفاعليَّـة، والنصـب علـم المفعوليـة، والجـرّ علـم الإضـافة (السـيرافيّ، ٢٠٠٨م، ج١، ص٢٨)، وذكـرَ أيضًـا أنَّ الإعـرابَ فـي أصـله للفـرق بـينَ اسـمينِ فـي كـلام واحـد، ولفظـينِ مجتمعـينِ فـي قصـةٍ، لكـلّ واحـد منهمـا معنـى خـلاف معنـى صـاحبه، فيفـرق بـين إعرابهمـا للدلالـة علـى اخـتلاف معناهمـا (السـيرافيّ، ٢٠٠٨م، ج١، ص١١٢).

وجعلهُ ابنُ جنيّ علامةً لغويّةً في سلسلةِ الكلام تبيّن عن معناه، فقال: «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ» (ابن جني، ج١ ص ٣٦)، ويرى ابنُ فـارس أنَّ الإعرابَ يبيّن المعنى، وهـو الذي يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلّمين (ابن فارس، ١٩٩٧م، ص ١٦١)، وعدّهُ عبد القاهر الجرجانيّ مفتاح المعاني، فذهب إلى أنَّ الألفاظ «مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحهـا» (الجرجـانيّ، ١٩٩٥م، ص٣٠)، وكـان الرضـي الأسـتراباذي أكثـر وضـوحًا؛ إذ قـرّر أنَّ المعنـى الـذي يكـون فـي الاسـم يحدده وضـعه فـي الجملـة إذا كـان عمـدة أو فضـلة. فالعمدُ: الفاعل والمبتدأ والخبر حقّها الضمّة، وللفضـلات وهـي المفاعيل وأشباهها: الفتحة، وهي أخفّ الحركات، وللمضاف إليه: الكسرة، وجُعِلت علامات الإعراب أبعاض حروف المدّ وجُعِلت في بعض الأسماء حروف المدّ، وذلك في الأسماء الستة والمثنى والجمع بـالواو والنون (الأستراباديّ، ١٩٧٨م، ج١ ص ٦٢– ٦٣).

والمعـاني التـي يقصـدها النحويـونَ هنـا، هـي المعـاني النحويَّـة، كالفاعليَّـة والمفعوليَّـة والإضـافة وغيرهـا، لا المعـاني المعجميَّـة التـي تضـمّنتها معجمـات الُّلغـة (الزجـاجيّ، ١٩٥٩م، ص ٦٩).

فالوظيفةُ الدلاليَّة للحركات الإعرابيَّة تتمثّل في المعنى، فهي ذاتُ أثرٍ كبير في المعنى، لا تقلُّ قيمـة عن قيمةِ أصوات الكلمـة، أو حروفها في تحقيق معنـى الجملـة الدلاليّ، وأكد هذه الحقيقة عدد كبير من علماء العربية المحدثينَ، ومنهم: صبحي الصالح (١٩٦٨م، ص ١١٧)، ومازن المُبارك، (١٩٨٥م، ص ٧٤)، ورمضـان عبد التوّاب (ص٣٨٠– ٣٩٥) ومحمّد حماسـة عبد اللطيف (١٩٨٣م، ٢٦٤ – ٢٨٤) وغيرهم.

وحاولَ جماعة من الدارسينَ المحدثينَ الجمع بينَ رأيي الفريقينِ السابقينِ، إذ حاولوا أن يجعلوا المعاني بدلًا من العوامل، في فهم وظائف الكلمات في تركيب الجملة، فركّزوا جهدهم مُنطلقينَ ممَّا تؤدّيه حركاتُ الإعرابِ من المعاني النحويَّة، ولم يختلف تفسيرهم كثيرًا عن تفسير القدماء لمعاني الحركات، غير أنَّهم اتّخذوا منهجًا آخر في دراستها، وللتأليف على وفقها اعتمادًا على ما في التراث النحويّ (زاهد، بحث، ص ٧١٥).

فانفردَ إبراهيمُ مصطفى برأي مفاده أنَّ الضمة والكسرة هما علما الإعراب، وأن الفتحة ليست من العلامات، وإنَّما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب (١٩٣٧، ص ٩٦)، وذهبَ إلى أنَّ الضمة علم الإسناد، ودليل أنَّ الكلمة المرفوعة يُراد أن يُسند إليها ويُتحدث عنها، والكسرة علم الإضافة، وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها بأداة أو غيرها، ولا يخرج كلٌّ منهما عن هذا، إلا أن يكون في بناء أو اتباع، وأمَّا الفتحة عنده فليست بعلامة إعراب، ولا تدلُّ على معنى، لكنَّها الحركةُ الخفيفةُ المُستحبة عندَ العرب (إبراهيم مصطفى، ١٩٣٧، ص٥٠).

وممَّا يُؤخَذ عليه أن دراسته اقتصرت على حركات الإعراب للأسماء دون الأفعال، أمَّا في قوله في الضمة والكسرة، فهو لا يخرج كثيرًا عمّا قالهُ النحويونَ في دلالة الحركتين، لكنَّ رأيه في الفتحةِ فكأنَّه مالَ إلى عدم دلالتها على معنى، وهو قولُ قطرب في حركات الإعراب، وهو قول غريب لم يصل فيه إلى نتائجَ مقنعةٍ، ممَّا اضطره إلى اتباع سبيل النحويينَ في تأويل ما خالف أصله في الحركات الثلاث، كتأويله نصب أسماء الحروف الستة (إنَّ وأخواتها)، وأصلها مبتدأ، وضمّ المنادى العلم والنكرة المقصودة، ورفع المثنى بالألف، وفتح الممنوع من الصرف في حال جرّه وغيرها، إذ وقع فيما انتقدَ به النحويينَ القدماء في اضطرارهم إلى تأويل ما خالف أصولهم (زاهد، بحث، ص ٧١٣).

وسارَ على هذا المنهج مهديّ المخزوميّ، إذ درسَ حركات الإعراب الثلاث أيضا ودلالتها، مثلما درسها إبراهيم مصطفى، غير أنَّه كان أكثر وضوحًا وأوسع أفقًا، فحركةُ الإعراب عنده ليست كما تصوّرها النحويونَ أثرًا يجلبهُ العامل في آخر المُعرب، وإنَّما ينبغي لها أن تُدرَس على أنَّها (بيان ما للكلمة أو الجملة من وظيفة لغويّة، أو من قيمة نحويّة؛ لكونها مسندًا إليه، أو مضافًا إليه، أو فاعلًا، أو مفعولًا، أو حالًا، أو غير ذلك من الوظائف التي تؤديها الكلمات، في ثنايا الجمل وتؤديها الجمل في ثنايا الكلام» (المخزوميّ، ١٩٦٤م ، ص٥٧).

والمخزوميُّ يُقارب إبراهيم مصطفى في دراستهِ لدلالة الضمّة والكسرة، لكنّه لا يذهب إلى أنَّ الفتحة ليست بعلَمِ إعراب، مثلما ذهب إبراهيم مصطفى، وإنَّما ذهب إلى أنَّ الفتحة علم

ما ليس في موضع الإسناد، ولا في موضع الإضافة، وعلى هذا أقامَ دراسته للحركات، وتابعهما عبد الستار الجواريّ (الجواريّ،١٩٨٤م، ص ٧١- ٧٢)، لكنَّهم لم يصلوا في بحثهم إلى نتائجَ مقنعةٍ، فلم يأتوا بحلول لكلِّ قضايا النحو في تركيزهم على دراسة حركات الإعراب، وما لها من دلالة في الجملة سواء في الأسماء أو في الأفعال، فلم يستطيعوا أن يجعلوا أصولهم شاملة مطّردة، كما لم يستطع القدماء ذلك، إذ بقيت مجموعة من المواضع والأساليب تخالف أصولهم، فاضطروا إلى اللجوء إلى التأويل والتقدير البعيدينِ عن الواقع اللغويّ، الذي دعوا إلى تحكيمه في قضايا النحو (زاهد، بحث، ص ٧٥١).

وممَّن جمعَ بين المذهبينِ أيضا فؤاد حنا ترزي، إذ ذهب إلى أنَّ الإعراب دخل الكلام في أول الأمر لغرضٍ لفظيّ، يتمثّل في وصل الكلمات ببعضها ثم استُغلتِ الحركاتُ الإعرابية بعد ذلك لأغراض معنويَّة (ترزي، ١٩٦٩م، ص ١٨٧).

أمّا تمام حسّان فقد بيّن في رأيه في العلامة الإعرابيَّة على نحو جليّ، فقال: «إنَّ العلامة الإعرابيَّة بمفردها لا تُعين على تحديد المعنى» (تمام حسان، ٢٠٠٦م، ٢٠٧)، فالعلامةُ الإعرابيَّة عنده قرينة من قرائن مُتضافرة؛ لبيان المعنى النحويّ، وقد يُغني بعضَ القرائن عن بعض عند أمنِ اللبس (تمام حسان، ٢٠٠٦م، ٢٠٥- ٢٠٨).

ولم يرتضِ هذا الرأي خليل عمايرة، واصفًا إياه بأنَّه عاجز عن تفسير الظواهر النحويَّة والعلاقاتِ السياقيَّة (عما يره، ص ٨٥)، ويرى عمايرة أنَّ الحركات الإعرابيَّة على أواخر الكلم إذا لم تكن عنصرًا تحويليًا، فهي اقتضاء لقياسٍ لغويّ جاءَ عن العرب الأوائل، ورصدَ النحويونَ القدماء لها أبوابًا نحويَّة أعطوا لكلّ باب نحويّ حالة إعرابيَّة، ولها حركة معينّة، وقد تتغير الحركة الإعرابية اقتضاء لعنصر من عناصر التحويل (عمايره، ص٩٣).

وبناءً على ما تقدّم يمكن القول: إنَّ الإعراب علم المعاني «إذ لو كانت الغاية منه الخفّة عند درج الكلام ما التزمتهُ العرب هذا الالتزام» (السامرائيّ، ١٩٨٩م، ج١ ص ٢٣)

فالإعراب إنَّما يأتي؛ للدلالة على معانٍ مختلفة يرمي إليها المتكلّم؛ لإبانة الوظيفة اللغويَّة للكلمة في الجملة، وإنَّ هذه الوظيفة اللغويَّة تدلُّ عليها علامات الإعراب بكونها مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة.

وبالتتبع للأساليب يُلْحظ أنَّ العربية لها مزيّة خاصة، إذ إنَّ كلّ كلمة تحملُ ما يدلُّ على قيمتها اللغويَّة، وهذا الدليلُ هو الضمّة والكسرة والفتحة.

وأخيرًا أرى أنَّهُ من الأحرى أن نقفَ موقفًا وسطًا بينَ مَنْ يرى أنَّ الحركات الإعرابية لا قيمةَ لها، وبينَ مَن يولي العلامة الإعرابية اعتدادًا فيه غلوّ ومبالغة، فقد صحَّ عن العرب أنَّهم يترخصون في العلامة، ويتخلون عنها في حال الوقف.

الخاتمة:

خلاصةُ ما توصل إليه النحويونَ أنَّ الحركةَ الإعرابية دوال على معانٍ إلا قطربًا، إذ ذهب إلى أنَّ الإعراب لم يدخل؛ ليفرق بين المعاني، وإنَّما دخل تخفيفًا على اللسانِ، واستمرّ هذا الخلاف إلى العصر الحديث، فكانَ أغلب الباحثينَ المُحدثينَ يرون ما رآه معظمُ النحويينَ القدماء، إلا نفرًا قليلًا منهم: إبراهيم أنيس، إذ رجّح الرأي القائل بأنَّ الحركات الإعرابية ليست رموزًا تشيرُ إلى الفاعليَّة أو المفعولية أو غير ذلك، وإنَّما هي لوصل الكلمات، ويردّ هذا ما عليه إجماع النحويينَ قديمًا وحديثًا، فالوظيفة الدلالية للحركات الإعرابية تتمثّلُ في المعنى، فهي ذاتُ أثرٍ كبير في المعنى لا تقلُّ قيمته عن قيمة أصوات الكلمة، أو حروفها في تحقيق معنى الجملة الدلاليّ.

أمَّا إبراهيم مصطفى فانفرد برأي مفاده أنَّ الضمّة والكسرة هما علما الاعراب، وأنَّ الفتحة ليست من العلامات، وإنَّما هي الحركة الخفيفة المُستحبة عند العرب، وسارَ على نهجهِ المخزوميّ، لكنّه ذهب إلى أنَّ الفتحة علم ما ليس في موضع الإسناد، ولا في موضع الإضافة، وتابعهما عبد الستار الجواريّ، لكنّهم لم يصلوا إلى نتائجَ مقنعة في بحثهم، وممَّن جمعَ بينَ المذهبينِ أيضا فؤاد حنا وتمام حسان وغيرهم.

ولا يزالُ الجدلُ قائمًا بينَ المحدثينَ في هذهِ المسألة بينَ مؤيدٍ ومعارضٍ، لكنّه حريّ بنا أن نقفَ موقفًا وسطًا بينَ الفريقينِ.

المصادر:

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزريّ، النهاية في غريب الحديث، المطبعة الخيرية، القاهرة– مصر، (د. ت).
- ابن الأنباريّ، كمال الدين أبو البركات، نزهة الألباء، تحقيق: إبراهيم السامرائيّ، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء– الأردن، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط١، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزوينيّ، الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط١، الناشر: محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، ط٢، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.
- ابن الناظم، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين، شرح ابن الناظم، تحقيق: محمد باسل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.
- الأستراباديّ، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قارينوس، ١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م.
- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م.
- ترزي، فؤاد حنا، في أصول اللغة والنحو، بيروت، ١٩٦٩م.

- الجرجـانيّ، أبــو بكـر عبـد القــاهر عبـد الـرحمن، دلائـل الإعجــاز، تحقيــق: محمــد التنجــي، ط١، دار الكتــاب العربــيّ، بيروت، ١٩٩٥م.
- الجواريّ، أحمد عبد الستار، نحو التيسير، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط٥، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- حماسة، محمد عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، الكويت، ١٩٨٣م.
- الدانيّ، أبـو عمرو، عثمـان بـن سـعيد بـن عثمـان بـن عمر، المحكم فـي نقـط المصـاحف، تحقيـق: عزة حسـن، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٧هـ.
- الزجاجيّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح، تحقيق: مازن المبارك، ط٦، دار النفائس، بيروت، ١٩٥٩م.
- السامرائيّ، فاضل صالح، معاني النحو، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م.
- سيبويه، أبـو بشـر عمـرو بـن عثمـان بـن قنبـر، الكتـاب، تحقيـق: عبـد السـلام هـارون، ط٣، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- السيرافيّ، أبـو سـعيد الحسـن بـن علـي بـن عبـد الله، شرح كتـاب سيبويه، تحقيـق: أحمـد حسن مهدلي وعلي سيد علـي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.
- عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عكاشة، محمود، التحليل اللغويّ في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- عما يره، خليل أحمد، العامل اللغويّ بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغويّ، جامعة اليرموك، الأردن (د -ت)
- فريحة، أنيس، تبسيط قواعد اللغة العربية، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت ١٩٥٩م.
- المبارك، مازن، نحو وعي لغويّ، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- المخزوميّ، مهديّ، في النحو العربيّ نقد وتوجيه، ط١، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، ١٩٦٤م.
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م.

البحوث

- زاهد، زهير غازي، الإعراب وحركاته في العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد ٧٩، ع ٤، ٢٠٠٤م.

تيسير النحو في العراق الدكتور مهدي المخزومي مثالاً

الأستاذ الدكتور باقر محمد جعفر الكرباسي
كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة

الملخص:

يعد النحو في أية لغة العمود الفقري لها، لأنها لا تستقيم إلا به ومن دونه يبقى الكلام مجرد ركام من الكلم لا يحصل به فهم أو إفهام، لذلك أولاه الدارسون أهمية خاصة في المجالين العلمي النظري أو التعليمي التطبيقي، ونظرا للضعف اللغوي الذي ازداد بمرور الزمن وأصبح ظاهرة عامة في الوطن العربي فقد اتفق معظم الباحثين العرب بإصلاح تعليم اللغة العربية وتذليل صعوبتها وحل مشكلاتها، وتعددت دعوات إصلاحه في مصر والعراق وبلاد أخرى، وبعد شرح لبدايات تيسير النحو في العراق يجده القارئ في ثنايا البحث، درست علماً من أعلام اللغة العربية في العراق ومحاولته لتيسير النحو وإصلاحه، هو الدكتور مهدي المخزومي (١٩١٩-١٩٩٣).

يتفرع الحديث عن جهد المخزومي في الدرس النحوي إلى فرعين : أحدهما يتصل بالآخر اتصالاً وثيقاً، فأولهما إطلاع الدكتور المخزومي على الدرس النحوي القديم واستيعابه ووعيه وعي عالم مجتهد فيه، وثانيهما الإطلاع بوعي أيضاً على قضايا علم اللغة الحديث ومناهجه ومواكبته محاضرات المستشرقين حين كان في القاهرة ومحاضرات أساتذته الذين كان لهم شأن في الدراسات النحوية واللغوية مثل إبراهيم مصطفى وأمين الخولي وطه حسين ومصطفى السقا وغيرهم من الكبار ، أما محاولته في تيسير النحو فتتمثل في كتابين هامين أصدرهما :

الأول: في النحو العربي – نقد وتوجيه. والثاني: في النحو العربي – قواعد وتطبيق.

وقد عرضت لهذين الكتابين وما بثه من آراء في تيسير النحو العربي بالتفصيل في ثنايا البحث.

Facilitating Grammar in Iraq

Dr. Mahdi Al-Makhzoumi - An Example -

Prof. Dr. Baqir Muhammad Jaafar Alkurbasi

Abstract

Grammar is considered the backbone in any language because it is not upright except by it, and without it speech remains just a pile of

words that does not get comprehension or cannot be comprehended. Thus, scholars have given it special importance in the theoretical scientific or the applied educational fields. In view of the linguistic weakness, which has increased over time and has become a general phenomenon in the Arab world, most Arab researchers have agreed to reform the Arabic language's teaching and overcome its difficulty and solve its problems. There have been many calls for its reform in Egypt, Iraq and other countries. After explaining the beginnings of facilitating grammar in Iraq, the reader finds it in the folds of the research. The researcher has studied a prominent figure of the Arabic language in Iraq and his attempt to facilitate grammar and reform it, Dr. Mahdi Al-Makhzoumi (1919-1993).

The talk about Al-Makhzoumi's effort in the grammar lesson is divided into two branches: one of them is closely related to the other, the first is Dr. Al-Makhzoumi's knowledge of the ancient grammar lesson and his comprehension and awareness as a diligent scholar in it. The second is also about the conscious awareness of the issues of the modern linguistics and its methods and keep pace with the lectures of orientalists when he was in Cairo and the lectures of his professors who had an interest in grammatical and linguistic studies such as Ibrahim Mustafa, Amin Al-Khouli, Taha Hussein, Mustafa Al-Saqqa and others. His attempt to facilitate grammar is represented in two important books that he has published:

The first: in the Arabic grammar - criticism and guidance.

The second: in the Arabic grammar - rules and application.

The researcher displays these two books and the views they conveyed in facilitating Arabic grammar in details throughout the research.

المقدمة:

حظيت اللغة العربية بالاهتمام الكبير من لدن العلماء منذ أن بزغ فجر الاسلام، وصار لها في النفوس من الإكبار والاحترام حين اختارها الله عز وجل لوحيه، ما أظهرها على اللغات كلها وظلت خلال العصور لغة الدرس والأدب والفكر والسياسة والبحث، وما زالت شجرتها المباركة باسقة الظلال دانية الجنى، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها الطيب كل حين بإذن الله، وما ثباتها وديمومتها الا بسبب جهود جبارة مخلصة بذلها أبناؤها وأحباؤها في جمعها وتدوينها، وتسجيل قواعدها وضبطها وشرحها، وبيان أساليبها وسماتها ودقائق تصرفها، والاحتفال بآدابها، حتى تم لهم اختراع فنون شتى تقوم على خدمتها، ودراسات رائدة أعانت على بقائها حية معطاءة ولقد رأى هؤلاء زيادة على ذلك أن مما يخدم عربيتهم الإبقاء على ألسنة الناطقين بها قوية فصيحة، خالية من شوائب اللحن والعجمة، وصيروا الأمر واجباً ألزموا أنفسهم القيام به وتنفيذه، فطفق كثير منهم ينبهون على أساليب تقع في كلام الناس وكتابتهم مما عدوه مخالفاً للأصول والقواعد والضوابط الصحيحة فكانت مصنفات هدف أصحابها تقويم الألسن وإصلاح أغاليط الكتاب وبيان ما تلحن فيه العامة وتتوهم في الخواص .

ويعد النحو في أية لغة العمود الفقري لها، لأنها لا تستقيم إلا به ومن دونه يبقى الكلام مجرد ركام من الكلم لا يحصل به فهم أو إفهام، لذلك أولاه الدارسون أهمية خاصة في المجالين العلمي النظري أو التعليمي التطبيقي، ونظراً الى ضعف اللغوي الذي ازداد بمرور الزمن وأصبح ظاهرة عامة في الوطن العربي فقد اتفق معظم الباحثين العرب على اصلاح تعليم اللغة العربية وتذليل صعوبتها وحل مشكلاتها، ويُعدُّ تعليم نحوها احدى هذه المشكلات الكبرى فهو السبب الرئيس في ضعف الناشئة العرب وفي جميع مراحل التعليم لذلك تعددت دعوات إصلاحه ففي مصر والعراق وبلاد أخر كانت هذه الدعوات، وبعد شرح لبدايات تيسير النحو في العراق يجده القارئ في اثناء البحث، درست علماً من أعلام اللغة العربية في العراق ومحاولته لتيسير النحو وإصلاحه، هو الدكتور مهدي المخزومي (١٩١٩-١٩٩٣) ولد في النجف وكانت نشأته فيها فأتقن العربية وكان لامعاً فيها طامحاً متفتح الفكر على آفاق المستقبل ولم يكن مقيداً بقيود المحافظة التي منعت غيره من التطور الفكري والعلمي وأفردت تمهيد البحث للحديث عن حياته ومؤلفاته .

يتفرع الحديث عن جهد المخزومي في الدرس النحوي إلى فرعين : أحدهما يتصل بالآخر اتصالاً وثيقاً، فأولهما إطلاع الدكتور المخزومي على الدرس النحوي القديم واستيعابه ووعيه وعي عالم مجتهد فيه لا وعي مدرس يردد أقوال السابقين، والآخر ثانيهما الاطلاع بوعي أيضاً على قضايا علم اللغة الحديث ومناهجه من خلال مواكبته محاضرات المستشرقين حين كان في القاهرة ومن خلال محاضرات أساتذته الذين كان لهم شأن في الدراسات النحوية واللغوية

كإبراهيم مصطفى وأمين الخولي وطه حسين ومصطفى السقا وغيرهم من الكبار، أما محاولته في تيسير النحو فتتمثل كتابين مهمين أصدرهما :

الأول: في النحو العربي – نقد وتوجيه.   والآخر: في النحو العربي – قواعد وتطبيق.

وقد عرضت لهذين الكتابين وما بثه من آراء في تيسير النحو العربي بالتفصيل في أثناء البحث.

سيرة المخزومي ومصنفاته

حياته: هو مهدي بن الشيخ محمد صالح بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح آل زايردهام الشهير بالمخزومي، ولد في النجف الأشرف عام ١٩١٩م. في محلة العمارة[١]، من أسرة عربية عريقة تعرف بـ (آل زايردهام) هاجرت من العمارة (جنوب العراق) إلى النجف في أوائل القرن الثاني عشر من الهجرة وتعود بالنسب إلى قبيلة بني خالد، وهم بطن من مخزوم[٢]، ولد المخزومي من أسرة كريمة وضاق اليتم صغيرا، فقد توفي والده وهو صغير لم يتجاوز عمره السنتين، وفقد والدته قبل أن يتم الخامسة، وعاش في كنف أخيه الكبير، وبعد أن تعلم القراءة والكتابة، وختم القرآن دخل مدرسة الغري الأهلية، وتخرج فيها، ثم دخل المتوسطة ولم يتم الصف الأول منها وانحاز إلى الدراسة القديمة فدخل مجموعة الجامع الهندي وأخذ يدرس المقدمات [٣]، وفي الجامع نفسه درس النحو والبلاغة على الشيخ محمد تقي صادق، والشيخ مهدي الظالمي[٤]، ثم درس معالم الأصول على الشيخ عباس المظفر. ومن غير أن يكون راغباً في مثل هذه الدراسة إلا أن عمه وأخاه ألحا عليه فقبلها على مضض وعلى الرغم من ذلك كله فقد ساعدته هذه الدراسة كثيراً إذ جعلت منه تلميذاً بارزاً بين أقرانه فيما بعد، وفي عام ١٩٣٥ م فارق الدراسة الدينية إذ عين وكيل معلم في مدرسة سوق الشيوخ الابتدائية في لواء المنتفق[٥]. وكان الأدب هاجسه فانتسب إلى جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف التي كانت تهدف الى بث الروح العربية وتنمية الشعور القومي وخدمة العربية وآدابها وقد كان رئيسها الشيخ محمد علي اليعقوبي، ومن أعضائها البارزين محمود الحبوبي ومحمد علي البلاغي [٦].

وفي عام ١٩٣٨ م في الشهر العاشر منه التحق بالبعثة العلمية إلى مصر واستمر بدراسته في الجامعة حتى أتم المرحلتين الأولى والثانية ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية

---

[١] الخاقاني، علي : شعراء الغري :٢٨٦/١٢ .
[٢] نفسه : ٢٨٦/١٢ .
[٣] نفسه : ٢٨٦/١٢ .
[٤] نفسه : ٢٨٧/١٢ .
[٥] نفسه : ٢٨٧/١٢ .
[٦] الرشودي، عبد الحميد : مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية،١٩٩٣، ص١٦ .

اضطرت وزارة المعارف العراقية إلى سحب الطلبة العراقيين من مصر، وفي إثر ذلك عاد المخزومي إلى وطنه وعين مستخدما على الملاك الإبتدائي في إحدى مدارس لواء الديوانية[٧]، واستمر على هذا المنوال حتى عام ١٩٤١ م إذ عاد إلى جامعة فؤاد الأول وراح يدرس العربية على يد كبار الأساتذة هناك أمثال : طه حسين وعبد الوهاب حمود وعبد الوهاب عزام و احمد أمين وأمين الخولي وإبراهيم مصطفى وغيرهم ودرس الفلسفة على يد الدكتور إبراهيم بيومي مدكور كما درس التاريخ على يد الدكتور حسن إبراهيم حسن[٨]. في عام ١٩٤٣م عاد إلى العراق وعين مدرساً في دار المعلمين الريفية في الرستمية لأربع سنوات، درَّس فيها مادة الأدب العربي وفي عام ١٩٤٧ م عاد إلى جامعة فؤاد الأول لإتمام دراسته العليا (الماجستير) فأعد رسالة علمية رصينة عنوانها (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه) بإشراف الأستاذين أمين الخولي وإبراهيم مصطفى[٩]. واستمر في دراسته من دون انقطاع لنيل شهادة الدكتوراه وكانت رسالة علمية أيضاً عنوانها (مدرسة الكوفة النحوية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) بإشراف الأستاذ مصطفى السقا، أثبت فيها جدارة فائقة إذ أقدم على مثل هذا العمل الذي لا يقدم عليه إلا ذوو المواهب الخاصة، وقد نالت هذه الدراسة الاهتمام الواسع في مصر وغيرها من البلدان العربية[١٠].

وفي عام ١٩٥٣م عاد المخزومي إلى وطنه، إذ عين مدرساً في كلية الآداب والعلوم في بغداد، وراح يلقي المحاضرات في مادة النحو العربي على طلبة هذه الكلية ، وفي الوقت نفسه كان يلقي المحاضرات على طلبة دار المعلمين العالية، واستمر على ذلك حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، فعهدت إليه عمادة كلية الآداب في جامعة بغداد ولم يكن راغباً فيها[١١] .

وفي عام ١٩٦٣م وعلى الرغم من ذلك الذي قدمه وجد نفسه في كلية من كليات الآداب خارج العراق [١٢]، وفي غربته هذه عهدت إليه رئاسة قسم اللغة العربية في كلية آداب جامعة الرياض، فتولاها وكان نعم المتولي، قام بها خير قيام، حتى قال عنه صديقه مسؤول كبير: جعلوا الجامعة جامعة، وقال آخر: رفعتم رأس الأستاذ الجامعي، وثبتم أنَّ في الوطن

---

[٧] نفـــسه : ص١٦ .

[٨] السواد، رياض يونس : مهدي المخزومي وجهوده النحوية، ص٢٢ .

[٩] نفـــسه : ص٢٢ .

[١٠] نفـــسه : ص٢٣ .

[١١] نفـــسه : ص٢٣ .

[١٢] نفسه : ص٢٣ .

العربي أساتذة أساتذة [١٣]، ولعل هذه المرحلة من حياته كانت مرحلة صعبة، إذا لم تكن أصعب المراحل، إلا أنه لم يفقد عزمه المتواصل، وإذا به يخرج إلينا بأرقى أعماله العلمية التي ستبقى آثارها خالدة خلود النحو العربي، كتابيه : (في النحو العربي: نقد وتوجيه) و (في النحو العربي: قواعد وتطبيق) اللذين نال عليهما جائزة من الحكومة السعودية على أنهما من الأعمال العلمية الراقية التي رفعت من سمعة هذه الجامعة [١٤] .

وفي عام ١٩٦٨ عاد إلى وطنه واستمر في أداء رسالته العلمية دون كلل، فيلقي بما يحمله في آداب بغداد وكلية أصول الدين وكلية الفقه، وتعهد اليه رئاسة قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة بغداد مطلع السبعينيات، ولكن المياه ما كانت لتجري دون تعكير، واذا بالرجل يتحمل صابراً مترفعاً عن الشكوى مقتنعاً بزاوية من بيته، لم تلبث أن استحالت إلى ندوة مصغرة، يلتقي فيها الأحباب من المثقفين والمفكرين ، وللغة حظ وافر من حظوظها [١٥] .

وفي ظهر اليوم الثاني عشر من رمضان عام ١٤١٤هـ الموافق الخامس من آذار عام ١٩٩٣في يوم الجمعة وبينما هو في حلقة من طلبته يجيب عن سؤال لأحد تلاميذه حول قياس الخليل وفي أثناء إجابته وضع يده على جبهته واتكأ فجأة على كرسي مسبلاً يديه وكأنما أخذته إغفاءة فكانت إغفاءته الأخيرة [١٦]. رحل عالم النحو الدكتور مهدي المخزومي المربي والقدوة الحسنة والأدب الجم وصاحب المنطق السديد، والعقل المنظم والمنهج العلمي في التدريس وفي البحث.

آثـــاره :

أ- كتبه المطبوعة: [١٧]

١- الخليل بن احمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: الكتاب في الأصل رسالة ماجستير أعدها في جامعة فؤاد الأول عنوانها الأصلي (مذهب الخليل النحوي)، طبع الكتاب طبعتين :

بغداد، مطبعة الزهراء،١٩٦٠م ، بيروت، دار الرائد العربي،١٩٦٨م.

٢- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : وهي رسالة أعدها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول ولقد طبع الكتاب ثلاث طبعات : بغداد، دار المعرفة، ١٩٥٥، القاهرة،

---

[١٣] الطاهر، علي جواد : المخزومي في خطوط من تاريخ صداقة، كلمة في اربعينيته، ص٢.

[١٤] الخاقاني : المرجع السابق، ٢٨٩/١٢ .

[١٥] الطاهر : المرجع السابق، ص٣ .

[١٦] زاهد، زهير غازي : المخزومي ونظرية النحو العربي، ص٥١ .

[١٧] نفسه : ص٢٦ .

مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٨، بيروت، دار الرائد العربي ، ١٩٦٨.

٣- في النحو العربي نقد وتوجيه : طبع الكتاب مرتين هما : بيروت، المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ بيروت، دار الرائد العربي ، ١٩٦٨ .

٤- في النحو العربي – قواعد وتطبيق : طبع الكتاب طبعتين هما : القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي،١٩٦٦ بيروت، دار الرئد العربي،١٩٦٨ .

٥- عبقري من البصرة: طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات هي : بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٢م ، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦ بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٩.

٦- الدرس النحوي في بغداد: طبع هذا الكتاب مرتين هما: بغداد، دار الحرية، ١٩٧٥، بيروت، دار الرائد العربي ،١٩٨٧ .

٧- أعلام في النحو العربي : طبع هذا الكتاب في بغداد، دار الحرية،١٩٨٠، سلسلة الموسوعة الصغيرة، ع٦٠.

٨- قضايا نحوية : المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٢ .

ب- مقالاته وبحوثه[١٨]

بدأ المخزومي النشر في المجلات منذ عام ١٩٣٩ والمتتبع لهذه المقالات المنشورة يجد أن المخزومي لا يلتزم بأختصاصاً دون سواه، فهو واسع الثقافة مسلم بأطرافها، فتارة تجده أديباً ناقداً من طراز خاص، وتارة تجده نحوياً، وأخرى مؤرخاً، وقد بلغت مقالاته وبحوثه أكثر من أربعين مقالة وبحثاً .

ج- آثاره التي اشترك بها مع غيره[١٩]

١- اشترك مع الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور إبراهيم السامرائي والأستاذ رشيد بكتاش في جمع وتحقيق ديوان الجواهري بأجزائه السبعة وقد طبع في وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٣-١٩٨٠ .

٢- اشترك مع الدكتور إبراهيم السامرائي في تحقيق كتاب (العين) للخليل بن احمد الفراهيدي بأجزائه الثمانية، وقد طبع الكتاب في وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية، ١٩٨٠ – ١٩٨٢ – ١٩٨٥، إلا الجزء الأول فقد تولت طبعه دار الرسالة في الكويت عام ١٩٨٠ .

---

(١٨) نفسه : ص٢٨ .

(١٩) نفسه : ص٢٩ .

د – مخطوطاته[٢٠]

١– كتاب أسماه (ملاحظات) : يقع الكتاب في نحو ١٠٠ صفحة من القطع الكبير .

٢– كتاب أسماه (قضايا في النحو وتاريخه) : يقع في نحو ١٥٠ صفحة من القطع الكبير .

٣– إعادة تحقيق الأجزاء الأربعة الأولى من كتاب العين .

٤– اشترك مع الدكتور عبد الجبار المطلبي في كتاب (مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن) لمؤلفه موسكاتي، ترجمة : الدكتور المطلبي وتولى الدكتور المخزومي التعليقات .

المبحث الأول

قضية تيسير النحو

لقد اتسمت محاولات الإصلاح اللغوي في تاريخ العربية في كثير من الأحيان بصفة الصراع بين القديم والجديد، فالمحافظة على القديم وعدم مسه بتغيير في مجال اللغة المنطوقة أو قواعد النحو أو الكتابة والإملاء، وهو اتجاه كان لدى جملة من علماء العربية القدامى الذين وقفوا في وجه المحُدَث المولّد في اللغة والأدب، فمنذ إشارة أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) لشعر جرير والفرزدق بأنه محدث بالرغم من استحسانه بقوله :(لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته) [٢١] . وموقف الأصمعي من شعر ذي الرمة الذي وصفه (أنه لا يشبه شعر القدماء وكذا شعر الكميت)[٢٢] . وكل هؤلاء الشعراء من العصر الأموي، ثم موقف ابن الأعرابي الذي رفض الجديد بالرغم من استحسانه أحياناً دون أن يدري بأنه جديد لا لسبب إلا لأنّ صاحبه معاصر له وليس جاهلياً[٢٣]. ثم قول ابن فارس (ت٣٩٥هـ):(وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها)[٢٤] .

هذا الاتجاه المحافظ من الحياة والفكر والأدب طبيعي اذ بوساطة الحوار بين الجديد والقديم يكون التقدم في مجالات الحياة فكل قديم كان حديثاً في عصره، وكل جديد يكون قديماً بعد عصره ولا يدوم شيء إنساني في الحياة على حال، إنما التغيير يصيب كل شيء ولكن بنسب ومقدار ولاسيما في مجال الثوابت عامة، فقد كانت للإصلاح في

---

[٢٠] نفسه : ص٣٠ .

[٢١] الجاحظ : البيان والتبيين، ٣٢١/١، ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ١١/١ .

[٢٢] ابن جنّي : الخصائص، ٢٩٨/٣ .

[٢٣] المرزباني : الموشح، ص٣٨٤ .

[٢٤] ابن فارس : الصاحبي، ص٥٧ .

مجالات الحياة والمجتمع والعلوم ومناهجها في عصر اليقظة والنهضة الحديثة واحتكاك العرب بحضارات الأمم الأخرى والأوربية منها خاصة محاولات وآثار، ففي مجالنا اللغوي كانت محاولات جادة للإصلاح لإيجاد السبل التي تستطيع بها العربية استيعاب العصر وما جد فيه من حضارة وتقدم وهناك مسافة واسعة بين حال الأمة العربية والحضارة الحديثة، لذا أصبحت اللغة تحتاج إلى مضاعفة الجهد لسد الثغرات الواسعة والنقص اللغوي في المصطلحات والمفردات .

لقد بُذل جهد كبير في المجال اللغوي على صورتين : إحداهما صورة الجهد الفردي والأخرى صورة الجهد الجماعي الرسمي وقد تتداخل الصورتان فيقوم الأفراد من العلماء بجهد فردي ومن خلال المؤسسات الرسمية معا، تمثل ذلك في تأليف المعجمات التي وضعت بعد اتساع المجال المعلوماتي بصناعة المعجم، ثم بذل الجهد في مجال المصطلح وكان ذلك في وقت مبكر من هذا القرن بل منذ قيام رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م) في مصر بتعريب أو إيجاد مصطلحات بعد عودته من بعثته إلى فرنسا بما أفاده من ثقافته الجديدة أو التراثية ظهر ذلك في كتابيه: تلخيص الإبريز، والتحفة المكتبية[٢٥] . ثم ما كان من الجهد الذي بذلته وزارات التعليم في مصر والشام والعراق ولبنان وما قام به اللغويون في تعريب مصطلحات الجيش والعلوم المختلفة وتأليف المعاجم كالأستاذ عبد الله العلايلي في لبنان وانستاس الكرملي ومصطفى جواد في العراق وغيرهم ثم جاء تأسيس المجامع العلمية في مصر عام ١٩٣٤م، ودمشق عام ١٩٢٨م، والعراق عام ١٩٤٧م، وعمّان عام ١٩٧٦م، واضطلاعه بهذه المهمة ثم تأسيس الجامعات بكلياتها العلمية والإنسانية على امتداد الوطن العربي .

وكان لهذا السبب أثره الكبير في إشاعة الثقافة والعلم في توسيع آفاق العربية بالتأليف والترجمة الإنسانية والمشاركة في المؤسسات اللغوية بجهد أساتذتها وما يدخل في مناهجهم الإنسانية العلمية من دراسة المعاجم والمواد اللغوية الأخرى، ثم ما قامت به جامعة الدول العربية بإقرارها مشروع ميثاق الوحدة الثقافية عام ١٩٦٤م، وإعلانها قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد تكونت عنها مجموعة مؤسسات هي : معهد المخطوطات العربية، ومعهد البحوث والدراسات العربية، ومكتب تنسيق التعريب، والمركز العربي للتقنيات التربوية، ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية لغير الناطقين بها والجهاز العربية لمحو الأمية وتعليم الكبار والمركز العربي لبحوث التعليم العالي والمكتب الإفريقي لشرق إفريقيا وصندوق تنمية الثقافة في الخارج[٢٦] .

---

[٢٥] زاهد :زهير غازي : موضوعات في نظرية النحو العربي، ص١٧٨ .

[٢٦] نفسه : ص١٧٩ .

إنَّ هذه المؤسسات المنبثقة عن الجامعة العربية لو أدت عملها كما ينبغي له لازدهرت الحياة اللغوية التي هي الشكل والمضمون لهذه الأمة، وقد عقدت هذه المؤسسات عدة مؤتمرات وندوات وأصدر مكتب تنسيق التعريب بالرباط مجلة (اللسان العربي) وهي متخصصة بالبحث المعجمي والمصطلحي[٢٧] .

أما الجهد في إصلاح النحو العربي فلم يمر عصر إلا بذل فيه العلماء ما يستطيعون في نشر هذه اللغة وتعليم قواعدها واتباع كل الوسائل للمحافظة عليها، فمنذ ظهور كتاب سيبويه وتتابع العلماء في تأليفهم كتب النحو التي كانت تسير في اتجاهين : أحدهما يعنى بعلم النحو وشرح قواعده بصورة شاملة كما كان في الكتاب والمقتضب للمبرد والأصول لابن السراج، أما الاتجاه الآخر من التأليف فهو يتمثل بالكتب المنهجية التعليمية الميسرة ورسائل إصلاح اللسان وتقويمه مثل :

ما تلحن فيه العامة للكسائي (ت١٨٩هـ) وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت٢٤٤هـ) وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وغيرها من الموجزات والكتب الميسرة في قواعد العربية[٢٨].

لقد كان دعاة الإصلاح العرب من المثقفين والعلماء مهتمين بكيفية إعادة الحيوية للغة العربية التي ما زالت إمكاناتها وقدراتها الذاتية قابلة للتطور والانتشار مستفيدة من تجاربها الغنية في عصور ازدهارها اذ كانت لغة عالمية للمسلمين كافة من شعوب الأرض كافة، كان هذا الجهد منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الذي بدأ بملامح نهضة أدبية على ألسن الشعراء في مصر والشام والعراق والمغرب العربي، وبدايات النهضة العلمية في الاحتكاك بالحضارة الغربية والاطلاع على التقدم الحاصل في تلك البلاد .

إن أوائل محاولات الإصلاح في العربية ما قام به أحد علماء الأزهر رفاعة الطهطاوي (ت١٨٧٣م) في مصر مستفيداً من خبرة الأوربيين في تعليم لغاتهم ومتأثراً بجهد المستشرق ديساسي في التأليف النحوي فألفّ كتابه (التحفه المكتبية لتقريب اللغة العربية) فأدخل فيه أساليب جديدة أفادها من مناهج الفرنسيين في عرض النحو في أثناء إقامته في فرنسا، فجاء على غير ما ألفه الأزهر من شروح وحواش اذ جاء سهل العبارة واضحاً، وقد استعمل الجداول الإيضاحية[٢٩] .

وتعاقبت المحاولات لتأليف الكتب الدراسية الميسرة في العربية لسد حاجة المدارس في

---

[٢٧] نفسه : ص١٧٩ .

[٢٨] حجازي، محمود : البحث اللغوي، ص٥٣-ص٥٤ .

[٢٩] خليل ، حلمي : العربية وعلم اللغة البنيوي، ص٦٠ .

الدول العربية، فظهرت كتب في لبنان ومصر والشام والعراق بهذا الإتجاه عناوينها توحي بالتغيير والتسهيل في تبويبها تقدم لطلبة المدارس والجامعات ولكنها لا تختلف في منهجها كثيراً مثل النحو الواضح والنحو الوافي والتطبيق النحوي والنحو الميسر والنحو الوظيفي(٣٠).

وكان لوزارات المعارف والتربية في الأقطار العربية اهتمام في هذه القضية ويزداد الاهتمام كلما اتسع مجال التعليم إذ تلح الحاجة إلى توفير مناهج ميسرة للمتعلمين ليتخفف العبء على الدارس الذي يواجهه ويعانيه في قراءة الكتب القديمة، ثم محاولة تنمية المهارات اللغوية للمحافظة على سلامة العربية وتقوية المناعة اللسانية مقابل ما يراد لها من مكايد، فكانت دعوة وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٨م، وتألفت لجنة لهذا الغرض ثم ما قام به المصلحون في وزارة المعارف في العراق والشام والمغرب العربي، لكن هذا الجهد كان يعوزه التنسيق والتخطيط في تطوره وتطبيقه،، كذلك كان للجهد الفردي أثر في مجال تيسير النحو تمثل بجهد إبراهيم مصطفى وكتابه (إحياء النحو) الصادر عام ١٩٣٧م، وما شارك فيه عن طريق المجمع اللغوي أو وزارة المعارف في تأليف الكتب وعقد الندوات لمناقشة هذه القضية المهمة والصعبة ومحاولة وضع الحلول لها، وكذلك محاولة محمد كامل حسين عام ١٩٧٢م، ومحاولة الدكتور مهدي المخزومي في كتابيه (في النحو العربي) وجهد الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في كتابه (نحو التيسير) والدكتور شوقي ضيف في كتابيه (تجديد النحو) و(تيسير النحو التعليمي) .

كما كان للبنان والشام جهد في ذلك كجهد أنيس فريحه وغيره ممن كتب في هذا المجال، وفي النصف الثاني من القرن (العشرين) ظهرت آثار مناهج علم اللغة الحديث في كتابات المشتغلين في حقل اللغة من أساتذة الجامعات فمنهم من كانت له محاولة تجمع بين القديم والحديث في دراسة العربية على وفق منهج حديث وأوضح دارس في هذا المجال الدكتور تمام حسن في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، وكذلك ما كان في دراسات كمال بشر ومحمود السعران وإبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب وغيرهم(٣١) .

وقضية تيسير النحو كأنها ولدت مع ميلاد النحو لكنها اتخذت صوراً مختلفة باختلاف العصور، فالنحو العربي في بدايته، كان نحواً تعليمياً فقد ارتبطت نشأة النحو بالمحافظة على القرآن الكريم وسلامة لغته وأدائه، والكتاب الذي وصل إلينا كتاب –سيبويه– تضمن مجالات اللغة، وهي أوسع مما يتطلبه المبتدئ في تعلم النحو، لذلك احتاج النحويون الى مقدمات ميسرة للناشئة في ذلك المجال، فألفت الموجزات والمتون الميسرة، ثم إن النحو كغيره مما لدى الأمم

(٣٠) نفسه : ص٦١ .

(٣١) السيد، محمود احمد : تطوير مناهج تعليم القراءة النحوية، ص٧٢ .

الأخرى لم ينشأ لدراسة اللغة من أجل ذاتها إنما نشأ لخدمة القرآن الكريم والمحافظة على لغته، لذلك احتوت قواعده على العربية بمختلف لهجاتها فدخل فيه اختلاف اللهجات واختلاف القراءات بمستوياتها المختلفة الكثيرة القياسية والنادرة القليلة[٣٢] .

ولما أقام النحويون نحوهم على أسس أهمها : السماع والقياس والتعليل، ظهر منهجان في استعمال هذه الأسس:-

أحدهما: سمّي بالمذهب البصري الذي أراد توحيد القواعد والحكم على الأساليب على وفقها، والثاني : سمي بالمذهب الكوفي الذي استوعب أساليب العرب، ووضع قواعد على وفقها، وأقرب قول لهذا الإتجاه الذي يحترم النص المسموع قول أبي عمرو بن العلاء حين سأله بعض معاصريه (أخبرني عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيها كلام العرب كله ؟ فقال: لا، فقال له :كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهي حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات)[٣٣] .

إن هذا القول هو الصائب في هذا المجال ما دام النحويون وضعوا قواعدهم العربية بلهجاتهم المختلفة، لكن النحويين ولاسيما البصريين منهم قاسوا على الأكثر الأعم وحكموا على ما خالفهم بالشذوذ والرفض، فكثر لديهم التعليل والتأويل محاولين أن يدخلوا هذا القليل في ضمن قواعدهم وإلا رفضوه، فبدأ النحو يتعقد ويصعب منذ مرحلته الأولى في القرن الثالث .

ومما عقّد النحو شيئان :

أحدهما إدخال المنطق والفلسفة في قضايا النحو، وقد اتضح ذلك لدى نحويي القرن الرابع من الهجرة، وعلى رأسهم أبو الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ)، الذي كان يمزج نحوه بالمنطق، فأستعمل القياس المنطقي، والشيء الآخر الذي عقد النحو، ويتصل بسابقه هو توقف السماع والاستشهاد عند منتصف القرن الثاني في مجال الشعر، وفي نهاية القرن الرابع في مجال النثر، ولما توقف السماع صار اعتماد النحويين على القياس [٣٤] .

أما المسموعات فكانت محدودة بما كان لدى النحويين الأوائل فتفننوا بتفريع القياس والعلل والتأويل فكان بذلك تفخيم النحو دون أن يأتوا بجديد فيه، وكأنما توقف الاجتهاد عند نحويي القرن الثالث وآخرهم المبّرد وثعلب، أما من جاء بعد هذا القرن فكان له أن يعيد ترتيب أو شرح المواضيع والأبواب في كتاب سيبويه دون أن يتعداه في الرأي والقاعدة إلا في الشرح والتوضيح[٣٥] .

---

[٣٢] زاهد، زهير غازي : قضية تيسير النحو، مجلة الذخائر، ص٤ .

[٣٣] نفسه : ص٥ .

[٣٤] نفســه، ص٥ .

[٣٥] نفسه : ص٦ .

ثورتان في مجال النحو :

لقد كان في تاريخ النحو العربي ثورتان في مجال المنهج، إحداهما: في القرن السادس الهجري على يد ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) صاحب كتاب (الرد على النحاة) وكان يدعو إلى العودة بالنحو إلى منابعه الأولى وأن يقوم على الاستقراء، فدعا إلى إلغاء فكرة العامل التي اتسعت بسبب استعمال النحويين للمنطق كما دعا إلى إلغاء القياس المنطقي والعلل المنطقية وفروعها والاكتفاء بالقياس اللغوي كما دعا الى إلغاء التمارين غير العملية التي كان النحويون يتخذونها لتمرين الدارسين على الجدل، ولا صلة لها بالدرس اللغوي، ودعا أيضاً إلى إلغاء أبواب في النحو، وهي التي أوجدتها فكرة العامل وتمسك النحويون بها مثل : باب الاشتغال، وباب التنازع ، وكأنه مال إلى قول الكوفيين في ذلك، وقد ذهب الدكتور المخزومي إلى أنَّ إبن مضاء القرطبي أقرب الى منهج الكوفيين اللغوي فقد نقد نحويي البصرة ومنهجهم في النحو، لكنه لم ينتقد أحداً من الكوفيين كالكسائي والفراء وإنما أخذ بآرائهم في كتابه[٣٦] .

أما الثورة الثانية فهي الدعوة الى تيسير النحو حديثاً، وقد بدأت في مصر بداية حقيقية على يد إبراهيم مصطفى، ومن عمل معه وما شارك فيه من لجان في ثلاثينيات القرن العشرين، ثم تطورت هذه المحاولة على يد الدكتور مهدي المخزومي، وأحمد عبد الستار الجواري بعد ذلك، وقد كثر الداعون الى تيسير النحو ولكن معظم هؤلاء كان التيسير لديهم امتداد للجنة وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٨م، الذي ينحصر في حذف مواضيع وتعديل أخرى واختصارها، لكن اتجاه إبراهيم مصطفى والمخزومي يهدف من التيسير إصلاح المنهج في دراسة النحو لا التخفف من مواضيعه بحذف بعضها كما كانت دعوات أغلب من دعا الى تيسير النحو، وأهم المحاولات التي كانت هي محاولة الدكتور شوقي ضيف منذ كتابة مقدمة كتاب إبن مضاء (الرد على النحاة) الذي نشره سنة ١٩٤٧ ، وما ألفه ونشره بعد ذلك في مجال التيسير[٣٧] .

لقد تناولت محاولة إبراهيم مصطفى في كتاب (إحياء النحو) الصادر سنة ١٩٣٧م، علامات الإعراب وهي كانت محور محاولته في كتابه، وتناول فكرة العامل مفنداً إياها ثم بناء الجملة وأركانها ومكوناتها من مسند ومسند اليه وتوابع وما يخص الاسم والجملة الاسمية في مجالها النحوي[٣٨]، فهو ثبت فكرة إصلاح المنهج النحوي، وجاء بعده الدكتور مهدي المخزومي فكانت محاولته مكملة ما بدأ به إبراهيم مصطفى ودرس ما لم يتعرض له من مواضيع كالفعل

---

(٣٦) عما يره : خليل احمد : العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه، ص٣٢ .

(٣٧) السواد، رياض يونس : مهدي المخزومي وجهوده النحوية، ص٤١ .

(٣٨) نفـــسه : ص٨٢ .

والجملة الفعلية، فكانت محاولته شاملة لقضايا النحو وتطبيقاته في كتابين هما : (في النحو العربي – نقد وتوجيه) و(في النحو العربي – قواعد وتطبيق)، فالكتاب الأول آراء في تيسير النحو وإصلاح منهجه بحيث فيه علامات الإعراب ودلالتها، ثم خصص قسمه الأخير لدراسة أساليب الجملة اللغوية، وصور تركيبها وجمع في كل أسلوب ما تناثر في أبواب النحو في الكتب القديمة، فأدوات النفي جميعا درسها في اسلوب النفي وأدوات التوكيد وصورها جمعها في اسلوب التوكيد وهكذا دون النظر إلى فكرة العامل التي شغلت تاريخ النحو العربي، وكانت سبباً لتعقيده وتضخيمه وعدم الاهتمام بأساليب الجملة اللغوية موجهاً النظر الى منهج يهتم بوظيفة الكلمة في الجملة وما تؤديه من دلالة مع ما يجاورها لتتعاون على إنتاج المعنى الذي يريده المتكلم ويفهمه المتلقي(٣٩) . اما الكتاب الثاني فقد جعله تطبيقاً لهذه الآراء التي ثبتها في كتابه الأول، وهذا الكتاب جعله كتاباً منهجياً يعنى بالتطبيق، وكذا كانت محاولة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في كتابه (نحو التيسير) وما ألفه في (نحو الفعل) وغيره من مباحثه(٤٠) .

إنَّ محاولة تيسير النحو العربي وإصلاح منهجه ضرورة لا بد من استمرارها والعناية بها، ولكن ينبغي أن تقوم على أساسين مهمين هما : العلم والتجربة، بعد ما مر بها من الجمود وإلا فقدت مصداقيتها وفائدتها، وبذلك يكون الدكتور المخزومي رائداً لتيسير النحو في العراق .

المبحث الثانـــي

جهد الدكتور المخزومي في تيسير النحو

لقد أجمع الباحثون المنصفون على أنَّ الدكتور المخزومي واحد من أولئك الأفذاذ الذين خلدهم التاريخ بأفكارهم النيرة، وعطائهم المتميز، وهو علم من أعلام النحو المعاصر في الوطن العربي يذكر مع القلائل الذين تركوا بصماتهم على الفكر النحوي المعاصر لأنه كان مجدداً ومنظراً متميزاً، وكان لهذا التميز عوامل أهلته أن يكون في هذا المقام الرفيع، ومن تلك العوامل البيئة الفكرية التي ولد وترعرع فيها وهي مدينة النجف الأشرف التي تزخر بعلوم الفقه والتفسير والحديث والنحو والمنطق، وتعنى بالشعر ونقده، فاستوعب منها خزيناً ثراً وعلماً جماً، ومن هذه العوامل أيضاً اختياره الدقيق لمواضيع دراسته العليا في مصر، فاختار الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو العقل المبدع الذي أنضج النحو وأكمل بناءه في ذلك العصر، واختار المذهب المنافس لمذهب البصريين فدرس مذهب الكوفيين وهذا الاختيار الموفق أعانه على فهم النحو العربي فهماً عميقاً مبتدئاً من جذوره ومنتهياً عند قمة تطوره ونضجه، فوقف عند أصول النحو وأحكامه

---

(٣٩) نفسه : ص٤١ .

(٤٠) نفســـه : ص٨٢ .

وعلله وعوامله وتأويلاته، وعوامل تأثره وتأثيره في العلوم الأخر .

يتفرع الحديث عن جهد المخزومي في الدرس النحوي الى فرعين، أحدهما يتصل بالآخر اتصالاً وثيقاً : فأولهما اطلاع المخزومي على الدرس النحوي القديم واستيعابه ووعيه ووعي عالم مجتهد فيه لا وعي مدرس يردد أقوال السابقين(٤١). من هنا تظهر مقدرته على توجيه الدرس النحوي بصورته التي رآها ومباحثه في النحو العربي، وهذا يؤدي إلى الفرع الثاني من الحديث وهو جهده في تيسير النحو.

والنحويون في تاريخ النحو العربي قسمان : قسم علماء في النحو مجتهدون، فهؤلاء أصحاب تنظير في تعقيدهم اللغوي، وذوو منهج في تطبيق نظرهم، فلهؤلاء أثر في تلامذتهم وحلقات دروسهم منهم الخليل بن أحمد الذي هو سيبويه (الكتاب) بعلمه و إملاءاته ثم الكسائي والفراء وثعلب والمبرّد وابن مضاء القرطبي، هؤلاء من القدامى ونستطيع ان نذكر من المحدثين إبراهيم مصطفى والمخزومي وتمام حسن، أما القسم الآخر فهم مدرسون للنحو على اختلاف قدراتهم ومنازلهم منهم شراح كتاب سيبويه كالرماني والسيرافي، ومؤلفو المتون التعليمية كالزجاجي وابن جني وأبي بكر الزبيدي، وكذلك شراح هذه المتون ثم الدائرون في فلك كتاب سيبويه لكنهم بوبوه تبويباً جديداً كالزمخشري في مفصّله وابن مالك في ألفيته ثم شراحهما، ومن المُحْدَثين نذكر المرحوم عباس حسن والغلاييني وغيرهما كثير(٤٢).

إنَّ المخزومي من علماء النحو المعروفين في عصرنا، كانت له محاولة في تيسير النحو بنى أسسها على معرفة واطلاع واع لتراث النحو العربي إذ لم تكن قراءته للتراث قراءة مستهلكة كما هي قراءة كثير ممن عنوا بهذا العلم على امتداد تاريخ النحو العربي الذين أعادوا ما قاله سابقوهم وكرروه في كتبهم ومباحثهم، ولم تكن قراءته ناقدة فقط تكتفي بنقد النموذج وتحاول تحطيمه دون وضع البديل الناضج أو اقتراحه كما هو الغالب على قراءة ابن مضاء القرطبي في رده على النحاة .

إنما كانت قراءة المخزومي قراءه إبداعية فيها خلق ومحاولة تجديد(٤٣). والى جانب هذه القراءة الواعية للتراث النحوي كان على اطلاع بشكل وبآخر على قضايا علم اللغة الحديث ومناهجه من خلال مواكبته محاضرات المستشرقين حين كان في القاهرة ومن خلال محاضرات أساتذته الذين كان لهم شأن في الدراسات النحوية واللغوية كإبراهيم مصطفى وأمين الخولي(٤٤) .

---

(٤١) زاهد، زهير غازي : المخزومي ونظرية النحو العربي، ص٤٢ .

(٤٢) نفسه : ص٤٢

(٤٣) نفسه : ص١٩ .

(٤٤) نفســه : ص٤٣ .

وكان للعلماء العرب في اتجاههم الذي اختطوه لأنفسهم باعتماد المفردة أساساً في البحث ما يسوغه في ذلك الوقت، اذ كان المتعلمون من الأعاجم والعرب غير الفصحاء يلحنون كثيراً في إعراب المفردات، ومنها مفردات القرآن الكريم، ولا يدركون دلالة الجملة إلّا من خلال الوصول الى إعراب المفردات فيها؛ لأن الإعراب يعني الإبانة والإفصاح عن المعنى، لذا غضوا النظر عن الاتجاه الصحيح الذي يقتضي دراسة الجملة ودلالتها والمعاني التي تحملها والعوارض التي تطرأ عليها ولم يبوبوا كتبهم في ضوئه، بل بوبوها تبويباً يراعي العامل في الإسم وما يشبهه وأثره في المعمول ويراعي تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف والإعراب والبناء وغير ذلك من الأسس التي رجحت العوامل التعليمية على العوامل اللغوية الصحيحة التي ترمي إفهام المخاطب ومراعاة أحواله[٤٥]. وقد تنبه الدكتور المخزومي على هذا الخلل الكبير الذي لم يجرؤ أحد على رفضه والدعوة الى تصحيحه ليسير النحو في اتجاهه الصحيح فقال مبينا رأيه في ذلك :

((وإذا وصل بنا الكلام الى هذا الحد كان لا بد لنا من أن نصحح نهج القدماء ونعيد إلى هذه الدراسة اعتبارها الذي جار عليه تعنت النحاة وتمحلهم وجهلهم موضوع دراستهم وانتهاجهم منهجاً غريباً بعيداً كل البعد عن منهج هذه الدراسة، لعل الرجوع إلى أقدم الكتب التي ألفت في هذه الدراسة أعني كتاب سيبويه وكتاب معاني القرآن للفراء يوضح لنا الفرق بين نهج النحاة الأوائل ونهج النحاة المناطقة الذين أبعدوا في تجميد هذه الدراسة الحية وإثقالها بالقيود))[٤٦] .

وكلام الدكتور المخزومي ينم عن إحساس واع بأهمية التغيير في اتجاه الدرس النحوي، وتحديد الاتجاه الصحيح من خلال حصر موضوعات الدرس النحوي في موضوعين أساسين قال في مقدمة كتابه في النحو العربي نقد وتوجيه (والدرس النحوي – كما ينبغي أن يكون – إنما يعالج موضوعين مهمين لا ينبغي أن يفرط الدارسون في واحد منهما لأنهما معا يمثلان وحدة دراسية لا تجزئة فيها :

١– الموضوع الأول : الجملة من حيث تأليفها ونظامها ومن حيث طبيعتها، ومن حيث أجزاؤها، ومن حيث ما يطرأ على أجزائها في أثناء التأليف من تقديم وتأخير، ومن إظهار وإضمار .

٢– الموضوع الثاني : ما يعرض للجملة من معان عامة تؤديها أدوات التعبير التي تستخدم لهذا الغرض كالتوكيد وأدواته، والنفي وأدواته، والاستفهام وأدواته، إلى غير ذلك من المعاني العامة التي يعبر عنها بالأدوات التي تمليها على المتكلمين مقتضيات الخطاب ومناسبات القول)[٤٧].

---

[٤٥] نفسه : ص٤٤ .

[٤٦] المخزومي، مهدي : في النحو العربي – نقد وتوجيه،ص٣٤ .

[٤٧] نفسه : ص١٧ .

إن محاولة الدكتور المخزومي في تيسير النحو تمثلت في كتابيه :

١- في النحو العربي – نقد وتوجيه .   ٢- في النحو العربي – قواعد وتطبيق .

ففي كتابه الأول عرضت مباحثه أسساً للدرس النحوي وما ينبغي أن يكون عليه بدءاً بتعريفه للنحو ووظيفة النحوي وإنتهاءً بدراسته لأساليب التعبير التي هي من صميم الدرس النحوي وكانت كتب النحو تبعدها عن هذا الدرس ليتضمنها علم المعاني بوصفه قسماً من أقسام البلاغة، لكن المخزومي جعل هذا القسم جزءاً مهما في الدرس النحوي كما كان عبد القادر الجرجاني ينظر الى معاني النحو وأهميتها في فهم نظم الكلام والتراكيب في كتابه (دلائل الإعجاز)[٤٨] .

عرف المخزومي النحو بأنه (عارضة لغوية تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور ،

فالنحو متطور أبداً لأن اللغة متطوره أبداً، والنحوي الحق هو ذلك الذي يجري وراء اللغة يتبع مسيرتها ويفقه أساليبها ووظيفة النحوي أن يسجل لنا ملاحظاته ونتائج اختباراته في صورة أصول وقواعد تمليها عليه طبيعة هذه اللغة، واستعمالات أصحابها وأن يصف لنا مثلاً ما يطرأ على الكلمة أو الجملة وأوضاعها المختلفة) [٤٩].

يقول الدكتور زهير غازي زاهد (هذا التعريف للنحو وتحديد وظيفة النحوي لا نجدهما لدى أحدٍ من القدامى وإن كنا نجد تطبيقها لدى الأوائل من النحويين من أمثال الكسائي والفراء، لكن مدرسي النحو القدامى والمُحْدَثين جعلوا من النحو قيوداً قاسية وأقوالاً وقواعد متداخلة ملبسة في كثير من الأحيان لا تؤدي إلى تربية اللسان على الفصاحة إنما تؤدي إلى شحن الحافظة بالقواعد النظرية والخلافات في التعليل والأقيسة التي يطبعها المنطق بطابعه وهو منهج غريب عن منهج اللغة كما كان يراه ويراه أيضاً أصحاب المنهج الوصفي[٥٠] .

أما تيسير هذا العلم الذي ضج من صعوبته الدارسون والمدرسون فهو في رأيه : (ليس اختصاراً ولا حذفاً للشروح والتعليقات ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها واستيعابها وتمثلها ولن يكون التيسير وافياً بهذا ما لم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته أصولاً ومسائل، ولن يتم هذا – فيما أرى – إلا بتحقيق هاتين الخطوتين :

الأولى: أن نخلّص الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرّها عليه منهج دخيل هو منهج الفلسفة الذي حمل معه هذا الدرس فكرة (العامل) .

---

[٤٨] زاهد، زهير غازي : المرجع السابق، ص٤٣ .

[٤٩] نفـــسه : ص٤٤ .

[٥٠] نفسه : ص٤٤ .

والثانية: أن نحدد موضوع الدرس اللغوي ونعين نقطة البدء به ليكون الدارسون على هدى من أمر ما يبحثون فيه)[٥١] .

أما كتابه الثاني :(في النحو العربي – قواعد وتطبيق) فكان هو الجانب التطبيقي لنظريته في تيسير النحو العربي وفي هذا الكتاب رسم منهج كتاب جديد للنحو المدرسي مهذب جامع لأصوله وأبوابه تطبيقاً على ما رسمه كتابه (نقد وتوجيه) وسيكون الكتاب خالياً من النظريات التعسفية وما بني عليها من أبواب معقدة كنظرية العامل وبابي الاشتغال والتنازع ونائب الفاعل وأمثال تلك الأبواب التي وجد لها المؤلف حلولاً لغوية سهلة لا تحتاج إلى النظر الفلسفي ولا القياس المنطقي[٥٢]. وهذا الكتاب أقرب منهجاً وأيسر سبيلاً للمتأدبين والمثقفين الذين يطلبون معرفة النحو العربي للاستفادة منه في القراءة والكتابة فضلاً عن طلاب المعاهد والكليات[٥٣] .

لقد حاول الدكتور المخزومي في هذا الكتاب أن يوازن بين الدرس النحوي والمنهج اللغوي الحديث، فبدأ بشيء من الدرس الصوتي بذكر ترتيب حروف الهجاء في العربية هجائياً وصوتياً ثم تحدّث عن أهمية دراسة الأصوات إذ عليها يتوقف فهم كثير من الظواهر اللغوية كالإبدال بأنواعه والإدغام وما يتصل به من فهم خصائص الأصوات مخارجها وصفاتها من همس وجهر وإطباق وانفتاح وغير ذلك، وكذلك اهتم بالمستوى الثاني الصرفي بدراسة بنية الكلمة؛ لأنها تتألف من المادة الصوتية، فتحدث عن بناء الكلمة في العربية وذكر أن البناء الغالب في العربية هو الثلاثي من الأسماء والأفعال، أما الكنايات والأدوات فتقل أصولها أحياناً وقد تكون على حرف واحد[٥٤] .

إنَّ هذا الكتاب فيه تيسير لمادة النحو لطلبة العربية فهو منهج تعليمي ميسر حاول فيه المخزومي أن يبعد الخلافات النحوية التي شغلت النحويين كما حاول فيه أن يسقط فكرة العمل والعامل وآثارها من التعليلات والتقديرات البعيدة التي عقدت النحو وأعجزت دارسيه ويمكن أن تنطلق الدراسات والبحوث التي تعنى بتيسير النحو من هذا المجال الذي فتحه المخزومي بكتابه المذكور وقبله إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) لكن تجربة المخزومي امتازت على سابقه بالنضج من جهة ثم بالتكامل من جهة أخرى إذ جعل دراسته بجزأين أولهما تنظير وإعادة نظر في القضايا والمسائل والأبواب وعودة إلى الأصول الأولى التي اعتمدت على الإستقراء

---

[٥١] نفـــسه : ص٤٤ .

[٥٢] مقدمة مصطفى السقا لكتاب المخزومي (في النحو العربي قواعد وتطبيق) ص١١ .

[٥٣] نفـــسه : ص٧ .

[٥٤] المخزومي، مهدي : في النحو العربي – قواعد وتطبيق، ص٤٦ .

ومشافهة الأعراب كما اعتمدت على مصادر العربية الفصيحة ودرستها بمنهج لغوي لم تشبه ملامح الفلسفة والمنطق ولم يخض في آفاقها العقلية ثم حاول أن يغير من مختلف المناهج لهذا الدرس فأخذ من البصريين الأوائل ولاسيما ما رآه مناسباً صائباً ومن الكوفيين في دراساتهم القرآنية دراسة لغوية ثم ما أفاده من الدرس اللغوي الحديث، وبوعيه واجتهاده استطاع أن يبلور منهجاً وصفياً يعد امتداداً ناضجا لمنهج الخليل والكسائي والفراء [٥٥].

خاتمة البحث

قواعد النحو ثمرة لجهود صادقة بذلها النحويون في سبيل إستقراء كلام العرب، ومشافهة الفصحاء بهدف دراسة الجملة وتحليلها إلى مكوناتها، هذا زيادة على معرفة بنية الكلمات الداخلة في الجملة والعلاقات التركيبية، وقد وضع النحويون صناعة الكلام لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته من التغيير، فبلغوا من ذلك الغاية التي قصدوها وانتهوا والى المطلوب الذي ابتغوا وقد قام لغويو العرب في عصر التدوين بجمع أشعار العرب قيلت في عصور الجاهلية وصدر الإسلام، وكانت النصوص القرآنية قد جمعت ودونت واستقر أمرها بين أمصار الدولة الإسلامية ومن هنا اجتمعت المادة الخام التي تعين العلماء على استقرائها ومعرفة ما بها، وقد حرص كل واحد منهم على أن يستدرك على سابقه، وما زال باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه، فمن هذا المنطلق إجتهد الدكتور مهدي المخزومي بقضية تيسير النحو العربي فجمع آراء النحويين الأوائل (الخليل والفراء وابن مضاء القرطبي) وأعاد ترتيب أوليات النحو العربي على وفق ما تقتضيه مواقع دلالتها وأغراضها من السياق وأهمية هذا السياق من تحديد وجهة الكلمة ودلالتها اللغوية، وكذلك أهمية السياق في تحديد طبيعة الجملة العربية وخصائصها الأسلوبية لقد جاهد الدكتور المخزومي لترسيخ ما بثه من آراء في الأذهان واعتماده في التاليف النحوية ونرى أن دعوته لتيسير النحو العربي ينبغي أن تأخذ طريقها إلى التطبيق في جامعاتنا وكثير من الجامعات العربية التي ما زالت أقسام اللغة العربية فيها تحشو أذهان الطلبة بالعوامل والعلل والتأويلات ولا بد من الأخذ بهذه الدعوة لتنقية الدرس النحوي من الشوائب التي علقت به وذلك بتأليف الكتب الجادة القادرة على استيعاب القديم وفهم جوهره والاستفادة من معطيات الدرس اللغوي الحديث .

لقد كانت نظرية النحو العربي في ذهن المخزومي نظرية متكاملة، لم تكن مسائل وأفكاراً جزئية تعرض هنا وهناك .

---

[٥٥] زاهد، زهير غازي : المرجع السابق، ص٥٠ .

المصادر :

أولاً : الكتب :

١- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٦٠م، ج١ .

٢- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، (ت ٣٩٢هـ) : الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢ .

٣ -حجازي، محمود (الدكتور) : البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٩٣م .

٤- الخاقاني، علي : شعراء الغري أو النجفيات، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م، ج١٢ .

٥ -خليل، حلمي (الدكتور) : العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م .

٦- الرشودي، عبد الحميد : مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية، كراس مطبوع، ١٩٩٣ .

٧- زاهد، زهير غازي (الدكتور) : المخزومي ونظرية النحو العربي، دار الضياء للطباعة، النجف الاشرف، ط١، ٢٠٠٦ .

- موضوعات في نظرية النحو العربي -دراسات موازنة بين القديم والحديث، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠١٠ م .

٨- السواد، رياض يونس (الدكتور) : مهدي المخزومي وجهوده النحوية، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩ .

٩- السيد، محمود أحمد (الدكتور) :تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية، تونس، ١٩٨٧م .

١٠ -الطاهر، علي جواد (الدكتور) : المخزومي في خطوط صداقة من التاريخ، كراس مطبوع، ١٩٩٣ م .

١١- عمايرة، خليل أحمد : العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه، جامعة اليرموك، د.ت.

١٢- إبن فارس، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية، تحقيق، مصطفى الشوجي، بيروت ن ١٩٦٣ .

١٣- إبن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) : الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ .

١٤- المخزومي ، مهدي (الدكتور) : في النحو العربي -نقد وتوجيه -دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٨ .

- في النحو العربي -قواعد وتطبيق -دار الرائد العربي ، بيروت، ١٩٨٦ .

١٥- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (٣٨٤هـ) : الموشح، تحقيق : محمد علي البجاوي، نشر دار النهضة بمصر، ١٩٦٥م .

ثانياً : المجلات والدوريات :

- مجلة الذخائر : العددان ١٧،١٨، السنة الخامسة، ٢٠٠٤ (قضية تيسير النحو) بحث للأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد .

العَرَبِيـــَّةُ الفُصـْحَى
لِلمُستَشرِقِ الأَلمانِيِّ فُولفديتريش فِيشر
(١٩٢٨م – ٢٠١٣م)

تَرجَمَهُ وَحَرَّرَهُ إِلى العَرَبيَّةِ

الأُستاذ المُساعِد الدّكتور عماد علوان حسين

جَامِعَة بَغْدَاد – كلِّيَّة العُلُوم الإِسلَاميَّة

المُلَخَّصُ:

يَهدُفُ هَذَا البَحثُ إِلى تَرْجَمَةِ دِرَاسَةٍ للمُستَشرِقِ فُولفديتريش فِيشر، عُنوَانُها: (العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى)، المنشُورَةُ فِي دَائِرَةِ مَعَارِفِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَاللِّسَانيَّاتِ، الَّتِي صَدَرَتْ بِاللُّغَةِ الإِنكلِيزِيَّةِ فِي خَمسةِ أَجزَاءٍ عَامَ (٢٠٠٦ م)، وَقَدْ سَلَّطَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ الضَوءَ عَلَى مَا صَارَ يُعْرَفُ بَينَ البَاحِثِينَ بِمُصطَلَحِ: العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، وَفَحَصَتْهُ فَحْصًا دَقِيقًا وَشَامِلًا، وَحَلَّلَتْ مَضَامِينَهُ تَحلِيلًا مَوضُوعِيًّا بِالاستِنَادِ إِلى الاستِقرَاءِ الطَّوِيلِ فِيمَا سَطَّرَهُ اللُّغَوِيُّونَ عَلَى امتدادِ القُرُونِ المَاضِيَةِ، وَخَلُصَتْ إِلى بَيَانٍ دَقِيقٍ لِهَذَا المُصطَلَحِ، واستَطَاعَتْ تَتَبُعَ مَرَاحِلَ تَطَوُّرِها، وَرَصَدَتْ أَبرَزَ خَصَائِصِها النَّحوِيَّةَ وَالصَّرْفِيَّةَ وَالصَّوتِيَّةَ وَالدَّلالِيَّةَ، الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا كُلُّ مَرحَلَةٍ عَنْ المَرَاحِلِ الأُخرَى، مُستَكشِفًا العُصُورَ المَدِيدَةَ، الَّتِي مَرَّتْ بِها، وَقَدْ سَجَّلَتْ تَقسِيمًا تَارِيخِيًّا للعربية الفصحى، انحَصَرَتْ فِي أَربَعَةِ مَرَاحِلَ، هِيَ: مَرحَلَةُ العَرَبِيَّةِ الفُصحَى مَا قَبلَ النَّمُوذَجِيَّةِ، ومَرحَلَةُ العَرَبِيَّةِ الفُصحَى النَّمُوذَجِيَّةِ، ومَرحَلَةُ اللُّغَةِ مَا بَعدَ الفُصحَى، والعَرَبِيَّةُ النَّمُوذَجِيَّةُ الحَدِيثَةُ.

Classical Arabic of The German Orientalist
Wolfdietrich Fischer (1928-2013)

Translated and Edited by:

Assist. Prof. Dr. Imad Alwan Hussein

College of Islamic Sciences / University of Baghdad

Abstract

This research aims to translate a study by the orientalist Wolfdietrich Fischer, entitled: (Classical Arabic), published in the Encyclopedia of the Arabic Language and Linguistics, that was issued in English in five parts in 2006 AD.

This study shed light on what has become known among the researchers as the term: Classical Arabic, examined it carefully and comprehensively, and analyzed its contents objectively, based on long induction into what linguists have written over the past centuries and concluded an accurate statement of this term, and was able to trace the stages of its development, and monitor its most prominent grammatical, morphological, phonetic and semantic characteristics by which each stage was distinguished from the others, exploring the long eras that it passed through, and which recorded a historical division of Classical Arabic, which was confined to four stages: The pre-typical stage of classical Arabic, the stage of typical classical Arabic, the post-classical language stage and modern Standard Arabic.

المُقدّمةُ:

إنَّ ثَمَّةَ بَاحِثِينَ وَمُسْتَشرِقِينَ أَلْمَانًا كَانَ لَهُم النَّصِيبُ الأَوفَرُ فِي الاعتِناءِ بالمَوْرُوثِ العَرَبِيِّ المَعْرِفِيِّ عَلَى وَجْهٍ مِنَ العُمُومِ، وَبِالمَورُوثِ اللُّغَوِيِّ بِمُستَوَيَاتِهِ كَافَّةً عَلَى وَجْهٍ مِنَ الخُصُوصِ؛ عَلَى مُستَويَاتِ البَحْثِ وَالفَحْصِ وَالتَّحلِيلِ وَالدِّرَاسَةِ وَالتَّحقِيقِ، ابتِدَاءً بِالمُستَشرِقِ هرتويغ درنبُرغ، الَّذِي حَقَّقَ كِتَابَ سِيبَوَيهِ، وَطَبَعَهُ بِعِنَايَتِهِ فِي بَارِيس بَينَ عَامَي (١٨٨١-١٨٨٥)، وَانتِهَاءً بالبرُوفيسُور فولفديتريش فيشر أَحدِ أَبْرَزِ المُستَشرِقِينَ الأَلْمَانِ، الَّذِينَ بَحَثُوا فِي اللُّغَاتِ الشَّرقِيَّةِ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، وَلَا سِيَّمَا دِرَاسَاتُهُ المُستَفِيضَةُ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

إنَّ خِبرَةَ فِيشر العِلمِيَّةَ وَمَعرِفَتَهُ اللُّغَوِيَّةَ فِي العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى كَانَتْ مثَارًا لإِعجَابِ زُمَلائِهِ وَتَلامِذَتِهِ فِي أَلْمَانيا وأُورُبا وَفِي البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، فَقَدِ امتَدَّتْ هَذِهِ الخِبْرَةُ وَتِلكَ المَعرِفَةُ لِتَشملَ مَيَادِينَ العَرَبِيَّةِ نَحوًا وَأَدَبًا وَشِعْرًا وَلَهجَاتٍ وَغَيرَها، فَأَلَّفَ أَعمَالًا وَحَرَّرَ مَضَامِينَ مُهِمَّةً ذَاتَ صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِتِلكَ المَجَالاتِ المَعْرِفِيَّةِ، إِذْ سَلَّطَتْ مَنشُورَاتُهُ الضَّوءَ عَلَى التَّطَوُّرِ التَّارِيخِيِّ لِلعَرَبِيَّةِ، وَتَطَوُّرِ مَرَاحِلِهَا، وَتَقَالِيدِها الأَدَبِيَّةِ، وَتَنوُّعَاتِها اللُّغَوِيَّةِ وَاللَّهجِيَّةِ المَوجُودَةِ فِي مَنَاطِقَ مُختَلِفَةٍ، كَمَا رَكَّزَتْ أَعمَالُهُ وَبُحُوثُهُ العِلمِيَّةُ عَلَى استِكشَافِ تَعقِيدَاتِها وَقَوَاعِدِها، وَاكتِشَافِ أَشكَالِ التَّعبِيرِ فِيها، فَأَلَّفَ وَحَرَّرَ العَدِيدَ مِنَ الأَعمَالِ المُؤثِّرَةِ، الَّتِي أَثْرَتْ هَذَا المَيدَانَ البَحْثِيَّ بِشَكلٍ عَمِيقٍ؛ فتَمَتَّعَتْ إِسْهَامَاتُهُ المَعْرِفِيَّةُ بِتَقْدِيرٍ كَبِيرٍ فِي أَوسَاطِ المُجْتَمَعَاتِ الأَكَادِيمِيَّةِ آنَذَاكَ، وَمَثَّلَتْ خِبرَتُهُ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ فِي تَعزِيزِ فَهْمِ العَرَبِيَّةِ فِي الجَامِعَاتِ الأُورُوبِيَّةِ عُمُومًا، وَالجَامِعَاتِ الأَلْمَانِيَّةِ خُصُوصًا، وَكَذَلِكَ دِرَاسةُ آدَابِهَا، والكَشفُ عَنْ عُلُومِهَا.

فِي الحَقِيقَةِ إِنَّ مَا يُثِيرُ الانتِبَاهَ ها هُنَا الخَصَائِصُ الَّتِي رَافَقَتْ فيشر فِي مَسِيرَتِهِ العِلمِيَّةِ؛ بِوَصفِهِ بَاحِثًا لِسَانِيًّا، يَدرُسُ بِعُمقٍ لُغَةً غَيرَ لُغَتِهِ الأمّ، فَهُوَ لَمْ يَدرُسِ العَرَبِيَّةَ، وَلَمْ يُحَلِّلْ ظَوَاهِرَهَا وَقَضَايَاهَا بِمَعْزَلٍ عَنِ العَالَمِ العَرَبِيِّ، بَلْ كَانَ بِالأَحْرَى فِي تَفَاعُلٍ حَيٍّ وَتَواصُلٍ مُستَدَامٍ مَعَ المُجْتَمَعَاتِ اللُّغَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ؛ مُسْتَعِينًا بِالاستِعمَالِ الفِعْلِيِّ لَهَا نُطْقًا وَكِتَابَةً وَبَحْثًا، بَدَلًا مِنَ الاعتِمَادِ المُجَرَّدِ عَلَى الأَعْمَالِ المَورُوثَةِ لِلُّغَوِيِّينَ المَشهُورِينَ، وَلَمْ تَكُنْ طَرِيقَتُهُ فِي استِكشَافِهَا بِأَشَكالِهَا المُتَعَدِّدَةِ فِي إِطَارِ تَفَكُّرِ الخَبِيرِ البَارِزِ، ولكِنَّه كَانَ فِي إِطَارِ المُحَادَثَةِ وَالتَّدَاولِ اللُّغَوِيِّ مَعَ العَرَبِ أَنْفِسِهِم، وَهَذَا يُعَدُّ تَعبِيرًا مُبَكِّرًا عَنْ التَّغْيِيرِ فِي النَّمَطِ المُتَعلِّقِ بِالبَحْثِ الشَّرْقِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ فِي أُورُوبَّا، إِذْ لَمْ يَعُدِ البَحْثُ مُقْتَصِرًا عَلَى كَيَانِ الشَّرْقِ العَرَبِيِّ فَحَسْب، بَل صَارَ التَّعَلُّمُ بِمُشَارَكَةِ أَفرَادِهِ طَرِيقًا وَطَرِيقَةً؛ لِفَهْمِ تَدَاوُلِهِم اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، وَلِمَعرِفَةِ استِعمَالِهِم أَلفَاظَهَا وَتَرَاكِيبَهَا.

وَمِمَّا يَجدُرُ ذِكرُهُ أَنَّ بَاحِثِينَ وَدَارِسِينَ غَربِيِّينَ وَعَرَبًا قَدْ وَثَّقُوا سِيرَةَ فِيشر الشَّخصِيَّةَ، وَمَسِيرَتَهُ العَلمِيَّةَ، وَآثَارَهُ المَعْرِفِيَّةَ فِي كُتُبٍ تَكرِيمِيَّةٍ وَمُترجَمَةٍ وَأَبحَاثٍ عَدِيدَةٍ، وَمِنْ أَبرَزِهَا:

- الكِتَابُ التَّكرِيمِيُّ الَّذِي أَصدرَتْهُ مَجلَّةُ عِلمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِالأَلمَانِيَّة، الكراسة ٢٥، فيسبادن، هراسوفيتس، ١٩٩٢م.
- فولفديتريش فيشر: دِرَاسَاتٌ عَرَبِيَّةٌ وَسَامِيَّة مُهدَاةٌ مِن أَصدِقَائِهِ وَتَلامِذَتِهِ بِالجَامِعَاتِ المَصرِيَّةِ، حَرَّرَهُ الدكتور مَحمُود فَهمي حِجَازِي، مَركَزُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، كُلِّيَّة الآدَاب– جَامِعَة القَاهِرَة، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م.
- أَبحَاثٌ عَرَبِيَّةٌ فِي الكِتَابِ التَّكرِيمِيِّ للمُستَشرِقِ فُولفديتريش فِيشر، أَعَدَّهُ وَأَصدَرَهُ هَاشِم الأَيوبِيّ، دار جروس برس، طرابلس – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م.
- دِرَاسَاتٌ فِي العَرَبِيَّةِ: لِمَجمُوعَةٍ مِنَ المُستَشرِقِينَ المُعَاصِرِينَ، حَرَّرَهَا المُستَشرِقُ الكَبِيرُ فولفديتريش فيشر، نَقَلَهَا وَعَلَّقَ عَليها الدكتور سعيد حسن بحيري، مَكتَبَة الآدَاب، القَاهِرَة، ط١، ٢٠٠٥ م.
- مُقدِّمةُ الدكتور يوسف عبد الله الجورانة الَّتِي قَدَّمَ بِها لِبَحثِ فِيشر: (نَظرَاتٌ فِي نَشأَةِ النَّحوِ العَرَبِيِّ)، المَكتُوب بِالعَرَبِيَّة، مَجَلَّة العُلُوم العَرَبِيَّة، العدد: ٤١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.
- Wolfdietrich Fischer (1928–2013), Georges Tamer, Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft , Vol. 164, No. 1 (2014), pp. 1–5

❖ تَوْطِئَةٌ:

وُلِدَ فُولفديتريش فِيشر مِنْ أَبَوَينِ أَلْمَانِيَّينِ في (٢٥) مارس (١٩٢٨) بمدينة نورنبيرغ، الَّتِي تَقَعُ فِي مَنْطَقَةِ فرنكونيا بِوِلَايَةِ بافاريا فِي أَلْمَانيا، وَقَدْ نَشَأَ فِي كَنَفِ وَالِدَيهِ، وَتَرعَرَعَ فِي رِعَايتِهما، فَكَانَ أَبُوهُ كَارل فِيشر يَعمَلُ أَمِينًا لِمَكتَبَةِ نورمبرغ، وَقَد تَخَرَّجَ فِي مَدرَسَةِ ميلانختون الثَّانَوِيَّةِ في

مَدِينـةِ نـورمبرغ، ثُـمَّ دَرَسَ فِـي جَـامِعَتينِ فِـي إرلانكـن وميـونخ بَـينَ عَـامَي (١٩٤٧) و(١٩٥٣)، فَتَخَصَّصَ فِي عِلمِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ، وَالسَّلَافِيَّةِ، وَالتُّرْكِيَّةِ، وَعِلْمِ الفَلسفَةِ.

ثُمَّ حَصَلَ عَلَى دَرَجَةِ الدُّكتوراه فِي جَامِعَةِ إرْلانكن بِإِشْرَافِ البرُوفِيسُور هانز فير (Hans Wehr)، عن رِسَالتِهِ المَوسُومَةِ: (تَشَكُّلَات الإِشَارَةِ فِي اللَّهجَاتِ العَرَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ: إسهَام فِي النَّحوِ التَّاريخِيِّ لِلعَرَبِيَّةِ)، وَقَدْ طُبِعَتْ فِي: (لاهاي، ١٩٥٩)، إذ قَدَّمَ مُسَاهَمةً مُهِمَّةً، أَلْقَى الضَّوْءَ فِيها عَلَى الصِّلَةِ اللُّغَوِيَّةِ بَينَ اللَّهجَاتِ العَرَبِيَّةِ وَبينَ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، وَبِالتَّالِي فَحَصَ هَذَا الأَثَرَ فِي دِرَاسَةِ تَطَوُّرِ العَرَبِيَّةِ بِشَكلٍ عَامٍّ.

ثُمَّ عَمِلَ بَعْدَ حُصُولِهِ عَلَى الدُّكتوراه مُسَاعِدًا عِلمِيًّا لأُستَاذِهِ هِيلموت ريتر (Hellmut Ritter) فِي فَرانكُفورت، ثُمَّ انتَقَلَ إلى أُستَاذِهِ فير فِي (١٩٦٣)، فَأَشرَفَ عَليهِ مَرَّةً أُخرَى؛ لِكَي يَحصُلَ عَلَى دَرَجَةِ الأُستَاذِيَّةِ فِي الإِسلامِ واللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ بِأَطرُوحَتِهِ المَوسُومَةِ: (تَسمِيَات الأَلوَانِ وَالأَشكَالِ فِي لُغَةِ الشِّعرِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ)، وَقَد طُبِعَتْ في: (فيسبادن، ١٩٦٥)، إِذ بَحَثَتْ فِي تَحلِيلِ المَوَادِّ المُعجَمِيَّةِ الوَاسِعَةِ؛ الَّتِي جَمَعَها بِدِقَّةٍ كَبِيرَةٍ بِالاستِنَادِ إِلَى النُّصُوصِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ فِي نِطَاقٍ أَوسَعَ، يَتنَاولُ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةَ.

وَقَدْ شَغَلَ مَنصِبَ رَئِيسِ قِسمِ الفَلسَفَةِ الشَرقِيَّةِ فِي جَامِعَة فريدريش ألكسندر فِي إرلَانكن–نورنبرغ (Friedrich Alexander Universität, Erlangen–Nürnberg) مِنْ (١٩٦٤) حتَّى (١٩٩٥)، حَيثُ رَكَّزَتْ إِسهَامَاتُهُ العِلمِيَّةِ عَلَى مَدَى أَكثرِ مِن ثَلاثِينَ عَامًا بِشَكلٍ كَبِيرٍ عَلَى دِرَاسَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ شَارَكَ مُشَارَكَةً فَعَّالَةً فِي نَشرِهَا أَكَادِيمِيًّا عِبرَ حُدُودِ أَلمانِيا المُتَرَامِيةِ الأَنحاءِ.

كَمَا كَرَّسَ نَفسَهُ بَشكلٍ مُكثَّفٍ طِيلَةَ مُدَّةِ تَدرِيسِهِ وَأَبْحاثِهِ فـي تَدرِيسِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابِها وَتَسهيلِ الاطِّلَاعِ عَلَيها، وَاستِكشَافِها لِغَيرِ النَّاطِقينَ بِها مِنَ الأَلْمَان[1]، وَيَشهَدُ عَلَى ذَلِكَ دِرَاسَتُهُ فِـي نَحْـوِ العَرَبِيَّـةِ التَّـارِيخِيِّ الَّتـي انتَهَـى مِنْها عَـامَ (١٩٧٢)، وتنـاولَ فِيهَـا قَواعِـدَ العَرَبِيَّـةِ الفُصـحَى، وَقَـدْ تَرجمَتْهـا دَارُ جَامِعَـةِ ييـل إِلَـى اللُّغَـةِ الإِنكِلِيزِيَّـةِ عَـامَ (٢٠٠١)، وَنَشَـرَتهَا بِعُنوَانِ: (A Grammar of Classical Arabic)، ثُمَّ تَعَاونَ مَـعَ البرُوفيسُور أُوتو ياسترو (Otto Yastrow) فِي إِطَارِ سِلسِلَةٍ تَدرِيبِيَّةٍ عَلَى العَرَبِيَّةِ النَّمُوذَجِيَّةِ المُعَاصِرَةِ فِي جَزأَينِ كَبيرَينِ، وَكَذَلِكَ مِنْ بَينِ أَعمَالِهِ الكُبرَى فِي سَنَوَاتِهِ الأَخِيرَةِ تَأتِي سِلسِلَةٌ لُغَوِيَّةٌ، تَتَكَّونُ مِن أَربَعَةِ أَجزَاءٍ، فَصَّلَتِ القَولَ فِي بِنَاءِ الجُمَلِ فِي العَرَبِيَّةِ النَّمُوذَجِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، إِذْ أَعَدَّهَا بِالتَّعَاوِنِ مَعَ تِلمِيذِهِ هَاشِمِ

---

[1] تَتَبَّعَتْ إريكا بَار أَعمَالَ فِيشر اللُّغَوِيَّةَ بِالعَرَبِيَّةِ وَالإِنكليزِيَّةِ وَالأَلمانيَّةِ، فَأَحْصَتْ أَكثَرَ مِن (١٣٠) عَمَلًا مَا بَينَ كِتَـابٍ وَبَحْـثٍ وَمُسَـاهَمةٍ وَمُحَاضَـرَةٍ، ذَكَرَتْهَـا فِـي بَحْـثٍ عُنوَانُـهُ: (أَعمَـالُ فُولفـديتريش فِيشـر)، كَمَـا وَرَدَ فِـي : (أَبحَاثٍ عَرَبِيَّةٍ، ٣٥– ٥٣)، وَلَكنَّ هَذَا الإِحصَـاءَ يَحتَـاجُ إِلـى مُرَاجَعَـةٍ لاستِكمَالِ مَـا فَاتَهَـا؛ لأَنَّـهُ فِـي سَنَوَاتِهِ العَشرِ الأَخِيرَةِ أَصدَرَ أَعمَالًا كَثِيرَةً، مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ وغيرُها.

الأيوبِيّ وَمَايكل لانكر، وَقَدْ وَصَفَتْ تِلكَ السِلسِلَةُ التَّرَاكِيبَ النَّحوِيَّةَ في العَرَبِيَّةِ النَّمُوذَجِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، وَشَخَّصَتْ أَبرَزَ وَظَائِفِها الدَّلالِيَّةَ بِشُمُولٍ وَتَفصِيلٍ مَعَ مُرَاعَاةِ قَواعِدِ النَّصِّ وَالاختِلَافَاتِ المَحَلِيَّةِ وَالأُسلُوبِيَّةِ، وَقَد صَدَرَ مِنها الجُزْءُ الأَوَّلُ فِي مُجَلَّدَينِ فِي فيسبادن بَينَ عَامي (٢٠٠١-٢٠٠٣)، أَمَّا الجُزْءُ الثَّانِي فَقَد صَدَرَ أَيضًا في فيسبادن عامَ (٢٠١٠)، وَمِنَ المُتوقَّعِ أَنْ يُنشَرَ الجُزءُ الثَّالِثِ.

كَذَلِكَ شَارَكَ فِي تَحرِيرِ عَمَلٍ آخر، هُوَ (المُوجَزُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ العَرَبِيِّ)، بِالتَّعَاونِ مَعَ هلموت جاتيه، وَنُشِرَ فِي ثَلاثَةِ أَجزَاءٍ بَينَ الأَعوَامِ (١٩٨٢-١٩٩٢)، وَيُعَدُّ هَذَا العَمَلُ كِتَابًا مَرجِعِيًّا قِيَاسِيًّا فِي مَجَالاتِ اللُّغَوِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ وَالأَدَبِ كَافَّةً؛ لأَنَّهُ تَضَمَّنَ الاحتِيَاجَاتِ الرَّئِيسَةَ فِي التَّدرِيسِ وَالبَحْثِ فِي العَرَبِيَّةِ؛ وَبِذَلِكَ يَتَّضِحُ مِمَّا وَرَدَ فِيها مِنْ مَوضُوعَاتٍ تَعَمَّقَتْ فِي تَارِيخِ الفِكْرِ العَرَبِيِّ الإِسلَامِيِّ، أَنَّ عِنَايَةَ فِيشر وَاهتِمَامَهُ الكَبِيرَينِ بِفِقْهِ اللُّغَةِ العَرَبِيِّ كَانَا مَصحُوبَينِ بِقَنَاعَةٍ رَاسِخَةٍ مفَادُها: أَنَّ العَرَبِيَّةَ هِيَ السَّبِيلُ الوَحِيدُ لِفَهمِ الجَوْهَرِ الحَقِيقِيِّ لِلثَّقَافَةِ وَالدِّينِ الإِسلَامِيَّينِ فَهْمًا صَحِيحًا ووَاضِحًا.

[النَّصُّ المُتَرْجَمُ]

العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى[٢]

أَوَّلًا: تَعرِيفَاتٌ عَامَّةٌ.

يُرَادُ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى ذَلكَ الشَّكْلُ العَرَبِيُّ، الَّذِي وَصَفَهُ النَّحْوِيُّونَ العَرَبُ فِي القَرْنِ الثَّامِنِ المِيلَادِيِّ، وأَطْلَقُوا عَلَيهِ "العَرَبِيَّة"، وَعَدُّوا هَذَا النَّمُوذَجَ فَحَسَبْ لُغَةً عَرَبِيَّةً صَحِيحَةً، وَقَدْ سَمَّاها العُلَمَاءُ المَشَارِقَةُ " العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى"؛ لِتَمْيِيزِهَا مِنَ اللُّغَاتِ العَرَبِيَّةِ الدَّارِجَةِ في نَمُوذَجِ العَرَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ، فإِنَّ العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى هِيَ اللُّغَةُ التي نُقِلَتْ بِهَا النُّصُوصُ العَرَبِيَّةُ في العَصْرَينِ: الجَاهِلِيِّ، وَصَدْرِ الإِسْلَامِ، أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيءٍ نُصُوصُ: القُرْآنِ، والشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ، والإِسْلَامِيِّ المُبَكِّرِ، وَكَذَلكَ أَيْضًا المَورُوثَاتُ التَّارِيخِيَّةُ والشَّرْعِيَّةُ إِبَّانَ تَلكَ العُصُورِ.

وَقَدْ سَعَى النَّحْوِيُّونَ العَرَبُ إلى تَوحِيْدِ اللُّغَةِ فِي مُعَالَجَتِهم لتَوصِيْفِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، فَأَصْبَحَ هَذَا النَّمُوذَجُ القِيَاسِيُّ لُغةَ الدَّولَةِ والتَّعْلِيمِ فِي الحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، ثُمَّ صَارَ لاحِقًا لُغَةَ الكِتَابَةِ القِيَاسِيَّةَ فِي العَالَمِ، الذي يَتَكَلَّمُ العَرَبِيَّةَ، فَظَلَّتِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى ظَاهِرِيًّا مُتَجَانِسَةً تَقْرِيبًا مُنْذُ ذَلكَ العَصْرِ حَتَّى وَقْتِنَا الحَاضِرِ.

---

[٢] نُشِرَتْ هذهِ الدِّراسةُ بالإنكليزيَّةِ بِعنوَانِ: (Classical Arabic)، لِلمُستشرِقِ الأَلْمَانِيِّ فولفديتريش فيشر (Wolfdietrich Fischer)، فِي دَائِرَةِ مَعَارِفِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَاللِّسَانيَّاتِ (Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics)، بعنايةِ كبيرِ المُحرِّرِينَ المُستشرِقِ الهُولنديِّ كيس فرستيخ (Kees Versteegh)، وآخرِينَ، وَقَد صَدرَتْ عَنْ دَارِ بريل، ليدن- بوسطن، ٢٠٠٦، ١/٣٩٧-٤٠٥. [المُترجِم]

وَكَانَتْ ثَمَّةَ لُغَةٌ عَرَبِيَّةٌ أُخْرَى قَدْ تَعَايَشَتْ إلى جَانِبِ هَذِهِ اللُّغَةِ المُوَحَّدَةِ فِي المَدْرَسَةِ، والتَّعْلِيمِ، مُنْذُ التَّوحِيْدِ القِيَاسِيِّ للعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى في الأَقَلِّ، وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ دَارِجَةٌ تُشْبِهُ إِلى حَدٍّ مَا اللَّهْجَاتِ العَرَبِيَّةَ الحَدِيثَةَ، التي كَانَتْ حَاضِرَةً في الكَلَامِ المَنْطُوقِ بالتَّحَدِيدِ، وَلَيْسَ في النَّمُوذَجِ المَكْتُوبِ، فَكَانَتِ ازْدِوَاجِيَّةُ اللُّغَةِ النَّاتِجَةُ عَنْ هَذِهِ الحَالِ هِيَ مِنْ خَصَائِصِ العَالَمِ الَّذِي يَتَحدَّثُ العَرَبِيَّةَ إلى زَمَنِنَا الحَالِي.

وَتَتَمَيَّزُ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى، كَمَا وَصَفَهَا فُقْهَاءُ اللُّغَةِ العَرَبُ، بِخَصَائصَ مَهْجُورةٍ، سَيَأْتِي ذِكْرُها، تُفَرِّقُهَا عَنِ الأَشْكَالِ المُتَفَاوِتَةِ الأُخْرَى لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وخُصُوصًا عَنْ مُعْظَمِ مَظَاهِرِهَا قَبْلَ الإِسْلَامِ، وَعَنِ اللَّهْجَاتِ فِي نَمُوذَجِ العَرَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ:

١) الحِفَاظُ عَلَى هَمْزَةِ القَطْعِ فِي الأَحْوَالِ جَمِيعِهَا: رَأْسٌ، سَأَلَ، أَسْئِلَةٌ.

٢) بَقَاءُ الوِحْدَةِ الصَّوتِيَّةِ الضَّادُ، فِي مُقابِلِها الظَّاءُ، التي انْدَمَجَتْ في مُعْظَمِ اللَّهَجَاتِ الدَّارِجَةِ مُنْذُ وَقْتٍ مُبَكِّرٍ جِدًّا فِي وِحْدَةٍ صَوتِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ الظَّاءُ.

٣) أَدَاةُ التَّعْرِيفِ (أَل)، مَعَ إِدْغَامِ اللَّامِ باللَّاحِقِ الأَسْنَانِيِّ.

٤) اللَّاحِقَةُ التَّنوينُ، التي تُستَعْمَلُ في إِعْرَابِ المَصْرُوفِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى فُقْدَانِهِ أَدَاةَ التَّعْرِيفِ، أَو عَلَى عَدَمِ إِضَافَتِهِ لِمُضَافٍ إِليهِ.

٥) التَّمْييزُ بَيْنَ حَالَاتِ الاسمِ الثَّلَاثَةِ، فانْمَازَ فِي إِعْرَابِ المَصْرُوفِ بالضَّمَةِ (رَفْعًا)، وَالفَتْحَةِ (نَصْبًا)، وَالكَسْرَةِ (جَرًّا)، وَفِي إِعْرَابِ غَيْرِ المَصْرُوفِ بالضَّمْةِ (رَفْعًا)، وَالفَتْحَةِ (نَصْبًا، وَجَرًّا)، وَفِي إِعْرَابِ الجَمْعِ بالوَاوِ، أَوِ الضَّمَةِ، (رَفْعًا)، وَباليَاءِ، أَوِ الكَسْرَةِ، (نَصْبًا، وَجَرًّا).

جدول (١): إِعرابُ الاسمِ

	المصروفُ	غيرُ المصروفِ	الجمعُ المُذكَّرُ	الجمعُ المُؤنَّثُ
المرفوعُ	رَأْسٌ	عُمَرُ	بَنُونَ	بَنَاتٌ
المنصوبُ	رَأْساً	عُمَرَ	بَنِينَ	بَنَاتٍ
المجرورُ	رَأْسٍ	عُمَرَ	بَنِينَ	بَنَاتٍ

٦) التَّمْييزُ بَيْنَ ثَلَاثِ حَالاتٍ للفِعْلِ المَبْدُوءِ بِسَابِقَةٍ صَرْفِيَّةٍ، فَيُحَدَّدُ (الفِعْلُ المُضَارِعُ المَرْفُوعُ) بالضَّمَةِ، و(المَنْصُوبُ) بالفَتْحَةِ، و(المَجْزُومُ أَوِ النَّاقِصُ) بالسُّكُونِ.

جدول (٢): حَالاتُ الفِعْلِ

	المرفوعُ	المنصوبُ	المجزومُ
المفردُ	يكتبُ	يكتبَ	يكتبْ
الجمعُ	يكتبُونَ	يكتبُوا	يكتبُوا

٧) البَقَاءُ عَلَـى المَبْنِـي للمَجْهُولِ فِي دَاخِلِ النِّظَامِ الفِعْلِيِّ، الذي يُحَدَّدُ بالحَرَكَتَين: الضَّمَةِ، والكَسْرَةِ في الفِعْلِ المَاضِي، وبالضَّمَةِ والفَتْحَةِ في المُضَارَعِ المَبْدُوءِ بسَوَابِقَ صَرْفِيَّةٍ.

جدول (٣): المَبْنِي للمَعلُومِ، والمَبْنِي للمَجْهُولِ.

	المبني للمعلومِ	المبني للمجهولِ
المَاضِي	ضَرَبَ	ضُرِبَ
	بَدَلَ	بُدِلَ
	تَعَلَّمَ	تُعلِّمَ
المُضَارِع	يَضْرِبُ	يُضْرَبُ
	يُبِدْلُ	يُبْدَلُ
	يَتَعَلَّمُ	يُتَعَلَّمُ

٨) التَّمْييزُ بَيْنَ الجُمَلِ الفِعْلِيَّةِ، (تَرْتِيبُ الكَلِمَاتِ: فِعْلٌ – فَاعِلٌ)، مَعَ مُرَاعَاةِ التَّطَابُقِ تَذْكِيرًا، وَتَأْنِيثًا، بَـيْنَ المُسْـنَدِ والمُسْـنَدِ إليـهِ، أَو عَـدَمِ مُرَاعَاتِـهِ، وبَـيْنَ الجُمَـلِ الإِسْمِيَّةِ، (تَرْتِيـبُ الكَلِمَاتِ: مُبْتَدَأٌ – خَبَرٌ)، مَعَ مُرَاعَاةِ التَّطَابُقِ التَّامِّ بَيْنَ المُسْنَدِ والمُسْنَدِ إِليهِ.

جدول (٤): الجُمَلُ الفِعْلِيَّةُ، والجُمَلُ الإِسْمِيَّةُ.

الجملُ الفعليَّةُ	الجملُ الإِسْمِيَّةُ
خَرَجَ الرِّجَالُ	الرِّجَالُ خَرَجُوا
خَرَجَتِ النِّسَاءُ	النِّسَاءُ خَرَجْنَ

إنَّ الَّذِي دَفَعَ النَّحْوِيِّينَ العَرَبَ إلى وَصَفِ العَرَبِيَّةِ، مِنْ نَاحِيَةٍ، هُوَ التَّوْقُ إلى الحِفَاظِ عَلَى المُسْتَوَى اللُّغَوِيِّ الرَّفِيعِ في القرآنِ، فأَطلَقُوا عَلَى ذَلكَ: لُغَةً عَرَبِيَّة نَقِيَّةً،﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النَّحل: ١٠٣)، وَكَانَ هَدَفُهم هُوَ مَنـعَ انْتِشَـارِ مَـا سَمَّوهُ: لَحْنًا[٣]، وَهُوَ يَعنِـي أَخْطَـاءً فِـي اسْتِعمَالِ أَمْثِلَـةٍ وَحَـالَاتٍ نَاشِـئَةٍ مِـنَ التَّعَالُقِ مَعَ أَنمُوذَجٍ غَيرِ فَصِيحٍ في العَرَبِيَّةِ، يَتَشَابَهُ بِشَكلٍ أَو بِآخرَ مَعَ اللَّهَجَاتِ العَرَبِيَّةِ الحديثةِ، وَقَدْ تَصَدَّى مِنْ نَاحِيَّةٍ أُخرَى نحويُّونَ مِنْ غَيرِ العَرَبِ لمُهِمَّةِ تَعلِيمِ اللُّغةِ العَرَبِيَّـةِ بِطَرِيقةٍ رَاقِيَـةٍ وَمُوحَّدةٍ[٤]، ولاسيَّما أُولئكَ الذينَ عَمِلُوا (كُتَّابًا) بصِفةٍ رَسميَّةٍ في إِدَارةِ الدَّولةِ.

وكانَ مِنْ نَتَائِجِ هَذَا النَّهجِ الإِبقَاءُ عَلَى النِّظَامِ الصَّرَفِيِّ، وَالقَوَانِينِ النَّحويَّةِ الأَسَاسِيَّةِ؛ لِذَلكَ دُرِّسَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصحَى عَلَى وِفْقِ هَذِهِ القَوَانِينِ بَعِيدًا عَنْ أَيِّ تَغييرٍ إِبَّانَ القُرُونِ التَّالِيَةِ وُصُولًا

(3) Fück 1950: 128ff.

(٤) ابن السَّرَّاجِ، الأُصول، ٣٥.

إِلَى وَقْتِنا الحَاضِرِ، إلَّا أَنَّه بِمُرُورِ عُصُورٍ مُختَلِفَةٍ بَرَزَتْ عِبَارَاتٌ وَخَصَائِصُ نَحوِيَّةٌ جَدِيدَةٌ فِي مَنَاطِقَ، لَمْ يَستَطِعِ النَّحويُّونَ ضَبْطَهَا بِشَكلٍ وَاضِحٍ.

وَأَمَّا فِيمَا يَتَّصِلُ بِتِلكَ الوَقَائِعِ فَإِنَّ المَرءَ يُمكِنُهُ أَنْ يَفْطُنَ إِلَى مَرَاحِلِ العَرَبِيَّةِ الفُصحَى المتعددة، وَهِيَ[٥]:

١) مَرحَلَةُ العَرَبِيَّةِ الفُصحَى مَا قَبْلَ النَّمُوذَجِيَّةِ: الَّتِي لَمْ تُضبَطْ بِنَظَامٍ مُحدَّدٍ، وَلَمْ تُوحَّدْ بِشَكلٍ كَامِلٍ.

٢) مَرحَلَـةُ العَرَبِيَّـةِ الفُصـحَى النَّمُوذَجِيَّـةِ: بِحَيـثُ اسـتُعمِلَتْ بِالانسِـجَامِ مَـعَ المَعَـايِيرِ، الَّتِـي وَضَعَهَا النَّحويُّونَ العَرَبُ.

٣) مَرحَلَةُ اللُّغَةِ مَا بَعدَ الفُصحَى: الَّتِي ظَهَرَتْ فِيهَا عِبَارَاتٌ وَتَرَاكِيبُ نَحوِيَّةٌ جَدِيدَةٌ.

٤) العَرَبِيَّةُ النَّمُوذَجِيَّةُ الحَدِيثَـةُ: وَهِـيَ لُغَـةُ الأَدَبِ فِـي الـدُّولِ العَرَبِيَّـةِ، الَّتِـي تَـأَثَّرَتْ عِبَارَاتُهَا وَمُفرَدَاتُهَا بِاللُّغَاتِ الأُورُبِيَّةِ[٦].

وَلَيسَ ثَمَّةَ حُدُودٌ زَمَنِيَّةٌ دَقِيقَةٌ تَفصِلُ بَينَ تِلْكَ المَرَاحِلِ السَّابِقَةِ، ولاسيَّما بَينَ مَرحَلَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصحَى النَّمُوذَجِيَّةِ، وَمَرحَلَةِ اللُّغَةِ مَا بَعدَ الفُصحَى، فَمِنْ جِهَةٍ قَدْ تَكَرَّرَتْ صِيَغٌ مَهجُورَةٌ وَتَرَاكِيبُ نَحوِيَّةٌ نَادِرَةٌ خَاصَّةٌ بِاللُّغَةِ مَا قَبلَ الفُصحَى فِي شِعرِ الأَجيَالِ اللَّاحِقَةِ[٧]، وَمِنْ جِهَةٍ أُخرَى كَانَ فِي هَذِهِ الأَوقَاتِ جَمِيعَها مُؤَلِّفُونَ قَدْ صَقَلُوا أُسلُوبًا تَقلِيدِيًّا صَارِمًا جَنْبًا إِلَى جَنْبِ آخرِينَ، لَمْ يَتَرَدَّدُوا فِي اسْتِعمَالِ عِبَارَاتٍ انبثَقَتْ حَدِيثًا، وَأَصبَحَتْ فِي غُضُونِ ذَلِكَ نَمَطًا شَائِعًا.

إِنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ الغَربِيّينَ قَدِ اسْتَعمَلُوا مُصطَلَحَ " العَرَبِيَّةِ الفُصحَى" فِي مَعنَيينِ مُتَفَاوِتَينِ قَلِيلًا: فَأَخَذَ بَعْضُهُم فِـي حُسبَانِهِ أَصنَافَ العَرَبِيَّةِ جَمِيعَها، الَّتِي قَدْ بَـرَزَ فِيهَا النِّظَـامُ الصَّرفِيّ

---

(5) Fischer 1972; History of Arabic.

(٦) بَحَثَ فولفديتريش فيشر أَيضًا العَرَبِيَّةَ الفُصحَى ومراحلَها المختلفةَ في دراساتٍ عديدةٍ سَابِقَةٍ، مِنْهَا: **(المراحلُ الزّمنيّـةُ للُّغـةِ العربيّـةِ الفُصـحَى)** باللُّغةِ الألمانيّةِ، ونُشِرَتْ في مجلَّةِ عبرَ النّهرين (Abr–Nahrain)، التـي تصدرُ في ليدن(Leiden)، العدد: (١٢)، ١٩٧١م، وترجمَها الأستاذ الدكتور إسماعيل أَحمد عمايرة إِلى اللُّغةِ العربيّـةِ، ثـمَّ نشـرَ ترجمتَهـا فـي المجلَّـةِ الثَّقافيَّـةِ، الصَّـادرةِ عـن الجامعـةِ الأَردنيَّـةِ فـي العـددين: ١٢–١٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، و**(العربيَّةُ القديمةُ في روايـةٍ إِسلاميَّةٍ)**، وهي المبحثُ الثّالثُ من الفصلِ الثّاني من كتابِهِ: (الأَساس في فقهِ اللُّغةِ العربيّـةِ)؛ الذي صدرَ باللُّغةِ الأَلمانيَّةِ بين عامي: ١٩٨٢– ١٩٩٢م، ونقلَها إِلى اللُّغةِ العربيّةِ الدكتور سعيد حسن بحيريّ منشورةً في مجلَّةِ الأَلسنِ للتَّرجمةِ الصَّادرةِ عن جامعةِ عين شمس، مصر، العدد: (٤)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢هـ، و**(شـواهدُ مبكِّرةٌ للعربيّـةِ الحديثـةِ)** باللُّغةِ الأَلمانيَّةِ، وهي المبحثُ الأَوّلُ من الفصلِ الثَّالثِ من كتابِهِ آنفًا، ونقلَها إِلى اللُّغةِ العربيّةِ الدكتور سعيد حسن بحيريّ منشورةً في مجلَّـةِ الأَلسنِ للتَّرجمةِ الصَّادرةِ عن جامعةِ عين شمس، مصر، العدد: (٧)، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦هـ. [المُترجِم]

(7) Ullmann 1984.

الخَاصِّ بِالعَرَبِيَّةِ الفُصحَى، بِمَا فِي ذَلِكَ العَرَبِيَّةُ النَّمُوذَجِيَّةُ الحَدِيثَةُ، بَينَمَا قَدْ حَدَّدَ آخَرُونَ المُصطَلَحَ بِلُغَةِ الأَدَبِ مَا قَبلَ العَصْرِ الحَدِيثِ.

ثَانِيًا: العَرَبِيَّةُ الفُصحَى مَا قَبلَ النَّمُوذَجِيَّةِ.

كَانَتِ الأَغلَبِيَّةُ مِنَ الشُّعَرَاءِ العَرَبِ وَالأَشخَاصِ، الَّذِينَ يَكتُبُونَ بِالعَرَبِيَّةِ فِي العَصْرِ الإسلَامِيِّ الأَوَّلِ يَتَحدَّثُونَها؛ بِوَصْفِها لُغَتَهمُ الأُمَّ، فَتَشتَمِلُ نُصُوصُهُم، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الحِفَاظِ عَلَيهَا بِشَكَلٍ جَيّدٍ فِي مَخطُوطَاتٍ إِلَى زَمَنٍ مُتَأَخِّرٍ، عَلَى آثَارٍ لِعَنَاصِرَ غَيرِ قِيَاسِيَّةٍ فِي عِلْمَي الصَّرْفِ وَالنَّحْوِ، فَقَدِ احْتَوَى القُرْآنُ عَلَى وَجْهٍ مِنَ الخُصُوصِ أَمثِلَةً عَلَى صِيَغٍ غَيرِ قِيَاسِيَّةٍ.

فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، الصِّيَغُ الَّتِي فِيهَا إِدغَامٌ مِنَ الأَفعَالِ الخُمَاسِيَّةِ وَالسُّدَاسِيَّةِ هِيَ قِيَاسِيَّةٌ، مِثْلُ: يَذَّكَّرُ (يَتْذَكَّرُ = يَتَذَكَّرُ)، واثَّاقَلَ (اتْثَاقَلَ= تَثَاقَلَ)[٨]، وَكَذَلِكَ الصِّيَغُ الَّتِي فِيهَا حَذْفٌ، مِثْلُ: ظَلْتُ (= ظَلِلْتُ)، وَبَرَزَتْ تِلكَ الظَّوَاهِرُ نَفْسُهَا أَيْضًا فِي الشِّعْرِ، وَلَكِنْ مَعَ: "ظِلْتُ"، عِوْضًا عَنْ: "ظَلْتُ" القُرَآنِيَّةِ، وَقَدْ عُثِرَ فِي مَخطُوطَاتٍ قَدِيمَةٍ لِلقُرْآنِ عَلَى ضَمَائِرِ الغَيْبةِ بِلَا مُمَاثَلَةٍ لِلسَّابِقِ لِهَا ـِ/ ي/ يَ: فِي دَارِهُ، فِي دَارِهُمْ، (وَهَذَا يُنَاظِرُ: فِي دَارِهِ، وَفِي دَارِهِمْ، فِي اللُّغَةِ النَّمُوذَجِيَّةِ)، وَهِيَ مِيزَةٌ تَنسَجِمُ مَعَ مَا نَقَلَهُ النَّحوِيُّونَ العَرَبُ عَنْ لَهجَةِ الحِجَازِ، وَمَعَ العُدُولِ المَعرُوفِ عَنِ القِيَاسِ فِي اسْمِ المَوصُولِ: ذُو، (عِوَضًا عَنِ الَّذِي، وَالَّتِي، ....، إِلَخ، فِي العَرَبِيَّةِ الفُصحَى)، المَحفُوظِ فِي أَشعَارِ قَبِيلَةِ طَيْءٍ، وَثَمَّةَ نَمَاذِجُ فِي أَشعَارِهِم أَيْضًا جَاءَتْ بِحَذْفِ الكَسْرَةِ وَالضَّمَّةِ مِنَ المَقَاطِعِ المَفتُوحَةِ غَيرِ النَّبْرِيَّةِ: بَقِيَ ﺣ بَقَى، بُنِيَ ﺣ بَنَى[٩]، وَقَدْ كُتِبَ البَقَاءُ للأَفعَالِ المَسبُوقَةِ بِـ: "هَـ" الَّتِي لِلتَّعدِيَةِ، (بَدَلًا مِنَ الهَمزَةِ)، مِثْلِ: هَرَقَ، فِي الأَشعَارِ نَفْسِها[١٠]، ثُمَّ استَمَرَّتْ هَذِهِ الظَّوَاهِرُ الصَّرفِيَّةُ وَالنَّحوِيَّةُ مِنَ اللُّغَةِ مَا قَبْلَ النَّمُوذَجِيَّةِ، " العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ "[١١]، عَلَى الرَّغمِ مَنْ عَمَلِيَّةِ التَّوحِيدِ القِيَاسِيِّ، الَّتِي قَدَّمَتْ لَنَا النُّصُوصَ فِي سِيَاقٍ مَورُوثٍ عِبرَ العُصُورِ.

وَقَدْ سَجَّلَ النَّحوِيُّونَ العَرَبُ كَثِيرًا مِنَ الخَصَائِصِ اللُّغَوِيَّةِ غَيرَهَا، الَّتِي بَقِيَتْ منَ اللُّغَةِ مَا قَبلَ النَّمُوذَجِيَّةِ، وَلَكِنَّ مُعظَمَها أُلغِيَتْ مِنَ النُّصُوصِ فِي سِيَاقِ التَّوحِيدِ القِيَاسِيِّ، وَمِنْ بَينِ هَذِهِ الأَشكَالِ اللَّهجِيَّةِ المُختَلِفَةِ مَا يُسَمَّى بِـ: " التَّلْتَلَةِ "، فِي لَهْجَةِ تَمِيمٍ[١٢]، أَيْ: كَسْرُ أَحْرُفِ

---

[8] Ambros 1993.

[9] Kofler 1941: 71.

[10] Kofler 1941: 80.

[11] Bloch 1946.

[١٢] نقلَ علماءُ اللُّغةِ الأَقدمونَ أَنَّ قبيلةَ تميمٍ اشتهرَتْ بـ: "العنعنةِ"، وأَنَّ قبيلةَ بهراءَ اشتهرَتْ بـ: "التَّلتلةِ"، قالَ ثعلبٌ (٢٩١هـ): ((وأَمَّا تلتلةُ بهراءَ فإنَّها تقولُ: تِعلمُون، وتِعقلُون، وتِصنعُون بكسرِ أَوائلِ الحروفِ))، أَبو العبَّاس أَحمد بن يحيى، **(مجالس ثعلبٍ)**، تحقيق: عبد السَّلام هارون، القاهرة، مصر، دار المعارف، النَّشرة

المُضَـارِعَةِ: نِعْلَمُ، عِوْضًـا مِـنْ: نَعْلَمُ، فِـي لَهْجَـةِ الحِجَـازِ[١٣]، وَهِـيَ ظَـاهِرَةٌ وَثَّقَتْهَا أَيضًـا بَعـضُ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ[١٤]، حَيثُ كُتِبَ لَهَا البَقَاءُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي اللُّغَةِ الفُصحَى، هِيَ: إِخَالُ، وَقَدْ قَبِلَ النَّحوِيُّونَ العَرَبُ مِثلَ هَذِهِ الأَشكَالِ اللَّهجِيَّةِ (اللُّغَاتِ)؛ بِوصْفِهَا عَرَبِيَّةً أَصِيلَةً، وَإِنْ كَانُوا قَدْ رَفَضُـوهَا أَثنَـاءَ عَمَلِيَّـةِ التَّوحِيدِ، فَإِنَّ الصِّـيغَةَ النَّمُوذَجِيَّـةَ لِلعَرَبِيَّـةِ الفُصـحَى هِـيَ عَمَلِيَّـةٌ انتِقَائِيَّـةٌ بِالتَّأكِيدِ، حَيْثُ اسْتَحوَذَتْ عَلَى مِيزَاتٍ مِنْ لَهَجَاتٍ مُختَلِفَةٍ[١٥]، فَانْسَجَمَتِ الحَرَكَاتُ القِصَيرَةُ مَـعَ أَحْرُفِ المُضَارَعَةِ: (يَـ، تَـ، أَ، نَـ) فِي لَهجَةِ الحِجَازِ، أَمَّا فِي لَهْجَةِ تَمِيمٍ فإِنَّهَا تَتَمَاثَلُ مَعَ ضَمَائِرِ الغَيبَةِ: بِهُ/ بِهِ، بِهُم/ بِهِم، وَقَدْ أَتَى حِفَاظُها عَلَى الهَمزَةِ الانفِجَارِيَّةِ الحَنجَرِيَّةِ مِنْ لَهَجَاتِ نَجْدٍ، بِيْنَمَا تغيَّرَتْ فِي اللَّهجَـةِ الحِجَازِيَّةِ بَعْدَ الحَرَكَاتِ القَصِيرَةِ إِلَـى: الـوَاوِ، وَاليَـاءِ، أَوِ الهَمـزَةِ: رَأْسٌ، رُؤُوسٌ، سَأَلَ، سُؤَالٌ، سُئِلَ، وَفِي الحِجَازِيَّةِ: رَاسٌ، رُوسٌ، سَالَ، سُوالٌ، سُيِلَ.

وَقَدْ أَظهَرَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصحَى النَّمُوذَجِيَّةُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ صِيَغًا اسْتَنَدَتْ إِلَى قَوَانِينَ صَرْفِيَّةٍ مُطَّرِدَةٍ وَغَيرِ مُقَيَّدَةٍ، فَفِي حِينِ تَجَنَّبَتْ غَيرَ المُطَّرِدَةِ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، فَقَدِ استُبْدِلَ غَيرُ المُطَّرِدِ: ظِلْتُ، ظَلْتُ، بِالمُطَّرِدِ: ظَلَلْتُ، فَنَشَأَتْ صِيَغٌ فِي الأَفعَالِ الخُمَاسِيَّةِ وَالسُّدَاسِيَّةِ عِنْدَ الإِدْغَامِ بِالتَّاءِ فِي جُذُورِ الأَسنَانِ الأَمَامِيَّةِ المَخْفِيَّةِ، فَاطَّرَدَتْ فَحَسْب فِي: تَفَعَّلَ، وَبَقِيَتْ فِي: تَفَاعَلَ.

إِنَّ الطَّرِيقةَ والزَّمانَ اللَّذَينِ أُجرِيَتْ فِيهِمَا عَمَلِيَّةُ التَّوحِيدِ، المُؤَدِّيةُ إِلى العَرَبيَّةِ الفُصحَى، هِي قَضِيَّةٌ جَدَلِيَّةٌ، أَخذَتْ حَيِّزًا كَبِيرًا، فَقَدِ افْتَرَضَ مُعظَمُ العُلَمَاءِ المَشَارِقَةِ أَنَّ اللُّغَةَ القَبَلِيَّةَ المُوَحَّدَةَ نِسبِيًّا، " اللُّغَةَ الشِّعرِيَّةَ المُشتَرَكَةَ "، تَخْتَلِفُ عَنِ اللَّهَجَاتِ الدَّارِجَةِ المَنْطُوقَةِ، الَّتِي نَمَتْ وَارتَقَتْ فِي

الثَّانيـة، ١٩٦١م، ٨١، وَقَـالَ ابـنُ جنِّـيٍّ (٣٩٢هـ): ((ارتفعَـتْ قـريشٌ فـي الفَصَـاحةِ عن عنعنـةِ تمـيمٍ، وتلتلـةِ بهراءَ، ...))، أَبـو الفتحِ عُثمـان بن جنِّيّ، (**سرّ صِنَاعةِ الإعرابِ**)، لبنان، بيروت، دار الكتبِ العلميَّة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٢٤١. وكذلك نقَلَ ابنُ فـارس (٣٩٥هـ) بقولِـه: ((أَمَّا العَنْعَنـةُ التـي تُذكَرُ عن تميمٍ فقلبُهم الهمـزةَ فـي بعضِ كلامِهم عينًـا، يقولـون: سمِعْتُ عنَّ فُلانًـا قـالَ كـذا، يريدون: أَنَّ))، أَبـو الحسين أَحمد بـن فارس، (**الصَّاحبيُّ فـي فقهِ اللُّغةِ العربيَّـةِ ومسائلِها وسننِ العربِ في كلامِهـا**)، تحقيق: السَّيِّد أَحمد صـقر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ، ٣٥. [المُترجِم]

[13] Bloch 1967.

[١٤] نَسَبَ ابنُ خَالَويه قراءةَ كسرِ النُّونِ في: ﴿نِعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، إِلى جناحِ بنِ حُبيشٍ المُقرِئِ، ينظر: أَبـو عبد الله الحُسين بن أَحمد (٣٧٠هـ)، (**مختصرٌ فـي شواذِّ القرآنِ مـن كتـابِ البديعِ**)، عُنِيَ بنشرِهِ ج. براجشتراسير، لبنـان، بيروت، المعهدُ الأَلمانيُّ للأَبحـاثِ الشَّرقيَّةِ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ١، ولكنَّ أَبـا حيَّـان الأَندلسيَّ نَسَبَ هذه القراءةَ إِلـى عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِـيِّ، وَزِرٍّ بْنِ حُبَيْشٍ، وَيَحيَـى بـن وَثَّـابٍ، وَالنَّخَعِـيّ، والأَعْمَشِ، ونقَلَ أَنَّهـا لُغَـةُ قَيْسٍ، وَتَمِيمٍ، وَأَسَدٍ، وَرَبِيعَـةَ. أَبـو حيَّـانٍ محمَّد بـن يوسـف (٧٤٥هـ)، (**البحـرُ المحـيطُ فـي التَّفسـيرِ**)، تحقيق: صدقي محمَّد جميل، لبنان، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ٤٢/١. [المُترجِم]

[15] Rabin 1955; Corriente 1976: 70–71.

أَوَاخِرِ القَرنِ السَّادِسِ للهِجْرةِ بِالاسْتِنَادِ إِلَى اللَّهَجَاتِ النَّجْدِيَّةِ البَدَوِيَّةِ، الَّتِي رُبَّمَا كَانَتْ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِالبَلَاطِ فِي الحِيْرَةِ(١٦)، فَأَخَذُوا بِنَظَرِ الاعْتِبَارِ أَنَّهُ مِنْ غيرِ المُرَجَّحِ أَنْ تَكُونَ العَرَبِيَّةُ المَنْطُوقَةُ، الَّتِي اعْتَادَتْ عَلَيهَا القَبَائِلُ البَدَوِيَّةُ آنَذَاكَ، قَدِ احْتَفَظَتْ بِشَكْلٍ وَنِظَامٍ إِعرَابِيَّينِ مَهْجُورِينِ، وَافْتَرَضُوا أَنَّ هَذهِ الظَّوَاهِرَ كَانَتْ عَلَى الأَقَلِّ لِتَستَمِرَّ فِي اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ.

وَاحتَجَّ كَورِنْتِيني (Corriente)(١٧) بِأَنَّ العَرَبِيَّةَ القَدِيمَةَ لَمْ تَكُنْ تَمْتَلِكُ طَابِعًا تَركِيبِيًّا، فِيمَا نُسِبَ إِلَيهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحيَانِ، وَأَنَّ الحَالَاتِ وَالحَرَكَاتِ الإِعْرَابِيَّةَ نَوْعًا مَا كَانَتْ زَائِدَةً عَنْ حَاجَتِهَا.

وَأَمَّا فُوك (Fück)(١٨) فَلا يُشَاطِرُهُ هَذِهِ الشُّكُوكَ، فَيَرَى أَنَّ تَوْحِيدَ العَرَبِيَّةِ قَدْ أَخَذَ طَرِيقَهُ فِي مُعْسَكَرَاتِ الجُيُوشِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ عَاشَ جُنُودٌ مِنْ قَبَائِلَ مُخْتَلِفَةٍ مَعًا بَعْدَ التَّوسُّعِ الإِسْلَامِيِّ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ السَّابِعِ المِيلَادِيِّ.

وَعَلَى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ سَجَّلَ النَّحوِيُّونَ العَرَبُ فِي القَرْنَينِ الثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ المِيلَادِيّينِ أَنَّ الرُّوَاةَ البَدْوَ لَمْ يُزَوِّدُوهُم إِلَّا بأَخَبَارٍ عَنِ اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ فَحَسبْ، وَلَكِنَّهُم أَيضًا قَدْ تَكَلَّمُوا بِلَهْجَةٍ عَرَبِيَّةٍ شَبِيهَةٍ بِالعَرَبِيَّةِ الفُصحَى، يُمكِنُ تَصنِيفُهَا ضِمْنَ العَرَبِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَقَدْ تَمسَّكَ التَّقلِيدُ الإِسْلَامِيُّ بِالاعْتِقَادِ أَنَّ العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى شَابَهَتِ العَرَبِيَّةَ الَّتِي تَحَدَّثَ بِهَا سُكَّانُ مَكَّةَ، وَفِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ لَمْ يَذْكُرِ النَّحْوِيُّونَ الأَشْكَالَ اللَّهَجِيَّةَ المُخْتَلِفَةَ فِي العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى فَقَطْ، وَلَكِنَّ القُرَّاءَ وَثَّقُوهَا أَيْضًا فِي القِرَاءَاتِ القُرْآنيَّةِ، وَهُوَ أَمْرٌ لا يُمكِنُ تَجَاهُلُهُ، حَيْثُ يَعُودُ تَارِيخُهَا إِلى القَرنَينِ الأَوَّلِ والثَّانِي الهِجْرِيّينِ بِشَكَلٍ جَلَيٍّ، وَهَذَا بُرْهَانٌ رَاسِخٌ يُؤَيِّدُ التَّقلِيدَ العَرَبِيَّ، الَّذِي يَضَعُ عَمَلِيَّةَ تَوحِيدِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى في صَدَارَةِ القُرُونِ الأُولَى مِنَ العَصْرِ الإِسلامِيِّ.

إِنَّ الإِمـلاءَ فِـي العَرَبِيَّـةِ الفُصـحَى لَـيْسَ إِسْـقَاطًا مُطَّـرِدًا عَلَـى اللُّغَـةِ، الَّتِـي وَصَـفَهَا النَّحوِيُّونَ(١٩)، فرُبَّمَا قَدْ يَحِيدُ؛ بَوَصْفِهِ مَظْهَرًا لُغَوِيًّا لِلعَرَبِيَّةِ الفُصحَى فِي جَوانِبَ متعددة، وَهُوَ عَلَى العُمُومِ يَعكِسُ التَّغيُّرَ الحِجَازِيَّ فِي الهَمْزَةِ إِلَى: الوَاوِ < و>، أَوِ اليَاءِ < ي>، فِي التَّهْجِئَاتِ، مِثْلِ: < سُئل> [سُوال]= سُؤالٌ، < سيل > [سُيِلَ]= سُئِلَ، وَقَدْ تُشَابِهُ الأَلِفُ < ا > الهَمْزَةَ الانْفِجَارِيَّةَ الحَنْجَرِيَّةَ < ء > فِي بِدَايَةِ الكَلِمَةِ فَقَطْ، وَيُوقَفُ عَلَيهَا فِي وَسْطِ الكَلِمةِ فَقْطِ، وَفِي نِهَايَتِهَا، بِالأَلِفِ: < ان>= أَن أَو إِن، وَلِكنْ فِي < قال>= قَالَ، و< يَقْرَأ> [يقرا]= يَقرَأُ، وَلَا يُعبَّرُ عَنِ الهَمْزَةِ الانْفِجَارِيَّةِ الحَنْجَرِيَّةِ / ء/ فِي نِهَايَةِ الكَلِمَةِ بِأَيِّ حَرْفٍ بَعْدَ الحُرُوفِ

(16) Rabin 1960: 565a.

(17) Corriente 1971: 39.

(18) Fück 1950: 5.

(19) Fischer 1992.

الصَّحِيحَةِ، أَوْ بَعْدَ أَحْرُفِ العِلَّةِ: < الشَّيء >= الشَّيءُ/ الشَّيءَ / الشَّيءِ، [رَفْعًا، وَنَصْبًا، وَجَرًّا]، و< جزء > (يُوقَفَ عَلَيهَا بِالأَلِفِ)= جَزَاءٌ/ جَزَاءٍ، [رَفْعًا، وَجَرًّا]، < بري >= بَرِيءٌ/ بَرِيءٍ، [رَفْعًا، وَجَرًّا].

وَلَا تَظْهَرُ غَالِبًا عَلَامَاتُ الصِّيَغِ وَالحَالَاتِ الإِعْرَابِيَّةِ عَلَى نِهَايَةِ الكَلِمَةِ فِي الكِتَابَةِ، كَمَا هُوَ مُوضَّحٌ فِي المِثَالِ آنِفًا، كَمَا لَا يَظْهَرُ التَّنوِينُ فِي الإِمْلَاءِ عَلَى آخِرِ الكَلِمَةِ أَلِفًا < ا > إِلَّا فِي حَالَةِ النَّصْبِ، فَيُشَارُ إِلَيهِ فِي الآخِرِ بِتَنوِينِ النَّصْبِ، فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ يُوقَفُ عَلَى: كِتَابٌ/ كِتَابٍ، بـ < كِتَاب >، [رَفْعًا، وَجَرًّا]، وَلَكِنْ يُوقَفُ عَلَى: كِتَابًا، بـ < كِتَابَا >، وَيُكتَبُ التَّنوِينُ نُونًا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ: < كَأَيٍّ >= كَائِنٍ، مِثلِ: أَيٍّ، (بِمَعْنَى: كَمْ)، وَأَحْيَانًا تُكتَبُ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ المَرْبُوطَةِ فِي القُرآنِ < ـة >، وَلَكِنْ غَالِبًا مَا تُكتَبُ < ـه >، إِذَا جَاءَ مَوقِعُهَا فِي نِهَايَةِ الكَلِمَةِ: فـ < سنه > تُمَثِّلُ سنةُ/ سنةَ/ سنةِ، وسنةٌ/ سنةً/ سنةٍ، وَتَتَعَارِضُ كِتَابَةُ الحَرْفِ الاسْتِهلَالِيِّ فِي (أل)، الَّتِي هِيَ أَدَاةٌ لِلتَّعْرِيفِ، وَبَعْضِ الصَّوَائِتِ الإِحَالِيَّةِ، مَعَ التَّلَفُّظِ المَورُوثِ فِي العَرَبِيَّةِ الفُصحَى: < بَيْتُ أَلحَسَن >= بَيْتُ لحَسَنِ، < قَالَ أبني >= قَالَ بني، وَلَكِنَّ " بِسْمِ " فِي العِبَارَةِ: " بِسْمِ اللهِ"، كُتِبَتْ عَلَى وِفْقِ نُطْقِهَا مِنْ غَيرِ < ا >، كَمَا فِي < بِسْمِ اللهِ >.

وَفِي سَبِيلِ مُلَائَمَةِ التَّهْجِئَاتِ المَورُوثَةِ مَعَ الصِّيغَةِ النَّمُوذَجِيَّةِ لِلعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى ابْتَكَرَ فُقَهَاءُ اللُّغَةِ العَرَبُ، فَضْلًا عَنِ رُمُوزِ الحَرَكَاتِ القَصِيرَةِ، رُمُوزًا تَكْمِيلِيَّةً، مِثلَ: هَمزَةِ القَطْعِ، وَهَمْزَاتِ الوَصْلِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الحَرْفَ الاسْتِهلَالِيَّ الأَلِفَ < ا > لا يُمكِنُ النُّطْقُ بِهِ، وَوَضَعُوا نُقْطَتَينِ عَلَى الهَاءِ < ـه > لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهَا تُمَثِّلُ التَّاءَ المَرْبُوطَةَ (ـة) عَلَامَةً لِلتَّأْنِيثِ.

وَيَعْزُو المَورُوثُ الإِسْلَامِيُّ لأَبِي الأَسْودِ الدُّؤَلِيِّ (ت. ٦٩هـ/٦٨٨م) الجُهُودَ الأُوْلَى السَّاعِيَةَ إِلَى تَقْنِينِ اللُّغَةِ وَتَوحِيدِهَا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنِ اخْتَرَعَ العَلَامَاتِ الأُولَى لِلحَرَكَاتِ؛ وَذَلِكَ بِاشْتِمَالِ الحَرْفِ عَلَى نُقْطَةٍ فَوْقَهُ لِلفَتْحَةِ، وَعَلَى نُقْطَةٍ بَعْدَهُ لِلكَسْرَةِ، وَعَلَى نُقْطَةٍ أَسْفَلَ مِنْهُ لِلضَّمَّةِ، وَاسْتَعمَلَ نُقْطَتَينِ عَلَامَةً لِلتَّنْوِينِ، وَبَعْدَ مُرُورِ مِائَةِ عَامٍ أَسَّسَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ (ت. ١٧٥هـ/٧٩١م) نِظَامًا جَدِيدًا لِعَلَامَاتِ الحَرَكَاتِ، وَنِظَامُهُ هَذَا هُوَ الَّذِي بَقِيَ قَيْدَ الاسْتِعمَالِ حَتَّى يَومِنَا الحَاضِرِ.

وَمِنَ المُؤكَّدِ أَنَّ تَهْجِئَةَ الهَمْزَةِ بِالوَاوِ: < و>، أَوِ اليَاءِ: < ي>، هُوَ شَبِيهٌ بِمَا قَرَّرَهُ النَّحوِيُّونَ عَنِ اللَّهْجَةِ الحِجَازِيَّةِ، وَقَدْ وَضَّحَ نُولدِكَه (Nöldeke)[٢٠] خَصَائِصَ أُخْرَى بِقَولِهِ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ قَدْ كُتِبَتْ كَمَا لَو أَنَّهَا كَانَتْ قَائِمَةً بِذَاتِهَا، أَي: فِي صُورَتِهَا الَّتِي يُوقَفُ بِهَا عَلَيهَا، إِذْ تُحذَفُ

---

[20] Nöldeke 1904.

الحَرَكَاتُ القَصِيرَةُ وَنُونُ التَّنوينِ مِنْ آخرِهَا[٢١]، وَيَرَى كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ المَشَارِقَةِ أَنَّ لِهَذِهِ التَّهْجِئَاتِ التَّهْجِئَاتِ انْعِكَاسَاتٍ فِي العَرَبِيَّةِ الدَّرَاجِةِ المُعَاصِرةِ، حَيْثُ كَانَتْ فِي عُصُورِ مَا قَبلَ الإِسْلَامِ لَهَا خَصَائِصُ مُشَابِهَةٌ لِمَا فِي اللَّهَجَاتِ العَرَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ بِحَسْبِ رَأْيِهِم.

وَقَدْ ذَهَبَ فُولرز (Vollers)[٢٢] بَعِيدًا إِلى حَدِّ الافْتِرَاضِ أَنَّ النَّصَّ القُرْآنِيَّ فِي الأَصْلِ كَانَ قَدْ كُتِبَ باللُّغَةِ العَامِيَّةِ المَكِّيَّةِ، مِمَّا يُفسِّرُ افْتِقَارُهُ إِلَى حَرَكَاتٍ وَحَالَاتٍ إِعْرَابِيَّةٍ عَلَى أَوَاخِرِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ النُّصُوصَ، كَمَا يَعْتَقِدُ، كَانَتْ قَدْ ضُبِطَتْ لِتُلَائِمَ العَرَبِيَّةَ الفُصحَى النَّمُوذَجِيَّةَ.

وَتُشِيرُ الأَبحَاثُ الحَدِيثَةُ إِلَى أَنَّ الشَّيءَ الوَحِيدَ، الَّذِي يُمكِنُ قَولُهُ: إِنَّ قَوَاعِدَ الرَّسْمِ القُرْآنِيِّ، قَدِ اسْتَمَرَّتْ عَلَى مُوَاضَعَاتِ عِلْمِ الكِتَابَةِ، المُتَعَلِّقَةِ بِالخَطِّ الآرَامِيِّ/ النَّبَطِيِّ، الَّتِي اسْتُعمِلَتْ أَيضًا فِي النُّقُوشِ العَرَبِيَّةِ مَا قَبْلَ الإِسْلَامِ[٢٣]، كَمَا هُوَ الحَالُ فِي الإِمْلَاءِ الآرَامِيِّ، الَّذِي غَالِبًا مَا لَا يَظْهَرُ فِيهِ حَرْفُ الأَلِفِ: < لكتاب >= الكِتَابُ/ الكِتَابَ/ الكِتَابِ[٢٤]، وَقَدِ احْتَفَظَتْ كَلِمَاتٌ مُقتَرَضَةٌ مِنَ اللُّغَةِ الآرَامِيَّةِ بِهِجَائِهَا الأَصلِيِّ بِالوَاوِ: < و>، حَيْثُ تَكُونُ فِي العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى أَلِفًا، كَمَا فِي مِثْلِ: < صلوة >= صَلَاةٌ، فِي الآرَامِيَّةِ: صلوطا، و < زكوة >= زَكَاةٌ، " إِخْرَاجُ الصَّدَقَاتِ "، فِي الآرَامِيَّةِ: زكوطا[٢٥]، وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ التَّهْجِئَاتِ ذَكَرَ النَّحْوِيُّونَ العَرَبُ التَّلَفُّظَ بِالوَاوِ فِي: (صَلَاةٌ، زَكَاةٌ)، إِذْ قَدْ يَكُونُ هُنَالِكَ أَثَرٌ لِلأَصْلِ الآرَامِيِّ فِي هَذِهِ المُصطَلَحَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَقَدْ تُكتَبُ أَحْيَانًا كَلِمَاتٌ عَرَبِيَّةٌ وَارِدَةٌ فِي نُقُوشٍ نَبَطِيَّةٍ بِوَاوٍ مُتَطَرِّفَةٍ < و >؛ لِلتَّلمِيحِ إِلَى عَلَامَةٍ إِعْرَابِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ، هُوَ التَّنوِينُ، (عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: < قبرو>= < قَبْرٌ>).

وَيَبْرُزُ الأَمرُ نَفْسُهُ فِي أَسْمَاءِ عَلَمٍ عَرَبِيَّةٍ فِي نُقُوشٍ تَدمُرِيَّةٍ، وَأُخْرَى آرَامِيَّةٍ، حَيْثُ عُثِرَ عَلَى اليَاءِ المُتَطَرِّفَةِ: < ي>، أَيْضًا فِي أَسْمَاءٍ مُرَكَّبَةٍ، قَدْ ظَهَرَتْ فِي حَالَةِ الجَرِّ، (عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: < عَبْدُ اللّهي >= عَبدُ اللهِ)[٢٦]، وَتَبْدُو هَذِهِ الانْعِكَاسَاتُ فِي نِظَامِ الحَالَةِ العَرَبِيِّ بِصُورَتِهَا الأُحْفُورِيَّةِ غَيرَ مُنْسَجِمَةٍ مَعَ المُقْتَضَيَاتِ النَّحْوِيَّةِ المَطْلُوبَةِ، وَهَذَا يُوحِي بِأَنَّ تِلْكَ الأَصْنَافَ مِنَ العَرَبِيَّةِ، الَّتِي اسْتُعمِلَتْ فِي المَنَاطِقِ الحُدُودِيَّةِ، وَكَانَتْ عَلَى اتِّصَالٍ بِالسُّكَّانِ النَّاطِقِينَ بِالآرَامِيَّةِ، هِيَ أَصْنَافٌ قَدْ فَقَدَتْ نِظَامَها الإِعْرَابِيَّ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ جِدًّا، وَمِمَّا يَجْدُرُ مُلَاحَظَتُهُ هُوَ أَنَّ قَوَاعِدَ الإِمْلَاءِ فِي العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى كَانَتْ قَدِ احْتَفَظَتْ بِأُحْفُورِيَّةِ الوَاوِ: < و>، فِي تَهْجِئَةِ اسْمِ عَلَمٍ وَاحِدٍ،

---

(21) Birkeland 1940.

(22) Vollers 1906.

(23) Versteegh 1997: 47.

(24) Diem 1979: 242- 256.

(25) Spitaler 1960.

(26) Diem 1981: 336- 342.

هُوَ: < عَمْرو >= عمرو؛ مِنَ أَجْلِ التَّفرِيقِ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ < عُمَر >= عُمَرُ.

وَكَذَلِكَ ثَمَّةَ إِشْكَالٌ لَيْسَ لَهُ حَلٌّ، يَخُصُّ أَصْلَ مَا يُسَمَّى فِي العَرَبِيَّةِ بِالأَلِفِ المَقصُورَةِ، وَوَظِيفتَها، أَي: تَهْجِئَةَ اليَاءِ: < ي>، فِي الحَالَاتِ الَّتِي تَتَشَابَهُ بِهَا مَعَ الأَلِفِ بِالعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى فِي نِهَايةِ الكَلِمَةِ، (مَثَلًا < نري>= نَرَى، وَأَيْضًا < نريكم>= نَرَاكَ)، فِيمَا إِذَا كَانَتْ دَالَّةً عَلَى اليَاءِ؛ بِوَصْفِهَا بَدِيلًا صَوتِيًّا[٢٧]، أَوْ كَانَتْ مُوَاضَعَةً إِمْلَائِيَّةً مَحْضَةً.

وَيَجِبُ عَلَى المَرْءِ فِي الوَاقِعِ أَنْ يَكُونَ حَذِرًا جِدًّا فِي افْتِرَاضِ مَعلُومَاتٍ كَثِيرةٍ عَنْ هَذِهِ التَّهْجِئَاتِ، الَّتِي تَخُصُّ البِنيَةَ اللُّغَوِيَّةَ لِلعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، وَلَكِنْ مِنَ الوَاضِحِ أَنَّ قَوَاعِدَ الرَّسْمِ القُرْآنيِّ لَمْ يَجْرِ عَلَيهَا أَيُّ تَحْدِيثٍ؛ حَتَّى تُوَافِقَ الصِّيغَةَ النَّمُوذَجِيَّةَ لِلعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، وَهَذَا يُوضِّحُ إِلى حَدٍّ مَا بِأَنَّ عَدَدًا مِنَ الكُتَّابِ سَعَوا إِلَى الإِفَادَةِ مِنْ نِظَامِ الكِتَابَةِ المَورُوثِ؛ لِتَسجِيلِ الصِّيغَةِ غَيرِ النَّمُوذَجِيَّةِ لِلعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، فَتَظْهَرُ الحَرَكَاتُ وَالحَالَاتُ الإِعْرَابِيَّةُ انْسِجَامًا مَعَ وَظَائِفِهَا النَّحْوِيَّةِ مَتَى مَا جَعَلَ الإِمْلاءُ ذَلِكَ مُمْكِنًا، فَتَظْهَرُ نِهَايَاتُ الحَالَةِ الإِعرَابِيَّةِ فِي صِيغَةِ الجَمْعِ المُذكَّرِ: ـُونَ/ ـِينَ، (تُكتَبُ: < ـونَ >، عَلَى التَّوَالِي: < ـين >)، وَفِي المُثَنَّى: ـَانِ/ ـَينِ، (تُكتَبُ < ـان/ ـين >، فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: < جنَّـةٌ >= جَنَّتَانِ [رَفْعًا]، فِي مُقَابِلِ: < جنتين >= جَنَّتَينِ [نَصْبًا، وَجَرًّا]، وَفِي كَلِمَاتٍ ذَاتِ أَحْرُفِ عِلَّةٍ كَعَلَامَاتٍ لِحَالَتِها: (فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ < أبوكم >= أَبُوكُم [رَفْعًا]، < أبيكم >= أَبِيكُم [جَرًّا]، < أباكم >= أَبَاكُم [نَصْبًا]، وَفِي تَهْجِئَةٍ، مِثْلِ: أَبنَاؤُكُم، أَبنَاءَكُم، أَبنَائِكُم، [رَفْعًا، وَنَصْبًا، وَجَرًّا]، وَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ تَتَفَاوَتُ تَهْجِئَةُ أَفْعَالِهِ فِي حَالَةِ الجَزْمِ، كَمَا فِي مِثلِ: < تقول >= تَقُولُ، فِي مُقَابِلِ < لا تقل >= لا تَقُلْ، وَكَذَلِكَ يَتَفَاوَتُ الفِعْلُ المُضَارِعُ فِي صِيغَتَي: الجَمْعِ، وَالمُثَنَّى، فِي حَالَتَي: النَّصْبِ، وَالجَزْمِ.

ثَالِثًا: العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى النَّمُوذَجِيَّةُ.

بِالانسِجَامِ مَعَ مَنزِلَةِ القُرآنِ الرَّفِيعَةِ أَصْبَحَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى لُغَةَ الدَّولَةِ وَالتَّعْلِيمِ فِي غُضُونِ القَرنِ الأَوَّلِ لِلخِلَافةِ فِي الإِمبرَاطُورِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، بَادِئُ ذِي بِدْءٍ أَعْطَى الخَلِيفَةُ عَبْدُ المَلِكِ (٦٨٥-٧٠٥م) أَمرًا بِتَحْوِيلِ لُغَةِ إِدَارَةِ الدَّولَةِ مِنَ اليُونَانِيَّةِ وَالفَارِسِيَّةِ الوُسْطَى (البَهْلَوِيَّةِ) إِلَى العَرَبِيَّةِ.

وَقَدْ زَوَّدَنا عَدَدٌ مِنَ النُّصُوصِ الرَّسْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ، مِثْلِ: نَقْشِ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ، الَّذِي يَعُودُ تَارِيخُهُ إِلَى العَامِ: (٦٩١) المِيلَادِيِّ، وَمُرَاسَلَاتِ وَالِي مِصرَ قُرَّةَ بنِ شُرَيحٍ، الَّتِي يَعُودُ تَارِيخُهَا إِلَى مَا بَيْنَ الأَعْوَامِ: (٧٠٩-٧١٤) المِيلَادِيِّ، بَأَنَّ قَوَاعِدَ الرَّسْمِ القُرْآنِيِّ ظَلَّتِ الرَّكِيزَةَ الأَسَاسِيَّةَ فِي الإِمْلَاءِ العَرَبِيِّ طِوَالَ القُرُونِ الإِسْلَامِيَّة الأُولَى[٢٨]، وأَنَّ إِدارةَ الحُكْمِ حَاوَلَتِ الحِفَاظَ عَلَى المِعْيَارِ

---

(27) Bergsträsser 1961:36ff.; Hopkins 1984: 8.

(28) Abbott 1938.

القَوَاعِديِّ لِلُّغَةِ كَمَا هُوَ قَائِمٌ فِي القُرآنِ وَالمَورُوثِ الشِّعْرِيِّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ ضَآلَةَ الوَثَائِقِ النَّصِّيَّةِ، الَّتِي وَصَلَتْنَا، وَمُشكِلَاتِهَا الإِمْلائِيَّةَ، تَجْعَلُ مِنْ غَيرِ المُمكِنِ عَلَى نَحْوٍ وَثِيقٍ إِعَادَةَ تَشكِيلِ تَارِيخِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى بِشَكْلٍ مُؤكَّدٍ فِي القَرْنَينِ الأَوَّلِ وَالثَّانِي الإِسْلامِيَّين.

فَفِي القَرْنِ الثَّانِي للهِجْرةِ (الثَّامِنِ المِيلَادِيِّ) كَانَ المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ الإِسْلَامِيُّ قَدْ مَرَّ بِتَحَوُّلاتٍ، أَثَّرَتْ تَأْثِيرًا عَمِيقًا فِي وَظِيفَةِ العَرَبِيَّةِ، فَكَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُدَوِّنُونَ العَرَبِيَّةَ فِي الغَالِبِ هُمْ مِنْ أُصُولٍ عَرَبِيَّةٍ حَتَّى مُنْتَصِفِ القَرْنِ الثَّامِنِ المِيلَادِيِّ، وَقَدِ انْتَهَى المَورُوثُ الشِّعْرِيُّ لِلقَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ، الَّتِي شَهِدَتْ نَهْضَةً فِي عَهْدِ الخِلَافَةِ الأُمَوِيَّةِ آنَذَاكَ؛ ذَلِكَ أَنَّ النُّخَبَ القَبَلِيَّةَ كَانَتْ قَدْ تَبَنَّتْ أُسلوبًا حَضَرِيًّا فِي حَيَاتِها، وَفَقَدَتِ اتِّصَالَهَا بِالثَّقَافَةِ اللُّغَوِيَّةِ البَدَوِيَّةِ التَّقلِيدِيَّةِ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ شُعَرَاءَ، مِثلَ: ذِي الرِّمَّةِ (ت. ١١٧هـ/٧٣٥م)، وَابنِ مَيَّادَةَ (ت. ١٣٦هـ/٧٥٤م)[٢٩]، كَانَا مِنْ أَوَاخِرِ، الَّذِينَ وَرِثُوا الأَعرَافَ الشِّعْرِيَّةَ، الَّتِي تَخُصُّ القَبَائِلَ العَرَبِيَّةَ.

وَلَكِنَّ مَنْزِلَةَ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى؛ بِوَصْفِهَا لُغَةً لِلشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ وَالإِدَارَةِ وَالعِلْمِ وَالأَدَبِ، لَمْ يَطْرَأْ عَلَيهَا أَيُّ تَغيِيرٍ، وَهَكَذَا أَصْبَحَتِ الإِحَاطَةُ بِهَا أَمْرًا بَالِغَ الأَهمِّيَّةِ فِي التَّعلِيمِ، الَّذِي تَبَنَّتْهُ بِشَكلٍ مُطَّرِدٍ فِئَةٌ بَارِزَةٌ مِنْ غَيرِ المُسلِمِينَ العَرَبِ (المَوَالِي)، حَيْثُ بَدَأُوا بِالوُلُوجِ إِلَى مَيدَانِ المُنَافَسَةِ فِي النَّثْرِ وَالشِّعْرِ مَعَ العَرَبِ، وَهُوَ اتِّجَاهٌ تَعَاظَمَ كَثِيرًا حِينَمَا أَخَذَتِ السُّلَالَةُ العَبَاسِيَّةُ بِزِمَامِ الحُكْمِ، مِن ذَلِكَ نُبُوغُ أَشْخَاصٍ، مِثْلِ: الكَاتِبِ النَّثرِيِّ، وَالمُتَرجِمِ عَنِ البَهْلَوِيَّةِ، ابْنِ المُقَفَّعِ (ت. ١٤٢هـ/٧٥٩م)، وَالشَّاعِرِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ (ت. ١٦٧هـ/٧٨٤م)، وَهُمَا مِنْ أَصْلٍ فَارِسِيٍّ، وَكِلَاهُمَا يَحْمِلَانِ سِمَاتِ هَذَا الاتِّجَاهِ.

وَيَبْدُو أَنَّ تَوحِيدَ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى ذُرْوَتِهِ فِي نِهَايَةِ القَرْنِ الثَّامِنِ المِيلَادِيِّ تَقْرِيبًا، وَقَدْ سُمِّيَ أَوّلُ وَصْفٍ شَامِلٍ لِلعَرَبِيَّةِ بِـ " الكِتَابِ "، الَّذِي دوَّنَهُ النَّحْوِيُّ سِيْبَوَيهِ (ت. ١٧٧هـ/٧٩٣م)[٣٠]، وَهُوَ مَعْلَمٌ بَارِزٌ؛ لأَنَّهُ قَدِ احْتَوَى عَلَى حَصِيلَةِ التَّفكِيرِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ فِي السَّنَوَاتِ المِئَةِ الأُوْلَى، فَأَسَّسَ كِتَابَهُ، قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ، فضلًا عن القُرآنِ، وَالرُّوَاةِ البَدْوِ، الَّذِينَ يَعدُّهُم فُصَحَاءَ (مُفردُهُ: فَصِيحٌ)، أَي: ثِقَاتٍ نَاطِقِينَ بِالعَرَبِيَّةِ؛ وَلِكَونِها مَسأَلَةً مَبْدَأَيَّةً فَإِنَّهُ قَدْ أَقَرَّ الظَّوَاهِرَ المُوَثَّقَةَ جَمِيعَهَا مِنْ هَذِهِ المَصَادِرِ، وَلَمْ يُقَدِّمْ فِيهِ وَصْفًا نَحْوِيًّا لِمُستَوَى لُغَوِيٍّ رَاقٍ فَحَسب، وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ أَيْضًا اعْتِبَارَاتٍ لِمَا يُمكِنُ اختيارُهُ؛ بِوَصْفِهِ اسْتِعمَالًا أُسْلُوبِيًّا حَسَنًا، وَهُوَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَدْ أَنْشَأَ قَوَانِينَ لِلعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى وَالنَّحْوِ، أَصْبَحَتْ بَعْدَهُ وَصْفًا مِعيَارِيًّا لِلُّغَةِ، وَيُزَادُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ حَاوَلَ إِعْطَاءَ تَفسِيرَاتٍ مَنهَجِيَّةً لِلظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ كُلِّهَا، وَنَادِرًا

---

[٢٩] نقلَ الزِّركليُّ أَنَّ وفاةَ ابنِ ميَّادةَ كانَتْ في (١٤٩هـ/٧٦٦م)، ينظر: خير الدِّين بن محمود بن محمّد، (ت. ١٣٩٦هـ)، **(كتاب الأَعْلامِ)**، لبنان/ بيروت، دار العلمِ للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م، ٣١/٣. [المُترجِم]

[٣٠] الرَّاجحُ أنَّ وفاةَ سيبويهِ كَانَتْ في (١٨٠هـ). [المُترجِم]

لِلغَايَةِ مَا أَثرَى اللَّاحِقُونَ لَهُ أُطرُوحَاتِهِم النَّحْوِيَّةَ بِمَعرِفَةٍ جَوهَرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ عَمِلُوا عَلَى تَحسِينِ أَسَالِيبِ الوَصْفِ وَالجَدَلِ، بِحَيْثُ وَصَلُوا إِلَى مُسْتَوَى عِلْمِيٍّ رَفِيعٍ فِي الارْتِقَاءِ بِالنَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ (المَورُوثِ النَّحْوِيِّ).

وَفِـي القَرنِ الثَّـانِي الهِجرِيِّ (الثَّـامِنِ المِـيلَادِيِّ) أَصْـبَحَتِ المَعْرِفَـةُ الصَّـحِيحَةُ بِالعَرَبِيَّـةِ الفُصْـحَى مَطْلَبًـا جَوْهَرِيًّـا لِلارْتِقَـاءِ إِلَـى مَنْزِلَـةٍ سَـامِقَةٍ فِـي جَمِيـعِ أَنْحَـاءِ العَـالَمِ الإِسْـلَامِيِّ، حَيْـثُ اكْتَسَبَتِ الفُصْحَى شَأْنًا عَظِيمًا؛ بِوَصْفِها لُغَةً لِلشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ، وَالإِدَارَةِ، وَالشِّعْرِ، فَضَمِنَتْ لِعُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِيّينَ مَقَامًـا مَرْكَزِيًّـا فِـي المُجْتَمِـعِ، فَصَـاغَ أُولَئِكَ العُلَمَـاءُ فِـي ذَلِكَ الوَقـتِ تَعْلِيمًـا أَدَبِيًّـا بِطَرِيقَـةٍ مُتْقَنَـةٍ، وَاسْـتَدْعَى الـبَلَاطُ العَبَاسِـيُّ فِـي بَغْـدَادَ لُغَـوِيّينَ بَـارِزِينَ مِـنْ أَمْثَـالَ: الكِسَـائِيِّ (ت. ١٨٩هـ/٨٠٤م) ، وَالفَرَّاءِ (ت. ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، مِـنْ أَجْـلِ تَأْدِيـبِ الأُمَـرَاءِ، فَبَدَأَ اللُّغَوِيُّـونَ مُنْذُ النِّصْـفِ الثَّانِي مِنَ القَرنِ المِيلَادِيِّ فَصُعُودًا بِجَمْعِ الإِرْثِ الثَّقَافِيِّ لِلقَبَائِلِ العَرَبِيّةِ، وَأَشْعَارِهَا، وَحِكَايَاتِها عَنِ الصِّرَاعَاتِ المَشهُورَةِ بَينَ القَبَائِلِ البَدَوِيَّةِ (أَيَّام العَرَبِ)، ثُمَّ أَصْبَحَ هَذَا التُّرَاثُ أَسَاسًا عَلمِيًّا لِلثَّقَافَةِ الأَدْبِيَّةِ.

وَفِي الوَقْتِ عَيْنِهِ بَدَأَ المُعْجَمِيُّونَ بِتَصْنِيفِ المُفرْدَاتِ فِي المَوْرُوثِ اللُّغَوِيِّ القَبَلِيِّ، الَّتِي طَوَاها النِّسْيَانُ؛ نَتِيجَةً لِلانْتِقَالِ إِلَى الحَيَاةِ الحَضَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ أَصْبَحَتْ هُنَالِكَ كَلِمَاتٌ قُرآنِيَّةٌ غَيرَ مَأْلُوفَةٍ، فَحَصَلَتْ مُنَاقَشَاتٌ بَيْنَ عُلَمَاءِ تَفسِيرِ القُرآنِ بِشأْنِ مَعَانِيهَا، فَفِي البِدَايَةِ صَنَّفَ عُلَمَاءٌ، مِثْلُ: الأَصْمَعِيِّ (ت.٢١٣هـ/٨٢٨م) المُفْرَدَاتِ بِحَسْبِ مَوْضُوعَاتِهَا، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنِ ابْتَكَرَ الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ (ت. ١٧٥هـ/٧٩١م) مَنْهَجًا لِتَحلِيلِ الكَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ بِالاعْتِمَادِ عَلَى جُذُورِها الثُّلَاثِيَّةِ السَّاكِنَةِ، انْفَتَحَ السَّبِيلُ لِمَسَاعٍ، رَتَّبَتِ المُفْرَدَاتِ تَرْتِيبًا أَلِفبَائِيًّا (المُعْجَم التَّقْلِيدِيّ)، كَمَا أَنَّ المُعْجَمِيّينَ لَمْ يُقَيِّدُوا أَنْفَسَهم بِتَدَوِينِ المُفْرَدَاتِ، وَلَكِنَّهُم أَرَادُوا أَيْضًا وِقَايَةَ اللُّغَةِ مِنَ الخَلَلِ فِي بِنْيتِهَا النَّحْوِيَّةِ، فَحَاوَلُوا الحَدَّ مِنَ التَّوَسُّعِ غَيرِ المُنْضَبِطِ فِي المُفْرَدَاتِ، وَإِيقَافِ تَسَرُّبِ كَلِمَاتٍ دَخِيلَةٍ إِلَيهَا، إِذْ يَتَطَلَّبُ التَّكَامُلُ فِـي الإِنْجَازَاتِ الثَّقَافِيَّةِ القَائِمَـةِ تَحْـتَ الحُكْمِ الإِسْلَامِيِّ حَالِيًا عَـدَدًا هَائِلًا مِـنَ المُصْطَلَحَاتِ الجَدِيدَةِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَلَعَلَّ أَيْسَرَ سَبيلٍ إِلَى ذلكَ هُوَ الحُصُولُ عَلَيهَا بِالاقْتِبَاسِ مِنَ التَّدوِينِ الأَجْنَبِيِّ مَعَ مَعَانِيهِ.

وَقَدِ اسْتَوْعَبَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى فِي الحَقِيقَةِ كَلِمَاتٍ مُقْتَرَضَـةً مِنْ لُغَاتٍ أُخْرَى فِي كُلِّ العُصُورِ، وَاكْتَسَـبَ بَعْضُـهَا قَبُـولًا رَاسِـخًا، اشْـتُرِطَ فِيهَـا إِمْكَـانُ أَنْ تَـتَلَاءَمَ مَـعَ القَوَانِينِ الصَّـوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ فِـي العَرَبِيَّـةِ، وَقَـدْ نُسِـيَ فِـي حَـالَاتٍ كَثِيرةٍ أَصْـلُهَا الأَجْنَبِـيُّ، أَوْ يُعتقَـدُ أَنَّ كَلِمَـاتٍ قَـدْ خَضَعَتْ لِلتَّعْرِيبِ (المُعرَّب)؛ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ نَتِيجَةً لِلتَّرْجَمَةِ المَنْهَجِيَّةِ لِلمُؤلَّفَاتِ اليُونَانِيَّةِ فِي العُلُومِ كَافَّةً، (أَحْيَانًا عَنْ طَرِيقِ التَّرْجَمَةِ السُّرْيَانِيَّةِ)، حَيْثُ أَسَّسَ الخَلِيفَةُ المَأْمُونُ (ت. ٨١٣-٨٣٣ الميلاديّ)؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، مُؤَسَّسَةً عِلْمِيَّةً، سُمِّيَتْ: " بَيْتَ الحِكْمَةِ ".

وَقَدْ تَزَايَدَتْ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ أَعْدَادُ الكَلِمَاتِ ذَاتِ الأَصْلِ اليُونَانِيِّ (الكَلِمَاتِ اليُونَانِيَّةِ المُقْتَرَضَةِ)، وَمِنْ حَيْثُ المَبْدَأ حَاوَلَ المُتَرْجِمُونَ اكْتِشَافَ مُرَادِفَاتٍ عَرَبِيَّةٍ لِلمُصْطَلَحَاتِ اليُونَانِيَّةِ، وَلَكِنَّهُم لَمَّا لَمْ يُفلِحُوا، كَانَ هُنَالِكَ نُزُوعٌ إِلَى اسْتِبدَالِ الكَلِمَاتِ ذَاتِ الأُصُولِ الأَجْنَبِيَّةِ بِأُخْرَى عَرَبِيَّةٍ مُوَلَّدَةٍ، وَهَكَذَا اسْتُبدِلَتْ الكَلِمَاتُ اليُونَانِيَّةُ المُقْتَرَضَةُ (هِيُولَى)، ‘substance’، (< اليُونَانِيَّة: ουσία)، بـ" مَادَّةٍ "، وَ(أُسْطُقُس)، (< اليُونَانِيَّة: στοιχείου)، ‘element’، بـ" عُنْصُرٍ "، وفَانْطَازِيا، ‘fantasy’، (< اليُونَانِيَّة: φαντασία)، بـ" تَخَيُّلٍ "، (Endress 1993: 12–23)، حَيْثُ أَسَّسَتْ كَلِمَاتٌ مُقْتَرَضَةٌ عَدِيدَةٌ مِنَ اليُونَانِيَّةِ، مِثْلُ: مُوسِيقِيّ/ موسيقى، ‘music’، (< اليُونَانِيَّة: μουσική)، وَفَيْلَسُوف، ‘philosopher’، (< اليُونَانِيَّة: φιλόσοφος)، مُرتَكَزًا لأَلْفَاظٍ عَرَبِيَّةٍ مُوَلَّدَةٍ، مِثْلِ: " فَلْسَفَةٍ " ‘philosophy’، وَ" دِيْمُقَرَاطِيَّةٍ " ‘democracy’، (< اليُونَانِيَّة: δημοκρατία)، فضلا عن أَلْفَاظٍ مُوَلَّدَةٍ متعددة؛ كَوَّنَهَا المُتَرْجِمُونَ، مِثل: " نَظَرِيَّةٍ " ‘theory’، وَ" هُوِيَّةٍ " ‘essence, identity’، وَ" كَيَانٍ " ‘substance, being’، فَصَارَ بَعْضُهَا الآخَرُ مُكَوِّنًا رَاسِخًا فِي المُعْجَمِ العَرَبِيِّ، فَأَصْبَحَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى فِي النِّهَايَةِ بَعْدَ مُرُورِ حِقْبَةٍ مِنَ الإِجْرَاءَاتِ المَنْهَجِيَّةِ لُغَةً قَادِرَةً بِأَدَوَاتِهَا الخَاصَّةِ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ التَّصَوُّرَاتِ العِلمِيَّةِ كَافَّةً فِي ذَلِكَ العَصْرِ.

وَقَدْ بَلَغَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى فِي القَرْنِ الثَّالِثِ للهِجْرَةِ (التَّاسِعِ المِيلَادِيِّ) حَدًّا مِنَ الرُّقِيِّ، صَارَتْ مَعَهُ لُغَةً أَدَبِيَّةً وَعِلْمِيَّةً عَالَمِيَّةً مُتَدَاوَلَةً فِي أَمْصَارِ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ كُلِّهَا، فَغَدَتِ اللُّغَةَ الوَحِيدَةَ لِلثَّقَافَةِ وَالعُلُومِ، الَّتِي اسْتَعمَلَهَا المُسْلِمُونَ وَالعُلَمَاءُ وَالمُؤَلِّفُونَ مِنَ الأَنْدَلُسِ إِلى آسْيَا الوُسْطَى، فَكَانَ الارْتِقَاءُ بِهَا عَمَلًا، اشْتَرَكَتْ فِيهِ النُّخَبُ الثَّقَافِيَّةُ الرَّائِدَةُ:

أَوَّلًا: عُلَمَاءُ اللُّغَةِ وَعُلَمَاءُ المَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، الَّذِينَ أَسَّسُوا عُلُومَ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ إِبَّانَ القَرْنِ التَّاسِعِ المِيلَادِيِّ فِي أَنْحَاءِ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ كَافَّةً.

وَثَانِيًا: وزرَاءُ الدَّولَةِ، الَّذِينَ ابْتَكَرُوا أُسْلُوبًا رَفِيعًا فِي كِتَابَةِ الوَثَائِقِ الرَّسْمِيَّةِ، فَكَانُوا يُعدُّونَ القَائِمِينَ الأُصَلاءِ عَلَى الثَّقَافَةِ الأَدَبِيَّةِ العِلْمِيَّةِ (الآدَاب)، فَضْلًا عَنَ المُتَرجِمِينَ مِنَ المُؤَلَّفَاتِ العِلْمِيَّةِ اليُونَانِيَّةِ إِلَى العَرَبِيَّةِ، فَأَضْحَتْ إِجَادَةُ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى غَايَةً عُلْيَا فِي التَّعْلِيمِ.

إِنَّ عِلْمَ الإِمْلَاءِ فِي العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى قَدْ نُقِّحَتْ قَوَاعِدُهُ فِي القَرْنِ التَّاسِعِ المِيلَادِيِّ؛ نَتِيجَةً لِلازْدِهَارِ المُتَنَامِي لِثَقَافَةِ التَّأْلِيفِ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، فَكَانَ الإِبْدَالُ الرَّئِيسُ هُوَ التَّهْجِئَةَ المُطَّرِدَةَ فِي وَسْطِ الكَلِمَةِ بِالأَلِفِ: < ا >، وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَتِ التَّهْجِئَةُ القَدِيمَةُ فِي كَلِمَاتٍ كَمَا هِيَ لَمْ تَتَغَيَّرْ [٣١]، فَمُنْذُ القَرْنِ الرَّابِعِ للهِجْرَةِ (العَاشِرِ المِيلَادِيِّ) وَمَا بَعْدَهُ اسْتُعمِلَتْ هَذِهِ التَّهْجِئَةُ أَيْضًا فِي مَخْطُوطَاتِ القُرآنِ.

(31) Fischer 2002: 8.

وَقَدِ أَصْبَحَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى هِيَ المُهَيْمِنَةَ جِدًّا إِلَى دَرَجَةٍ قَدْ تَقَبَّلَتْهَا مَعْهَا المُجْتَمَعَاتُ غَيرُ المُسْلِمَةِ؛ بِوَصْفِهَا لُغَةً لِلتَّعْلِيمِ، فَاسْتَهَلَّ النَّصَارَى المَلْكِيُونَ الكِتَابَةَ بِالعَرَبِيَّةِ، وَاسْتَحسَنَ السُّرْيَانُ وَاليَهُودُ فِي القَرْنِ التَّاسِعِ المِيلَادِيِّ، وَالأَقْبَاطُ فِي القَرْنِ العَاشِرِ المِيلَادِيِّ، العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى، وَلَكِنَّهُم لَمْ يُشارِكُوا فِي التَّعْلِيمِ اللُّغَوِيِّ لِلمُسْلِمِينَ؛ ذَلِكَ أَنَّهُم قَدْ تَأَثَّرُوا بِاللَّهَجَاتِ العَرَبِيَّةِ، كَمَا أَنَّ كِتَابَاتِهِم لا تَخْلُو دَوْمًا مِنَ الظَّوَاهِرِ الصَّرْفِيَّةِ، الَّتِي تَخْرُجُ عَنِ القَوَاعِدِ التَّقْلِيدِيَّةِ، فَأَظْهَرَتْ تَنَوُّعًا لُغَوِيًّا، يُسَمَّى: "عَرَبِيَّةً وُسْطَى"، (انظرْ أَيضًا: عَرَبِيَّةَ النَّصَارَى الوُسْطَى، وَعَرَبِيَّةَ اليَهُودِ).

رَابِعًا: العَرَبِيَّةُ مَا بَعْدَ الفُصْحَى.

إِنَّ لُغَةَ المُؤَلِّفِينَ قَدْ بَلَغَتْ ذُروَتَهَا فِي الأُسْلُوبِ النَّثْرِيِّ العَرَبِيِّ المَوْرُوثِ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ (الثَّامِنِ المِيْلَادِيِّ) حَتَّى القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيِّ (الحَادِي عَشَرَ المِيْلَادِيِّ)، أَوِ القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيِّ (الثَّانِي عَشَرَ المِيْلَادِيِّ)، بَحَسْبِ الرَّأْيِ التَّقْلِيدِيِّ لِلفِئَةِ المُثَقَّفَةِ فِي البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ، وَيُعَدُّ مُؤَلِّفُونَ مِثْل: الجَاحِظِ (ت. ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، وَبَدِيعِ الزَّمَانِ الهَمَذَانِيِّ (ت. ٣٩٨هـ/١٠٠٨م)، وَأَبِي حَيَّان التَّوْحِيدِيِّ (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) مِنْ أَبْرَزِ المُؤَيِّدِينَ لِلطِّرَازِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ، وَقَدْ مَثَّلَ مَا جَاءَ تَالِيًا عَصْرًا مِنَ العُصُورِ الَّتِي تَرَاجَعَتْ فِيهِ الثَّقَافَةُ الأَدَبِيَّةُ، خُصُوصًا بَعْدَ دَمَارِ بَغْدَادَ عَلَى أَيْدِي المَغُولِ فِي عَامِ (١٢٥٨م).

وَمَعَ تَفَكُّكِ الخِلَافَةِ السِّيَاسِيِّ أَخَذَتْ مَنْزِلَةُ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى بِالتَّرَاجُعِ؛ لِكَونِهَا اللُّغَةَ الوَحِيدةَ لِلمُتَعلِّمِينَ وَالمُثَقَّفِينَ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، فَقَدْ تَأَثَّرَ مَوْقِعُهَا فِي نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ لِلهِجْرِةِ (العَاشِرِ المِيْلَادِيِّ) تَقْرِيبًا؛ بِسَبَبِ إِحْيَاءِ اللُّغَةِ الفَارِسَيَّةِ؛ بِوَصْفِها لُغَةً لِلأَدَبِ تَحْتَ حُكْمِ السَّامَانِيِّينَ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهرِ (٨١٩-١٠٢٥م)، وَالغَزْنَوِيِّينَ فِي شَرْقِ إِيْرَانَ (٩٧٧-١١٨٧م)، ثُمَّ بَعْدَ الغَزْوِ المَغُولِيِّ لإِيْرَانَ فِي عَامِ (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) جَعَلَ الحُكَّامَ (الخَان) اللُّغَةَ الفَارِسِيَّةَ لُغَةً رَسْمِيَّةً لإِدَارَةِ الدَّوْلَةِ، وَتَبَنَّوا الثَّقَافَةَ الأَدَبِيَّةَ الفَارِسِيَّةَ، وَلَكِنَّ مَا يَلْفِتُ النَّظَرَ فِي هَذَا السِّيَاقِ هُوَ أَنَّ تَأْثِيرَ الأَدَبِ العَرَبِيِّ المَوْرُوثِ بَقِيَ قَوِيًّا جِدًّا إِلَى دَرَجَة أَنَّ الشُّعَرَاءَ الفَارِسِيِّينَ قَدِ اسْتَحْوَذُوا عَلَى جِهَازِهِ العَرُوضِيِّ، ثُمَّ أَصْبَحَتِ اللُّغَةُ التُّرْكِيَّةُ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ لُغَةَ الدَّوْلَةِ وَالأَدَبِ الشَّعْبِيِّ فِي الإِمْبرَاطُورِيَّةِ العُثمَانِيَّةِ.

وَفَقدَتِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى مُنْذُ القَرنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ (الثَّالِثَ عَشَرَ المِيلَادِيِّ) مَنْزِلَتَها الفَرِيدَةَ؛ باعْتِبَارِها لُغَةَ التَّعْلِيمِ الوَحِيدَةَ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ؛ وَنَظَرًا لأَنَّهَا لُغَةُ الأَدَبِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مَحْدُودَةً كَذَلِكَ فِي البُلْدَانِ الَّتِي كَانَتْ تَنطِقُ بِهَا، وَلَكِنَّها اسْتَمَرَّتْ بِالحِفَاظِ عَلَى مَنْزِلَتِها بِوَصْفِهَا لُغَةً لِلعُلُومِ الدِّينِيَّةِ فِي أَقْطَارِ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ قَاطِبَةً، وَقَدِ اسْتَمَرَّتِ الإِفَادَةُ مِنْهَا؛ لِتَكُونَ لُغَةً لِلتَّعْلِيمِ، حَيْثُ دُرِّسَتْ فِي كُلِّيَّاتِ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ كُلِّهَا، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ لَهَا تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي جَمِيعِ لُغَاتِ التَّعْلِيمِ، الَّتِي ظَهَرَتْ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ مِنْ لُغَةِ الهُوسَا فِي غَرْبِ أَفْرِيقِيا إِلى لُغَةِ البَهْاسَا الإِنْدُونيسِيَّةِ (الإِنْدُونيسِيَّةِ/ المَلَاوِيَّةِ)، لِكَونِ مَنْزِلَتِهَا مِنْ تِلَكَ اللُّغَاتِ مِثْلَ مَنْزِلَةِ اللُّغَتَينِ اللَّاتِينِيَّةِ

وَاليُونَانِيَّـةِ مِـنَ اللُّغَـاتِ الأُورُبِيَّـةِ؛ مِمَّـا أَتَـاحَ لِتِلْـكَ اللُّغَـاتِ مُصْـطَلَحَاتٍ عِلْمِيَّـةً غَزِيـرَةً، وَكَلِمَـاتٍ مُقْتَرَضَـةً عَدِيدَةً.

وَبِالرَّغْمِ مَنْ أَنَّ المَعَايِيرَ، الَّتِي وَضَعَهَا النَّحْوِيُّونَ، لَمْ يُحتجَّ عَلَيهَا مُطْلَقًا، إِلَّا أَنَّهُ لا يُمكِنُ الحَدُّ مِنَ التَّطَوُّرِ اللُّغَوِيِّ تَمَامًا، وَلَا مِنَ التَّعْبِيرَاتِ وَالأَنْمَاطِ النَّحْوِيَّةِ الجَدِيدَةِ، الَّتِي تَظْهَرُ، وَقَدْ تَنْجَحُ مِثْلُ هَذِهِ المُبْتَكَرَاتِ حِيْثُمَا لَمْ تُضْبَطِ اللُّغَةُ بِقَوَانِينَ مَخْزُونَةٍ فِي الذَّاكِرَةِ، فَلَمْ يَتَرَدَّدِ المُؤَلِّفُونَ فِي اسْتِعمَالِ مُفْرَدَاتٍ مَأْخُوذَةٍ مِنَ اللَّهَجَاتِ المَحَلِّيَّةِ(٣٢)، فَالظُّرُوفُ مِثْلُ: أَيْضًا 'also'، وَخَاصَّةً 'especially'، والصِّفَاتُ المَنْسُوبَةُ (النِّسْبَةُ) المُنْتَهِيةُ بـ" انيّ "، مِثْلُ: جِسْمَانِيّ 'bodily'، ورَوْحَانِيّ 'spiritual'، هِيَ ابْتِكَارَاتٌ مُمَيِّزَةٌ لِهَذِهِ الحَقبَةِ الزَّمَنِيَّةِ، وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلَى التَّرَاكِيبِ النَّحْوِيَّةِ هِيَ " كون "، الَّتِي تَرْبِطُ الجُمَلَ الإسمِيَّةَ(٣٣)، وَالرَّبْطُ بِرابَطَاتٍ، مِثْل: عِنْدَما 'when'، وَفِيمَا 'while'، وَبِمُجَرَّدِ مَا 'as soon as'، وَلَعَلَّ البَحْثَ فِي مَيْدَانِ النَّحْوِ لِلعَرَبِيَّةِ مَا بَعْدَ الفُصْحَى مَحْدُودٌ لِلغَايَةِ؛ لِذَلِكَ مِنْ غَيرِ المُمكِنِ إِسْدَاءُ حَقَائِقَ دَقِيقَةٍ عَنْ تَارِيخِهَا فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ.

خَامِسًا: العَرَبِيَّةُ النَّمُوذَجِيَّةُ الحَدِيثَةُ.

إِنَّ العَصْرَ الحَدِيثَ، الَّذِي شَهِدَتْهُ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى، لَمْ تَكُنْ فِيهِ لُغَةً لِلفِئَاتِ المُتَعَلِّمَةِ فِي الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ فَحَسبْ، وَلَكِنَّهَا أَيْضًا، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، هِيَ اللُّغَةُ الرَّسْمِيَّةُ المَكْتُوبَةُ فِي تِلْكَ الدُّوَلِ، وَهِيَ وَظِيفَةٌ تَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَ اللُّغَةِ العِبْرِيَّـةِ، فَالعَرَبِيَّةُ النَّمُوذَجِيَّةُ الحَدِيثَـةُ هِـيَ الاسْتِمرَارُ المُطَّرِدُ وَالصِّيغَةُ المُعَاصِرَةُ لِلعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، وَقَدْ سَعَتْ حَرَكَةُ النَّهْضَـةِ الأَدَبِيَّةِ فِي القَرْنِ التَّاسِـعَ عَشَرَ (النَّهْضَـة) إِلى الارتِقَاءِ بِالمَعَايِيرِ اللُّغَوِيَّةِ مِنْ خِلَالِ مُتَابَعَةِ النَّمَاذِجِ فِي المَرْحَلَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَلكِنَّهُ بِشَكْلٍ عَامٍّ اتَّبَعَتِ العَرَبِيَّةُ النَّمُوذَجِيَّةُ الحَدِيثَةُ خَصَائِصَ لُغَةِ مَا بَعْدَ الفُصْحَى، كَمَا أَظْهَرَ ذَلِكَ بَلاو (Blau) فِي (العَرَبِيَّةِ النَّمُوذَجِيَّةِ الحَدِيثَةِ)(٣٤).

مَسْرَدُ النَّصِّ المُترجَم

_ المصادر الأساسيَّة.

- ابن السَّرَّاج، أبو بكر محمَّد بن سهل، الأُصول في النَّحو، تح. عبد الحسين الفتليّ، بغداد، ١٩٨٧م.

_ المصادر الثَّانويَّة.

- Abbott, Nabia. 1938. The rise of the North Arabic script and its Kur'anic development with a full description of the Kur'an manuscripts in the Oriental Institute. Chicago: Oriental Institute.
- Ambros, Arne A. 1993. "Haplologie und Assimilation to im V. und VI. Verbstamm im Koran". Zeitschrift für Arabische Linguistik 25.1-16.
- Bergstrasser, Gotthelf and Otto Pretzl. 1961. Ge schichte des Qorins von Theodor Nöldeke. III. Die the Geschichte des Korantexts. 2nd ed. Hildesheim: G. Olms.

(32) Fück 1950:108-114.

(33) Diem 1995.

(34) Blau 1973.

- Birkeland, Harris, 1940. Altarabische Pausalformen. Oslo: Norske Videnskaps-Akademi. Blau, Joshua. 1973. "Remarks on some syntactic in- trends in Modern Standard Arabic". Israel Oriental Studies 3.172-231.
- Bloch, Alfred. 1946. Vers und Sprache im Altarabi schen: Metrische und syntaktische Untersuch ungen. Basel: Verlag für Recht und Gesellschaft.
- Bloch, Ariel. 1967. "The vowels of the imperfect pre formatives in the old dialects of Arabic". Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 117.12-19. .
- Corriente, Federico C. 1971. "On the functional yield of some synthetic devices in Arabic and Semitic morphology" Jewish Quarterly Review 62.20-50.

  ____1976. "From Old Arabic to Classical Arabic through the Pre-Islamic koine: Notes on the native grammarians sources, attitudes and goals". Journal of Semitic Studies 21.62-98.
- Diem, Werner. 1979. "Untersuchungen zur frühen Geschichte der arabischen Orthographie. 1. Die Schreibung der Vokale". Orientalia 48.207-257.

  _____1980. "Untersuchungen zur frühen Geschichte der arabischen Orthographie. II. Die Schreibung der Konsonanten". Orientalia 49.67-106.

  _____1981. "Untersuchungen zur frühen Geschichte der arabischen Orthographie. III. Endungen und Endschreibungen". Orientalia 50.332-383.

  _____1983. "Untersuchungen zur frühen Geschichte der arabischen Orthographie. IV. Die Schreibung. der zusammenhängenden Rede. Zusammenfas sung" Orientalia 2.357-404.

  _____1995. "kaunahu rasulan 'weil er Bote ist' und ed Verwandtes: Ein Beitrag zur Syntax des nachklassi schen Arabisch". Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 145-47-108.
- Endress, Gerhard. 1992, "Die wissenschaftliche Lite mn ratur". Grundriss der arabischen Philologie. III.
- Supplement, ed. Wolfdietrich Fischer, 1-152. Wiesbaden: L. Reichert.
- Fischer, Wolfdietrich. 1972. "Die Perioden des Klassi schen Arabisch". Abr-Nahrain 12.15-18.

  _____1992. "Orthographie in ihrem Verhältnis zu Phonologie und Morphologie im Klassischen Arazbisch", Jerusalem Studies in Arabic and Islam 15.134-144.

  _____2002. A grammar of Classical Arabic. New Haven and London: Yale University Press.
- Fück, Johann. 1950. Arabiya: Untersuchungen zur arabischen Sprach- und Stilgeschichte. Berlin: Akademie-Verlag.
- Hopkins, Simon. 1984. Studies in the grammar of early Arabic based upon papyri datable to before A.H. 300/A.D. 912. London: Oxford University Press.
- Kofler, Hans 1940-1942. "Reste altarabischer Dialekte". Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes 47.61-130, 232-262; 48.52-88, 247-274 49-15-30, 234-256.
- Nöldeke, Theodor. 1904. "Das klassische Arabisch und die arabischen Dialekte". Theodor Nöldeke, Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, 1-14. Strassburg: K.J. Trübner.
- Pre-Classical Arabic. II (1) Classical Arabic". Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., 1, 564-567. Leiden: E.J. Brill.
- Spitaler, Anton. 1960. "Die Schreibung des Typus i im Koran". Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes 56.212-226.
- Ullmann, Manfred. 1984. "Vorklassisches Arabisch". Studi in onore di Francesco Gabrieli, I, ed. Renato Traini, 807-818. Rome: University of Rome.
- Versteegh, Kees. 1997. The Arabic language. Edinburgh: Edinburgh University Press. (2nd. ed. 2001.).
- Vollers, Karl. 1906. Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien. Strassburg: K.J. Trübner.

مدرسة فرانكفورت (النشأة وسمات النظرية النقدية)

الدكتورة أيسر عبد الرحمن محمد
قسم الفلسفة/ كلية العلوم الاسلامية/ جامعة بغداد

الملخص:

هذه البحث بعنوان مدرسة فرانكفورت (النشأة وسمات النظرية النقدية)، ويمكن التمييز بين ثلاثة أجيال في هذه المدرسة. الجيل الأول أو جيل الريادة ويبدأ من ثلاثينيات القرن الماضي وحتى أواخر السبعينيات، وهي الفترة التي ظهر فيها ماكس هوركهايمر، وفريدريك بولوك، وفرانز نيومان، ثم والتر بنيامين، وثيودور أدورنو، وهربرت ماركوز، وإريك فروم. ثم الجيل الثاني، جيل التجديد، ويبدأ من بداية السبعينيات، وهي الفترة التي برز فيها يورجين هابرماس، وألفريد شميدت، وكلاوس أوفي، وألبرت فيلمر.

أما اليوم، في القرن الحادي والعشرين، فيمثل الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت الفيلسوف والسوسيولوجي أكسل هونيث، مدير معهد الدراسات الاجتماعية بفرانكفورت، والفيلسوفة الامريكية نانسي فريزر.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين: المبحث الأول يتناول نشأة المدرسة وأجيالها الثلاثة، والمبحث الثاني تناول سمات النظرية النقدية لهذه المدرسة.

Frankfurt School (Emergence and Features of Critical Theory)

Dr. Aysar Abdul Rahman Muhammad
College of Islamic Sciences / University of Baghdad

Abstract

This research entitled " Frankfurt School (Emergence and Features of Critical Theory)", where one can distinguish between three generations of this school. The first generation or the pioneering generation starts from the thirties until the late seventies of the last century, a period which witnessed the emergence of Max Horkheimer, Frederick Pollock, Franz Neumann, followed by Walter Benjamin,

Theodor Adorno, Herbert Marcuse, and Erich Fromm. Then the second generation, the renovating generation, which started from the beginning of the seventies and witnessed the emergence of Juergen Habermas, Alfred Schmidt, Klaus Uwe and Albert Filmer.

As for now, in the twenty-first century, the third generation of the Frankfurt School is represented by the philosopher and sociologist Axel Honneth, Director of the Institute of Social Studies in Frankfurt and the American philosopher Nancy Fraser.

The research is divided into two sections: the first one deals with the origins of the school and its three generations, and the second sdeals with the characteristics of the critical theory of this school.

المقدمة:

لقد اختلفت الآراء وتباينت وجهات النظر بشأن فلاسفة مدرسة فرانكفورت، هذه المدرسة التي تعددت مناهجها وانتماءاتها وجذورها الفلسفية والثقافية، ولمعرفة بدايات نشأة هذه المدرسة والإطار التاريخي والفلسفي الذي ظهرت فيه واشكالية التسمية تناولت في المبحث الأول من هذا البحث نشأة مدرسة فرانكفورت والمراحل التي مرَّت بها ابتداءً من مبادرة من فليكس فايل F. Weil، لتأسيس معهد الأبحاث الاجتماعية مروراً بمرحلة هوركهايمر وتبلور النظرية النقدية انتهاء بهابرماس الذي دافع عن الحداثة بوصفها مشروعاً غير مكتمل.

وفي المبحث الثاني توقفت عند سمات النظرية النقدية لهذه المدرسة، مادامت الغاية الأساسية التي تدور بشأنها النظرية النقدية تكمن في تجنب وقوع الإنسان تحت تأثير الأفكار الجاهزة والسلوكيات تفرضها أو تقترحها عليه مؤسسات ذات أهداف مختلفة. فعلى الإنسان أن يتعلم أن ما يقوم به يومياً هو ثمرة أفعاله ذاتها. وعدم تقبل الأفكار المهيمنة وصيغ السلوك الجاهزة والعلاقات الاجتماعية التي تخدم مصالح المؤسسات الرأسمالية الكبرى والبيروقراطية الشيوعية، لذا ركزت النظرية النقدية على نقد الواقع الفكري والثقافي والسياسي في عدة مجالات منها التنوير ونقدهم للعقلانية الأداتية التي هي من افرازات العقل التنويري الرأسمالي الذي استهدف السيطرة على الإنسان كما الطبيعة، ونقد الفلسفة الوضعية، ونقد التشيؤ والاغتراب فالبشر في المجتمعات الصناعية المتقدمة، بشقيها الرأسمالي والاشتراكي مغتربون عن ماهياتهم وإمكاناتهم، وتأثير الاغتراب والتشيؤ السلبي في المجال الجمالي،

إذ يعد هذا المجال أبرز مثال على التراجع الذي أصاب التنوير وقيمه الأساسية، حتى انحط العمل الفني بسبب الصناعة الثقافية وأجهزتها الإنتاجية والإعلامية في ظل السيطرة الكلية التي تعيشها، لذلك انتقدوا صناعة الثقافة ووقفوا بالضد من أهداف هذه الثقافة الدعائية السائدة.

ـ المبحث الأول: نشأة مدرسة فرانكفورت

لقد اختلفت الآراء وتباينت وجهات النظر بشأن هذه المدرسة، فهي عند "مارتن جاي M. Jay(*) تحولت من نادي ماركس قبل هجرتها من ألمانيا إلى نادي ماكس بعد عودتها إلى فرانكفورت، وحيث هناك في المهجر، فُقد الحرف (R) الذي تبدأ به كلمة (الثورة) (Revolution)، ولدى جان ماري فانسان J.M. Vincent تمثل مواصلة للتقليد العظيم للفلسفة الألمانية، ونقداً صارماً للثقافة البورجوازية. أما الباحث الأمريكي ترنت شروي T. Schroyer، فيرى أن النتيجة التي انتهت إليها هذه المدرسة تبدو متناقضة مع بداياتها، وهو ما يعد قريباً مما يذكره عالم الاجتماع الإنجليزي توم بوتومور T. Bottomore حين ذكر أنها تمثل ظاهرة مركبة، جرى شرح وتفسير نمط الفكر الاجتماعي الذي ارتبط بها بطرق شتى، فيما يراها جان جراندان J. Grandin آخر معقل مع الفن لعالم إنساني، يكتفي برسم أسود للتشيؤ الغربي"(١).

ومهما اختلفت الآراء فإن منشأ هذه المدرسة يعود إلى مبادرة من فليكس فايل F. Weil، ابن تاجر حنطة جمع ثروة في الأرجنتين. نظم فايل، وهو دكتور في العلوم السياسية، أسبوع أعمال الماركسية الأول First marxist work week، في ايلمونو في تورينغ في صيف ١٩٢٢، وكان من بين المشاركين جورج لوكاتش وكارل كورش (١٨٨٦-١٩٦١) وفردريك بولوك وكارل فيتفوجيل وآخرون، وكُرِّس الجانب الأكبر من أعماله لمناقشة كتاب كورش الوشيك الصدور وقتها (الماركسية والفلسفة) Marxism and philosophy وولدت هناك إقامة فكرة مؤسسة دائمة على شكل معهد مستقل للأبحاث، وهكذا أنشئ رسمياً معهد الأبحاث الاجتماعية (الذي كان يجب أن يسمّى معهد الماركسية ثم معهد فليكس فايل للبحث الاجتماعي) الذي تمَّ بقرار من وزارة التعليم في ٣ شباط (فبراير) ١٩٢٣(٢). تحول فايل عن تسمية المعهد بـ (معهد

(*) أحد الباحثين في تراث مدرسة فرانكفورت ونظريتها النقدية.

(١) محمد حافظ دياب: مدرسة فرانكفورت (جدلية الوحدة والتنوع)، مجلة المنار، العدد ٦٠، كانون الأول ١٩٨٩، ص١٥٤.

(٢) ينظر: بول – لوران آسون: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط (٢)، ٢٠٠٥، ص٧-٨. وتوم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار

الأبحاث الماركسية) تجنباً للمشكلات والعقبات السياسية التي يُمكن أن تُثار، ورفض أن تكون التسمية (معهد فليكس فايل للبحث الاجتماعي)، إذ لم يكن هدفه تأسيس معهد يحمل اسمه[٣]، مما يدلُّ على أنه كان يهتم بالجانب العلمي والثقافي ولا يستغل نفوذه وإمكانياته المالية للدعاية وتحقيق مصالح بخاصة.

وقبل التكوين الرسمي للمعهد، رأس كيرت جيرلاخ هذا التجمع الفكري، لكنه توفي قبل افتتاحه بقليل، فاختير لإدارته كارل جرونبرج ما بين عامي١٩٢٣-١٩٢٩، الذي كرّس أبحاث المعهد بأطروحات الماركسية الأورثوذكسية[*] وبأنشطة الحركة العمالية الأوربية وتميزت هذه المرحلة بسمة ماركسية واضحة.

وعندما جاوز البروفسير جرونبرج الستين من عمره وساءت حالته الصحية قرر التنازل عن منصبه وبذلك وجد المعهد نفسه من جديد يواجه مشكلة اختيار رئيس له، وقد عُرض المنصب على بولوك، لكنه اعتذر مفضلاً أن يكون مسؤولا عن القضايا الإدارية للمعهد. أما فليكس فايل فقد آثر أن يبقى عمله مقتصراً على التمويل والميزانية المالية للمعهد، وفي هذه الحالة لم يبقَ سوى ماكس هوركهايمر (١٨٩٥-١٩٧٣) لشغل هذا المنصب، علماً أنه كانت هناك بعض الخلافات الفكرية بين جرونبرج وهوركهايمر وعليه تبلور محور خاص بالأخير داخل المعهد أخذ يتوسع تدريجياً، وأنضم إليه الباحثون الجدد بخاصة ثيودور أدورنو وليولوينثال[٤].

وفي يناير ١٩٣١ تسلم هوركهايمر رئاسة المعهد وقد شاء أن ينفتح المعهد في عهده على آفاق معرفية أخرى كالفرويدية والظاهراتية، فضلاً عن مزيد من الاهتمام بالجوانب الثقافية والأيديولوجية، اتساقاً مع التغييرات الاجتماعية التي أحاطت بألمانيا وأوربا في تلك

أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس - ليبيا، توزيع دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، ط (٢)، ٢٠٠٤، ص٣٧.

(3) Martin Jay: The Dialectical Imagination (a history of the Frankrurt school and the institute of social research (1923-1950), Heinemann educational book, London, 1973, p. 8.

(*) المقصود بالأورثوذكسية ليس المذهب المعروف في المسيحية، وإنما يعني العقلية المغلقة أو المتعصبة. وكلمة (orthodoxie) تعني في الأصل الخط المستقيم أي الصحيح، فأتباع الأورثوذكسية يعتقدون أنهم على الخط الصحيح وجميع الآخرين في طريق الضلال. ينظر: هاشم صالح: الليبرالية وأشكالها في الفكر الأوربي المعاصر، مجلة المنار، العدد ٦٠، كانون الأول١٩٨٩ ، ص٦٥.

(٤) ينظر: حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط (١)، ١٩٩٣، ص١٠٣-١٠٤.

المدة[٥]. فهو بالرغم من إقراره النظري بأن مشروع المعهد هو المادية التاريخية، إلا أنه جعل من الفلسفة الموضوع الرئيس للنظرية الاجتماعية النقدية[٦].

وكان أبرز من إنضم إلى المعهد في هذه المدة هو إريك فروم (١٩٠٠–١٨٠٠) الذي بدأ مشروعه الفكري بالمزاوجة بين أفكار كارل ماركس وسيغموند فرويد، مما أسهم في التقاء توجهاته الفكرية مع توجهات المعهد، ولكن لم يستمر فروم مع المعهد طويلاً، فقد كتب آخر مقال له عام ١٩٣٧ لمجلة المعهد واستقل عنه عام١٩٣٨ [٧].

وكان من أخطر هذه المتغيرات الداخلية صعود الحزب النازي إلى الحكم بزعامة هتلر، والاضطهاد العنصري لليهود مع القمع التوتاليتاري[*] ضد اليسار الذي أدى إلى إغلاق المعهد ومصادرة مكتبته فاضطر أعضاؤه، ومعظمهم من اليهود، للرحيل قسرا إلى أنحاء أخرى من أوربا وانشاء فرع له في جنيف باسم (المؤسسة العالمية للبحث الاجتماعي)، وكونوا إدارة جماعية له، وفتحوا فرعين في باريس ولندن، بيد أن الفرع اللندني أغلق أبوابه سنة١٩٣٦، ولم تفلح الجهود في نقل المعهد إلى تلك العواصم. إلا أن جهود مندوب المعهد جوليان غومبيرز لنقله إلى الولايات المتحد الأمريكية تكللت بالنجاح بعد موافقة الإدارة الأمريكية على استضافته على أراضيها، إثر الدعم المالي الذي واصل فليكس فايل تقديمه للمعهد على الرغم من أزمة السوق الاقتصادية العالمية آنذاك. وافتتح المعهد في نيويورك باسم (المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي في نيويورك سيتي)، ليستقر لاحقاً في الحرم الجامعي لجامعة كولومبيا، ثم ما لبثوا أن انتقلوا إلى لونس أنجلوس سنة ١٩٤١ [٨].

---

[٥] ينظر: محمد حافظ دياب: مدرسة فرانكفورت (جدلية الوحدة والتنوع)، مجلة المنار، العدد ٦٠، كانون الأول ١٩٨٩ ص١٥٧.

[٦] ينظر: حسن محمد حسن: المصدر السابق ، ص١٠٤.

[٧] ينظر: بول – لوران آسون: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط (٢)، ٢٠٠٥، ص ٢٢.

[*] الشمولية أو نظام المجتمع المغلق هي طريقة حكم ونظام سياسي يمسك فيه حزب واحد بكامل السلطة، ولا يسمح بأية معارضة فارضاً جمع المواطنين وتكتيلهم في كتلة واحدة. وبعبارة أخرى فإن الشمولية أو نظام المجتمع المغلق هو مصطلح يشير إلى نظام سياسي تكون فيه الدولة تحت سلطة فرد أو فئة أو فصيل واحد ودون أن تعرف الدولة حدوداً لسلطاتها وأن تسعى بكل جد لتنظيم كل مظاهر الحياة العامة والخاصة ما أمكنها ذلك.

[٨] ينظر : ستريناتي: مدرسة فرانكفورت وصناعة الثقافة، ضمن كتاب من الحداثة إلى ما بعد الحداثة (دراسات نقدية)، اختيار وترجمة سهيل نجم، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ص٧. وحسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–

بقي المعهد في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن عاد إلى موقعه الأصلي في فرانكفورت سنة١٩٥١، حيث عُرف للمرة الأولى باسم (مدرسة فرانكفورت)[٩].

وعند عودة أدورنو وهوركهايمر إلى فرانكفورت، بقي هربرت ماركوز في الولايات المتحدة، وتضافرت الجهود لإعادة هيكلة المعهد إذ تولى هوركهايمر الإدارة حتى سنة١٩٥٨ ثم تقاعد ليتولى أدورنو الإدارة للفترة (١٩٥٩- ١٩٦٩) وبعد وفاته عاد هوركهايمر إلى إدارته حتى وفاته سنة ١٩٧٣ [١٠].

أما يورغن هابرماس (١٩٢٩) الذي يمثل الجيل الثاني لهذه المدرسة، وعلى الرغم من أنه لم يكن من المؤسسين ألا إنه كان في فرانكفورت مساعداً لأدورنو منذ عام ١٩٥٦ [١١]. حاول هابرماس إعادة الثقة في مشروع الحداثة التنويري، بوصفه مشروعاً لم يكتمل بعد، فعلى الرغم من الآثار السلبية للحداثة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلا أنَّها أدت إلى أن يشمل العقل عدة مجالات، مثل إرساء قيم المساواة بين الأفراد واحترام القيم الأخلاقية المختلفة واحترام القانون وصولاً إلى بلورة أنظمة ديمقراطية وقوانين ودساتير... لذلك لا يوافق هابرماس تيار ما بعد الحداثة على الازدراء الذي يكنوه لمشروع الحداثة واستخفافهم بالعقل[١٢]؛ لذا عمل هابرماس على تجديد النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ضمن ما يسميه نظرية الفعل التواصلي[١٣].

أما اليوم أهم من يمثل الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت هي الفيلسوفة الأمريكيّة نانسي فريزر في ١٩٤٧ التي ينصبُّ اهتمامها أساسًا على محاولة تجديد أطروحات النظرية النقدية، من خلال مراجعة مواقف الجيل الأول والثاني من أجيال مدرسة فرانكفورت، كما تركزت أهتماماتها على الجوانب الاقتصادية والثقافية والسياسية والنسوية. والفيلسوف والسوسيولوجي الألماني أكسل هونيث (١٩٤٩) مدير معهد الدراسات الاجتماعية بفرانكفورت، نجده يميز في

بيروت، ط (١)،٢٠٠٥ ، ص٣٣. ومحمد حافظ دياب: درس فرانكفورت، مقدمة الطبعة العربية لكتاب مدرسة فرانكفورت لتوم بوتومور، ص١٨.

(9) Martin Jay: The Dialectical Imagination, p. 16.

(١٠) ينظر: حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، ط (١)، ٢٠٠٥، ص٦١.

(١١) ينظر: بول – لوران آسون: مدرسة فرانكفورت، ص٢٣ – ٢٤.

(١٢) حسن الموصدق: أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر، مجلة الفكر العربي المعاصر، السنة الخامسة والعشرون، مركز الإنماء القومي، بيروت –باريس، صيف –خريف،٢٠٠٤ ، ص ٩١.

(١٣) كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، منشورات الاختلاف-الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت، ط (١)، ٢٠١٠ ص١١٧-١١٨.

الجيل الأول من المدرسة بين ما يسميه بالحلقة الداخلية التي تضم الفلاسفة المركزيين ولاسيما هوركهايمر وأدورنو وماركوز والحلقة الخارجية التي تضم كل من فالتر بنيامين وإريك فروم(١٤).
إن براديغم الاعتراف الذي قدمه هونيث ركز من خلاله على البحث عن مشاكل المجتمع من خلال الواقع، وحاول أن يدرس جملة من أشكال الظلم الاجتماعي، الناشئة من عدم الاعتراف، وقدم لنا الفيلسوف ثلاث أشكال أساسية تشكل الاعتراف هي (الحب، القانون، التضامن).

ـ سمات النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت:

لقد أطلق فريق هوركهايمر على أنفسهم اسم (النظرية النقدية للمجتمع)، وتم عرض طبيعة هذه النظرية بوضوح أكثر عندما نشر هوركهايمر سنة١٩٣٧ مقاله التأسيسي (النظرية التقليدية والنظرية النقدية)(١٥) الذي عرض فيه مفهوم النقد الذي يجب أن ينصب على المجتمعات الغربية المعاصرة وعلى إبراز وتحليل التناقضات الأساسية التي تعرفها هذه المجتمعات، وهذا قصد الكشف عن أسس وآليات السيطرة التي أصبحت تتحكم في الأفراد والجماعات، ويوضح هوركهايمر أنَّ كلمة (النقدية) مقصودة هنا ليس بمعنى المفهوم في النقد المثالي للعقل، بقدر ما هي بالمعنى المفهوم في النقد الجدلي للاقتصاد السياسي(١٦). الأمر الذي دفع ماركوز إلى القول: "إنَّ النظرية النقدية هي نظرية اجتماعية تزعم تحليل المجتمعات القائمة في ضوء وظائفها وإمكاناتها، وتحدد الاتجاهات الممكنة التي تستطيع أن تؤدي إلى ما وراء الوضع الراهن للأمور"(١٧).

وفي العام نفسه نشر ماركوز مقاله المشترك مع هوركهايمر تحت عنوان (الفلسفة والنظرية النقدية) الذي أعيد نشره سنة ١٩٤١ ضمن مقالات أخرى كتبها في مُدد مختلفة تحت عنوان شامل هو (السلب) أو (مقالات في النظرية النقدية)، وقد شرح ماركوز النظرية النقدية على "أنها النظرية الاجتماعية القائمة على الفلسفة الجدلية ونقد الاقتصاد السياسي"(١٨)

---

(١٤) ينظر: أكسل هونيث: الإرث الفكري للنظرية النقدية، ضمن كتاب كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، ص١٣٩.

(١٥) ينظر: فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت (نشأتها ومغزاها)، ترجمة خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط (٢)، ٢٠٠٤،ص ٥٧.

(١٦) ينظر: ماكس هوركهايمر: النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة مصطفى الناوي، عيون المقالات للنشر، ط (١)، ١٩٩٠، ص٧٥ – ٧٧.

(١٧) كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، ص٦٥. وكذلك فيل سليتر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(١٨) حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، ص١٠٨.

ويقـول مـاركوز "إنَّ النظريـة النقديـة هـي نظريـة نقديـة لنفسـها وللقـوى الاجتماعيـة التـي تشكل أساسها. والعنصر الفلسفي في النظرية هو شكل من الاحتجاج ضد النزعة الاقتصادية الجديدة التي قد تعزل الصراع الاقتصادي وتفصل المجال الاقتصادي عن المجال السياسي"[١٩] ويؤكد ماركوز اهتمام النظرية النقدية بالإنسان إذ يقول "إنَّ اهتمام النظرية النقدية بالإنسان بتحرير البشرية إنما يربطها ببعض الحقائق القديمة. فهي مع الفلسفة في تمسكها يمكن أن يكون أكثر من مجرد ذات عاملة في عملية الإنتاج في المجتمع الصناعي"[٢٠].

لقد ركزت النظرية النقدية على نقد الواقع الفكري والثقافي والسياسي في عدة مجالات منها:

١- نقد التنوير نقد العقل الأداتي:

قام فلاسفة النظرية النقدية بنقد جذري لمشروع التنوير وهذا ما يبدو جلياً في كتاب (جدل التنوير) الذي اشترك في تأليفه كلٌ من ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو، فعصر التنوير يمثل بداية تأسيس للحداثة الغربية.

ومن الناحية التاريخية والفكرية يعد القرنان السابع عشر والثامن عشر بمثابة عصر التنوير. وأفضل تعريف للتنوير نجده عند إيمانويل كانت (١٧٢٤- ١٨٠٤) إذ يقول: "إنَّ التنوير هو خروج الإنسان من حالة القصور التي يبقى هو المسؤول عن وجوده فيها. والقصور هو حالة العجز عن استعمال الفكر عند الإنسان خارج قيادة الأخرين. والإنسان القاصر مسؤول عن قصوره لأن العلة في ذلك ليست في غياب الفكر، وإنما في انعدام القدرة على اتخاذ القرار وفقدان الشجاعة على ممارسته، دون قيادة الآخرين. لتكن تلك الشجاعة على استعمال فكرك بنفسك: ذلك هو شعار عصر التنوير"[٢١] إذاً التنوير هو الخروج من حالة العجز والاعتماد على الذات الواعية وعدم القبول بالوصاية.

وبعد حين (وفي القرن العشرين) تبين أنَّ المشروع التنويري أصبح أبعد عن تحقيق المبادئ والقيم التي قام عليها، وأنَّ هذا المشروع لم يعد قادراً على تحرير الإنسان من أشكال السيطرة المتعددة التي تهدد وجوده ولاسيما في ظل الأنظمة السياسية والاقتصادية الشمولية، لقد تم ذلك عندما تحوّل العقل إلى أداة للسيطرة على الطبيعة ثم على الإنسان، والمقصود هنا بالعقل

---

[١٩] هربرت ماركوز: فلسفة النفي دراسات في النظرية النقدية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار الآداب، بيروت، ط (١)،١٩٧١، ص١٦٨.

[٢٠] المصدر نفسه: ص١٦٤.

[٢١] إيمانويل كانط: ما هو عصر التنوير؟، ترجمة يوسف الصدّيق، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، كانط والحداثة، العدد٣٨ -٣٩ ، مطبعة تونس، قرطاج، ٢٠٠٤- ٢٠٠٥، ص٦٠.

هو العقل الأداتي أو التقني القائم على القياس والتكميم والفاعلية الموجه نحو ما هو عملي وتطبيقي ونفعي، وهذا ما يوضحه مارتن جاي Martin Jay عندما يقول: "لقد نتج عن فكرة السيطرة على الطبيعة التي تبلورت في فلسفة التنوير تأثير سلبي للغاية على العلاقات بين البشر"(٢٢) وإلى مثل ذلك ذهب هابرماس قائلاً: "وهكذا فإنَّ البشرية، وهي تدأب على الابتعاد عن الأصول بسيرورة الأنوار على صعيد التاريخ الكلي. لم تتحرر من التكرار الانفعالي للأسطورة. إنَّ العالم الحديث المعقلن بشكل كامل لم يتخلص مع ذلك من السحر الذي يحمل لعنة التشييء الشيطاني"(٢٣).

ويذهب هوركهايمر في كتابه (أفول العقل) إلى أنَّ العقل الأداتي هو العقل المهيمن في المجتمعات الرأسمالية الحديثة التي فقد فيها العقل دوره كملكة فكرية وقُلِّص إلى مجرد أداة لتحقيق أهداف معينة، وبالتدريج فقد العقل رؤيته للهدف وأصبح مجرد أداة لتوفير الوسائل، مما أدى إلى فقدانه القدرة على إدراك الحقائق في ذاتها(٢٤)، وتحول العلم والايديولوجيا والفلسفة إلى أدوات في خدمة السيطرة التي هي بمعنى من المعاني جوهر المجتمع الذي نشأ عنه هذا الاستعمال للعقل؛ والأصح أدخلت العقل دائرة الأسطرة مع العلم والدولة والطبيعة.

إن المجتمعات المتقدمة صناعياً وتكنولوجياً تأسست على المشروع التنويري الذي قام على تحرير الإنسان من التعصب والخوف والسلطة المطلقة وتحرير العالم لصالح المعرفة العلمية(٢٥)، كما وجد هوركهايمر وأدورنو في التنوير "تعبير عن فكرة التقدم، وهدفه تحرير الإنسان من الخوف وجعله سيداً. أما الأرض التي تنورت كلياً، فتشع بشكل يوحي بالانتصار وأن برنامجه يهدف إلى فك السحر عن العالم. لقد أراد التحرر من الأساطير وأن يحمل للمخيلة سند العلم"(٢٦). لكن مثل هذا الهدف لم يتحقق. تلك هي أزمة السؤال التنويري للعقل الأداتي. فالمشروع التنويري آمنَ وتحمسَ للعقلانية والحرية والتقدم الإنساني بهدف تحرير الإنسان (الغربي) بواسطة هذه القيم وتحسين ظروف حياته إلى الأفضل، إلا أن هذا المشروع قد

---

(22) Martin Jay: Dialectical Imagination p, 298.

(٢٣) ينظر: يورغن هبرماس: القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥، ص١٧٧. وأهم هذه المؤلفات هي كتاب (جدل التنوير) لهوركهايمر وأدورنو في عام ١٩٤٤ وكتاب هوركهايمر (أفول العقل) عام ١٩٤٧، وكتاب ماركوز (الانسان ذو البعد الواحد) ١٩٦٤،

(24) Maxs. Hokheimer: The Eclipse of Reason, New York, Continun, 1974, p. 7.

(٢٥) ينظر: كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، ص ٦٦.

(٢٦) ماكس هوركهايمر، ثيودور ف. أدورنو: جدل التنوير، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية – طرابلس،٢٠٠٦ ، ص٢٣.

تراجع وفشل تاريخياً بحسب فلاسفة النظرية النقدية ، ولاسيما حينما ارتبط بفكرة السيطرة على الطبيعة والإنسان. مع علمنا أن العقلانية، ومنذ عصر التنوير، قد تضمنت الطبيعة موضوعاً للسيطرة والتحكم فيها واستغلالها وأخذت طابعاً استعمالياً وأداتياً، وارتبطت بالقوة والسلطة المعرفية وأصبحت غايتها الأساسية تحقيق السيطرة على الطبيعة، أما الإنسان فقد أصبح بدوره موضوعاً للسيطرة بعده جزءاً من الطبيعة أو ظاهرة من ظواهرها يخضع بدوره للتقنين والتنظيم والتوجيه[٢٧].

إنَّ خيبة الأمل التي استشعرها فلاسفة النظرية النقدية ناشئة عن تحول المعرفة إلى أداة للسيطرة بدلاً من أن تكون أداة للتحرر وهذا ما يؤكده هوركهايمر في كتابه (بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية) بقوله: "لكن هذا المجتمع لا يعتمد على الطبيعة بالمعنى الضيق، وعلى ابتكار وسائل جديدة للإنتاج واختراع الآلات وبلوغ مستوى صحي معين فحسب، إنه يقوم على سيطرة بعض الناس على أناس آخرين. وعلى مجمل الوسائل التي تؤدي إلى هذه السيطرة، وإلى الإجراءات التي تستعمل للمحافظة على هذه السيطرة، هي ما ندعوه السياسية"[٢٨] وهذا ما يجعلنا نقول بأنَّ السيطرة أصبحت تعتمد العقلانية وتحديداً العقلانية الأداتية.

ومن هنا تأتي أهمية العمل الفلسفي الذي أنجزه يورغن هابرماس (وإن كانت لديه اختلافات مع مواقف أقطاب الجيل الأول من المدرسة) فهو يميز بين مستويين من العقلانية الأولى أداتية تستند إلى معرفة تجريبية ورياضية وتخضع للقواعد التقنية التي تهدف إلى السيطرة والتحكم، والثانية عقلانية تواصلية Communicotional Reason وهو المشروع الفلسفي لهابرماس الذي ينبني على أساس أنَّ الفلسفة يجب أن تكون اجتماعية أو لا تكون، أي التأكيد على الاقتران الوثيق بين النظرية والتطبيق والارتباط بين المعرفة والمصلحة في إطار تصور جديد للفلسفة النقدية[٢٩].

لهذا السبب وجدنا هابرماس في مقالته (الحداثة مشروع لم يكتمل) وفي كتابه (القول الفلسفي للحداثة)، يلقي بشبكته النقدية الواسعة والدقيقة لكي يحدد خطوط التصدع الفكرية التي أنتجت النظرة ما بعد الحداثية إلى الأشياء.

---

(٢٧) ينظر: كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، ص ٦٦– ٦٨.

(٢٨) ماكس هوركهايمر: بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، ترجمة محمد علي اليوسفي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٣.

(٢٩) عبد السلام حيدوري: الفضاء العمومي ومطلب حقوق الإنسان هابرماس نموذجاً، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط (١)،٢٠٠٩ ، ص٣٥.

٣ـ نقد الفلسفة الوضعية:

قبل التطرق إلى النقد الذي وجهه فلاسفة النظرية النقدية إلى الفلسفة الوضعية، لابد من التعرف على هذا الاتجاه.

أـ كان أوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧) قد أرسى في كتابه (محاضرات في الفلسفة الوضعية) مبادئ النظام الطبيعي بهدف إيجاد حل لمسألة التطور ولبنية المعرفة في المجتمع ولوظيفتها فيه(٣٠)، فقد سعى إلى وضع علم جديد للمجتمع لتفسير القوانين التي تنظم حياة العالم الاجتماعي كما هي الحال في العالم الطبيعي، إذ إن لكل مجال علمي مجاله الخاص، إلا أنه رأى أن هذه المجالات جميعها ينتظمها منطق واحد، وتتحرك على وفق منهج علمي يرمي إلى الكشف عن قوانين شاملة. ومثلما اكتشاف القوانين التي تحكم العالم الطبيعي يمكننا من السيطرة على الأحداث والتنبؤ بوقوعها، فإن كشف القوانين التي تحكم سلوك المجتمعات البشرية سيعيننا على رسم مصائرنا والارتقاء بحالة الرفاه البشري. فالمجتمع عند كونت، مثله مثل العالم الطبيعي، يخضع لقوانين ثابتة لا تتغير(٣١).

لذا فإن نظريته تقوم على ما يسميه (قانون المراحل أو الحالات الثلاث)، الذي يتناول تطور الإنسانية ، ففي المرحلة اللاهوتية أو التخيلية يعمد الإنسان إلى تفسير الظواهر في العالم بأفعال تنسب إلى كائنات فوق طبيعية وقد حلّت المرحلة الميتافيزيقية أو المجردة بالتدريج محل اللاهوتية، وهي في الحقيقة لاهوت مقنع؛ لأن الكائنات ما فوق الطبيعية قد تم استبدالها بوحدات مجردة (٣٢) أي أن الأرواح السابقة أو الآلهة لا تكون أشخاصاً بل قوى مجردة.

أما المرحلة الثالثة وهي الوضعية أو العلمية التي دشنتها الاكتشافات والإنجازات التي حققها غاليلو وكوبرنيكوس ونيوتن، فقد اتسمت بتطبيق الأساليب العلمية في دراسة العالم الاجتماعي(٣٣)، ويُتخلّى في هذه المرحلة من البحث عن السبب الأخير إلى معرفة الوقائع القائمة، وهذه المرحلة هي أعلى مرحلة يمكن للعقل الإنساني أن يبلغها، لذا فإنَّ الفلسفة

---

(٣٠) ينظر: بيتر كونزمان، فرانز – بيتر بوركارد، فرانز فيدمان: أطلس الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط (٢)، ٢٠٠٧، ص١٦٥.

(٣١) ينظر: أنتوني غدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم فايز الصُيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط (٤)،٢٠٠٥ ، ص٦٢.

(٣٢) ينظر: وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط (١)،٢٠١٠ ، ص٣٩٦-٣٩٧ .

(٣٣) ينظر: أنتوني غدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ص٦٢.

الوضعية ترى أنَّ المعرفة العلمية لا يمكن أنْ تقوم إلا على الوقائع التجريبية والظواهر الخاضعة للمراقبة. وهي ترفض الماورائيات بوصفها تمريناً تأملياً خالصاً، لا تطلعنا على حقائق ملموسة، وحده العلم يمكن أنْ يوصلنا إلى نتائج صحيحة؛ لأنه يقوم على مراقبة الوقائع ونتائج التجارب[٣٤].

وإزاء كل مرحلة نصادف شكل مجتمع محدد ففي المرحلة اللاهوتية نجد مجتمعاً كنسياً وإقطاعياً، وفي المرحلة الميتافيزيقية نجد مجتمعاً ثورياً، أما في المرحلة الوضعية فنجد مجتمعاً علمياً وصناعياً[٣٥].

ب ـ لهذا السبب وجد فلاسفة النظرية النقدية أنَّ الوضعية كنظرية للمعرفة وكفلسفة للعلم تعد طريقاً قاصراً ومضللاً، ولا يمكن أن نصل عن طريقه إلى فهم صحيح للحياة الاجتماعية. فهوركهايمر في مقاليه الرئيسين المنشورين عام١٩٣٧ (الهجوم الأخير على الميتافيزيقا، والنظرية التقليدية والنظرية النقدية) ينتقد الوضعية بوصفها فلسفة للعلم ولاسيما في شكل الوضعية المنطقية أو الأمبريقية المنطقية لدائرة فينا، ونقده موجه أساساً ضد كل الاتجاهات العلمية التي تقلل من شأن الفلسفة وتعلي من قيمة المنهج العلمي بحيث يصير شاملاً للعلوم الطبيعية والاجتماعية معاً[٣٦].

وانتقد هوركهايمر الوضعية المنطقية أو المذهب الأمبيريقي المنطقي الذي ظهر في حلقة فيينا. والظاهر في صور النزعة العلمية المغالية كافة التي تشترك فيها العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية على حد سواء، وهي الفكرة التي عبر عنها أعضاء حلقة فيينا في مشروعهم (العلم الموحد) ويقول إنَّ: "الفكر البناء يجمع معاً مفاهيم من مختلف فروع المعرفة، وينسجها داخل النموذج الصحيح للموقف المعطى. والارتباط الايجابي بالعلم لا يعني أن لغة العلم هي الشكل الصحيح والمحكم للمعرفة... فمن السذاجة أن نفكر ونتكلم فقط بلغة العلم"[٣٧].

ج ـ أما أدورنو فإنَّه ينتقد الوضعية في مقالاته التي كتبها في المدة من ١٩٥٠–١٩٦٠ ، وهو بعامة يعيد نقد هوركهايمر للوضعية ولكن باتساع، وهو يركز بصفة خاصة على نقد فكرة

---

[٣٤] ينظر: مجموعة: معجم العلوم الإنسانية، إشراف جان فرنسوا دورتيه، ترجمة جورج كتورة، كلمة أبو ظبي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط (١)،٢٠٠٩ ، ص١١٢٤.

[٣٥] ينظر: بيتر كونزمان، فرانز – بيتر بوركارد، فرانز فيدمان: أطلس الفلسفة، ص١٦٥.

[٣٦] ينظر: حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، ص١١٣.

[٣٧] توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس – ليبيا، توزيع دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت –لبنان، ط (٢)، ٢٠٠٤، ص٦٤.

استغراق الوضعية في الحديث عن الواقع أو خارجية الظواهر[٣٨].

د- ويشير ماركوز إلى "أنَّ مصطلح الوضعية، منذ أن استعملته للمرة الأولى مدرسة سان سيمون الفرنسية، يشير إلى ما يأتي:

١. التحقق من صحة معارفناعن طريق تجربة الوقائع.

٢. اتجاه المعرفة نحو العلوم الفيزيائية بوصفها أُنموذجاً لليقين والصحة والدقة.

٣. الاعتقاد بأنَّ تقدم المعرفة منوط بذلك الإتجاه.

وفي كتابه (العقل والثورة) س يعد ماركوز الفلسفة الوضعية التي يمثلها أوجست كونت وكأنها تودُّ أن تخضع كل التصورات العلمية للوقائع، وتمثل الوقائع وارتباطها بنظام لا يتخلف، يشمل الظواهر الاجتماعية فضلاً عن الطبيعة[٣٩] يعني هذا عند ماركوز أنَّ الوضعية في اهتمامها المبالغ بالقوانين العلمية وإشادتها بالقوانين الثابتة التي تحكم الظواهر الطبيعية والاجتماعية وهي في دراستها المجتمع تحذو حذو المعرفة العلمية التجريبية للطبيعة، ومن المعروف أنَّ العالم الطبيعي لا يخترع شيئاً ولا يغير الظواهر التي يبحث عن قوانينها بل يكتفي بتسجيل ما هو موجود منها وتحليل الطريقة التي تسلك بها هذه الظواهر[٤٠]. وفي مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية لابد من تطبيق المنهج العلمي نفسه على الواقع الاجتماعي دون تغيير أو تبديل.

إنَّ الوضعية يمكن أن تساعد في خلق شكل جديد من أشكال التسلط يمكن تسميته بالتسلط التكنوقراطي Technocratic domination، فمفهوم التسلط لم يعد يعني تسلط يمارس من طبقة معينة، وإنما هو تسلط يكون من قوة لا شخصية هي (التكنولوجيا)، وهذا ما عبر عنه ماركوز في كتابه (الإنسان ذو البعد الواحد)[٤١]، إذ يصف ماركوز الوضعية المنطقية بأنَّها فلسفة أحادية البعد، أي الفلسفة التي عبّرت عن واقع المجتمعات المتقدمة صناعياً التي أصبحت تكرس السيطرة على الإنسان المعاصر[٤٢].

هـ - ويتمحور الخلاف بين هابرماس والفلسفة الوضعية بعامة والفلسفة التحليلية بخاصة

---

[٣٨] ينظر: حسن محمد حسن: المصدر السابق، ص١١٣.

[٣٩] ينظر: هربرت ماركوز: العقل والثورة، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (٢)، ١٩٧٩ ، ص٣٣٧ – ٣٤٠.

[٤٠] ينظر: فؤاد زكريا: هربرت ماركوز، مجلة عالم الفكر، العدد (٤)،١٩٧١ ، ص٢٥٤.

[٤١] ينظر: حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، ص١١٤ .

[٤٢] ينظر: كمال بومنير: جدل العقلانية، ص٩٥.

فـي مفهـوم العقـل. تحـدد الفلسـفة الوضـعية دور العقـل فـي وصـف الظـواهر الاجتماعيـة وبناء علاقات ثابتة لتحولاتها، إنَّ العقل بحسب هذا التحليل الوضعي يفقد بعده النقدي والتاريخي فالعلوم الإنسانية خلافاً لعلوم الطبيعة ليست محايدة ولا يمكن تطبيق المنهج العلمي المطبق في علوم الطبيعة على علوم الإنسان. إنَّ البحث في موضوع الإنسان ينطلق من أرضية قيمية وأخلاقية فعلوم الإنسان علوم تاريخية فهمية تهدف إلى استكناه الدلالات الخاصة بالفعل. ووظيفة العقل تتمثل في نقد الفكر الاجتماعي وتطوير المجتمع، وفي نظر هابرماس حاول علم الاجتماع الوضعي إدماج قضاياه في نظرية القياس الاقتصادي Econometric أي اعتماد الرياضيات للارتقاء إلى العلمية(٤٣).

٤ـ نقد التشيؤ والاغتراب:

إنَّ السبب وراء مناهضة فلاسفة النظرية النقدية للفلسفة الوضعية بعدّها تعبر عن أيديولوجية للسيطرة على الإنسان الذي أصبح خاضعاً لما يسميه جورج لوكاش(*) بالتشيؤ الذي درسه في كتابه، التاريخ والوعي الطبقي، إذ انصب اهتمامه على تحليل هذه الظاهرة (أي التشيؤ) التي يفرزها المجتمع في ظل الأيديولوجية الرأسمالية التي تحول الإنسان فيها إلى شيء يمكن أن يباع ويشترى(٤٤)، أي تحول الصفات الإنسانية إلى أشياء جامدة واتخاذها لوجود مستقبل واكتسابها لصفات غير إنسانية. وقد رفضوا "تشييىء المعرفة الإنسانية بوصفها كياناً مفارقاً للعقل الإنساني ومجاوزاً له. ويترتب على ذلك استحالة إقامة بحث علمي غير ملتزم في إطار النظام الاجتماعي الراهن، حيث لم يحصل الإنسان بعد على استقلاله وحريته"(٤٥).

والتشيؤ يعني إسباغ الشيئية على الإنسان، ويمكن أن نجد السياق الأساسي لفكرة التشيؤ في تناول ماركس الفيتشية السلعية في المجلد الأول من (رأس المال) ١٨٦١. فماركس يميز بين البضائع أو السلع التي تنتج لقيمتها الاستعمالية والبضائع أو السلع التي تنتج

---

(٤٣) ينظر: نور الدين النيفر، عقلانية علوم الإنسان، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ط (١)، ١٩٩٣ ، ص١٦٤-١٦٥ .

(*) للاطلاع على حياة لوكاش ومؤلفاته ينظر: جورج لوكاتش: معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة أمين العيّوطي، دار المعارف، القاهرة،١٩٧١، ص٥. (مقدمة المترجم). وكذلك مراسلات جورج لوكاتش: ترجمة نافع معلا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق. ٢٠١٠ ، ص ٨.

(٤٤) ينظر: جورج لوكاش: التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة حنّا الشاعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط (٢)، ١٩٨٢ ، ص ١٢٢.

(٤٥) توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ص١٧٧.

لقيمتها التبادلية. وتشير القيمة الاستعمالية إلى الطريقة التي نختبر بها على نحو مباشر قيمة سلعة معينة بوصفها شيئاً مفيداً أو نافعاً لنا. وما حدث في ظل الرأسمالية هو أنَّ القيمة الاستعمالية كانت قد تقوضت إلى حد بعيد جراء إنتاج السلع لقيمتها التبادلية. ويشير ماركس إلى أنَّ السلع، على الرغم من كونها نتاجاً إنسانياً، إنما تنتحل الشكل الوهمي لعلاقة بين الأشياء. وما يعنيه بذلك هو أنَّ نوعية السلعة تبدو لنا شيئاً جوهرياً فيها، أشبه بخاصية موضوعية من خواصها لا نتاجاً للنشاط البشري. وهو يشبّه هذا الإضفاء للطابع الفيتشي على السلع بالإيمان الديني[٤٦].

على الرغم من تفاوت آراء الفلاسفة النقديين تجاه لوكاش، إلا إنهم استندوا بقوة إلى أفكاره عن التشيؤ والفيتشية السلعية. ففي مقالته (التشيؤ ووعي البروليتاريا ١٩٢٢) يعمم لوكاش تناول ماركس للفيتشية السلعية أبعد من وصفها سمة للاقتصاد الرأسمالي بل إلى كونها سمة للمجتمع الرأسمالي ككلّ، ويضيف عنصراً آخر يستمده من ماكس فيبر (العقلنة) وهذا المزيج من ماركس وفيبر هو ما تمكنت النظرية النقدية من استعماله بفعالية في تشخيص حال العصر[٤٧] والإنسان والمجتمع.

ويرى ماركوز أنه عن طريق التكنولوجيا أصبح الإنسان والطبيعة موضوعين للتنظيم وقابلين لأن يحل أحدهما محل الآخر، فالتكنولوجيا هي الناقل الأكبر للتشيؤ الذي بلغ أكمل أشكاله[٤٨] في المجتمعات المتقدمة.

أما الاغتراب[٤٩] فتتعدد معانيه فعلى سبيل المثال تذكر دائرة المعارف البريطانية أن أهم المعاني الشائعة للاغتراب هي انعدام القدرة (Powerlessness)، وفقدان المعنى

---

[٤٦] ينظر: آلن هاو: النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط (١)، ٢٠١٠، ص١٠٢ – ١٠٣.

[٤٧] المصدر نفسه: ص ١٠٤.

[٤٨] ينظر: هربرت ماركوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط (٣)، ١٩٧٣، ص١٩٣.

[٤٩] للاطلاع على المعنى اللغوي والاصطلاحي للاغتراب ينظر: ريتشارد شاخت: الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (١)، ١٩٨٠، ص٦٣ –٦٥. وحسن حنفي: الاغتراب الديني عند فيورباخ، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد العاشر، وزارة الاعلام، الكويت،١٩٧٩، ص٤٤. وقيس النوري: الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد العاشر، وزارة الاعلام، الكويت،١٩٧٩ ، ص١٩. ومحمود رجب: الاغتراب (سيرة مصطلح)، دار المعارف، القاهرة، ط (٣)،١٩٨٨، ص١٥٩. وحليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط (١)، ٢٠٠٦ ، ص٣٧. وعلاء طاهر: مدرسة فرانكفورت من

(Meaninglessness)، وفقدان المعاييـر (Normalessness)، وغربـة الـذات (Self Estrangement)، والعزلة الاجتماعية (Social isolation)، والغربة الثقافية (Caltural Estrangement)[٥٠].

ويلاحظ إيريك فروم في كتابه (The sane society) أنَّ الكلمة الفرنسية Aliéné والكلمة الإسبانية Alienado يدلان على الشخص السيكوباتي أي الشخص المغترب عن عقله تماماً. ولاتزال الكلمة الإنجليزية Alienist تستعمل للدلالة على طبيب الأمراض العقلية[٥١].

يقول إريك فروم في كتابه (المجتمع السوي): "المقصود بالاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان نفسه كغريب، أي أنه أصبح غريباً عن نفسه، لم يعد يعيش كمركز لعالمه وكخالق أفعاله بل إنَّ أفعاله ونتائجها تصبح سادته الذين يطيعهم، أو حتى الذين قد يعبدهم"[٥٢] أي أنه يركز على الاغتراب عن الذات.

لذا وجد فلاسفة النظرية النقدية أنَّ البشر في المجتمعات الصناعية المتقدمة، بشقيها الرأسمالي والاشتراكي مغتربون عن ماهياتهم وإمكاناتهم، فمثلاً العمال والمديرون مغتربون، لأنهم محرومون من إشباع حاجاتهم الأساسية وسلوكياتهم مدفوعة بالمصلحة وليس الحب[٥٣]. وهكذا أصبح الإنسان متشيئاً ذا بعد واحد، هو المتمثل، المتكيف، المتصالح مع الواقع، لأنه لا يملك القدرة على المعارضة، فيما التفكير النقدي هو أهم ما يميز الإنسان الحر الذي يمتلك الجرأة والقوة على أن يقول (لا) في وجه النظام المستبد الحاكم[٥٤].

هوركهايمر إلى هابرماز (مدخل إلى نظرية النقد المعاصرة)، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط (١)، ب. ت.، ص٢١.

[50] The new Encyclopedia Britannica, Vol. 1, Article "Alienation" Helen Hemingway Benton, Publisher, Chicago, London, Toronto, 1973, 1974.

[51] Erich Fromm: The sane society, Holt, Rinehart and Winston, New York, Eleventh Printhng, 1969, p. 121.

[52] Erich Fromm: The Sane society, Holt, Rinehart and Winston, New York, Eleventh Printing, 1962, p. 120.

[٥٣] ينظر: أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل، ص٤٤ –٤٥.

[٥٤] ينظر: توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت ، ص١٧٢. يصف تومبسون إنسان البعد الواحد كما عرضه ماركوز بأنه "نصف أبله، حسن التغذية، ضحل في عواطفه، فقير في علاقاته الإنسانية، دمية سوقية، يسيطر عليه الخداع من ميلاده إلى وفاته". المصدر نفسه.

٥- نقد صناعة الثقافة:

لقد لاحظ هوركهايمر وأدورنو تأثير الاغتراب والتشيؤ في المجال الفني، إذ يعد هذا المجال أبرز مثال عن النكوص الذي أصاب التنوير وقيمه الأساسية، فقد انحط العمل الفني على يد الصناعة الثقافية وأجهزتها الإنتاجية والإعلامية في ظل السيطرة التقنية الكلية التي تعيشها المجتمعات الغربية المعاصرة، مما أفقد العمل الفني أصالته وحقيقته فتحول إلى وسيلة تسلية في أوقات الفراغ، أو أداةً للتأثير الأيديولوجي على الجماهير من الترويج للبضائع وتنميط الإنسان قصد التحكم فيه[٥٥] وبمزاجه وقراراته وقناعاته، وقد خصص هوركهايمر وأدورنو فصلاً كاملاً في كتابهما (جدل التنوير) يحمل عنوان (صناعة الثقافة التنوير وخداع الجماهير) جاء فيه "تظل الصناعة الثقافية صناعة تسلية. فهي تمارس سلطتها على المستهلك بواسطة التسلية... وبفعل تحول كل نزعات الصناعة الثقافية في لحم الجمهور ودمه بمساعدة مجمل السيرورة الاجتماعية، فإن بقاء السوق في هذا القطاع يؤثر إيجابا في هذه النزعات"[٥٦].

والثقافة الجماهيرية Mass Culture هي جملة قيم الثقافة التي تروج عبر وسائل الاعلام، من صحافة وتلفزيون وإذاعة وسينما، بين الفئات العريضة من السكان، التي درج على تمييزها عن ثقافة النخبة، أو ثقافة القلة غير المتاحة للجمهور. وتقترن الثقافة الجماهيرية عادة بسيكولوجية المستهلك وتكون حافزاً إضافياً لها، وتنشر معايير مبسطة وقيماً نمطية وارتباطات رمزية غير مباشرة. وكلها تنتقص من قيمة الثقافة وتفرغها من مضمونها الحقيقي، وتحيلها إلى مجرد نوع من التسلية الخاصة والاستهلاك المتعي، بل وتهبط بها أحياناً إلى مستوى إثارة الغرائز الجنسية وتأجيج النزاعات الإثنية والعنف وثقافة الكراهية العنصرية، ومن ثم تخلق إنساناً نمطياً. وهي بهذه الكيفية تشكل أداة للتأثير الأيديولوجي والنفسي على الجماهير العريضة، وبخاصة في البلدان الرأسمالية، وتستعمل في الترويج لسلع الاستهلاك العام بغرض غرس النزعة الاستهلاكية وقيم نمط الحياة البورجوازي، كما تهدف في البلدان النامية إلى الحيلولة دون نمو ثقافتها الوطنية [٥٧].

تواجه الرأسمالية تحدياً جديداً؛ وصاغ فنان الفيديو (نام جون بايك١٩٣٢ - ٢٠٠٦)[*] هذا التحدي على أفضل وجه حين أشار إلى أنه لم يعد يوجد ما نشتريه. وبالنسبة إلى الأمم الغنية،

---

[٥٥] ينظر: كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، ص٢٣.

[٥٦] ماكس هوركهايمر، ثيودورف. أدورنو: جدل التنوير، ص١٥٩.

[٥٧] ينظر: توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ص١٧٩.

[*] رائد فن الفيديو من كوريا الجنوبية.

وبخاصة الدول التي يشكل عدد سكانها ما نسبته ٢٠٪ من مجموع سكان العالم الذين ما زالوا يتمتعون بالعديد من ثمار الحياة الرأسمالية، بلغ استهلاك السلع والبضائع نقطة الإشباع تقريباً. ويستطيع المرء الحصول فقط على قيمة نفسية من امتلاكه سيارتين أو ثلاث، وستة أجهزة تلفاز [٥٨].

وعند هذا المنعطف بدأت الرأسمالية تخطو خطواتها الأخيرة في التحول إلى رأسمالية ثقافية مكتملة، إذ لم تستولِ على مدلولات الحياة الثقافية والأشكال الفنية فحسب، بل استولت أيضاً على التجربة الحياتية، فيقول نورمان دينزين[**]: "تعد التجربة الحياتية المرحلة الأخيرة من تحقيق سطوة السلعة. وبكلمات أخرى، لقد أصبحت التجربة الحياتية السلعة النهائية في دورة رأس المال"[٥٩].

والفن في العالم الرأسمالي يقع تحت سلطة المصالح التجارية، وهذا يهدم طبيعته الإنسانية ويعطيه وظيفة غريبة عنه وهي السيطرة على سلوك الناس.

هناك نوعان من الثقافة، ثقافة زائفة وأخرى حقيقية، فالفن –عن طريق شاشة التلفاز والسينما– يقدم صورة مزدهرة لجمال الناس والأشياء، ويجعل الأفراد يقفون ضد بعض، من دون أن يرتبط هذا بالمؤسسات الاجتماعية، ويتطور الأمر لمزيد من إقناع الناس بالعالم الذي تحكمه هذه المؤسسات، فلا يمكنهم إعادة اكتشاف أنفسهم إلا بالقفز إلى عالم آخر، فيقنع الفرد بمحدودية قدرته على التأثير في صناعة القرار، ويتوهم أن الجميع، بما فيهم أصحاب القرار السياسي، تعساء مثله وأنَّ العالم محكوم بقوى كونية ذات طابع ميتافيزيقي وبالتالي يرتبط الإنسان بالوضع القائم ويكف عن المطالبة بوجود اجتماعي أفضل، ويقوم بمساندة القوى الاقتصادية التي تحفظ وجود هذا المجتمع[٦٠].

وهذه الثقافة عبارة عن سلعة تخضع كلياً لقانون التبادل التجاري، لذلك فهي تذوب مع الإعلان الذي يصبح أكثر فأكثر حضوراً. أما الدوافع فهي اقتصادية في العمق. صحيح أنه يمكن العيش دون هذه الصناعة الثقافية التي لا تقدر سوى أن تخلق مزيداً من الإشباع والفتور عند المستهلكين، إلا أنَّه ليس بمقدورها أن تفعل شيئاً تجاه هذه التطور، ففي مجتمع تغلب عليه المضاربة تصبح وظيفة الإعلان الاجتماعية توجيه المستهلك إلى السوق وتسهيل الاختيار

---

[٥٨] جيرمي ريفكن: عصر الفرص الثقافة الجديدة للرأسمالية حيث الحياة تجربة مكلفة، ص١٩٣ –١٩٤.

[**] أستاذ علم الاجتماع في جامعة إلينوي.

[٥٩] جيرمي ريفكن:المصدر السابق، ص١٩٤.

[٦٠] ينظر: رمضان بسطاويسي محمد: علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت أدورنو نموذجاً، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط (١)، ١٩٩٨ ، ص١٠٠–١٠١.

وترويج السلع[٦١] والبضائع.

يصف ماركوز وكلاء الإعلانات وكيف يصنعون عالم الاتصال الذي يترجم فيه السلوك الأحادي البعد قائلاً: "فالجمل لها شكل أوامر موحية، أنَّها توحي أكثر مما تبرهن... ويتخذ مجمل الإعلان طابعاً منوماً مغناطيسياً. أضف إلى ذلك اكتسابه ظاهراً من ألفة كاذبة بفعل التكرار المتواصل وبفعل المهارة في استغلال المظهر الشعبي للإعلان. وهكذا يصل الإعلان فوراً إلى الموجّه إليهم من دون تمييز من حيث الوسط والتربية والوظيفة ويؤثر فيهم في صميمية غرفة الجلوس أو المطبخ أو حجرة النوم"[٦٢].

لقد رفض فلاسفة النظرية النقدية الفكرة التي ترى أنَّ يجب أن يكون الفن مصدراً للذة والترفيه، فإذا كان الفن وعداً بالسعادة فإنَّه يجب ألا ننسى أنه، أيضاً، تسجيل للآلام المتراكمة خلال التاريخ وفي مجتمع لا يكف عن الصراع[٦٣].

لم تعد الثقافة تعمل الآن إلا بوصفها انحرافاً عن الواقع وهذا ما جعل أدورنو وهوركهايمر، في سياق كتابتهما عن السينما لأن يصفا ما لها من ضروب التأثير. فالسينما الناطقة لا تدع أي مجال للخيال أو التأمل من طرف الجمهور، الذي يكون عاجزاً عن تقديم أي رد أو استجابة ضمن بنية الفيلم، فهذه الأفلام تكون مصممة على نحو يحتاج إلى السرعة، وقوة الملاحظة، ويسعى المشاهد لئلا يفوِّت شيئاً من اندفاع الوقائع وتدفقها. ومع هذا فإنَّ الجهد المطلوب لإثارة استجابة المشاهد هو جهد شبه آلي، إذ لا يُترك أي مجال للخيال[٦٤].

أما الثقافة الحقيقية التي يريدها أدورنو للوقوف ضد هذه الثقافة الدعائية السائدة، فهي ثقافة ترى في التحام الثقافة بالحضارة وسيلة الإنسان للتخلص من العوز المادي والروحي، وترد له فاعليته في نقد المؤسسات والتحرر منها بدلاً من الانكفاء على ذاته ليهرب من العالم الذي يعيشه إلى عالم آخر، لذا لا بُد من الترابط بين الضروري والجميل ليصح الفن مركز الوجود، وبذلك تكون الثقافة التي يقصدها أدورنو هي سيادة الفن على الحياة[٦٥]. ففي الفن وحده يسمح بإنتاج السعادة كقيمة ثقافية في كلية الحياة الاجتماعية، لأنَّ مجالي الثقافة اللذين يشاركان الفن

---

[٦١] ينظر: ماكس هوركهايمر، ثيودور ف. أدورنو: جدل التنوير، ص١٨٨–١٨٩.

[٦٢] المصدر نفسه: الإنسان ذو البعد الواحد، ص١٢٨–١٢٩.

[٦٣] جمال مفرج: أستطيقا أدورنو أو الفن بوصفه نقداً ونضالاً، ضمن كتاب ثيودور أدورنو من النقد إلى الأستطيقا (مقاربات فلسفية)، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر، ط (١)،٢٠١١ ، ص ١٠٢.

[٦٤] ينظر: ماكس هوركهايمر، ثيودور ف. أدورنو: جدل التنوير، ص١٤٨–١٤٩.

[٦٥] ينظر: رمضان بسطاويسي محمد: علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت أدورنو نموذجاً، ص١٠١–١٠٥ .

عرض الحقيقة المثالية ألا وهما الفلسفة والدين، لا يحققان السعادة، فالفلسفة المثالية أصبحت لا تثق بالسعادة، والدين يؤجلها إلى عالم آخر[٦٦] لذا فإنَّ الفن هو البعد الوحيد المتبقي أمام الإنسان في نظر أدورنو وماركوز.

الخاتمة:

إن النظرية النقدية التي تبلورت في مدرسة فرانكفورت وجهت انتقاداتها للعقلانية الأداتية والنظريات العلمية والوضعية والفلسفات التي أهملت الإنسان والمجتمع والأخلاق وكانت تلك الانتقادات في حقيقة الأمر موجهة إلى القوى والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أساءت استعمال العلم ومكتسباته ووجهتها نحو السيطرة على الإنسان وقد بلغت هذه السيطرة ذروتها في المجتمعات المتقدمة صناعياً.

وعمل فلاسفة النظرية النقدية على انتقاد الاغتراب في المجتمع الرأسمالي، وإدانة فكرة التشييء والاستلاب والقمع الآلي الذي يعاني منه الإنسان. فبعد فقدان الثقة بالعقل التنويري وتحوله عن تحقيق أهدافه كان لابد من إيجاد مسافة بين عقل لا يتعدى على الحس وبين مدار المحسوس الذي لا يغرق في اللامعقول. أي بناء عقل يشكل وسيطاً بين العقل والحساسية عن طريق التناغم والانسجام بين الملكات. وبالتالي تأسيس عقلانية جمالية (أستطيقية) نقدية تتوسط العقل والحس وخير ميدان للتطبيق هو الفن.

المصادر العربية:

١. آلن هاو: النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط (١)، ٢٠١٠.
٢. أنتوني غدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم فايز الصُيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط (٤)، ٢٠٠٥.
٣. إيمانويل كانط: ما هو عصر التنوير؟، ترجمة يوسف الصدّيق، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، كانط والحداثة، العدد ٣٨– ٣٩، مطبعة تونس، قرطاج، ٢٠٠٤– ٢٠٠٥.
٤. بول – لوران آسون: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
٥. بيتر كونزمان، فرانز – بيتر بوركارد، فرانز فيدمان: أطلس الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط (٢)، ٢٠٠٧.
٦. توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس – ليبيا، توزيع دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان، ط (٢)، ٢٠٠٤.
٧. جمال مفرج: أستطيقا أدورنو أو الفن بوصفه نقداً ونضالاً، ضمن كتاب ثيودور أدورنو من النقد إلى الأستطيقا (مقاربات فلسفية)، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر، ط (١)، ٢٠١١.
٨. جورج لوكاتش: مراسلات جورج لوكاتش: ترجمة نافع معلا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق. ٢٠١٠.

[٦٦] هربرت ماركوز: فلسفة النفي دراسات في النظرية النقدية، ص١٢٩.

٩. جورج لوكاتش: معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة أمين العيّوطي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
١٠. جورج لوكاش: التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة حنّا الشاعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط (٢)، ١٩٨٢.
١١. جيرمي ريفكن: عصر الفرص الثقافة الجديدة للرأسمالية حيث الحياة تجربة مكلفة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ط (١)، ٢٠٠٣.
١٢. حسن الموصدق: أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر، مجلة الفكر العربي المعاصر، السنة الخامسة والعشرون، مركز الإنماء القومي، بيروت –باريس، صيف –خريف، ٢٠٠٤.
١٣. حسن حنفي: الاغتراب الديني عند فيورباخ، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد العاشر، وزارة الاعلام، الكويت،١٩٧٩.
١٤. حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط (١)، ١٩٩٣.
١٥. حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط (١)، ٢٠٠٥.
١٦. حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط (١).
١٧. رمضان بسطاويسي محمد: علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت أدورنو نموذجاً، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط (١)،١٩٩٨.
١٨. ريتشارد شاخت: الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (١)، ١٩٨٠.
١٩. عبد السلام حيدوري: الفضاء العمومي ومطلب حقوق الإنسان هابرماس نموذجاً، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط (١)، ٢٠٠٩.
٢٠. علاء طاهر: مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماز (مدخل إلى نظرية النقد المعاصرة)، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط (١).
٢١. فؤاد زكريا: هربرت ماركوز، مجلة عالم الفكر، العدد (٤)، ١٩٧١.
٢٢. فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت (نشأتها ومغزاها)، ترجمة خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط (٢)، ٢٠٠٤.
٢٣. قيس النوري: الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد العاشر، وزارة الاعلام، الكويت، ١٩٧٩.
٢٤. كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، منشورات الاختلاف–الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون– بيروت، ط (١)، ٢٠١٠.
٢٥. ماكس هوركهايمر: النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة مصطفى الناوي، عيون المقالات للنشر، ط (١)، ١٩٩٠.
٢٦. ماكس هوركهايمر: بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، ترجمة محمد علي اليوسفي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٦.
٢٧. ماكس هوركهايمر، ثيودور ف. أدورنو: جدل التنوير، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة –بيروت، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية – طرابلس، ٢٠٠٦.
٢٨. مجموعة: معجم العلوم الإنسانية، إشراف جان فرنسوا دورتيه، ترجمة جورج كتورة، كلمة أبو ظبي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط (١)، ٢٠٠٩.
٢٩. محمد حافظ دياب: مدرسة فرانكفورت (جدلية الوحدة والتنوع)، مجلة المنار، العدد ٦٠، كانون الأول ١٩٨٩.
٣٠. محمود رجب: الاغتراب (سيرة مصطلح)، دار المعارف، القاهرة، ط (٣)، ١٩٨٨.
٣١. نور الدين النيفر، عقلانية علوم الإنسان، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ط (١)، ١٩٩٣.
٣٢. هاشم صالح: الليبرالية وأشكالها في الفكر الأوربي المعاصر، مجلة المنار، العدد ٦٠، كانون الأول ١٩٨٩.
٣٣. هربرت ماركوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط (٣)، ١٩٧٣.
٣٤. هربرت ماركوز: العقل والثورة، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (٢)، ١٩٧٩.
٣٥. هربرت ماركوز: فلسفة النفي دراسات في النظرية النقدية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار الآداب، بيروت، ط (١)،١٩٧١.
٣٦. وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط (١)، ٢٠١٠.
٣٧. يورغن هبرماس: القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥.

المصادر الانجليزية:

1. Erich Fromm: The sane society, Holt, Rinehart and Winston, New York, Eleventh Printhng, 1969 .
2. Erich Fromm: The Sane society, Holt, Rinehart and Winston, New York, Eleventh Printing, 1962.
3. Martin Jay: The Dialectical Imagination (a history of the Frankrurt school and the institute of social research (1923-1950), Heinemann educational book, London, 1973.
4. The new Encyclopedia Britannica, Vol. 1, Article "Alienation" Helen Hemingway Benton, Publisher, Chicago, London, Toronto, 1973, 1974.
5. Maxs. Hokheimer: The Eclipse of Reason, New York, Continun, 1974.

ثقافة المحقق

الدكتور جليل العطية

الملخص:

ان تحقيق المخطوطة يعني أنه يجب على المحقق التأكد من صحة الخبر وصدقه ، ونقول في اللغة العربية: ان الرجل حقق في الخبر ومدى صحته ودقته أو قال : ان الخبر حقيقي.

ويقول الجاحظ ان العلماء كانوا محقين في اثبات ما يقولون، وذكر بأن العلماء في القرون الماضية كانوا يتحققون ويتحرون عن دقة وصحة كل ما يُكتب.

يقول ابن الأثير بأن قدامة بن جعفر، والجاحظ، والعسكري كانوا من المحققين البارزين. للمخطوطات.

ويصف السيوطي أحد الأدباء بأنه أحد أفراد أهل الأدب والمحققين فيه.

قال بعض الأوائل: لا يتم العلم إلا بستة أشياء: ذهن ثاقب ، وزمان طويل، وكفاية وعمل كثير، ومعلم حاذق ورغبة في العمل.

والمراد بالتحقيق (الاصطلاح المعاصر): الاهتمام بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة.

ان التحقيق ليس عملية نسخ النص آلياً أو حرفياً ومقارنته مع النسخ المختلفة فحسب، بل هو اخراج النص بالصورة التي أخرجها المؤلف او قريبا منها.

ان تزوير الكتب والمخطوطات قديم، ويُقال في اللغة العربية زوّر تزويراً: زيّن الكذب، وكلام مزور : مموه بالكذب.

ان للاسناد أهمية كبيرة ، ولقد تأثر العلماء القدامى بمنهج الحديث كما فعل الطبري حينما نص على ذلك في مقدمة كتابه (تاريخ الأمم والملوك).

يجب مناقشة حلقة الاسناد لأن الاكتفاء بمجرد نقل الروايات مسندة يوقع المحقق في مزالق وأخطاء يصعب التخلص منها. وقد رفض ابن خلدون مجرد نقل الروايات دون مناقشتها ونقدها

يجمع العلماء والمحققون على أن تحقيق النص التراثي يعني قراءة هذا النص على الوجه الذي كتبه عليه مؤلفه، أو اخراجه بشكل قريب من النص الأصلي الذي كتبه مؤلفه.

ان تحقيق النص العربي ليس أمراً هيّناً، وثمة رأيان في طريقة إخراج النص:

أولهما: يرى الاقتصار على إخراج النص مصححاً وخالياً من الأخطاء وهذا لا يفيد القارىء أو الباحث.

وثانيهما: يرى إن اخراج النص لا يحتاج إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات ، بل يُنشر كما هو.

توجد مدرستان فكريتان في تحقيق المخطوطات خاصة والتراث عامة: الأولى : مدرسة الاختصاص الدقيق، وهي أن يكون المحقق معنياً بنصوص علم واحد مثل الطب أو الرياضيات أو الفلك. والثانية: مدرسة الاختصاص العام التي تشمل الأدب، والدين، والتاريخ، والجغرافية، والفلسفة والسياسة. واتبع المستشرقون والمستعربون نهج المدرسة الثانية.

The Skilled Editor

Dr. Jalil Al Attiya

Abstract

Editing a manuscript means that the editor must ensure the authenticity of the event and its veracity. In Arabic language, we say that a man authenticated the story and its veracity or said that this is true.

Al-Gahiz says that the scholar was right or what he is saying is true. He states that no time in the past centuries has passed without having scholars who authenticated the veracity of what was written.

Ibn al-Alathir says that Qudama ibn Gafar, al-Gahiz and al-Askri were among the eminent editors of manuscripts.

As-Suyuti, on his part, describes one of the writers as being one of the people of literature and its investigators.

Some of the early scholars say: knowledge cannot be established without six things: a sharp mind, long period of time, sufficient time, a lot of work, subtle master, and desire,

What is meant by editing, in modem terms, is to pay special attention to manuscripts to establish that they meet specific conditions.

Editing is not just copying the text mechanically or letter by letter and comparing it with different copies. It rather requires producing a text according to the original form produced by the writer or close to it.

The forgery of manuscripts and books is old. In Arabic language, it is said that a person forged a forgery, ornamented the lies. or forged a speech, which means camouflaged it by lying.

Attributing the text has special importance. Early Hadith scholars were influenced by the methodology of Hadith scholars as al–Tabari did when he stated that in the introduction of his book (History of Nations and Kings) "Tarikh al Umam wal Muluk".

The chain of attributions has to be discussed because settling for mere transmitting stories may cause pitfalls and may make the editor commit errors difficult to get rid of. Ibn Khaldun refused transmitting the stories without discussing and analyzing them.

Scholars and editors unanimously agree that editing an old text means: reading the text the way its writer wanted it to be, or producing it in a form close to the original text written by its author.

Editing an Arabic manuscript is not an easy task. There are two points of view regarding the way to produce a text:

- First, to have a text limited to corrections and free of errors, which is ultimately rendered of no value to the reader or the scholar.
- Second, producing a text should not be loaded with footnotes and comments, but should be published as it is.

There are two schools of thoughts in editing special manuscripts and those involve a content of heritage, the first school is of precise specialization, which means that the editor must be specialized in one field of science such as medicine, mathematics or astrology. The second school is the public human school which includes literature, religions, history, geography, philosophy and politics. Orientalists and Arabists have followed the second school.

المحقق

صافحنا كلمة ،،المحقق،، للمرة الأُولى في العصر الحديث سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م في كتابي الأصنام لهشام بن محمد الكلبي والجزء الأول من (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري ت ٧٤٩ هـ واللذين صدرا في القاهرة بعناية أحمد زكي باشا (ت ١٩٣٤م).

- كانت كلمة (المحقق) جديدة لها جذورها قديمة لغة واصطلاحًا.

- معنى التحقيق في اللغة: التأكد من صحة الخبر وصدقه. وحقق الرجل القول : صدقه، أول قال هو الحق.
- وفي لسان العرب[١] (حقق): تحقق عنده الخبر أي: صحّ، وحقق قوله وظنه تحقيقًا، أي صدق.
- أما معناه الاصطلاحي فهو : إثبات المسألة بدليلها وكذلك هو عند العلماء.
- ويسمّى الجاحظ(ت ٢٥٥هـ) العالم محقًا.

جاء في (فصل ما بين العداوة والحسد)[٢] : أنه لم يخل زمن من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة، الأوفية علماء محِقُّون، قد قرأوا كتب من تقدمهم، ودارسوا أهلها، ومارسوا الموافقين لهم.

- ومادام التحقيق هو: الاثبات بالدليل وتصحيح الأخبار، فإنه صفة من صفات العلماء . ففي الأدب محققون وكذلك، في النحو والبلاغة والعروض وأيضًا في الطب والكيمياء والفلك وغير ذلك.
- يقول (ابن الأثير)[٣]، وهو يعدد ويسمي جماعة من العلماء ويصفهم بأنهم (المحققون)، أورد أسماء: قدامة بن جعفر والجاحظ وأبا هلال العسكري وأبا القاسم الآمدي.
- ويصف(الفيروزآبادي)[٤] (ت ٨١٧) محمد بن طلحة بأنه راسخ في علم العربية، وغلب عليه (تحقيق العربية والقيام عليها).
- ويصف (السيوطي) أحد الأدباء بأنه : أحد أفراد أهل الأدب والمحققين به.
- وقال (النووي) في شرح المهذب، في باب آداب العالم: (العلم ودقائقه، ويثبت معه؛ لأنه يضطره الى كثرة التفتيش، والمطالعة والتحقيق والاطلاع على مختلف كلام الأئمة)[٥]

طلب العلم:

- قال بعض الأوائل:_لا يتم العلم إلَّا بستة اشياء: ذهن ثاقب، وزمان طويل وكفاية، وعمل كثير ومعلم حاذق وشهوة، وكلما نقص من هذه الستة شيء نص بمقداره من العلم[٦]

---

(١) لسان العرب (حقق) ٢/ ٢٠٠

(٢) رسائل الجاحظ ١/ ٣٣٨

(٣) الجامع الكبير ٢

(٤) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ط الكويت) ١٩٨-١٩٩

(٥) التعريف بآداب التأليف ٢٠

(٦) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ٤٧- ٤٩

- قال(أبو أحمد العسكري): لم يذكر الطبيعة، وهي غير الذهن الثاقب، ألا ترى أن الشاعر قد يكون ذهنًا، ولا يكون مطبوعًا، ويكون أعقل من صاحبه، وله مثل عنايته، ويكون صاحبه أشعر منه؛ لأنَّ الطبيعةَ تعين العقل وتفسح له.

- وقد حكي عن النَّظَّامِ، إبراهيم بن سيّار (ت ٢٣١هـ) أنَّهُ قالَ : لو نظرت في العروض لأ حكمته في يومين.

- قال الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) : فنظر فيه، فلم يعرف المتحرك من الساكن في شهرين "والطبيعة تسهل الطريق وتقرب البعيد.

- وذكر (الشهوة)؛ لأن النفس إذا اشتهت الشيء، كانت أسمح في طلبه، وأنشط لالتماسه، وهي عند الشهوة أقبل للمعاني. ولذلك قيل: يجب على طالب العلم أن يبدأ فيه بالمهم، وان يختار من صنوفه ما هو أنشط له وطبعه به أعنى، فإن القبول على قدر النشاط، والبلوغ على قدر العناية.

- وذكر الكفاية؛ لان التكسب وتعذر المعاش مقطعة، والرغبة الى الرجال مذلة، والحاجة تميت النفس وتفسد الحس.

- وذكر المعلم الحاذق؛ لإنه ربما أخذ المتعلم سوء عبارة المعلم، وذلك اذا لم يكن حاذقًا بطرق التعليم، عالما بتقديم المبادئ، واذا كان كذلك لم يحل منه بطائل ؛لان المقدم اذا اخرو المؤخر اذا قدم، بطل نظام البعد والتأخر، وعلى قدر الاساس يكون البناء.

- وذكر: ثقوب الذهن؛ لانه علة القبول وسبب الفهم، والبلادة تنافي ذلك الفهم والقبول، والبليد لاينفعه طول التعليم، كالصخر لاينبت فيه بدوام المطر.

- وذكر كثرة العمل؛ لكثرة العوائق والموائع، وقصر العمر، فمن لا يدأب في الطلب، ويكثر من الالتماس في وقت الفراغ، وقوة الشباب قطعته القواطع بع عالمًا ما تعلم، قليل، فيبقى صفرًا وعاطلا عطلًا.

- قال الحسن البصري: يرحم الله لقمان، لقد كان عبدًا حبشيًا، فجعل الله كلامه قرآنا.

- قال يحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ): بلغني أن الأعمش قال : انا ممن رفعه الله بالقرآن، لولا القرآن لكان على رقبتي دن صحناء أبيعهُ.

والدنُّ هو الإناءُ الكبير، والصحناء هو أدام يُتَّخَذُ مِنَ السمك الصغير، مُصلح للمعدة.

- قال أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) : ليس شئ أعز من العلم وذلك ان الملوك حكام

على الناس، والعلماء حكام على الملوك[٧]

- وقال سعيد بن جُبير (ت ٩٥هـ): لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم، فإذا ترك كان أجهل ما يكون.
- وقيل لبُزُرْجَمُهْرَ بن البختكان: بم جمعت هذا العلم الكثير ؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار [٨] .
- قال أبو هلال العسكري: الحفظ لا يكون الا مع شدة العناية وكثرة الدرس وطول المذاكرة، والمذاكرة حياة العلم، واذا لم يكن درس لم يكن حفظ، واذا لم تكن مذاكرة قلّت منفعة الدرس، ومن عوّل على الكتاب وأخلّ بالدرس والمذاكرة ضاعت ثمرة سعيه واجتهاده في طلب العلم[٩]

التحقيقُ

– والمراد بالتحقيق (الاصطلاح المعاصر) : بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة، فالكتاب المحقق هو الذي صحّ عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون الى الصورة التي تركها مؤلفه.

وتحقيق المخطوطة كما يرى العلاّمة (مصطفى جواد)[١٠] (ت ١٩٦٩م) هو : (الاجتهاد في جعلها ونشرها مطابقة لحقيقتها، كما وضعها صاحبها ومؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى، وذلك بسلوك الطريقة العلمية الخاصة بالتحقيق).

– إنَّ التَّحدِّي الأَوَّل الذي يواجه المحقق: صحة المخطوطة من حيث نسبها الى مؤلفها، ومدى صحة العنوان على موضوع الكتاب، واسم المؤلف ونسبة الكتاب إليه، ولطالما اكتشف المحقق أن مخطوطًا " كتب عليه اسم لا ينطبق على موضوعه، أو مخطوطًا كتب عليه اسم غير مؤلفه، جهلًا أو غفلة أو عن قصد لسبب سياسي أو ديني، فثمة من يتعمد محو اسم الكتاب واسم المؤلِّف، فيأتي من يضع له اسمًا بحسب ما يراه صوابًا.[١١]

شروط المحقق

التحقيق ليس عملية نسخ النص آليًّا أو حرفيًّا ومقارنته مع النسخ المختلفة فحسب، بل هو

---

[٧] العقد الفريد ٢/ ٨١

[٨] عيون الاخبار ١/ ١٢٣

[٩] الحث على طلب العلم ٦٧

[١٠] من تحقيق النصوص ١١٩

[١١] منهج البحث وتحقيق النصوص ١٢٨– ١٢٩

اخراج النص على الصورة التي أخرجها المؤلِّف أو قريبًا منها، وهو لذلك يفترض شروطًا في المحقق منها:

١- معرفة واسعة بأنواع الكواغد، وأمكنة صناعتها واختلافها والعلامات المائية والخطط المتوازية وأنواع الأحبار والمواد التي صنعت منها والفروق بينها ومعرفة بالخطوط وأزمانها وأمكنتها واختلافاتها من بلد إلى آخر، إضافة الى معرفة واسعة بجغرافية الاقطار وزراعتها ومنتوجاتها التي يمكن أن تدخل في صناعة الورق .

٢- تختلف المعرفة المطلوبة من المحقق باختلاف النص المحقق، فإن الشروط المطلوبة من محقق كتاب في الحديث النبوي هي غير الشروط من كتاب في الجغرافية أو التاريخ أو الطب أو كتاب في البلدان أو الفلك...إلخ.

٣- معرفة واسعة باللغة العربية أوّلًا ولغة عصر المؤلف ولغة المؤلف ثانيًا.

ولقد تنّبه "الجاحظ" [١٢] الى ما يُسمّى لغة الكاتب فقال: " ولكل قوم ألفاظ حظيت عندهم، وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام منثور، وكل شاعر في الارض، وصاحب كلام منثور، وكل شاعر الأرض وصاحب كلام موزون، فلابد أنْ يكونَ قد لهج وألَّفَ ألفاظًا بأعيانها يديرها في كلامه، وإن كانَ واسع العلم غزير المعاني، كثير اللفظ".

٤- اطلاع واسع على المصادر المساعدة ومعرفة استعمالها مثل كتب بروكلمان وسركين وكحالة والزركلي وكشف الظنون وذيوله وفهارس المخطوطات المختلفة.

٥-التصحيف والتحريف في النص هما آفه المفهرس والمحقق، لذلك يجب عليهما أن يكونا على دراية واسعة بكتب التصحيف والتحريف مثل تصفيحات المحدثين للعسكري وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف لصلاح الدين الصفدي وغيرهما .

- سأل جماعة من أهل بغداد أبا الأشعث العجلي (ت ٢٥٣هـ) أن يجيزهم كتابًا، فكتب اليهم. ألا فاحذروا التصحيف فيه فربما تغير معقول به ومقول.

وقد صدق؛ لأن الناسخ المحترف بشرٌ؛ يعتوره ما يعتور البشر من تعب وإجهاد وملل وسوء قراءة ما ينسخ.

وجاء في كتاب الفهرست [١٣](٢) أنَّ الديوانَ نُقِلَ في أيام (عبد الملك بن مروان)، فإنَّهُ أَمَرَ سرجونَ ببعض الأمر، فتراخَى فيه، فأحفظ عبد الملك فاستشار سليمان بن سعد، وكان على

---

(١٢) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، ص ١٠١.

(١٣) الفهرست للنديم (تجدد) ٣٠٣

كتابة الرسائل فقال له: أنا انقل الديوان وارتحل منه، والصواب : واريحك منه!

– ومن طرائف التصحيفات والأخطاء التي وردت في كتاب الأملاء والاستملاء للسمعاني والذي نشره المستشرق ماكس فايسفايلر :

١– جلس مجلسًا واحدًا وأملى علينا، فلما كان بعد ذلك حرج وقد اجتمع الناس. والصواب خرج.

٢– عن كعب بن مالك : قال لما نزل نوبتي، والصواب لما نزلت توبتي، وهذا معروف في حديث المتخلفين عن غزوة تبوك.

– ومن التصحيفات الطريفة ما ذكره (إلنديم) عن الراوندي قال : مررت بشيخ جالس وبيده مصحف وهو يقرأ : ولله ميزاب السماوات والأرض، فقلت ما تعني بميزاب السماوات والأرض؟! قال: هذا المطر الذي ترى! فقلت: إنما هو: ميراث السماوات والأرض.

خطوات التحقيق والتزوير :

– أما عنوان المخطوط: فقد يحدث أن تسقط الورقة الأولى، أو أن عنوان الكتاب غير واضح لأثر الرطوبة أو رداءة الخط أو بفعل الارضة أو بدافع التزوير، فيحتاج المحقق الرجوع الى فهارس المخطوطات لمعرفة المخطوطات ذوات الموضوع المتشابه، ومقارنة نصوصها بنصوص المخطوطة، والعودة الى ترجمة المؤلف لمعرفة كتبه واثاره، ومن ثم دراسة أسلوبه في مؤلفاته الاخرى، وقد يجد نصوصًا من الكتاب مضمنه في كتب أخرى .

– ولا ريب ان معرفة اسم المؤلف تيسر الأمر[١٤] وتهدي الى معرفة مؤلفاته وأسلوبه، وإذا كان طمس العنوان جزئيًا، فإنه يساعد كذلك في معرفة المخطوط من خلال الكتب الت فيها شبه بما تبقى من العنوان .

– وإذا كان اسم الكتاب واضحًا واسم الكاتب مفقودًا[١٥] فإن الوصول إليه يكون عن طريق معرفة الكتب المشتركة بالعنوان نفسه، ومن ثم معرفة زمن الكتاب من خلال شيوخ المؤلف وتلامذته، والأحداث .

(أساس البلاغة)

– واصطلاحًا هو: تغيير الحقيقة، بقصد الغش في مخطوطة أو وثيقة.

والتزوير عند الفقهاء هو: الكذب المكتوب.

[١٤] حدود الاجتهاد في تحقيق النص ٤٦٤

[١٥] حدود الاجتهاد في تحقيق النص ٤٦٤

ومنه التزوير بوضع تملكات أو أختام مزورة .

- ومنه باصطناع مثيل للمخطوط الحقيقي، ومن الأمثلة الدالة على ذلك :

- حطوط لرباعيات الخيام، كانت مكتبة جامعة كمبرج تحتفظ به، وظل مدعاة فخر واعتزاز لهذه المكتبة زمنًا طويلًا، الا انه حين أخضع للفحص الدقيق، تبين أنه ليس مخطوطًا أصليًا، بل هو مزور بشكل متقن(١٦)

- وكذلك الحال بالنسبة لمخطوط السيرة النبوية ،لابن هشام، والذي كان (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات) في الرياض قد اقتناه من أحد تجار المخطوطات.

- وحينَ أَخضَعَ للفَحصِ مِن قبل فريقٍ تقنيٍّ، أَشرَفَ عليهِ الخبيرُ العراقيُّ (الدكتور قاسم أحمد السامرائي) تبين أن المخطوط ليس أصليًا بل مزورًا، والتزوير حديث حيث لا يتجاوز المئة سنة(١٧)

تزوير المخطوطات والكتب:

- يقال زوّر تزويرًا: زين الكذب، وكلام مزور: مموّه بالكذب ومن المجاز: زوّر الشيء حسنّه وقوّمه، وأزال زوره: أي اعوجاجه، وكلام مزور: أي محسن والتزوير اصلاح الشيء

- وقال الاعرابي(محمد بن زياد) : كل اصلاح من خير أو شر فهو تزوير .

- وقال أبو زيد الانصاري (سعيد بن أوس): التزوير والتزويق التحسين قال تعالى(والذين لايشهدون الزور)

- والزور هنا : الكذب والباطل والبهتان

- والتزوير قديم : يقول (الذهبي) في "سمعان بن مهدي" الذي روى عن أنس بن مالك: سمعان بن مهدي عن أنس ألصقت به نسخة مكذوبة، رأيتها قبح الله من وضعها))(١٨) .

- ومثلها نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب(١٩)

ومن صور الانتحال ما ذكره (النديم) حول كتاب أخبار سديف ومختار شعره لمحمد بن يحيى الصولي(ت ٣٣٥) فقال : " وهذا الكتاب عوّل (الصوليُّ) في تأليفه على كتاب المرثدي في الشعر والشعراء، بل نقله نقلًا وانتحله، وقد رأت دستور الرجل خرج من خزانة الصوليِّ

(١٦) جريدة ،، القبس،، الكويتية ٢٠٠٦/٤/٧ م

(١٧) تراثنا –مجلة –كويتية –العدد ٤٠-٢٠٠٩م

(١٨) لان الميزان لابن حجر ١٤٤\٣

(١٩) تهذيب الكمال ١٣٧\٢٤- ١٤٠

فافضح به"[٢٠]

- والدستور : مسودة المؤلف أو نسخته التي بخطه ونعود إلى مصطلح (التزوير) الذي نعرفه اليوم ونقصد اليه وهو انشاء اية وثيقة على اية مادة ونسبة هذه الوثيقة مع مادتها الى زمن غير الزمن الذي كتبت فيه وذلك بتلفيق مادتها ومن ثم نحلها زمنًا أو مؤلفا سابقًا على زمن الوثيقة، وليس لاحقًا، في لفظ، فأصبح يعني علم الوثائق.

ولقد زوّر اليهود بعض الوثائق النبوية ومنها رسالته– صلوات الله عليه وآله – إلى هرقل (وقد وصلت الينا نسختان منها رسالته الى (النجاشي) ورسالته إلى ابن الجلندي.

- قال الدكتور قاسم أحمد السامرائي[٢١] وقد نشرت كل هذه الرسائل المتقدمة ودرسها بعض المستشرقين وبعض المسلمين، اختلفت الآراء فيها وتشعبت تشعبًا متناقضًا، فعدّها أغلب المتشرقين مزورة جملة وتفصيلًا.

- وذكرها (محمد حميد الله) كلها في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية، واورد المقالات والكتب التي درستها أو التي ورد لها ذكر فيها.

- ومثل هذا التزوير وردت فيه أخبار كثيرة في أثناء كتب التاريخ والأدب، فقد ذكر الطبريُّ أنَّ معاوية بن أبي سفيان كان أول من أحدثَ ديوانَ الخاتم، فقال: "وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعمرو بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمئة ألف درهم وكتب بذلك إلى (زياد بن سميَّة) وهو على العراق، ففض عمرو الكتاب وصير المئة مئتين، فلما رفع زياد حسابة أنكرها معاوية فأخذ عمرًا بردها وحبسه فأداها عنه أخوه عبد الله بن الزبير، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وحزم الكتب، ولم تكن تحزم"[٢٢]

أهمية الإسناد:

- لقد تأثر العلماء القدامى تأثرًا واضحًا بمنهج الحديث في مؤلفاتهم التاريخية واللغوية والأدبية، فأهتموا بالإسناد عناية خاصة، كما فعل الطبري (٣١٠ هـ) حينما نص على ذلك في مقدمة كتابه الشهير (تاريخ الأمم والملوك) قال: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت اني واسمه فيه، انما هو على ما رويت من الأخبار التي انا ذاكرها فيه، إنما هو على ما رويتُ من الأخبار التي ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها

---

[٢٠] الفهرست (تجدد) ١٦٨

[٢١] علم الاكتناه العربي الإسلامي ٣٧٢

[٢٢] تاريخ الطبري تح دي خويه، لايدن ٢٠٦١٢ في حوادث سنة ٦٠ من الهجرة

الى رواتها فيه، دون ما ادرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، الا اليسير القليل منه، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضيين مما يستنكره قارئه أو يتشنعه سامعه، من اجل انه لم يعرف له وجهًا من الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم انه لم يؤتَ في ذلك من قبلنا، وإنما اتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وانا انما ادينا ذلك على نحو ما أودي إلينا.

– فالطبري إذن بإسناده الروايات والأخبار إلى أصحابها، يلقي تَبَعَةَ ما فيها من أخطاء وروايات منكرة على عاتق هؤلاء الرواة، تاركًا المجال رحبًا للباحثين، لنقد هؤلاء الرواة وبيان أحوالهم.

الأدب والتاريخ :

هذا مثال تاريخي له صلة بالأدب، فالتاريخ جزء الأدب، ولاسيما إن الروايات الأدبية تضمنت كثيرًا من الأشعار والخطب والرسائل، بل تعدّ كتب التاريخ مصادر أساسية للروايات الأدبية . ولعل ممّا يرجح ذلك أن المؤرخين قديمًا عرفوا بالأخباريين ؛ لأنهم يروون أخبار الماضين، والروايات الأدبية جزء من هذه الأخبار ويتجلّى هذا المفهوم في كثير من المؤلفات الأدبية .

من ذلك ما ذكره (أبو أحمد العسكري) (٣٨٢هـ) في (المصون في الأدب) قال :[٢٣]

كان أبو زيد (الأنصاري) لا يعدو النحو، فقال له (خلف الأحمر) :

قد ألححت على النحو لم تعدُه، ولقل ما ينبل منفردو به، فعليك بالشعر والأخبار .

– ولا أدل على اختلاط الأدب، بمفهومه المعاصر، بالروايات التاريخية من كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة[٢٤] الذي تخيّر فيه "من كلام البلغاء وفِطن الشعراء، وسير الملوك وآثار السلف".

– وجاءت المقالة الثالثة عند (النديم) في " الفهرست " بعنوان (من أخبار الاخباريين والنسابين وأصحاب السَّير والأحداث) .

مناقشة السند :

أما علماء اللغة فقلّ أن نجد كتابًا من كتبهم يروى دون اسناد الاّ للضرورة كما نصّ على ذلك الصولي (٣٣٦هـ) في كتابه (أدب الكتّاب)[٢٥] قال : (قد اختصرت كتابي هذا جهدي،

---

[٢٣] المصون في الأدب (ط٢) ١١٩ وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ت ٢١٥ هـ

[٢٤] ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ .

[٢٥] أدب الكتاب (ط . دمشق) ٣٤ .

غير تارك ما يحتاج إليه فيه، ولكني أخرجت المعاني في أفواتها من الألفاظ، وأسقطت من أكثرها الأسانيد ليقرب على طالبه، وينال بغير كلفة ما أراد)

– إن الاكتفاء بمجرد نقل الروايات مسندة يوقع الباحث في مزالق وأخطاء يصعب التخلص منها.

– وقد رفض (ابن خلدون) في مقدمتهِ مجرد نقل الروايات دون مناقشتها ونقدها، يقول : "إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطورها في صفحات الدفاتر، وأودعوها وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل، وهمّوا أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها".

وشاعت ظاهرة الكذب والوضع في الأخبار والشعر كما ذكر (ابن خلدون) وغيره؛ لان من يكذب في (الحديث النبوي) لا يتورع عن الكذب في غيره .

ولا سيما إذا عرفنا أن غالبية رواة الحديث هم أنفسهم رواة اللغة والشعر والأخبار[٢٦].

خطوات التحقيق :

يجمع العلماء والمحققون على أن : تحقيق النص التراثي يعني : قراءة هذا النص على الوجه الذي كتبه عليه مؤلفه ؛ ذلك لأن التحقيق إنما يعني : التدليل على كل أمر من الأمور العلمية المراد تحقيقها بدليل أو أكثر من الأدلة العلمية التي تؤيده، حتى يقترب النص تمامًا ممّا أراده عليه مؤلفه، وحتى يكون المحقق على يقين في تحقيقه وإخراجه لهذا النص، وهذا هو أصل التحقيق في المعنى اللغوي

– من هنا فإنه يجب على المحقق أن يكون جادًا في تحقيقه أو عمله، والاّ يقنع بمجرد المقابلة بين النسخ المتوفرة عنده، بل ان هذا المحقق سيقوم بهذه المقابلة بين نسخ العمل كخطوة أولى لتحقيق النص[٢٧]

– ويمكن تلخيص الخطوات التي يتبعها المحقق بعد المقابلة كالآتي : تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (ترجمة عبد الحليم النجار ورفاقه – القاهرة – ١٩٧٧م) ، وتاريخ التراث

---

(٢٦) انظر حول اسقاط السند د . ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي دار المعارف بمصر ١٩٦٢م والدكتور عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب – دار المشرق – بيروت ١٩٨٣ (تستشار الفهارس) .

(٢٧) منهج في دراسة الادب ٥٤

العربي لفؤاد سزكين (ترجمة محمود حجازي وعرفة مصطفى، الرياض – ١٩٨٣ – ١٩٨٦ م).

– ولقد اتفق العلماء المحققون على أن أعلى المخطوطات هي التي كتبها المؤلف بنفسه أو يكون قد أملاها أو أجازها أو أشار بكتابتها .

وتُسَمَّى أمثال هذه النسخ من المخطوطات بـ"النُسخة الأُمّ" أو الأصل[٢٨].

رأيان في أصول التحقيق :

إنّ تحقيق نص عربي ليس أمرًا هيِّنًا إذ لهُ قواعدُهُ وأُسُسُهُ التي ألتزم بها المُحَقِّقونَ، وأخذوا بها .

وثمة رأيان في طريقة إخراج النصر لكل منهما أنصاره :

– فأولهما : يرى الاقتصار على إخراج النص مصححًا وخاليًا لا يفيد القارئ أو الباحث ؛ لذلك ينبغي توضيح النص بالهوامش والتعليقات واثبات الاختلافات في النسخ والاشارة الى مصادر ورود الاسم أو الخبر أو الحادثة، وقد التزم هذه الطريقة، قلة من المحققين ، لما فيها من وعورة، وما تتطلبه من جهد مضنٍ واطلاع واسع .

– وثانيهما : يرى أن إخراج النص لا يحتاج الى إثقاله بالهوامش والتعليقات والاشارات الى مناجم ورود الخبر أو العَلَمَ واصلاح ما طرأ عليه من غلط النساخ، بل ينشر النص كما هو، ويحتجون بأن النص يمثل مرحلة أدبية لغوية، وقد زخر عالم النشر بكثير من نتاج أصحاب الرأي الأخير، فكان كارثة على الباحثين الذين رأوا ان الرجوع الى المخطوطة الاصل خير من الاعتماد على ما أُخرج بهذه الحلة السقيمة .

– الظاهرأن هؤلاء اتبعوا هذه الطريقة لسهولتها ورغبوا عن الأُخرى لما تتطلبه من صبر وعناء . لهذا جنحوا الى الاسراع في نسخ المخطوطة، أو عهدوا بها إلى كاتب طابعة (قبل عصر الكومبيوتر) وأسرعوا به الى أقرب ناشر أو مؤسسة نشر لتظهر أسماؤهم لامعة ساطعة على صفحة الغلاف، ولهذا كثرت فيه الاخطاء وشاع التصحيف .

– يقول الدكتور قاسم أحمد السامرائي[٢٩]: " وهذه العلة التي يقع فيها المحققون تكمن في السرعة في الانجاز وقلة البحث والتنقير، وضحالة الخلفية العلمية، ونفاد صبر الناشر المستعجل لنشر الكتاب وقبض الثمن".

– إن تحقيق النص اذًا ليس عملية نَسْخ آليّ يقوم به من شاء، بل هو عملية خلق جديدة للنص

---

[٢٨] في تحقيق التراث ٦٧

[٢٩] علم الاكتناه العربي الإسلامي ٨٤ – ٨٥

واعادته للحياة على الصورة التي أرادها المؤلف نفسه أو في الأقل قريبًا منها، وانه لا يستلزم معرفة المحقق باللغة العربية وحسب، بل يفترض فيه ان يكون على علم بألوان المعرفة التي يتناولها النص، وهو الى ذلك يتطلب صبرًا وجلدًا ونفسًا طويلًا على معاناة النص، وخاصة اذا كان النص فريدًا لا ثني له .

- يضيف الدكتور السامرائي قائلًا: من هنا استطاع المحقق الغربي التفوق على العربي بشيء والتقصير عنه بشيء آخر، فلقد فاقه بصبره وجلده ومثابرته على اكتشاف الغامض من النص بالرجوع الى عشرات المصادر، وقعر عنه بفهمه للغة غريبة عنه، تختلف في مجالاتها، وضروب اشتقاق ألفاظها، ومعاني حروفها التي تتغير في مجالات ورودها .

- والمحقق الغربي يبحث أياما طوالًا عن لفظة واحدة لا يكل ولا يعتوره الملل حتى يحظى ببغيته، وهو مع هذا فقد يقع على ضالته وقد يضل السبيل، وغالبًا ما يختار اللفظ الخطأ اذا تعددت القراءات لجهله بسياق المعنى، وصلاح اللفظة وملاءمتها لمواضعها .

- التحقيق العلمي النقدي في معناه الواسع لا يعدو أن يكون تشييدًا جديدًا وإعادة تركيب النص كما أخرجه مؤلفه، ولذلك لا يحق ان يضيف الى النص شيئًا او يسقط منه شيئًا اتباعًا للأمانة العلمية.

- ولقد حدث أن أحد المشتغلين بالتحقيق نشر كتاب (خلاصة الوفا بأخبار المصطفى) للسمهوردي المتوفَّى سنة ٩١١هـ فحشا النص بنقول من كتاب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) للمؤلف نفسه مع وجود نسخ كثيرة من الخلاصة نفسها، فإن عمله هذا لا يوافق عليه أهل هذه الصنعة، ولا السمهودي نفسه، والاّ ماذا كانت الحكمة عند السمهودي حين اختصر كتابه الكبير وأضاف اليه ممَّا لا يوجد في كتابه الكبير ؟

وتقلّ هموم المحقق اذا عثر على نسخة بخط المؤلف أو نسخة قرئت على المؤلف .

وباختصار فإن تحقيق النصوص ليس أمرًا هينًا –كما قدمنا – لأنه عملية علمية صرفة محفوفة بالمزالق والمشكلات التي يقف المحقق أمامها حائرًا حتى يتوصل الى حلها .

شكوك :

- أما النسخ الأخرى فيرمز لها بحرف من اسم المدينة التي تحتضنها أو المكتبة التي تضّمها .

- وينبغي دراسة كل النسخ التي تتيسر للمحقق لمعرفة ورقها وتاريخها، ويدخل في فحص هذه المخطوطات : معرفة المداد الذي كتبت به، وكذلك فحص خطها ودراسته .

- كما يجب تدقيق عنوان الكتاب وما يوجد في صدره من إجازات وقراءات لبعض العلماء

او تعليقاتهم وكذلك ينبغي ملاحظة التملكات الموجودة في صدر الكتاب للإفادة منها .[٣٠]

- على المحقق أن يطمئن الى أن الاسم الموجود على الصفحة الأولى للمخطوط هو اسم صاحبها الحقيقي، كما عليه ألاّ ينخدع بوجود أي اسم آخر عليه .
- ولقد ثار لغط كثير حول نسبة بعض الكتب المشهورة الى أصحابها ومن ذلك كتاب " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، فقد أورد السيوطي (٩١١هـ) نصوصًا للعلماء تشكك في نسبته الى " الخليل "
- ومن ذلك أن الأستاذ أحمد زكي باشا نشر كتاب " اخلاق الملوك " منسوبًا للجاحظ، ولقد ثبت لنا أن مؤلفه الحقيقي هو " محمد بن الحارث الثعلبي – من علماء القرن الثالث للهجرة وصدر بتحقيقنا :[٣١] وهناك أمثلة كثيرة للمؤلفات التراثية التي دارت حولها آراء العلماء .

ثم تأكدت نسبتها الى اصحابه الاصليين ومن الأمثلة على ذلك :

أ- (نساء الخلفاء المسمّى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والإماء) لابن الساعي، وكان المخطوط قد حملَ اسمَ ابن الفوطي خطأً.

ب- الغريب المصنف للقاسم بن سلَّام الهرويّ المتوفى ٢٢٤هـ [٣٢]

ج- شرح ديوان المتنبي المنسوب لابي البقاء العكبري المتوفى ٦١٦ هـ، فلقد أثبت العلامة مصطفى جواد أن مؤلفه ابن عدلان المتوفى ٦٦٦هـ .

د- الجامع في العروض والقوافي لأبي الحسن العروضي المتوفى ٣٤٢هـ، هذا ما أثبته الأستاذ هلال ناجي والدكتور زهير غازي زاهد ومخطوطته التونسية الفريدة، ثبت عليها " المخترع في العروض " لأبي القاسم الزجاجي .

٣- ضبط أو تشكيل كل ما يحتاج الى ضبط من كلمات النص التراثيِّ المراد تحقيقه .

٤- تحقيق الآراء العلمية الواردة في النص والخاصة بكل عالم من العلماء الذين نقل عنهم مؤلف النص التراثي وذلك من خلال نسبتها، أو عزو كلّ رأي منها إلى صاحبها من خلال الرجوع الى تلك الكتب .

٥- تحقيق الأعلام المذكورة في النص، وتقديم ترجمة وجيزة لغير المشهورين باستثناء الخلفاء

---

[٣٠] منهج في دراسة الأدب ٥٥

[٣١] دار الطليعة – بيروت ٢٠٠٣م

[٣٢] في تحقيق التراث ٧٢ – ٨٠

والشعراء المرموقين . إلخ، وذلك بمراجعة (تاريخ بغداد) للخطيب، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان و(الوافي بالوفيات) للصفدي – مثلًا .

٦- تحقيق البلدان والأماكن بالرجوع إلى معجم البلدان لياقوت، وكتاب البلدان لابن الفقيه، وإهمال التعريف بالمدن المشهورة كبغداد والبصرة ودمشق والكوفة والقاهرة.

٧- تحقيق ما قد يرد في النص من أمثال العرب وحكمها وكلماتها المأثورة من خلال مراجعة (مجمع الأمثال) للميداني و(معجم الأمثال العربية) لرياض عبد الحميد مراد (الرياض، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م).

٨- اعداد الفهارس الفنية التي تشمل النص المحقق : الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكذلك فهارس للأشعار واللغات والأمثال والأعلام والأماكن وغيرها، ويكون الختام المصادر والمراجع:[٣٣].

٩- إعداد مقدّمة للكتاب تشمل على ترجمة المؤلف وعصره وشيوخه وتلامذته وآثاره والمقدّمة يدَّخرها المحقق إلى ختام عمله؛ لأنه سيلّم بالكتاب كاملًا .

مدارس التحقيق :

- جاء في (أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه) الذي وضعته لجنة مختصة في (معهد المخطوطات العربية) أن تكون للتحقيق ثلاثة مقاصد :

الأول: تقديم النص صحيحًا مطابقًا للأصول العلمية .

الثاني: توثيق النص نسبة ومادة . الثالث: توضيح النص وضبطه .

- هنا لا بأس من الاشارة الى وجود مدرستين في تحقيق المخطوطات خاصة والتراث عامة .

- الأولى: مدرسة الاختصاص الدقيق، وهي أن يكون المحقق معنيًا بنصوص علم واحد كالطب أو الرياضيات أو الكيمياء أو الفلك .

- الثانية: مدرسة العلوم الإنسانية العامة، وهي تشمل الآداب والدين والتاريخ والجغرافية والفلسفة والسياسة، مثلًا .

- المدرسة الثانية هي التي سار على نهجها المستشرقون والمستعربون منذ القرن السابع عشر

---

[٣٣] وتتطلب الفهارس مراجعة الجراءات (أو الكارتات) التي يصنعها المحقق للنص منذ بداية عمله، وهذا ييسر له عمل الفهارس. وثمة من يضع فهرس المصادر والمراجع في ختام النص المخطوط، في حين يضع آخرون هذا الفهرس في ختام الفهارس .

الميلادي، وإن شئنا أن نضرب –مثلًا على ذلك، فلنراجع (مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي)، تحقيق بربيه دي مينار وكرتاي وشارل بلا [بيروت ١٩٦٦ – ١٩٧٩م]

وقبل أن نطوي هذه الفقرة نلخص المواصفات التي ينبغي أن يتصف بها كل من يمارس التحقيق[٣٤].

١– أن يمتلك ثقافة عالية باللغة، عارفًا ببواطنها .

٢– أن يكون ذا ثقافة عامة، مطلعًا على مختلف فروع المعرفة، ملمًا بآداب العربية: تاريخها ونحوها وعروضها وصرفها .

٣– أن يكون مُلمًّا بلغة اجنبية واحدة في الأقل كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية .

٤– أن يكون عارفًا بأنواع الخطوط المشرقية والمغربية، وقراءة الحروف المعجمة وغير المعجمة، يميّز ويعرف التصحيف والتحريف .

٥– أن يتمتع بالصبر والجلد وطول النفس .

٦– أن تكون له خبرة صنع فهارس للكتاب الذي يريد نشره .

٧– أن يمتلك مكتبة تراثية تتوفر فيها مصادر أساسية للمخطوطات، ومراجع حديثة تعينه على إنجاز مشروعاته التراثية .

المصادر والمراجع

– أخلاق الملوك : محمد بن الحارث الثعلبي، تحقيق الدكتور جليل العطية، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٣م .

– أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه: تقرير أعدّه معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٥م .

– البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

– تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار ورفاقه، القاهرة، ١٩٧٧م .

– تاريخ التراث العربي –فؤاد سزكين، ترجمة محمود حجازي وعرفة مصطفى، الرياض، ١٩٨٣ – ١٩٨٦م .

– تاريخ الطبري، تحقيق دي خويه – لايدن – هولنده.

– التعريف بآداب التأليف –جلال الدين السيوطي –نشر مرزوق علي –مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٩م .

– تهذيب الكمال في أسماء الرجال : جمال الدين المزي –بيروت – ١٩٨٠م .

– الجامع في العروض والقوافي – أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، تح الدكتور زهير غازي زاهد – والأستاذ هلال ناجي – دار الجيل –بيروت ١٩٩٦م .

---

[٣٤] ينظر: التحقيق العلمي وأثره في إحياء التراث العربي للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ٦١ ولقد أضفنا إليه أشياء مناسبة .

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور – ضياء الدين بن الأثير الجزري – تح الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد – مطبوعات المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٥٦م .

- الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه : أبو هلال العسكري – تحقيق مروان قباني، المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

- الحيوان : الجاحظ تح عبد السلام محمد هارون، البابي الحلبي، ط ٣ – القاهرة .

- رسائل الجاحظ – تح عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي، القاهرة – ١٩٧٩م .

- العقد الفريد : ابن عبد ربه، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة (د.ت) .

- علم الاكتناه العربي الإسلامي : الدكتور قاسم السامرائي، ط٢، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

- عيون الأخبار: ابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة .

- في تحقيق التراث: الدكتور زهير غازي زاهد، والدكتور ناظم رشيد، دار الضياء، النجف الأشرف،١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

- فن تحقيق النصوص (أمالي مصطفى جواد)، إعداد عبد الوهاب محمد علي، مجلة (المورد)، مج ٦ /ع١، بغداد، ١٩٧٧م .

- الفهرست : النديم (محمد بن إسحاق)، تح رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م .

- لسان العرب – ابن منظور – طبعة دار صادر – بيروت .

- لسان الميزان : ابن حجر – حيدر آباد – ١٣٣١هـ .

- ما ألّف في مناهج التحقيق .. توثيق ودراسة – الدكتور عباس هاني الجراخ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج ٨٢/ع٢ – ٢٠٠٧م .

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي : الرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج نوبهض، بيروت، ١٩٧٢م .

- المصون في الأدب – أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م .

- منهج البحث وتحقيق النصوص : الدكتور يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – ١٩٩٣م .

- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم : الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م .

المقالات في الدوريات:

- تحقيق التراث : الدكتور حسين نصار (مقال) مجلة الكتاب – بغداد – ٨/٥ – ١٩٧٤ م.

- التحقيق العلمي وأثره في إحياء التراث العربي (مقال) : الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة الكتاب – بغداد – ٨/٨ (آب – ١٩٧٤م) .

- تراثنا، مجلة يصدرها مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت .

- القاضي عياض ونظراته في منهج تحقيق المخطوط : عباس ارحيلة، (مقال)، مجلة عالم الكتب – الرياض مج ١٦/ع١ – ١٩٩٥م.

- القبس، جريدة يومية تصدر في الكويت .

- منهج في دراسة الأدب: الدكتور جاسر أبو صفية (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، مج ٣١/ع١٠ – ١٩٨٦م .

الشّاهِدُ الشِّعْرِيُّ بين الصَّغانِيِّ، وسابقِيه
في: (العُبابِ الزّاخِرِ) بتحقيقِه الجديد
(القسمُ الأوّل: الأجزاء ١، ٢، ٣)

الدكتور محمّد بهاء بن حسن كَكُّو[١]

الملخّص:

أكرمَني المولى - عزَّ وجلَّ- بالوقوفِ على المعجمِ اللّغويِّ الموسوعيِّ (العُبابِ الزّاخِرِ، واللُّبابِ الفاخِرِ) بتحقيقِه الجديد، الذي يشملُ الكتابَ كاملاً إلى مادّة (ب ك م) حيثُ اخترمتِ المنيّةُ واضعَه الإمامَ الصَّغانيَّ (٦٥٠هـ) - رحمه الله-، واطّلعتُ بحماسةٍ وعشقٍ على تراكيبِه ودقائقِها؛ فألفيتُه مصنَّفاً جليلاً ماتعاً؛ ينقلُ قارئَه بين تراكيبِ اللّغة؛ مستشهِداً عليها بكثيرٍ من آياتِ القرآنِ الكريمِ، ونصوصِ الحديثِ النّبويِّ الشّريفِ، والأثرِ، والخبرِ، وأقوالِ العربِ، وأمثالِهم، وأشعارِهم، ذاكراً أسماءَ أعلامِهم وفرسانِهم وخيولِهم وسيوفِهم وأيّامِهم ونباتِهم وأماكنِهم... وألفيتُ مصنِّفَه ذا موقفٍ من العلماءِ في تواليفِهم التي نهلَ منها، عارفاً بالشعرِ، مُصحِّحاً نسبتَه، مرجِّحاً رواياتِه، فأخلصتُ هذا البحثَ لجهودِ الرّجلِ في تناولِ الشّاهدِ الشِّعريّ فحسب، وبذلتُ الطّاقةَ في خدمةِ ما اصطفيتُ منها، واجتهدتُ في التّعليقِ عليه، جاعلاً إيّاه على أقسامٍ؛ فرضَتْها ضخامةُ معجمِ (العُباب)، واضعاً بين يدِي القارئ أوّلَها. ومن الله السّدادُ والعون. والحمدُ له أوّلاً وآخراً.

The Poetic Witness between Al-Saghani and His Predecessors in (Al-Obab Alzzakhir) in Its New Investigation
Section One; Parts 1,2,3

Dr. Muhammad Bahaa Bin Hassan Gakw
Higher Institute of Languages/ University of Hama / Syria

Abstract

The Almighty God has honored me by reviewing the encyclopedic linguistic dictionary (Al-Obab Azzakher and Al-Lubab Alfakher) in its new investigation, which includes the entire book up to the article

---

[١] عضو الهيئةِ التّدريسيّة في المعهدِ العالي للّغات، جامعة حماة، سوريَة.

(b k m) where death has perished its author Imam Al-Saghani (650h). The researcher has read its structures and their details with enthusiasm and love, and found it a great and enjoyable work, which moves its reader among the language's structures, citing many verses of the Noble Quran, texts of the Noble Prophet's Hadith, tradition, reports, sayings of the Arabs, their proverbs and poetry, mentioning the names of their notables, knights, horses, swords, days, plants and places. The researcher has found the author's composition in a position with the scholars regarding their composition on which he depended, knowledgeable of poetry, correcting its attribution and preferring his narrations.

He devoted this research to the man's efforts in dealing with the poetic evidence only, and made the effort in serving what had been selected, and worked hard to comment on it, dividing it into sections imposed by the magnitude of (Al-Obab) dictionary, and placing the first of them to the readers' hands. And from God provide his help, and praise be to Him first and last.

ترجمةُ الصَّغانيّ[٢] (١٠ صفر ٥٧٧هـ - ١٩ شعبان ٦٥٠هـ):

هو المُحدِّثُ، الفقيهُ الحنفيّ، اللّغويُّ، الحسنُ بن محمّدِ بنِ الحسن بنِ حيدر، رضيُّ الدّين، أبو الفضائل، القرشيُّ، الصَّغانيُّ[٣] الأصل. وُلد في (لُوْهَوْر) من بلادِ الهند، ونشأ في غَزْنةَ[٤]، ثمّ دخلَ بغدادَ سنة (٦١٥هـ)، وكانَ رسولاً بين الخليفةِ العبّاسيّ وصاحبِ الهند. سمعَ في: الهندِ،

---

[٢] أوّلُ من ترجمَ له ياقوتٌ الحمَويّ (٦٢٦هـ) في: معجم الأدباء ١٠١٥ وكانَ التقاه في مكّةَ المكرّمة سنة (٦١٣هـ). وانتخبتُ ترجمةَ الصّغانيّ من: صلة التكملة لوفياتِ النّقلة ٢٦٧/١، وإشارة التّعيين ٩٨، وتاريخ الإسلام ٦٣٦/١٤، والوافي بالوفيات ١٥٠/١٢، والجواهر المضيّة في طبقاتِ الحنفيّة ٨٢/٢، والعقد الثّمين في تاريخِ البلدِ الأمين ١٧٦/٤. ومقدّمتَي تحقيق كتابَيه: (الشّوارد، والعُباب)؛ إذ فصّلَ المحقّقان في ترجمتِه ورحلاتِه بما لا مزيد عليه.

[٣] نسبةٌ إلى (صَغانِيان): "ولايةٌ عظيمةٌ بما وراء النّهر، متّصلةُ الأعمالِ بـ(تِرمذ)... وقد نسبوا إليها على لفظَين: (صغانيّ، وصاغانيّ". معجم البلدان ٤٠٨/٣، ٤٠٩.

[٤] "مدينةٌ عظيمةٌ، وولايةٌ واسعةٌ في طرفِ خُراسانَ. وهي الحدُّ بين خُراسانَ، والهند". معجم البلدان ٢٠١/٤.

وبغدادَ، ومكّةَ المكرّمة، واليمن. ماتَ في بغدادَ، ثمّ نُقِلَ إلى مكّة المكرّمة؛ فدُفن فيها؛ إذ كانَ أوصى بذلك.

وأثنى الحافظُ الحسينيُّ (٦٩٥هـ) عليه وعلى تواليفِه بقولِه: " كانَ عالماً باللّغة، وله فيها مصنّفاتٌ حسنةٌ، وجُموعٌ مفيدة". ومدحَ أخلاقَه وعِلمَه تلميذُه الحافظُ الدِّمياطيّ (٧٠٥هـ) بقولِه: "كانَ شيخاً صالحاً، صدوقاً، صموتاً عن فضولِ الكلام، إماماً في اللّغة، والفقه، والحديث"، كما نعتَ الصّفديُّ (٧٦٤هـ) خطَّه بأنّه: "خطٌّ جيّدٌ، محرّرُ الضّبط"[٥].

وقد فصّلَ محقّقو كتبِ الإمامِ الصّغانيّ في مقدّماتهم لها الحديثَ عن: شيوخِه، وتلاميذِه، ومصنّفاتِه الحديثيّةِ والفقهيّةِ واللّغويّةِ والأدبيّةِ، ولا سيّما: الدكتورة عِزّة حسن في: (ما بنَتْه العربُ على فَعَالِ)، وأ. مصطفى حجازيّ في: (الشّوارد)، والدكتور المخدوميّ في: (العُباب الزّاخر)، فلا مزيد على ما فصّلوا –أجزلَ اللهُ لهم الأجرَ–.

معجمُ: (العُباب الزّاخر، واللّباب الفاخر):

صنّفَ الصّغانيُّ "عدّة كتبٍ في اللّغةِ مبسوطةً، ومختصَرة"[٦]، ووصلَ إلى مرتبةٍ علميّةٍ مرموقةٍ، وكانت ثمرةُ جهدِه العلميِّ معجمَه المطوّلَ: (العُباب)، وهو آخرُ ما صَنَّفَ، ولم يمنحْه أجلُه فرصةً لإتمامِه؛ فوصلَ فيه إلى تركيبِ (**ب ك م**)، ومع ذلك كانَ أضخمَ تصانيفِه، وأثنى العلماءُ عليه[٧]؛ إذِ اتّخذَ –بحقٍّ– سمةَ الموسوعيّة، وعملَ فيه الصّغانيُّ على جمعِ التّراكيب من كتبِ اللّغة؛ مستشهداً على صحّتِها بكثيرٍ من آياتِ الكتابِ العزيز، وبقِطَعٍ واسعةٍ من غرائبِ الأحاديثِ النّبويّةِ الشّريفة، وآثارِ الصّحابةِ الكرامِ (رضيَ الله عنهم)، والتّابعين لهم، وبأسمائهم، وأسماءِ المحدِّثين، وبالأشعار، وأسماءِ الشّعراء، وبالأمثال، وأسامي الأسد، وأسامي خيلِ العرب، وفرسانِها، وسيوفِها، وبقاعِها، وجبالِها، وداراتِها، ونباتِها، وشجرِها... وما سبقَ يدلُّ "على أنّ الصّغانيَّ كانت عنده ذخائرُ من الكتبِ الجيّدةِ والنّادرة، لم تكن عند غيره، واستفادَ [كذا] منها كلَّ الاستفادة، وأنّه كانَ حريصاً على جمعِ الكتب"[٨]، ويشيرُ إلى أنّ (العُبابَ) سِفرٌ جليلُ الفائدة، جزيلُ العائدة.

ولا يخفى على كثيرٍ من المختصّين بالشّأنِ اللُّغويِّ تحقيقُ العالمِ العراقيِّ الشيخِ محمّد حسن آل ياسين (١٤٢٦هـ) – رحمه الله– أجزاءً منجّمةً من هذا المعجمِ –المبنيِّ على أبوابِ أواخرِ

---

[٥] وممّن أشارَ من المعاصرين إلى جودة خطِّ الصّغانيّ الأستاذ عبد السّتّار فرّاج في بحثِه: (الصّغانيّ، أبو الفضائل، رضيّ الدِّين) المنشور في: مجلّة معهدِ المخطوطاتِ العربيّة (مج ٢٦، ج١، ١٩٨٠م) ص٥١. وانظر في جودة خطِّه: مقدّمة تحقيق كتابه: (أسامي شيوخِ البخاريّ، وكناهم وأنسابهم) ١٧، ٢٩.

[٦] إشارة التّعيين ٩٨.

[٧] انظر: مقدّمة المجدِ الفيروزآباديّ لقاموسِه المحيط ٢٦، والمُزهر في علومِ اللّغة، وأنواعها ١/١٠٠، ١٠١.

[٨] العُباب، مقدمة المحقّق المخدوميّ –رحمه الله– ١/٥٥.

الكلمات- وإصدارُه على وفقَ بعضِ الحروف[٩]، ولكنّ الذي يخفى على المختصِّين أكثرِهم أنّ عالماً باكستانيّاً هو الدكتور محمّد حسن المخدوميّ الكشميريّ المتوفّى في إسلام أباد سنة (١٩٩٩م) - رحمه الله- كانَ في الوقتِ ذاتِه حصلَ على بضعٍ من مخطوطاتِ (العُبابِ) كاملاً، وعملَ على تحقيقِه مدّةً نحواً من عشرين سنة، وأتمّ هذا السِّفرَ الضّخمَ عام ١٩٩٣م، وأنّ الجزءَ الأوّلَ منه المتضمّنَ حرفَ الهمزةِ فحسب صدرَ عن (المجمعِ العلميِّ العراقيِّ) سنة ١٩٧٨م، ثمّ طُبِعَت أربعةُ الأجزاءِ الأولى المتضمّنةُ حرفَ الهمزة وصولاً إلى آخرِ حرفِ الصّادِ في باكستان، إلّا أنّ الجزءَ الرّابعَ الذي طُبع سنة (١٤١٧هـ) - قبل وفاةِ الدكتور المخدوميّ بثلاثِ سنواتٍ- خرجَ من دون إجراءِ التّصحيحاتِ عليه؛ فحالَ ذلك دون توزيعِه، ثمّ أُوقِفَ توزيعُ الأجزاءِ الأربعةِ كاملةً، ليبقى المعجمُ النّفيسُ المسكينُ حبيسَ مكتبةِ الدكتور المخدوميّ بعد وفاتِه إلى أن شاءَتْ أقدارُ اللهِ الميمونةُ أن تُقيّضَ له - بعد حوالي ربعِ قرنٍ- عالماً مهتمّاً بالمخطوطاتِ، غيوراً على لغةِ الضّادِ هو الدكتور أحمد خان[١٠]، الذي أتى به مدينةَ الرّياض؛ والأملُ يحدوه إلى نشرِه، ولكنّه واجهَ تحدّيَ ضخامةِ العمل، وحاجتَه إلى جهدٍ مؤسّساتيّ؛ لمراجعتِه وطباعتِه، إلى أن هيّأَ اللهُ مركزَ (البحوث والتّواصل المعرفيّ)؛ ليحظى بشرفِ خدمةِ هذا المعجم، الذي أَسندَ أمرَ المراجعةِ والإشراف على الطّباعةِ إلى المحقّقِ الدكتور تركيّ بن سهوٍ العتيبيّ، الذي نهضَ بالعمل، لا بل أعادَ بناءَه من جديدٍ بعد حصولِ الأمينِ العامِّ لـ(مركزِ البحوث) الدكتور يحيى محمود بن جنيد على مصوّرةِ نسخةٍ مخطوطةٍ نفيسةٍ جدّاً، وعاليةٍ لـ(العُباب)، محفوظةٍ في مكتبةِ (البيرونيّ) في العاصمةِ الأوزبكيّـةِ (طاشقند)، لم يقف عليها محقّقُه الأصليّ؛ فكانت من الدكتور العتيبيّ سبعُ سنواتٍ تمخّضَت عن رؤيةِ (العُباب) - مطبوعاً- النّورَ بحلّةٍ بهيّةٍ، وطبعةٍ أولى أنيقةٍ على مطابعِ (دار صادر) البيروتيّـةِ العريقةِ في العامِ ٢٠٢٢م، مموّلةً من مركزِ (البحوث والتّواصل المعرفيّ) في الرّياض، وذلك على مساحةِ ثلاثةَ عشَر جزءاً، أُضيفَ إليها جزآن؛ جُعلا للفهارسِ الفنيّـة.

منهجُ الصّغانيّ في إنشادِ الأشعار، والاستشهادِ بها:

صرّحَ الصّغانيّ في مقدّمةِ معجمِه بخُطّةِ عملِه؛ إذ كانَ "آتياً بالأشعارِ على الصّحّة، غيرَ مختلّةٍ، ولا مغيَّرةٍ، ولا مُداخَلةٍ. معزُوّاً ما [عَزَا] منها إلى قائلِه، غيرَ مقلِّدٍ أحداً من أربابِ

---

[٩] وهي: جزء حرفِ الهمزةِ الصّادر عام ١٩٧٧م، وجزء حرفِ الطّاءِ الصّادر عام ١٩٧٩م، وجزء حرفِ الغينِ الصّادر عام ١٩٨٠م، وجزء حرفِ الفاءِ الصّادر عام ١٩٨١م، وأخيراً جزء حرفِ السّين، وصدر عام ١٩٨٧م. وتوفّي الشيخُ - رحمه الله- ولم يُكتب له إكمالُ إنجازِ ما بدأ بـه.

[١٠] نعتَـه الدكتور المخدوميّ - رحمه الله- في مقدّمـةِ تحقيقِـه (العُبـاب) ٤٤/١ بـ "صديقنا الشّابِّ الصّالح". وللدكتور أحمد خان صلةٌ وثيقةٌ بالصّغانيِّ، ومصنَّفاتِـه؛ إذ حقّقَ منها مجموعةً، ونشرَها. انظر: مقدّمة تحقيق (العُباب)، فقرة: (مؤلّفات الصّغانيّ) ٤١/١، وما بعدها.

التّصانيفِ، وأصحابِ التّآليف، لكنْ مراجِعاً دواوينَهم، معتاماً أصحَّ الرّوايات، مختاراً أقوالَ المتقنِين الثّقات"[١١]. ولأجلِ هذا المنهجِ اطّلعَ الصّغانيُّ على كتبِ اللّغةِ الأصول؛ لعرض التّراكيبِ اللّغويّةِ والشّواهد عليها، ومناقشةِ ما بدا له من ملاحظاتٍ وتعليقاتٍ، ومن تلك الأصول التي نصَّ عليها في قسمنا هذا: (الحروف) لأبي عمرٍو الشّيبانيِّ (نحو٢١٠هـ)، و(النّوادر) لأبي زيدٍ (٢١٥هـ)، و(اليواقيت) لغلامِ ثعلب (٣٤٥هـ)، و(التّهذيب) للأزهريّ (٣٧٠هـ)، ومن كتبِ الغريب: (الفائق) للزّمخشريّ (٥٣٨هـ).

وتصفّحَ الصّغانيُّ الكثيرَ من دواوينِ الشّعراء، وكانت بين يديه وهو يعلّقُ على نسبةِ الشّواهد، ويتحقّقُ من الرّوايات[١٢]، ومن تلك الدّواوينِ التي صرّحَ بوقوفِه عليها – في هذا القسم من بحثنا–: (شِعر) أبي الأقيرع، عبدِ الله بنِ الحجّاج[١٣]، و(ديوان شِعر) علقمةَ بن عبَدة، و(شِعر) جرير، و(شِعر) الطّرِمّاح، و(شِعر) الأخطل، و(شِعر المتلمّس)، و(ديوان شِعر) البَعيثِ المجاشعيّ، و(شِعر) طرفة، و(رجز) العجّاج، و(دواوين شِعر) ذي الرّمّة[١٤]، و(شِعر) عديّ بن زيد.

ونقّبَ الصّغانيُّ في مصنّفاتِ تراجمِ الشّعراء، ومعاجمِ أسمائهم، وكتبِ أخبارهم، ومنها كما صرّحَ –في قسمنا هذا–: (طبقات فحولِ الشّعراء) للجُمحيّ (٢٣١هـ)، و(الشّعر والشّعراء) لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، وكتابَي المرزُبانيّ (٣٨٤هـ): (معجم الشّعراء، والمُؤتَلِف)، وراجعَ المجموعاتِ الشّعريّة، كـ(المفضّليّات) للمفضّل الضّبّيّ (١٧٨هـ)، و(الحماسة) لأبي تمّام (٢٣١هـ)، وأشعارَ القبائل، واطّلعَ عليها بخطوطِ الأجلّةِ من العلماء، إذ يطالعُ – مثلاً– (أشعارِ بني شيبان) بخطِّ الآمديِّ (٣٧٠هـ)؛ ليثبتَ نسبةَ بيتٍ إلى شهابِ بنِ العَيِّف[١٥]، فكانَ الصّغانيّ – بعد ما سبق–

---

[١١] العُباب، مقدمة المصنِّفِ الصّغانيّ ١/١٣٨.

[١٢] علّلَ ابنُ هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ) تعدّدَ رواياتِ بعضِ الأبيات بقولِه: "كانتِ العربُ يُنشِدُ بعضُهم شِعرَ بعض، وكلٌّ يتكلّمُ على مقتضى سجيّته التي فُطِرَ عليها؛ ومن هنا تكثّرتِ الرّواياتُ في بعضِ الأبيات". تخليص الشواهد، وتلخيص الفوائد ٤٨٤. وممّن نقلَ تعليله هذا: السّيوطيّ في: المُزهر ١/٢٦١، والبغداديّ في: الخزانة ١/٤٦.

[١٣] سيأتي في حواشي التّركيبِ الخامسَ عشَرَ من بحثنا هذا (ش ر ب) أنّه في: العباب ٢/٢٣٤: "التّغلبيّ"، وفي العباب: ١٣/ ١٤٥: "الثّعلبيّ"، وفي غير العباب: "الذّبيانيّ". ولم أقف على شِعر أيٍّ منهم. والله أعلم.

[١٤] قالَ الصّغانيُّ في: التّكملة ٣/٢٨٠، تركيب (ع ج ل ز) في معرض نفيه نسبةَ بيتٍ إلى ذي الرّمّة: "لم أجدِ البيتَ في (شِعر) ذي الرّمّة... في نسختي من (ديوانه) التي قابلتُها وصحّحتُها باليمن والعراق". فالرّجلُ كانَ "ينتقي أحسنَ النُّسخِ من المخطوطات، ويشيرُ إلى ذلك في ثنايا ما ألّفه". بحث: (الصّغانيّ، أبو الفضائل، رضيّ الدّين) المنشور في: مجلّة معهدِ المخطوطاتِ العربيّة (مج ٢٦، ج١، ١٩٨٠م) ص٦١.

[١٥] انظر: التركيبَ الخامسَ من بحثنا هذا (ز ن أ).

يصحّحُ للمعجميّين، وغيرهم من العلماءِ ما رآه خطأً في نسبةِ شاهدٍ ما، أو خطأً في روايةٍ شعريّةٍ ما، أو خطأً في كلمةٍ ما، أو خطأً في شرحِ كلمةٍ ما.

وقد مثّلَ الصّغانيُّ في مقدّمتِه (العُباب) لما رآه أخطاءً في نسبةِ بعضِ الشّواهد، وإنشادِها، وأوزانِها، ورواياتِها، وقع فيها من اللّغويّين: الأزهريّ (٣٧٠هـ)، والجوهريّ (٣٩٣هـ)، وابن فارس (٣٩٥هـ)، وابن السّكّيت (٢٢٤هـ)[١٦]، كما سطّرَ محقّق (العُباب) الدكتور المخدوميّ -رحمه الله- في مقدّمةِ تحقيقِه ستَّ صفحاتٍ[١٧] غايتُها التّمثيلُ فحسب على (الأخطاءِ التي وقعَت في إنشادِ الأشعار، وصحّحَها الصّغانيُّ).

عملي في هذا البحث[١٨]، وخُطّتي فيه:

سأحاولُ في الآتي من صفحاتِ هذا البحثِ الإحاطةَ -ما استطعتُ- بمواطنِ النّقدِ الشّعريِّ للصّغانيّ في ثلّةٍ من الشّواهد، في الأجزاءِ الثلاثةِ الأولى من (العُباب الزّاخر)، وذلك في اثنين وخمسين تركيباً لغويّاً وقعَ اختياري عليها، ذلك النّقدُ الذي شمل: تصحيحَ الصّغانيّ نسبةَ الشواهد، ووزنَها، وذكرَه رواياتها، وترجيحَه بينها، وشرحَه بعضَ كلماتها، ونسبةَ ما لم يُنسب منها...

وكانت خُطّةُ عملي أن أذكرَ التّركيبَ اللّغويَّ أوّلاً، ثمّ أتلوه بتمهيدٍ يسيرٍ بين يدي نقلي عن الصّغانيّ، وكانَ معتمدُها وجوهرُها التّعليقَ في الحواشي -باقتضابٍ- بما ظننتُه مجلّياً لكلِّ مسألةٍ شعريّةٍ، وأخيراً أختمُ برأيٍ موجَزٍ مبنيٍّ على تلخيصِ ما اطّلعتُ عليه من تفاصيلِ المسألةِ المنثورةِ في حواشيها؛ فأقولُ واللهُ الموفِّقُ والمعين:

١) **تركيب (ح ج أ)**[١٩]: وفيه يصحّحُ الصّغانيّ - رحمه الله- نسبة شاهدٍ، ويذكرُ روايةً ثانيةً له؛ فيقول: "(حَجَأْتُ عنه كذا) أي: حبستُه عنه. و(حَجَأْتُ بالأمر): فرحتُ به. و(حَجِئْتُ بالشيء حَجَأً): إذا كنتَ مولعاً به، ضنيناً. يُهمز، ولا يُهمز[٢٠]. وأنشدَ الفرّاءُ[٢١] -وهو لرجلٍ مجهولٌ، وليسَ للرّاعي[٢٢] كما وقعَ في بعض كتبِ

---

[١٦] ذكرتُ أسماء هؤلاء الأئمّة وفق ترتيبِ الصّغانيّ لهم في مقدّمة (العباب) ١/١٥١- ١٥٨.

[١٧] العباب، مقدّمة المحقّق ١/٧٩- ٨٤.

[١٨] لم أقف -فيما اطّلعتُ عليه- على بحثٍ خُصّصَ للشّاهدِ الشّعريّ بين الصّغانيّ، وسابقِيه. والله أعلم.

[١٩] العباب ١/١٨٥.

[٢٠] وجعلَه الفرّاءُ في: المنقوص والممدود ٣٠ مهموزاً فحسب. ونقلَ القاليّ في: المقصور والممدود ٢٦٩ جوازَ هذين الوجهين عن الأمويّ. وانظر: الصّحاح ١/٤٢.

[٢١] من دون نسبةٍ في: المنقوص والممدود له، باب (ما يُقصَرُ فيُهمَزُ بعضُه، ويُكتب بالألف) ٣٠. وممّن نقلَ الإنشادَ الآتي عنه تصريحاً، ومن دون نسبة أيضاً: ابنُ السّكّيت في: إصلاح المنطق ٤٢٣، والقاليُّ في: المقصور والممدود ٢٦٩، والجوهريُّ في: الصّحاح ١/٤٢. والرّواية فيما سبق كلّه: "دولح" بالحاء.

[٢٢] عُبيد بن حُصين بن جَندل، من بني نُمير. لُقّب بالرّاعي؛ لحسن نعتِه الإبل. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٢٩٨، ٥٠٢، والشّعر والشّعراء ٤٠٤.

اللّغة[٢٣]-: [الوافر]

فإنّي بالجَموحِ، وأمِّ عمرٍو ودَوْلَحَ فاعلموا حَجِىءٌ ضَنينُ[٢٤]

روايةُ ابنِ الأعرابيّ[٢٥]: "دَوْلَجَ" بالجيم، وروايةُ الفرّاءِ بالحاءِ المهملة[٢٦]".

أقول: أرى الأمرَ كما ذكرَ الصّغانيُّ -رحمه الله-؛ إذ إنّني لم أقف على هذا البيت في: (ديوانِ) الرّاعي[٢٧]، ولم أرَ -فيما اطّلعتُ عليه- من نصَّ على نسبتِهِ إلى شاعرٍ آخر. والله أعلم.

٢) **تركيب (خ ر أ)**[٢٨]: وفيه يؤكّدُ نسبة شاهدٍ إلى شاعر، وينفيها عن آخر؛ فيقول: "(الخُرْءُ)-بالضّمِّ-: العَذِرَةُ. والجمع: (خُرُوءٌ)، مثلُ: (جُندٍ، وجُنودٍ)، و(خُرْآنٌ) أيضاً. قالَ جوّاسُ بنُ نُعيمٍ الضّبّيُّ[٢٩] -ويُروى لجَوّاسِ بنِ القَعْطَل[٣٠]، ولا يصحُّ[٣١]-: [الطّويل]

كأنّ خُرُوءَ الطّيرِ فوقَ رؤوسِهم إذا اجتمعَتْ قيسٌ معاً وتميمُ[٣٢]".

أقول: والأمر كما نفى الصّغانيّ؛ إذِ البيتُ منسوبٌ إلى ابنِ نُعيمٍ الضّبّيّ في بعضِ المصادر، ولم أقف عليه في (شِعر) ابنِ القَعْطَلِ الكلبيّ[٣٣]. والله أعلم.

---

[٢٣] لم أتبيّنها، وكذلك صاحبُ التّاج ١٨٨/١ -على سَعة اطّلاعِه، ومَراجعِه- الذي نقلَ تصحيحَ هذه النّسبة، من دون عزو نقلِه إلى أحد.

[٢٤] (الجَموحُ): اسمُ فرسِ قائلِ البيت، و(دَولحُ): اسم ناقتِه. انظر: تهذيب إصلاحِ المنطق ٨٦٥، والعباب (ج م ح) ٣٧٨/٣. وفي: (أسماء خيلِ العرب) للغُنْدِجانيّ ٦٦ أنّ (الجَموحَ) فرسٌ لمسلم بن عمرٍو الباهليّ.

[٢٥] محمّد بن زياد. أبو عبدِ الله. مات سنة (٢٣١هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٢٥٣٠.

[٢٦] لم أقف على روايةِ ابنِ الأعرابيّ في: (أسماء خيلِ العرب، وفرسانها) له. وممّن نقلها عنه القاليُّ في: المقصور والممدود ٢٦٩. ونصَّ الصّغانيّ في: العباب (ج م ح) ٣٧٨/٣ على نقلِه هاتين الرّوايتين عن ابنِ الأنباريّ في كتابِه: (المقصور والممدود). والرّوايتان معكوستان في: التّاج ٥٧٦/٥.

[٢٧] بتحقيق: راينهرت فايبرت.

[٢٨] العباب ١٩٥/١.

[٢٩] في: المؤتلف والمختلف ٩٣، وشرح الحماسة للفارسيّ (٤٦٧هـ) ١٨٣/٢، ١٨٤، وشعر ضبّة، وأخبارها في الجاهليّة والإسلام ٢٦٢.

[٣٠] الكلبيّ. وترجمةُ الجوّاسَين في: المؤتلف والمختلف ٩٢، ٩٣. وانظر: التّكملة ٤٨٩/٥، والعباب (ج و س) ٢٥٧/٧.

[٣١] وكانَ ابنُ برّيّ نسبَ البيتَ الآتي في: التّنبيه والإيضاح ١٤/١ إلى جوّاسِ بن نُعَيمِ الضّبّيّ، ثمّ نفى النّسبةَ إلى جوّاسِ بنِ القَعْطَل، ونصَّ على أنّ ابنَ القطّاع هو من نسبه إلى ابنِ القعطل. ونقلَ صاحبُ التّاج ٢١٠/١ الكلامَ على نسبةِ الشّاهدِ الآتي من دون عزو نقله.

[٣٢] بعد البيت في: الصّحاح ٤٧/١: "أي: من ذُلّهم". وانظر أوجهاً ثلاثةً في شرح هذا البيت في: شرح الحماسة للفارسيّ ١٨٤/٢.

[٣٣] بتحقيق: قيس كاظم الجنابيّ.

٣) **تركيب (د ر أ)**[٣٤]: وفيه يصحّحُ روايةً لشاهدٍ أورده الجوهريّ (٣٩٣هـ)؛ فيقول: "(الدَّرْءُ): العَوَجُ. يقالُ: (أقمتُ دَرْءَ فلانٍ)-بالفتح- أي: اعوجاجَه، وشَغْبَه[٣٥]. قالَ المتلمّسُ[٣٦]: [الطّويل]

وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خدَّهُ أقمنا له من دَرْئِـه؛ فتقـوَّما[٣٧]

والرّوايةُ الصّحيحةُ: (من مَيْلِه)[٣٨]".

أقول: على الرّغم من نقلِ بعضِ اللّغويّين روايةَ: (من درئِه)، فإنّني أرى ما صحّحَه الصّغانيُّ ههنا أظهرَ؛ إذ هو روايةُ (ديوان) المتلمّسِ الضُّبَعيّ المطبوع، ويؤيّدُ ما رأيتُه أنّ رواية: (من درئه) ليست موجودةً أيضاً في مخطوطتين اعتمدَ عليهما محقّقُ (ديوان) المتلمّس، وفيهما الرّواية: (من صَعْره)، كما أنّ ما صحّحَه الصّغانيُّ هو منقولُ لغويّين آخرين. والله أعلم.

٤) **تركيب (ر ج أ)**[٣٩]: وفيه يصحّحُ روايةً لشاهدٍ أورده الجوهريُّ أيضاً؛ فيقول: "(أَرْجَأَتِ النّاقةُ): دنا نَتاجُها[٤٠]. يُهمز، ولا يُهمز[٤١]. قالَ أبو عمرٍو[٤٢]: "هو مهموزٌ"، وأنشدَ لذي الرُّمَّة[٤٣]؛ يصفُ بيضةً: [الطّويل]

---

(٣٤) العباب ٢٠٠/١.

(٣٥) "(الشَّغْبُ): تهييجُ الشّرّ". العين ٣٦١/٤.

(٣٦) في: ديوانه (برواية الأثرم، وأبي عبيدةَ عن الأصمعيّ) ٢٤. والمتلمّس هو: جرير بن عبدِ المسيح الضُّبَعيّ. ترجمته في: (ألقاب الشّعراء)، نوادر المخطوطات ٣٤١/٢، والشّعر والشّعراء ١٧٧.

(٣٧) البيت برواية: "من درئِـهِ" منسوباً إلى المتلمّس في: الصّحاح ٤٩/١ وعنه ينقلُ الصّغانيُّ اللّغةَ ههنا، والتّاج ٢٢٢/١، ٣١٥/١٢ حيث قالَ الزَّبيديُّ شارحاً: "يقولُ: إذا أمالَ متكبِّرٌ خدَّه أذللناه حتّى يتقوّمَ ميلُه". وبرواية: "من درئِـهِ" وبلا نسبة في: الصّحاح ٧١٢/٢، والمقاييس ٢٧٤/٢.

(٣٨) وهذه رواية (ديوان) المتلمّس. ونقلَ صاحبُ التّاج ٢٢٢/١ هذا التّصحيحَ عن: (العباب) تصريحاً. وسيذكرُ الصّغانيّ بيتَ المتلمّس بهذه الرّواية في: العباب (ص ع ر) ٦٦٠/٥. وممّن أوردَ البيتَ بهذه الرّواية منسوباً إلى المتلمّس: الأصمعيُّ في: الأصمعيّات ٢٤٥، والخطّابيُّ في: غريب الحديث ٣٥١/١، وابنُ حمدون في: تذكرته ٤٣٢/٣.

(٣٩) العباب ٢٠٨/١.

(٤٠) في: الجيم ٣١٠/١، والصّحاح ٥٢/١، ٢٣٥٣/٦، والمجمل ٤٢٤: "نِتاجها" بكسرِ النّون.

(٤١) فيقال: "أَرْجَتِ النّاقةُ". الصّحاح ٢٣٥٣/٦.

(٤٢) الشّيبانيُّ. ولم أقف على قولِه الآتي وإنشادِه في: (الجيم). وتعرّضَ للفعل (أرجأت) في: الجيم ٢٩٣/١، ٣١٠. وانظر قوله منسوباً في: المجمل ٤٢٤، والتّاج ٢٤٠/١. وأبو عمرو هو: إسحاق بن مِرَار، نُسب إلى بني شيبان؛ لتأديبه أولادهم. مات حوالي سنة (٢١٠هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٦٢٥.

(٤٣) في: ديوانه (بشرح التّبريزيّ) ٣٢٢. وفيه: (زِيْلَ، تُقْرِفْ -بكسر الرّاء-). وذو الرُّمّة هو: غَيلان بن عقبة. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٥٣٤، ٥٤٩، والشّعر والشّعراء ٥١٥.

وبيضاءَ لا تَنْحاشُ مِنَّا وأمُّـها   إذا ما رأتْنا زالَ مِنّـا زَوِيلُـها

نَتُـوجٍ ولم تُقْرَفْ لما يُمتَنَى له   إذا أَرْجَأَتْ ماتَت، وعاشَ سليلُها[٤٤]

ويُروى: (إذا نُتِجَتْ)[٤٥]. وهذه هي الرّوايةُ الصّحيحة[٤٦]".

أقول: كلا الرّوايتين المذكورتين وردتا عند اللّغويّين، وبعضُهم ذكرَ الأولى في موضعٍ من معجمِه، والثانيةَ في آخر. وأرى ما صحّحَه الصّغانيُّ ههنا أرجحَ؛ إذ هو رواية (ديوان) ذي الرُّمّة. والله أعلم.

٥) **تركيب** (ز ن أ)[٤٧]: وفيه يصحّحُ نسبةَ رجزٍ، وينصّ على دليلِه؛ فيقول: "(زَنَّأَ عليه تَزْنِئَةً) أي: ضيّقَ. قالَ شهابُ بنُ العَيِّف[٤٨] -ويُروى للحارثِ بن العَيِّف[٤٩]، والأوّل هو الصّحيحُ؛ فإنّي وجدْتُه في: (شِعر شهابٍ) بخطِّ أبي القاسمِ الآمديِّ[٥٠] في: (أشعارِ بني شيبان)[٥١]-: [الرّجز]

---

[٤٤] البيتُ كاملاً برواية: "أرجأت" منسوباً إلى ذي الرُّمّة في: الإبل للأصمعيّ ٤٦، والتّاج ٢٤٠/١. وعجزُه بهذه الـرّواية منسـوباً إليـه أيضـاً فـي: التّهـذيب ١٨٣/١١، والتّـاج ١٣١/٣٨. وبِـلا نسـبة فـي: المجمـل ٤٢٤. لا تنحـاش: لا تَفزع، أُمّها: يعنـي الـنّعامة، زال منّـا زويلها: أخذها منّـا فزعٌ وحذر. انظـر: هـامش (ديـوان) ذي الرّمّة. وقالَ أبو عُبيد في: غريب الحديث ٣٥٥/٥ شارحاً: "قوله: (نتوجٌ): يقول: هي حاملٌ بالفرخ من غير أن يقارفَها فحلٌ. وقوله: (يُمتنى له): من المَنيّ... وقوله: (ماتت): يعني البيضةَ تنكسرُ. ويَحيا (سليلُها): يعني الفرخَ". وفي: الصّحاح ٥٢/١: "حيّ سليلُها".

[٤٥] وهي رواية (ديوان) ذي الـرُّمّة. وممّن أوردَ البيتَ بهذه الـرّواية منسوباً إلى ذي الرُّمّة: ابنُ سلّام في: غريب الحـديث ٣٥٥/٥، والأزهـريُّ فـي: التّهـذيب ٥٣٢/١٥، والجـوهريُّ فـي: الصّـحاح ٢٤٩٨/٦. وانظـر: التّـاج ٢٥٣/٢٤، ٥٦٧/٣٩. وما سبق من نقلنا عن الصّغانيّ هو بتمامِه للجوهريّ في: الصّحاح ٥٢/١ خلا البيتَ الأوّل، وصدرَ الثّاني؛ إذ زادهما الصّغانيّ.

[٤٦] نقلَ صاحبُ التّاج ٢٤٠/١ هذا التّصحيحَ، من دون عزو نقلِه إلى أحدٍ.

[٤٧] العباب ٢١٤/١، ٢١٥.

[٤٨] العبديّ، نسبةٌ إلى عبدِ القيس. شاعرٌ جاهليٌّ. ترجمته في: الخزانة ٩٣/١٠. والمشاطيرُ الخمسةُ الآتية له في: الخزانة ٨٩/١٠. وقصّةُ هجاءِ شهابٍ لابن جَبَلة، ثمّ أسرِ ابنِ جَبَلة له في الخزانة: ٩١/١٠.

[٤٩] العبديّ أيضاً. والرّجزُ الآتي له في: أمثال العرب للضّبّيّ ١٢١. وثمّة قصّته، وفي: تهذيب إصلاحِ المنطق ٣٧٤. ونسبَ ابنَ حبيبَ في كتابه: (من نُسب إلى أمّه من الشعراء)، نوادر المخطوطات ٩٥/١ الرّجزَ إلى ثالثٍ هو: عمارة بنُ العَيِّفِ العبديّ، أخو شهابٍ المذكور. وفي نسخةِ البغداديّ من كتابِ ابن حبيبَ المذكور: عامر بن العَيِّف. الخزانة ٩٣/١٠.

[٥٠] الحسن بن بشر بن يحيى. مات سنة (٣٧٠هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٨٤٧.

[٥١] وممّن ذكرَ نسبةَ الآمديّ الرّجزَ في هذا الكتاب إلى شهاب: البغداديُّ في: الخزانة ٩٣/١٠. ونقلَ صاحبُ التّاج ٢٦٠/١ تصحيحَ نسبةِ الرّجز، وعلَّتَه منسوبَين إلى الصّغانيّ.

لاهمَّ إنّ الحارثَ بنَ جَبَلَـهْ[٥٢]

زنّى على أبيه، ثمّ قَتَلَـهْ

ورَكِبَ الشّادِخَةَ المُحَجَّلَـهْ[٥٣]

وكانَ في جارتِه[٥٤] **لا عهدَ لـهْ**

فأيُّ أمرٍ سيّىءٍ لا فَعَلَـهْ!

أي:لم يفعلْه! كقولِه تعالى:﴿**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى**﴾[٥٥] [القيامة، الآية ٣١]. قالَ ابنُ السِّكِّيت[٥٦]: "إنّما تركَ همزَه؛ ضرورةً".

أقول: يبدو دليلُ الصّغانيّ في هذا التّصحيح، وهو وجودُ البيت في: (شِعر شهابٍ) ضمن (أشعار بني شيبان) بخطِّ عالمٍ ضابطٍ كالآمديّ (٣٧٠هـ) مقنعاً، ويزيدُه إقناعاً تسليمُ صاحبِ (الخزانة) له. والله أعلم.

٦) **تركيب (س و أ)**[٥٧]: وفيه يصحّحُ نسبةَ شاهدٍ أيضاً، ويذكرُ روايتين له؛ فيقول: "(السُّوأَى): نقيضُ الحُسنى. قالَ أبو الغُولِ النّهشليُّ[٥٨]– وليسَ لأبي الغُولِ الطُّهَوِيِّ[٥٩]–: [الوافر]

---

[٥٢] ابنِ الحارثِ الغسّانيّ. استمرّ ملكاً عاملاً للرّوم نحو أربعين سنة. مات سنة (٥٥ق.هـ). ترجمته في: الأعلام ١٥٣/٢.

[٥٣] قالَ ابنُ السِّكِّيت: "أي: ركبَ فَعلةً قبيحةً مشهورةً". إصلاح المنطق ١٥٣. وانظر: الخزانة ٩٠/١٠.

[٥٤] في أكثرِ المصادر التي ورد فيها هذا المشطور : "جاراته". وكلاهما مستقيمٌ به الوزن.

[٥٥] "أي: فلم يُصَدِّقْ، ولم يُصَلِّ". أمالي ابن الشّجريّ ٣٢٤/٢. فتُوضَعُ (لا) موضعَ (لم)، وتُلزَمُ الماضي. انظر: أمالي ابن الشّجريّ ٥٣٦/٢.

[٥٦] متحدّثاً عن الفعل (زنّى) في المشطورِ الثّاني. في: إصلاح المنطق ١٥٣ والنّقلُ بتصرّف. وقالَ ابنُ الشّجريّ في: أماليه ٥٣٦/٢: "يُروى بتخفيفِ النّون، وتشديدها، فمن رواه مخفّفاً فمعناه: زنا بامرأتِه، ومن رواه مشدّداً فأصله: (زنّأ) مهموزٌ، ومعناه: ضَيّقَ عليه. وهذا القولُ أوجَهُ، وهي روايةُ ابنِ السِّكِّيت". وانظر: الخزانة ٩٠/١٠.

[٥٧] العباب ٢١٨/١.

[٥٨] عِلباء بن جَوشن. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٤١٩، والمؤتلف والمختلف ٢١٣. والبيتُ الآتي له في: الشّعر والشّعراء ٤١٩. وانظر: الخزانة ٤٣٩/٦.

[٥٩] "يُكنى أبا البلاد. وقيل له: (أبو الغُول)؛ لأنّه فيما زعمَ رأى غُولاً؛ فقتله". المؤتلف والمختلف ٢١٢. قالَ البغداديّ: "وأبو الغُول النّهشليّ غير أبي الغُول الطُّهَويّ... فالنّهشليُّ: شاعرٌ إسلاميٌّ في الدّولةِ المروانيّة. وأمّا الطُّهَويّ فلم أقف على كونه إسلاميّاً، أو جاهليّاً". الخزانة ٤٣٩/٦، ٤٤٠. وانظر: معجم شعراءِ الحماسة ٩٣. والبيتُ الآتي له في: الحيوان ١٠٦/٣، وشرح الحماسة للمرزوقيّ ٣٨/١، ٤٠، والخزانة ٤٣٤/٦، ٣١٤/٨. ونُسِبَ في: الصّحاح ٥٦/١، والتّاج ٢٧٦/١ إلى الطُّهَويّ من دون تعيين. ونقلَ صاحبُ التّاج ٢٧٤/١ تصحيحَ الصّغانيّ هذا، من دون عزو نقلِه إلى أحدٍ.

ولا يَجْزُون من حَسَنٍ بسُوأَى   ولا يَجْزُون من غِلَظٍ بلِينِ

ويُروى: (بسُوءٍ[٦٠]، وبِسَيْءٍ[٦١])".

أقول: تابعَ الصّغانيُّ في نسبةِ البيتِ إلى النّهشليّ ابنَ قتيبةَ (٢٧٦هـ) وحدَه -على ما رأيتُ-، وكانَ محقّقُ كتابِه (الشّعر والشّعراء) صرّحَ بعدمِ نسبةِ أحدِ البيتَ إلى النّهشليّ غيره. ولا أرى الصّغانيَّ موفّقاً في متابعتِه هذه؛ إذ نسبَ الأكثرون البيتَ إلى الطُّهَويّ. وفاتَتِ الصّغانيَّ – وهو من يتحرّى الرّوايات- الإشارةُ إلى روايةٍ ثالثةٍ أوردها: الجاحظُ في: (الحيوان)، وابنُ قتيبة في: (الشعر والشّعراء) وهي: (من خيرٍ بشرٍّ)، ورابعةٍ أوردها شرّاحُ (الحماسة) -على ما نقلَ البغداديّ- وهي: (بِسِيٍّ). والله أعلم.

٧) **تركيب (ش ي أ)**[٦٢]: وفيه يذكرُ روايةَ رجزٍ؛ يجعلها المعوّلَ عليها من دون غيرها؛ فيقول: "يقالُ: (شَيَّأَ اللهُ وجهَه): إذا دعوتَ عليه بالقُبح. قالَ سالمُ بنُ دارةَ[٦٣] يهجو مُرّةَ[٦٤] بنَ واقعٍ المازنيَّ[٦٥]: [الرّجز]

حَدَنْبَدَى حَدَنْبَدَى حدنبدانْ

حدنبدى حدنبدى[٦٦] يا صِبيانْ

إنّ بني فَزارةَ بنِ ذُبيانْ

قد طَرَّقَتْ ناقتُـهم بإنسانْ[٦٧]

مُشَيّـأٍ سبحان وجهِ الرّحمنْ

---

[٦٠] وهي في: الخزانة ٣١٥/٨ بفتحِ السّين، ونسبَ البغداديُّ روايتَها إلى شرّاحِ (المفصّل).

[٦١] وهذه روايةُ الصّحاح ٥٦/١، والمرزوقيّ في: شرح الحماسة ٤٠/١. وبعد أن نسبها البغداديُّ في: الخزانة ٣١٤/٨ إلى شرّاح (الحماسة) ذكرَ روايةً ثانية في ٣١٥/٨ هي: (بِسِيٍّ) بمعنى: (بمثْلٍ).

[٦٢] العباب ٢٢٥/١.

[٦٣] وهو ابن مسافع، و(دارةُ): لقبُ أمّه. كانَ هجّاءً، وبسبب هجائه قُتل. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٣٨٩، والمؤتلف والمختلف ١٤٦، والخزانة ١٤٤/٢. وذكرَ الصّغانيُّ في: العباب (د و ر) ٤٣٦/٥ أنّ اسمَ (دارةَ): سعادُ.

[٦٤] في: التكملة ٢٩/١: "مُرَّ".

[٦٥] كذا في: (العباب) المطبوع. ولم أقف على مناسبةِ النّسبة إلى (مازن) ههنا، والرّجزُ الآتي ينصّ على النسبة إلى (فزارة)، والقصّة بين الرّجلين (سالم، ومرّة) تنصّ على ذلك أيضاً، وجرت في زمن عثمانَ بنِ عفّان ﷺ، وهي طويلةٌ أوردها البغداديّ في: الخزانة ١٤١/٢- ١٥٠. وفي: التّاج ٢٤٨/٢: "مرّة بن رافعٍ [كذا] الفزاريّ".

[٦٦] في: التكملة ٣٠/١، ٩٩: "حَدَبْدَبَى حَدَبْدَبَى". وهي لعبةٌ للأولاد. وانظر: العباب (ح د ب) ٨٣/٢.

[٦٧] قال ابن دريد في: الجمهرة ٢٤٠: "يعيّرهم بأنّهم كانوا يَنْزون على نوقهم". وقال فيها ١٠٩٩: "قوله: (طَرّقَتْ) أي: عَسُرَ عليها خروجُ ولدها، يعني أنّهم كانوا يأتون الإبل". وروايةُ ابن دريدٍ في هذا الموضع من جمهرتِه: (مُشَيَّأٍ أعجِبْ بخلقِ الرّحمن). وانظر: الخزانة ١٤٧/٢، ٣٣/٤.

لا تقتلُوه واحذروا ابنَ عفّانْ

حتّى يكونَ الحكمُ فيه ما كانْ

قد كنتُ أنذرتُكم يا نِـغْرانْ[٦٨]

من رهبةِ اللهِ، وخوفِ السُّلطانْ

ورهبةِ الأدهمِ عند عثمانْ[٦٩]

هكذا الرّوايةُ. وأنشدَ أبو عمرَ في: (اليواقيت)[٧٠] ستّةَ مشاطير، وروايتُه[٧١]:

حدنبدى حدنبدى حدنبدانْ

حدنبدى حدنبدى يا صِبيانْ

إنّ بني سُواءَةَ بنِ غَيلانْ

قد طَرَّقَتْ ناقتُـهم بإنسانْ

مُشَيَّـأِ الخَلْقِ تعالى الرّحمنْ

لا تقتلُوه واحذروا ابنَ عفّانْ

والمعوّلُ على الرّوايةِ الأولى".

أقول: لم يَضِحْ لي دليلٌ بيّن لجعلِ الصّغانيّ الرّوايةَ الأولى هي المعتمدة لديه دون رواية أبي عمر، ولم يعرّجِ الصّغانيّ ههنا في: (العباب) على روايةِ ابن دريد: (مشيّأٍ أعجب بخلقِ الرّحمن) كما فعلَ في موضعَين من كتابه: (التّكملة)، على الرّغم من كون (الجمهرة) من أركانِ بناءِ معجمه: (العباب).

٨) **تركيب (أ ر ب)**[٧٢]: وفيه يذكرُ روايةً ثانيةً لشاهدٍ من دون تعليقٍ، ثمّ يصحّحُ شرحَ كلمةٍ فيه؛ فيقول: "(تَأْرِيبُ العُقَدِ): إحكامُها. يقالُ: (أَرِّبْ عقدَتَكَ)، وهـي التي لا تَنحَلُّ حتّى تُحَلَّ حلّاً. قالَ تميمُ بنُ أُبيّ بنِ مُقبلٍ[٧٣]: [البسيط]

---

[٦٨] "جمع: (نُغَر). و(النُّغَر): طائرٌ صغير، أحمرُ المنقار". المذكّر والمؤنّث للأنباريّ ٦٠.

[٦٩] أعادَ الصّغانيّ إنشادَ الرّجز كاملاً؛ شاهداً على أنّ (الحَدنبدى): العَجَبُ في: العباب (ح د ب د) ٢١٣/٤.

[٧٠] في: التكملة ٢٢٠/٢: "الياقوتة"، ولم يُنسبِ الإنشاد ثمّة إلى أحد. وأبو عمر هو: محمّد بن عبدِ الواحد بن أبي هاشم، الزّاهدُ، المُطرّز، غلامُ ثعلب. مات في بغداد سنة (٣٤٥هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٢٥٥٦. وكتابه (اليواقيت في اللّغة) معجمٌ لغويٌّ، يعتمدُ نظامَ التّقليبات، وهو من تراثِنا المفقود. انظر: مقدّمة تحقيق (ياقوتة الصّراط في غريبِ القرآن) لأبي عمرَ الزّاهد ١٠٤، ١١٥– ١٣٠ حيث فصّلَ المحقّقُ الفاضل في التّعريف به، وفي الفرق بينه وبين (ياقوتة الصّراط). وقد أكثرَ الصّغانيّ في (العباب) من النّقل عن معجمِ (اليواقيت) هذا.

[٧١] هي في: التّكملة أيضاً ٢١٩/٢، ٢٢٠.

[٧٢] العباب ١١/٢.

[٧٣] في: ديوانه ٧٦. و تميم مخضرمٌ. ترجمته في: طبقات فحول الشّعراء ١٤٣، ١٥٠، والشّعر والشّعراء ٤٤٦.

شُمُّ العَرانينِ يُنْسيهم معاطِفَهم ضَرْبُ القِداحِ، وتَـأْرِيبٌ على الخَطَرِ [٧٤]

ويُروى: (شُمٌّ مُخاميصُ)[٧٥]. والصّحيحُ أنّ (التّأريبَ) في البيت: التّشديدُ في القِمار[٧٦]".

أقول: لا أراني أوافقُ الصّغانيّ ههنا تخصيصَه التّشديد في القمار، وأرى الأمرَ كما شرحَه ابنُ قتيبةَ في: (المعاني الكبير). والله أعلم.

٩) **تركيب (ت ر ب)**[٧٧]: وفيه ينقلُ عن أبي بكرِ بنِ الأنباريّ (٣٢٨هـ) كلاماً في تفسيرِ قولِ النّبيّ ﷺ "**تربَتْ يداكَ**" في حديثِ: "**تُنكَحُ المرأةُ لمِيسَمِها، ولمالِها، ولحسَبِها؛ عليك بذاتِ الدّينِ تربَتْ يداكَ**"[٧٨]، ثمّ يعلّقُ على شاهدٍ شعريٍّ أورده أبو بكرٍ، مصحّحاً نسبتَه، وروايتَه؛ فيقول: "قالَ ابنُ الأنباريّ[٧٩]: "معناه: لله دَرُّكَ إذا استَعملْتَ ما أمرتُكَ به، واتّعظْتَ بعظَتي". قالَ: "وذهبَ بعضُ أهلِ العلم إلى أنّه دعاءٌ عليه على الحقيقة[٨٠]. وقولُه ﷺ -في حديثِ خُزيمةَ[٨١] رضي الله عنه: "**أَنعِم صباحاً تربَتْ يداكَ**" يدلُّ على أنّه أنّه ليسَ بدعاءٍ عليه، بل هو دعاءٌ له، وترغيبٌ في استعمالِ ما تقدّمَتِ الوِصايةُ؛ ألا تَراه قالَ له: "**أنعم صباحاً**"، ثمّ عقَّبَه بـ"**تربت يداكَ؟**". وهذا المعنى أرادَ أخو شَمَجَى[٨٢]

---

[٧٤] روايةُ الدّيوان، والمعاني الكبير ١١٥٠: "على العَسِرِ". فممدوحو الشّاعر ذوو رفعةٍ، يُنسيهم ضربُ قِداحِ الميسر أرديتَهم؛ لسرورهم بها. انظر هامش (ديوان) تميم.

[٧٥] وممّن ذكرَ البيتَ بهذه الرّواية: الزّمخشريّ في: أساس البلاغة ٨٥/٢.

[٧٦] قالَ ابنُ قتيبة في: المعاني الكبير ١١٥٠: "ويروى: (على الخطر). فمن روى ذلك فإنّه يريد بـ(التّأريب): التّشديد؛ يقال: (أرّبتُ على العقدة) أي: استوثقتُ منها. يقول: يتشدّدون في الخطر حتّى يستوثقوا منه".

[٧٧] العباب ٢٥/٢، ٢٦.

[٧٨] الجامعُ الصّحيح، كتابُ النّكاح، باب (الأكفاء في الدِّين) ٣٦٠/٣، حديث رقم ٥٠٩٠ بلفظٍ قريب هو: "تُنكَحُ المرأةُ لأربعٍ: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها. فاظفر بذات...". و(المِيسَمُ): "الحُسن. وهو الوَسامةُ. ومنه قيل: (رجلٌ وسيمٌ، وامرأةٌ وسيمةٌ)". غريب الحديث لأبي عُبيد ٤٣/٤. وعليه اعتمدَ الصّغانيُّ في هذه الرّواية للحديثِ الشّريف.

[٧٩] محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشّار، أبو بكر. مات سنة (٣٢٨هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٢٦١٤.

[٨٠] وممّن تابعهم: الجوهريّ في: الصّحاح ٩١/١؛ إذ قالَ: "يقالُ: (تربت يداكَ) وهو على الدّعاء. أي: لا أصبتَ خيراً". وانظر: التّاج ٦٣/٢. وانظر أقوالاً ثلاثة في تفسير: (تربت يداك) في: غريب الحديث لأبي عُبيد ٤٣/٤- ٤٦.

[٨١] ابن حَكيمٍ، السّلميّ، البَهْزيّ. ترجمته في: الإصابة في تمييزِ الصّحابة ٤٨٦/١. والعبارةُ الآتيةُ قطعةٌ من حديثٍ طويلٍ أورده ابنُ عساكر في: تاريخ دمشق ٣٧٢/١٦.

[٨٢] "بنو شمجى: بطنٌ من العرب". الجمهرة ٤٧٨. وهم من الغوث من طيّئ. انظر: الاشتقاق ٣٩٤. وفيه: "(شَمَجَى): (فَعَلَى) من قولهم: (شَمَجْتُ الشيءَ): إذا خَلَطْتَه بيدكَ خلطاً خفيفاً".

يخاطبُ أذينةَ بنتَ عمٍّ صَعْبِ بن كُلثومٍ[٨٣]: [الطّويل]

رَمَى اللهُ في عينَي أذينةَ بالقَذَى   وفي الغُرِّ من أنيابِها بالقَوادحِ[٨٤]

وليسَ البيتُ لجميلٍ، ولا الرّوايةُ: (عينَي بثينةَ)[٨٥] كما وقعَ في بعضِ كتبِ اللّغةِ منسوباً إليه[٨٦]".
إليه[٨٦]".

أقول: قالَ البغداديُّ (١٠٩٣هـ) صاحبُ (الخزانة) بعد أن جعلَ نسبةَ الصّغانيّ هذا البيت إلى أخي شَمَجى من الغرائب: "جميعُ من تكلّمَ على هذا البيت، وروى فيه خبراً أثبتَه لجميلٍ في بثينة، ومع كثرةِ ورودِ هذه الأخبارِ في أكثر كتبِ الأدبِ كيف يقالُ: إنّه وقعَ في بعضِ كتبِ اللّغة؟!"[٨٧]. والله أعلم.

١٠) **تركيب (ج ل ب)**[٨٨]: وفيه يستشهدُ ببيتٍ، ثمّ يرجّحُ روايةً أخرى له؛ فيقول: "(جُلْبُ اللّيلِ) -بالضمِّ-: سوادُه. قالَ جِرانُ العَوْد، واسمُه: عامرُ بنُ الحارث[٨٩]: [الوافر]

نظرتُ وصُحْبَتي بخُنَيصِراتٍ   وجُلْبُ اللّيلِ يطردُه النّهارُ

---

[٨٣] لم أقف له على ترجمة فيما بين يديّ.

[٨٤] ما سبق من كلامِ الصّغانيِّ المنقولِ عن ابنِ الأنباريّ هو عن: التّهذيب ٢٧٣/١٤، ٢٧٤، والغريبين ٢٥١، ٢٥٢ بتصرّفٍ يسيرٍ. وفيهما: "الوَصاةُ به" بدل: "الوِصاية". وانظر: التّاج ٦٣/٢، ٦٤. ولم أقف على كلامِ ابنِ الأنباريّ فيما بين يديّ له. وقالَ ابنُ الأنباريّ -كما نقلَ عنه: الأزهريّ، والهرويّ- بعد البيت: "أرادَ: لله دَرُّها ما أحسن عينَيها، وأرادَ بـ(الغُرّ من أنيابها): ساداتِ أهلِ بيتها". وانظر: الزّاهر في معاني كلماتِ النّاس له ٣٢٥/١، ٣٢٦، والمذكّر والمؤنّث له ٢٣٦/١. وللبيت تفسيراتٌ غير المعنى الذي أشارَ إليه الصّغانيّ، منها أنّ جميلاً دعا على بثينةَ حقيقة. انظر: الزّاهر ٥٦/٢، والخزانة ٣٩٨/٦، ٤٠٣.

[٨٥] وهو لجميل في: ديوانه ٦٨، وبرواية: (عيني بثينة).

[٨٦] يشيرُ الصّغانيّ ههنا إلى: كتاب اللّيث (العين) ٤٠/٣، والتّهذيب ٢٧٤/١٤، والصّحاح ٣٩٤/١. كما سيأتي في: العباب تركيب (ق د ح) ٥٣٥/٣ -وهو في بحثنا برقم (٤٨)- حيث نفى النسبةَ إلى جميل أيضاً، وكما نصّ في: التكملة ٨٣/٢ حيث ذكرَ أيضاً الرّوايةَ التي ظنّها الصّحيحة، ونفى النسبةَ إلى جميل. والبيتُ منسوبٌ إلى جميلٍ وبرواية: (عيني بثينة) في: الزّاهر ٣٢٥/١، ٥٦/٢، والمذكّر والمؤنّث لابنِ الأنباريّ ٢٣٥/١.

[٨٧] الخزانة ٤٠٣/٦.

[٨٨] العباب ٥٩/٢، والتّكملة ٩٠/١.

[٨٩] ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٧٠٨، والخزانة ١٨/١٠، ١٩. والجِران: باطنُ عنقِ البعير، ومنه يُعملُ الأسواط، والعَوْد: المسنُّ من الإبل. ولُقّب ببيتٍ قالَه بعد إيذاءِ زوجتَيه له؛ فعمدَ إلى جملٍ؛ فنحرَه، وسلخَ جِرانَه، ثمّ مرّنَه، وجعلَ منه سوطاً؛ يخوّفُهما به، وهو:

خذا حذراً يا ضَرّتَيَّ فإنّني   رأيتُ جِرانَ العَوْد قد كادَ يصلحُ

هكذا يُروى. ويُروى:

.... حُمولاً بعدما مَتَعَ النّـهارُ

وهذه الرّوايةُ أصحُّ(٩٠)".

أقول: أرى ما رجّحَه الصّغانيُّ ههنا حقّاً؛ إذ هو رواية (ديوان) جِران العَوْد، بروايةِ السّكريّ (٢٧٥هـ). والله أعلم.

١١) **تركيب (ح ز ب)**(٩١): وفيه يصحّحُ نسبةَ شاهدٍ؛ فيقول: "(الحِنْزابُ) أيضاً مثلُ: (الحَزابِي) أي: الغليظُ القصيرُ. أنشدَ الأصمعيُّ(٩٢) لجُشَمَ بنِ الخزرج(٩٣) -والصّحيحُ أنّه للأغلبِ بنِ جُشَمَ العِجْليِّ(٩٤)-: [الرّجز]

تاحَ لـها بعدَكَ حِنْـزابٌ وَزَى

من اللُّجَيمِيِّينَ أصحابِ القُرى(٩٥)".

---

(٩٠) وهي في: (ديوان) جران العَود (برواية السّكّريّ) ٤٤، ومنتهى الطّلب من أشعارِ العرب ٤١/٢. وروايتُهما: (رأيتُ، بخُناصراتٍ). متعَ النّهارُ: ارتفعَ. قالَ ياقوتٌ: "(خُناصِرةُ): بليدةٌ من أعمالِ حلبَ... وجعلَها: (خُناصراتٍ) كأنّه جعلَ كلَّ موضعٍ منها: (خُناصرةً)". معجم البلدان ٣٩٠/٢، ٣٩١. وقالَ الصّغانيّ في: العباب (خ ص ر) ٣٧٨/٥ نقلاً عن ابنِ الكلبيّ في كتاب (اشتقاق أسماءِ البلدان): "سُمّيت بخُناصِرةَ بن عروةَ بنِ الحارث... وجَمَعَها جرانُ العَود بما حولها؛ فقال...".

(٩١) العباب ٨٧/٢.

(٩٢) عبد الملك بن قُريب بن عبدِ الملك. مات نحو سنة (٢٢٠هـ). ترجمته في: تاريخ الإسلام ٣٨٣/٥.

(٩٣) لم أقف على إنشادِ الأصمعيّ في: الأصمعيّات، وفيما بين يديّ من كتبه. وذكرَ ابنُ سلّامٍ في: طبقات فحولِ الشّعراء ٧٣٩ أنّ الأصمعيّ أنشدهم "للأغلب في سَجَاح لمّا تزوّجَت مسيلمةَ الكذّاب". [القصيدة التي منها شاهدنا]، ثمّ ذكر في: ٧٤٣ أنّ الأصمعيّ حدّثهم "أنّه كانَ يقال: إنّ هذه القصيدة في الجاهليّةِ لجشمَ بنِ الخزرج". فالأمرُ على عكسِ ما ذكرَ الصّغانيّ. والله أعلم. ولم أقف على ترجمة (جشمَ) فيما بين يديّ.

(٩٤) في: شِعره ١٢٩. وذكرَ صاحبُ (التّذكرة الحمدونيّة) ٣٥١/٧ أنّ الرّجزَ قاله الأغلبُ في تزويج مسيلمةَ الكذّابِ بسَجاح. والمشطوران له في: المقصور والممدود للقاليّ ١٢٠، والعباب (ت ي ح) ٣٦٧/٣. والأغلبُ: صحابيٌّ ﷺ، وهو ابن عمرو بن عبيدة بن حارثة، شاعرٌ مخضرمٌ. ماتَ شهيداً في نهاوَند، وهو أوّل من شبّهَ الرّجزَ بالقصيد، وأطالَه. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٧٣٧، ٧٣٨، والشّعر والشّعراء ٥٩٩، والمؤتلف والمختلف ٢٥.

(٩٥) المشطوران غير منسوبَين في: الجمهرة ٣٨٨، ١٠٣١، والأوّل في: الصّحاح ١٠٩/١. وفيه: (وزا) بالممدودة. وقالَ الجوهريّ: "(الوزا): الشّديد"، والصّحاح ٢٥٢٣/٦ وفيه: (وزى) بالمقصورة. و(تاحَ له الشّيءُ): تَقَدَّر. العباب (ت ي ح) ٣٦٧/٣. "واللُّجيميّون: نسبة إلى بني لُجَيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل. ومسيلمةُ الكذّاب -لعنه الله- من بني حنيفة بن لُجيم بن صعب، وبنو حنيفة هم أهلُ اليمامة، وهم أصحابُ نخلٍ، وزرعٍ، وقرى". طبقات فحولِ الشّعراء هـ٣، ص ٧٤٠. وانظر: جمهرة أنسابِ العرب ٣٠٩.

أقول: أرى تصحيحَ الصّغانيّ صواباً؛ إذ وردَ البيتُ الشّاهدُ في: (شِعر) الأغلب، وفي بعضِ المصادر منسوباً إليه، ولم أقف –فيما بين يديّ– على من نسبَه صراحةً إلى جشمَ. كما أنّ ابنَ سلّام (٢٣١هـ) نصّ على إنشادِ الأصمعيّ (نحو ٢٢٠هـ) قصيدةَ المشطورَين منسوبةً إلى الأغلب. والله أعلم.

١٢) **تركيب (ذ ر ب)**[٩٦]: وفيه يصحّحُ نسبةَ شاهدٍ، وينفي وجودَ شاعرٍ يُلقّب بـ(الأعشى) في بني مازن؛ فيقول: "(امرأةٌ ذِرْبَةٌ) –بالكسر– أي: صَخّابةٌ، كـ(ذَرِبَةٍ) مثالُ: (كَلِمةٍ)، والجمعُ: (ذِرَبٌ) مثالُ: (قِرْبةٍ، وقِرَبٍ). قالَ أعشى بني الحِرماز[٩٧] – واسمُه: الأعورُ بنُ قُرادِ بن سفيانَ، أبو شيبان[٩٨]. وبعضُهم يقولُ: أعشى بني مازنٍ[٩٩]. وليسَ في بني مازنٍ أعشى[١٠٠]–: [الرّجز]

يا سيّدَ النّاسِ، ودَيَّانَ العربْ

إليكَ أشكُو ذِرْبَةً من الذِّرَبْ[١٠١]

وتمامُ الرّجزِ في: (أ ش ب)[١٠٢]".

---

[٩٦] العباب ١٤٣/٢.

[٩٧] يخاطبُ النّبيّ ﷺ. ونَسَبَ الرّجزَ الآتي إليه: ابنُ حبيبَ في: (ألقاب الشّعراء)، نوادر المخطوطات ٣٢٩/٢، وثعلبٌ عن ابنِ الأعرابيّ. انظر: التّاج ٤٢٩/٢، والخطّابيّ في: غريب الحديث ٢٣٩/١ ضمن حديثٍ للنّبيّ ﷺ شكا فيه الحرمازيُّ امرأتَه النّاشزَ عليه، والزّمخشريّ في: الفائق ٤٤٩/١. وكانَ الصّغانيّ نسبه إليه في: التّكملة ٢٣٤/٦.

[٩٨] كذا نقلَ اسمه وكنيته الآمديّ في: المؤتلف والمختلف ١٧ عن ثعلبٍ عن ابنِ الأعرابيّ، وأنّه مخضرمٌ. وانظر: التّاج ٤٢٩/٢. وفي: (ألقاب الشّعراء)، نوادر المخطوطات، وغريب الحديث للخطّابيّ أنّ اسمَه: عبدُ الله بنُ الأعور، وفي: الفائق: عبدُ الله بنُ لبيدٍ الأعور. والغريب أنّ الصّغانيّ نفسَه سمّاه في: التّكملة ٢٣٤/٦، والعباب (أ ش ب) ١٤/٢: عبدَ الله بنَ الأعور. وانظر: التّاج ٦٧/٢٠ حيث نقلَ الزَّبيديّ نسبةَ الرّجز إلى أعشى بني الحرماز، وأنّ اسمَه عبدُ الله بنُ الأعور عن (العباب) تصريحاً.

[٩٩] ابن عمرو بن تميم. نقلَ هذا الآمديُّ في: المؤتلف والمختلف ١٧ عن نفطويه، من دون ذِكرِ اسمٍ، ولا رفعِ نسب. ولعلّ الصّغانيّ يعني بقوله: "بعضهم" الأزهريَّ الذي نسبَ الرّجزَ الآتي في: التّهذيب ٤١٤/٧، ٤٢٥/١٤ إلى أعشى بني مازن أنشدَه الرسولَ ﷺ؛ يشكو امرأتَه، وكذلك نسبه إليه الهرويّ في: الغريبين ٦٧٢. وهو منسوب إليه في: التّاج ٦٧/٢٠.

[١٠٠] يتابعُ الصّغانيُّ ههنا الآمديَّ الذي قال: "أمّا أصحابُ الحديث فيقولون: (أعشى بني مازن). والثَّبَتُ: (أعشى بني الحرماز)؛ فأمّا بنو مازنٍ فليسَ فيهم أعشى". المؤتلف والمختلف ١٧، ١٨.

[١٠١] قالَ الخطّابيّ: "(الدّيّانُ): الملكُ المطاعُ. وهو الذي يَدينُ النّاسَ، أي: يَقْهَرُهم على الطّاعة". غريب الحديث ٢٤٠/١. وفي: التّهذيب ٤٢٥/١٤: "أرادَ بـ(الذِّرْبَة): امرأتَه، كنّى بها عن فسادِها، وخيانتِها في فرجِها". وانظر: التّاج ٤٢٩/٢. وقيل: (الذِّرْبة): السَّليطةُ. كما في: غريب الحديث للخطّابيّ، والفائق.

[١٠٢] العباب ١٤/٢ حيث نسبَ الرّجزَ إلى أعشى بني الحرماز، وذكرَ قصّتَه.

أقول: تابعَ الصّغانيُّ الآمديَّ (٣٧٠هـ) في نفيه القطعيّ وجودَ أعشى في بني مازنٍ، وبالتّالي فلا شِعرَ منسوباً إليه، وأرى أنّ نسبةَ علماءِ الحديث -كما نصَّ الآمديُّ نفسُه-، ونسبةَ ثلّةٍ من أئمّةِ اللّغة – كما فصّلتُ في الحواشي- هذا الرّجزَ إلى أعشى بني مازنٍ تُضعفُ ما ذهبا إليه. والله أعلم.

١٣) **تركيب (ر ح ب)**[١٠٣]: وفيه يرجّحُ روايةً لشاهدٍ على أخرى؛ فيقول: "و(مَرْحَبٌ) أيضاً: قبيلةٌ من حَضرَموتَ. قالَ النّابغةُ الجعديُّ[١٠٤] ﷺ: [المتقارب]

وكيف تُواصِلُ مَن أَصْبَحَتْ ... خِلالَتُـه كأخي مَرْحَبِ[١٠٥]؟

رآكَ بِبَثٍّ فلم يلتفِتْ ... إليكَ، وقالَ: كذاكَ ادْأَبِ

هذا على روايةِ من روى: (كأخي مَرحب). ومن روى: (كأبي مَرحب)[١٠٦] معناه: الظلُّ[١٠٧]. والأُولى أَولى".

أقول: لم يَضِحْ لي وجهُ ترجيحِ الصّغانيّ للرّوايةِ الأولى، التي ما وقفتُ عليها عند غيره – فيما بين يديّ- البتّة، التي لم يذكرها الصّغانيّ نفسُه لدن ذكره البيتَ في موضعَين آخرين من معجمِه (العباب). والله أعلم.

١٤) **تركيب (س ب ب)**[١٠٨]: وفيه يذكرُ روايةً لشاهدٍ، وينفي غيرها؛ فيقول: "و(السَّبَّةُ) أيضاً: الاستُ. و(سَبَّهُ يَسُبُّهُ): طعنَه في السَّبَّةِ. قالَ ذو الخِرَقِ الطُّهَوِيُّ[١٠٩]: [المتقارب]

---

(١٠٣) العباب ١٦٤/٢.

(١٠٤) في: ديوانه ٣٩، ٤٠. والجعديّ هو: عبدُ الله بن قيس، أبو ليلى، من المخضرمين المعمَّرين، دعا له النّبيّ ﷺ. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٢٨٠، والمؤتلف والمختلف ٢٥٢.

(١٠٥) كرّرَ الصّغانيّ هذا البيت في: العباب في تركيبَي: (ش ر ب) ٢٣٦/٢، و(خ ل ل) ٢٠٨/١٣ وروايته في الموضعين: (كأبي مرحب). و(الخِلالةُ) -مثلّثة-: الصّداقة، والمودّة. وانظر: التّاج ٤٢٩/٢٨ حيث نقلَ الزّبيديّ التّثليثَ عن الصّغانيّ تصريحاً.

(١٠٦) وهي روايةُ الدّيوان، وجميعِ ما وقفتُ عليه من كتبٍ عرضت بيتَ الجعديّ ﷺ ومنها: الكتاب ٢١٥/١، والإبل للأصمعيّ ٧٣، وإصلاح المنطق ١١٢، والاختيارَين ٥٦٥، والزّاهر في معاني كلماتِ النّاس ١٠٨/٢، والتّهذيب ٥٦٩/٦، ١٩٠/١٥.

(١٠٧) وممّن ذكرَ هذه الرّواية وهذا التّفسير لها: الجوهريُّ في: الصّحاح ١٣٤/١. وانظر: التّاج ٤٩٣/٢. وقالَ الجوهريّ في: الصّحاح ١٦٨٨/٤: "(أبو مَرحبٍ): كُنيةُ الظِّلّ. ويقال: هو كُنية عُرقوب، الذي قيل فيه: (مواعيدُ عُرقوب)". وانظر: العباب (خ ل ل) ٢٠٨/١٣، والتّاج ٤٢٩/٢٨. وقالَ الغُنْدِجانيّ في: فرحة الأديب ٣٤: "(أبو مَرحبٍ) هنا الذي يقول لك إذا لقيكَ: (أهلاً ومرحباً)، وليسَ غيرَ ذلك".

(١٠٨) العباب ٢٠١/٢.

(١٠٩) الأبياتُ الآتية له في: شرح النّقائض ٥٨٣، وثمّة قصّتها. وانظر: المعاني الكبير ١٠٨٧، والتّاج ٣٤/٣، ٨٦/٢٧. قالَ البغداديّ في: الخزانة ٤٢/١: "مَن لُقّب من الشّعراء من بني طُهَيّة ذا الخِرَقَ ثلاثةٌ...". وانظر:

فما كانَ ذنبُ بني مالكٍ بأنْ شبَّ منهم غلامٌ فَسَبْ
عراقيبَ كُومٍ طِوالِ الذُّرى تَخِرُّ بوائكُها للرُّكَبْ[١١٠]
بأبيضَ يهتزُّ ذي هَبَّـةٍ يَقُطُّ العظامَ، ويَبْري العَصَبْ[١١١]

وروايةُ من روى: (بأنْ سُبَّ) –بضمِّ السّينِ المهملة، وفَسَّرَه بـ(شُتِمَ) [١١٢]– ليسَتْ بشيءٍ[١١٣]".

أقول: أوردَ الدكتور المخدوميّ –رحمه الله– الأبياتَ السابقة في مقدّمة تحقيق (العباب) ٧٩/١ في فقرة (الأخطاء التي وقعت في إنشادِ الأشعار، وصحّحها الصّغانيّ) مؤيّداً كلامَ الصّغانيّ، وأنّ الرّوايةَ بالسّين تصحيفٌ تبعَ فيه اللاحقُ السّابقَ، في حين جعل في: تركيب (س ب ب) هـ٥، ٢٠١/٢ احتجاجَ الصّغانيّ بهذه الأبيات لمعنى (طعنه في السّبّة) غيرَ صحيح. أمّا المحقّق الدكتور العتيبيّ –حفظه الله– فحشّى على كلام الدكتور المخدوميّ الوارد في مقدّمةِ التّحقيق ٧٩/١ بقوله: "لم يروِ (شَبّ) بالشّين أحدٌ مطلقاً. وهو وهمٌ من الصّغانيّ بلا شكٍّ، وتكملةُ الأبياتِ تقطعُ بذلك". وأراه محقّاً؛ لما نقلتُ في الحواشي عن كبارِ اللّغويّين.

١٥) **تركيب (ش ر ب)**[١١٤]: وفيه يثبتُ روايةَ شاهدٍ، ويشيرُ إلى ورودها مغيّرةً في كتبِ اللّغة؛ فيقول: "(الشَّرَبَّةُ) – بتشديدِ الباء–: موضعٌ بين السَّليلةِ، والرَّبَذة[١١٥].

قالَ أبو الأُقيرع، عبدُ الله بنُ الحجّاجِ التّغلبيُّ[١١٦] لعبدِ الملك بنِ مروان: [الكامل]

(ألقاب الشّعراء)، نوادر المخطوطات ٣٣٣/٢، والمؤتلف والمختلف ١٣٨، ١٥٠.

(١١٠) العراقيب: ج: العُرقوب. وهو عصبٌ غليظٌ في رجلِ الدّابّة. انظر: الصّحاح ١٨٠/١. والكُومُ: ج: الكَوْماء. وهي النّاقةُ الطّويلةُ السَّنام. انظر: التّهذيب ٤٠٧/١٠. البوائِكُ: ج: البائِك. وهي النّاقةُ العظيمةُ السَّنام. انظر: التّهذيب ٤٠٥/١٠.

(١١١) هبّةُ السّيف: هِزّتُه، ومضاؤه في الضّريبة. انظر: العباب (هـ ب ب) ٥٢١/٢. يقطُّ: يقطع. انظر: العباب (ق ط ط) ١٩٩/٩.

(١١٢) هو ابنُ دريدٍ من روى، ومن فسَّرَ بهذا في: الجمهرة ٦٩. وقالَ بعد البيت: "أي: شُتِمَ؛ فقَطَعَ". وكانَ قالَ قبله: "أصلُ (السّبِّ): القَطْعُ، ثمّ صار (السّبُّ) شتماً؛ لأنّ (السّبَّ) خرقُ الأعراض". وهو الجوهريُّ في: الصّحاح ١٤٤/١، ١٤٥. وهو ابنُ فارس أيضاً في: المجمل ٤٥٦ الذي قالَ بعد البيتِ الأوّل: "قولُه: (سُبّ) أي: شُتِمَ، و(سَبَّ) أي: عَقَرَ". ونقلَ الأزهريّ في: التّهذيب ٣١٢/١٢ أنّ ضمَّ السّين هي روايةُ الفرّاء، إلّا أنّ تفسيره مختلف؛ قالَ الأزهريُّ: "قالَ: أرادَ بقوله: (سُبَّ) أي: عُيِّرَ بالبخل؛ فسَبَّ عراقبَ [كذا] إبلِه؛ أنفةً ممّا عُيِّرَ به". وانظر: التّاج ٣٤/٣.

(١١٣) دلّلَ الصّغانيّ لروايةِ الشّينِ المفتوحةِ التي اعتمدها بذكره قصّةَ الشاهد في: التّكملة ١٥٤/١.

(١١٤) العباب ٢٣٤/٢.

(١١٥) وقيل غير هذا. انظر: معجم البلدان ٣٣٢/٣، ٣٣٣. وقالَ ياقوت: "لها ذِكْرٌ كثيرٌ في أيّامِ العرب، وأشعارهم".

(١١٦) في: (العباب) المطبوع (ح ج ل) ١٤٥/١٣، والتّاج ٢٨٠/٢٨ النّاقل تصريحاً عن (العباب): "الثّعلبيّ".

فانعشْ أُصيبيةً أتَوكَ كأنّهم حَجَلٌ[117] تَدَرَّجُ في الشَّرَبَّـةِ جُوّعُ[118]

هكذا هو في (شِعره)[119]. والذي وقعَ مغيَّراً في كتبِ اللّغةِ هو:

ارحم أُصيبيتي الذين كأنّهم حُجْلى تَدَرَّجُ في الشَّرَبَّـةِ وُقَّعُ[120]".

أقول: ما ذكره الصّغانيُّ من روايةٍ في كتبِ اللّغة –ولعلّه يعني بها ههنا (الصّحاح)– صحيحٌ، ولم أقف على (ديوان) أبي الأقيرع هذا لأصلَ إلى رأي؛ أركنُ إليه؛ مطمئناً لورودِ الشّاهدِ فيه. والله أعلم.

١٦) **تركيب (ص و ب)**[121]: وفيه يشكّكُ في نسبةِ شاهدٍ؛ فيقول: "(صابَ): نزلَ. قالَ علقمةُ بن عبَدةَ[122]، ذَكَرَه له المفضَّلُ بنُ محمّدٍ[123] في: (المفضّليّات)[124]، ولم أجِدْه في: (ديوانِ شِعره)[125]،

---

[117] سُكِّنَ الجيمُ في هذه الكلمة في: (العباب) المطبوع. والتّصويب من: العباب (ح ج ل) ١٤٥/١٣. و(الحَجَلُ): صغارُ الإبل، وطائرٌ معروف.

[118] أعادَ الصّغانيّ ذكر هذا البيت بتمامه في تركيب (ح ج ل) ١٤٥/١٣ آتياً بكلمة (حِجْلى) في العجز، ثمّ علّقَ مؤكّداً: "ويُروى: (حَجَلٌ). وهذ الرّوايةُ أصحّ". وانظر: التّاج ٢٨٠/٢٨ حيث نقلَ الزّبيديّ عن: (العباب) تصريحاً.

[119] لم أقف على شعر أبي الأقيرع، عبدِ الله بنِ الحجّاجِ التّغلبيّ، أو الثّعلبيّ.

[120] والبيت بهذه الرّواية في: الصّحاح ١٦٦٧/٤، ٢٣٩٨/٦ ومن دون نسبة في الموطنين، وفي: المحكم ٧٦/٣ ومن دون نسبة أيضاً. ونُسب بهذه الرّواية في: سفر السّعادة وسفير الإفادة ٣١٥ إلى عبدِ الله بنِ الحجّاجِ الذّبيانيّ، وثمّة قصّةُ الشّاهد. ونُسب بهذه الرّواية أيضاً في: التّاج ٤١٠/٣٨ إلى الحطيئة، وعلّقَ محقّقه: "ليسَ في (ديوانِ) الحطيئة". وفي غير كتبِ اللّغة هو في: إيضاح شواهدِ الإيضاح ٥٤٥ "لعبدِ الله بنِ الحجّاجِ الثّعلبيّ، ويُكنى أبا الأقرع". وقصّةُ الشاهد في ٥٤٦، ٥٤٧ منه، وفي: شرح المفصّل لابن يعيش ٢١/٥ لعبدِ الله بنِ الحجّاج. وقالَ ابنُ يعيش شارحاً: "شبّهَ صبيتَه لضعفِهم عن الكسبِ بحجلٍ يتدرّجُ من أماكنِه، ولا يطيرُ؛ لعجزه عن الطّيران. و(الشّرَبّة): موضعٌ. وهو بناءٌ غريبٌ". وانظر: سفر السّعادة ٣١٧.

[121] العباب ٢٧٧/٢.

[122] الفحل. جاهليٌّ من بني تميم. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٢١٢، والمؤتلف والمختلف ١٩٨.

[123] رجّحَ محقّقا (المفضّليّات) أن تكون وفاةُ المفضّل بنِ محمّد بنِ يعلى سنة (١٧٨هـ).

[124] ٣٩٤. ووُضِعَ البيت بين معقوفتين؛ دلالةً على زيادته من نسخةٍ أخرى للمفضّليّات، كما ذُكر في ح ٢٦ من ص٣٩٤.

[125] وليسَ البيتُ في: (ديوان) علقمة (ط. دار صادر)، وهو في شرح ديوانه للسيّد أحمد صقر ١٦. وروايته:

ولستَ بإنسيٍّ، ولكنَّ مَألَكاً ....

وعلّقَ السيّد أحمد صقر: "يُروى هذا البيتُ لغير علقمة. والصّحيحُ أنّه له". وكانَ الصّغانيّ في: التّكملة ٢٣٩/٥ قطعَ بنسبةِ البيت إلى علقمةَ بن عبَدةَ؛ يمدحُ الحارثَ بنَ جَبَلَة بن أبي شَمَرٍ الغسّانيّ. وقالَ البغداديُّ

وذكرَ أبو عبيدةَ[١٢٦]، معمَرُ بنُ المثنّى[١٢٧] أنّه لرجلٍ من عبدِ القيس[١٢٨]: [الطّويل]

فلستَ لإنسيٍّ، ولكنْ لمَلْأَكٍ تَنَزّلَ من جوِّ السّماءِ يصوبُ[١٢٩]".

أقول: لعلّ سهواً ما وقع للصّغانيّ؛ إذ كانَ قطعَ في: (تكملتِه) بنسبةِ الشاهدِ إلى علقمة، وههنا ينصُّ على عدم وقوفِه عليه في (ديوان شِعره)، ورأيتُ: الكسائيَّ، وابنَ الأنباريّ ينسبانه إليه. والله أعلم.

وفي التّركيبِ ذاتِه أعني (ص و ب)[١٣٠] يرجّحُ الصّغانيُّ نسبةَ شاهدٍ؛ فيقول: "(قومٌ صُيّابٌ) أي: خِيارٌ. قالَ الرّاعي[١٣١] يَرُدُّ على خَنْزَرِ بن أرقمَ[١٣٢]، أحدِ بني عمِّ الرّاعي –ويُروى لجندلِ

في: شرح شواهدِ الشّافية ٢٨٩ لدن حديثِه عن صاحبِ الشاهد: "وقد بحثتُ عنه فلم أجده فيها [يعني القصيدة] من روايةِ المفضّل في: (المفضّليّات)، وكذلك لم أره في ديوانِه".

(١٢٦) في: العباب المطبوع (أ ن س) ٢٠٩/٧: "قال أبو عبيد: إنّه...". وهو تحريف.

(١٢٧) مات سنة (٢١٠هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٢٧٠٤.

(١٢٨) "جاهليّ، يمدحُ بعضَ الملوك". مجاز القرآن ٣٣/١. قالَ ابنُ برّيّ في: التّنبيه والإيضاح ١٠٤/١: "البيتُ لرجلٍ من عبدِ القيس يمدحُ النّعمان. وقيل: هو لأبي وجزةَ يمدحُ عبدَ الله بنَ الزّبير". وقالَ صاحبُ التّاج ٢١٢/٣ بعد نقلِه كلامَ ابن برّيّ: "وقيل: هو لعلقمةَ بن عَبَدة". ثمّ فصّلَ أكثر في ٣٥٤/٢٧؛ فقال: "أنشدَ أبو عبيدةَ لرجلٍ من عبدِ القيسِ جاهليٍّ يمدحُ بعضَ الملوك، كما في: (الصّحاح)، قيل: هو النّعمان. وقالَ ابنُ السّيرافيّ: هو لأبي وجزةَ يمدحُ به عبدَ الله بنَ الزّبير. قلتُ: وأنشده الكسائيُّ لعلقمةَ بنِ عبَدةَ؛ يمدحُ الحارثَ بن جَبَلةَ". وانظر: الصّحاح ١٦١١/٤، والعباب (م ل ك) ٥٨٦/١٢. قلتُ: والبيت في: شِعر أبي وجزة (المنسوب إليه، وإلى غيره) ١١٦.

(١٢٩) لم ينسبه سيبويه. وقالَ قبله: "اجتمعَ أكثرُهم على تركِ الهمزة في: (مَلَكٍ)، وأصلُه الهمزةُ". الكتاب ٣٧٩/٤. "ثمّ تُركت همزتُه؛ لكثرةِ الاستعال؛ فقيل: (مَلَكٌ)، فلمّا جمعوه ردّوها إليه؛ فقالوا: (ملائكةٌ، وملائكُ) أيضاً". الصّحاح ١٦١١/٤. وانظر: إصلاح المنطق ٧٠ والبيتُ فيه من دون نسبةٍ، وشرح أشعار الهذليّين ٢٢٢ حيث نسبَه السّكريُّ إلى متمّم بن نُويرة. قلتُ: وهو في: شعره (ما نُسب إليه) ٨٧ بصدرٍ مختلفٍ. والزّاهر ٢٨١/٢، ٢٨٢ حيث نسبه ابنُ الأنباريّ إلى علقمةَ بن عبَدة، وكذلك فعلَ في: المذكّر والمؤنّث له ٣٢٩/١ وقال: "في (المَلَك) لغتان: (المَلَكُ، والمَلْأَكُ)". وتهذيب إصلاحِ المنطق ١٨٩ حيث نسبَه التّبريزيُّ إلى علقمةَ بن عبَدةَ أيضاً؛ يمدحُ النّعمان. وأمالي ابن الشّجريّ ٢٠٣/٢، ٣٥/٣ من دون نسبةٍ في الموضعين، والعباب (م ل ك) ٥٨٦/١٢.

(١٣٠) العباب ٢٧٩/٢. ولم أعطِ رقماً لهذا التّركيب؛ لأنّه مكرّرٌ من دون مضمونه.

(١٣١) في: ديوانه ١١. وهو له في: الصّحاح ٥٢٧/٢، والتّنبيه والإيضاح ١٠٦/١، والعباب (قفد) ٤٨٩/٤، والتّاج ٦٣/٩، ١٠٢/٢٣.

(١٣٢) كذا وردَ اسمه في بعضِ كتبِ اللّغة أيضاً، ومنها: التّاج ٣٦٥/١١، وورد في بعضها الآخر (بن أبي أرقم)، ومنها: التّكملة ٤٤٢/٤ كما سيأتي، و(العباب) في مواطن ثلاثة: (ك ل ب) ٤٥٧/٢، (ق ف د) ٤٨٩/٤، (ج ن د ف) ١١٨/١١، والتّاج ١٠٢/٢٣. وابن أرقم: "اسمه الحلال، وهو أحد بني زيدِ بن ربيعةَ بن عبدِ الله

بنِ الرّاعي[١٣٣] يهجو ابنَ زيدِ بن مالكِ بن عديِّ بن الرِّقاع[١٣٤]، والأوّلُ أصحُّ-: [البسيط]

من معشرٍ كُحِلَتْ باللُّؤمِ أعينُـهم قُفْدِ الأكُفِّ[١٣٥]، لئامٍ غيرِ صُيّابِ".

أقول: لم ينفِ الصّغانيُّ صحّةَ النّسبة إلى ابنِ الرّاعي؛ ولعلّ سببَ هذا ورودُها عند بعضِ أهلِ اللّغة، وأرى ترجيحَه النّسبةَ إلى الرّاعي الأب أقربَ؛ لورودِ البيتِ الشاهد في (ديوانه). والله أعلم.

١٧) **تركيب (ض ب ب)**[١٣٦]: وفيه يصحّحُ روايةَ رجز، ويشيرُ إلى غيرها في أكثر كتبِ اللّغة، من دون أن يعلّقَ؛ فيقول: "(الضَّبُّ): دُوَيبَّةٌ، والجمعُ: (ضِبابٌ، وأَضُبٌّ، ومَضَبّةٌ)...

وفي المثل: (أعقُّ من ضَبٍّ)[١٣٧]؛ لأنّه ربّما أكلَ حُسُولَه[١٣٨]. والأنثى: ضَبّةٌ. وقولهم: (لا أفعلُه حتّى يَحِنّ الضّبُّ في إثْرِ[١٣٩] الإبلِ الصّادرة)، و(لا أفعلُه حتّى يردَ الضّبُّ)[١٤٠]؛ لأنّ الضّبَّ لا يشربُ ماءً[١٤١]. ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنةِ البهائم: قالتِ السّمكةُ[١٤٢]: (وِرْداً يا ضَبُّ)؛ فقالَ: [منهوك الرّجز]

بن نُمير". شرح الحماسة للفارسيّ (٤٦٧هـ) ٢١٢/٢. وانظر: (ألقاب الشّعراء)، نوادر المخطوطات ٣٤٠/٢، ومعجم شعراءِ الحماسة ٣٩. ولم أقف على ترجمةٍ لابن (أبي أرقم).

(١٣٣) لجندلٍ هذا قصيدةٌ بائيّةٌ أيضاً يهجو فيها، ومنها بيتٌ -غيرُ شاهدنا هذا، وقافيتُه (بِكُلّابِ)- نسبه إليه كلٌّ من: ابن السِّكّيت في: إصلاح المنطق ٤٣٣ من دون تحديدِ المهجوّ، والجوهريّ في: الصّحاح ١٣٣٦/٤ يهجو عديّ بنَ الرِّقاع، ونفى الصّغانيّ في: التكملة ٤٤٢/٤ نسبته إلى جندل، وقال: "هو للرّاعي؛ يردُّ على خَنْزَرِ بن أبي [كذا] أرقمَ، وهو أحدُ بني عمّ الرّاعي". وانظر: التّاج ١٠٢/٢٣ حيث صوّبَ الزّبيديُّ نسبته إلى الرّاعي. ونسبه الصّغانيُّ إلى الرّاعي في: العباب (ك ل ب) ٤٥٧/٢، (ج ن د ف) ١١٨/١١ يهجو خَنْزَراً. ونسبه إلى جندلٍ أيضاً ابنُ سيده أيضاً في: المحكم ٥٩٢/٧ يهجو فيه جريراً. والبيتُ -المنسوب إلى جندل- للرّاعي في: ديوانه ١٠، وفي: التّهذيب ٢٥٢/١١ من دون تحديد المهجوّ. وانظر: التّاج ١٦٨/٤.

(١٣٤) عديّ بن زيدِ بن مالكِ بن عديّ بن زيدِ بنِ الرِّقاع. شاعرٌ إسلاميٌّ. ترجمته في: طبقات فحول الشّعراء ٦٨١، ٦٩٩، والاشتقاق ٣٧٥، والمؤتلف والمختلف ١٤٦.

(١٣٥) القَفَدُ: عيبٌ في المشي. العباب (ق ف د) ٤٨٩/٤.

(١٣٦) العباب ٢٨٣/٢. وكرّرَ الصّغانيّ مضمون نقلنا الآتي عنه في: (ز ر د) ٢٨٠/٤.

(١٣٧) الحيوان ١٩٦/١، ١٩٧، ٢٢١، ٥٨/٦، ١٣٦، ١٠/٧، ومجمع الأمثال ٤٧/٢.

(١٣٨) أي: فراخَه حين تخرجُ من البيض. مفردها: (حِسْلٌ). العباب (ح س ل) ١٥٣/١٣.

(١٣٩) في: الصّحاح ١٦٧/١ -وعنه ينقلُ الصّغانيّ ههنا-، والمحكم ٥٣٥/٢، ومجمع الأمثال ٣١٥/١، ٢٢٦/٢: "في أَثَرِ". وعلّقَ ابنُ سيده: "وليسَ للضّبِّ حنينٌ؛ إنّما هو مثلٌ؛ وذلك لأنّ الضّبَّ لا يردُ أبداً". والعربُ تقوله في الشيءِ الممتنع. والقول في: إصلاح المنطق ٣٩٣، والتّاج ٤٦٨/٣٤.

(١٤٠) ويقالُ للشيءِ الممتنع أيضاً؛ لأنّ الضّبَّ لا يشربُ ماءً. انظر: مجمع الأمثال ٣١٥/١، والتّاج ٢٣٦/٣.

(١٤١) انظر: الحيوان ١٢٥/٦.

(١٤٢) وفي مصادر كثيرة: (الضّفدع) بدل (السّمكة). انظر القصّة في: الجيم ١٩٨/٢، والحيوان ١٢٥/٦، والمعاني الكبير ٦٤١.

أصبحَ قلبي صَرِداً[143]

لا يشتـهي أن يَرِدا

إلّا عَراداً عَرِدا[144]

وصِلِّيَاناً زَرِدا[145]

وعَنْكَثاً مُلْتَبِدا[146]

هكذا الرّوايةُ الصّحيحةُ: (زَرِدا) بالزّاي، وفي أكثرِ كتبِ اللّغة[147]: (بَرِدا) بالباء[148]".

أقول: لم أر حجّةً اعتمدها الصّغانيّ لتصحيحِه روايةَ الرّجز، وما ذكره من ورودِ الرّوايةِ الأخرى في أكثر كتبِ اللّغة أوهنَ موقفَه. والله أعلم.

١٨) **تركيب (ض ر ب)**[149]: وفيه يصحّحُ روايةً لشاهدٍ أوردَه الأزهريّ؛ فيقول: "(فلانٌ يضطربُ المجدَ) أي: يكتسبُه. قالَ الكُميتُ[150]: [البسيط]

رَحْبُ الفِناءِ اضطرابُ المجدِ رغبتُـه والمجدُ أنفعُ مَضْرُوبٍ لمُضْطَرِبِ

هكذا ذَكَرَه الأزهريُّ[151] في هذا التّركيب[152]. والرّوايةُ الصّحيحةُ: (مَصْرُوبٍ لمُصْطَرِبِ) بالصّادِ

---

[143] "إذا انتهى القلبُ عن شيءٍ؛ صَرِدَ عنه". التّهذيب ١٣٩/١٢. وانظر: العباب (ص ر د) ٣٤٣/٤.

[144] "(عَرادٌ): نبتٌ، و(عَرِدٌ): مُلتفٌّ". إصلاح المنطق ٣٩٤.

[145] الصِّلِّيان: نباتٌ ورقُه رقيقٌ، وهو من أطيبِ الكلأ، ومن أفضلِ المرعى. انظر: النّبات (القسم الثّاني من القاموسِ النّباتيّ) ٨٧، والتّهذيب ١١٤/١٢، ١٧٤/١٣. "(نبتٌ زَرِدٌ): يمكنُ ابتلاعُه بسرعة". العباب (ز ر د) ٢٨٠/٤.

[146] "(العَنْكَثُ): نبتٌ يشتهيه الضّبُّ". العباب (ع ك ث) ٦٢/٣. حيث ذكرَ الصّغانيُّ المشاطيرَ الخمسة كما هنا، من دون إشارةٍ إلى تصحيح روايةٍ ما. و"التَبَدَتِ الشّجرةُ: كَثُرتْ أوراقُها". العباب (ل ب د) ٥١٩/٤. وقولُ الصّغانيّ: "لا أفعله حتّى... ملتبدا" هو عن إصلاح المنطق ٣٩٤.

[147] ومنها: إصلاح المنطق ٣٩٤، والتّهذيب ١٩٩/٢، ٣٠٨/٣، والصّحاح ١٦٧/١، والمحكم ٦/٢، ٤٢٠، وانظر: التّاج ٢٣٧/٣، ٣٠١/٥، ٣٧٤/٨. ومن غير كتبِ اللّغة: الحيوان ١٢٥/٦، والمعاني الكبير ٦٤١.

[148] كانَ الصّغانيّ أكثر توضيحاً في: التّكملة ١٨٩/١ بقوله: "(بَرِدا) تصحيفٌ من القدماء؛ فتبعَهم الخَلَفُ. والرّواية: (زَرِدا)، وهو السّريعُ الازدراد، أي: الابتلاع. ذكره أبو محمّدٍ الأعرابيّ". وكرّرَ ما ارتآه في: التّكملة ٢٤١/٢، ٢٨٣. وفي: التّاج ٣٧٥/٨: "إنّما أراد: (عارِداً، وبارِداً) فحذفَ؛ للضّرورة".

[149] العباب ٢٩١/٢.

[150] ابن زيدٍ الأسديّ في: ديوانه ١٣٨ (ط. بغداد) وفيه: "الغِناء" بالغين، ٩٥ (ط. صادر). وترجمةُ الكميت في: الشّعر والشّعراء ٥٦٦، والمؤتلف والمختلف ٢٢٣.

[151] محمّد بن أحمد الأزهر بن طلحة، الهَرويّ. أبو منصور. مات سنة (٣٧٠هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٢٣٢١.

[152] التّهذيب ٢١/١٢ وفيه: "الغِناء" أيضاً. وما ذكره الأزهريّ هو روايةُ الدّيوان. وممّن ذكره بهذه الرّواية منسوباً إلى الكميت أيضاً: الزّمخشريّ في: أساس البلاغة ٣١/٢.

المهملة، أي: أنفعُ مجموعٍ لجامعٍ[١٥٣]".

أقول: لم يقدّمِ الصّغانيُّ دليلاً على اختياره، ورواية (ديوان) الكميت بن زيدٍ، والزّمخشريّ في (الأساس) تجعلان ما ذهب إليه مرجوحاً. والله أعلم.

١٩) **تركيب (ط ب ب)**[١٥٤]: وفيه يذكرُ شاهداً لجرير كما ورد في بعضِ الكتب، ثمّ يشيرُ إلى روايتِهِ في (ديوانه)؛ فيقول:"(الطَّبْطَبةُ): صوتُ الماءِ، ونحوِه. قالَ جريرٌ يهجو التَّيْمَ: [الطّويل]

إذا طَحَنَتْ دُرْنِيّـةٌ لعيالِـها   تَطَبْطَبَ ثدياها؛ فطارَ طحينُها

هكذا هو في بعضِ كتبِ اللّغة[١٥٥]. والذي في (شِعر جرير)[١٥٦]:

إذا حَرَّكَتْ تيميَّـةٌ هادِيَ الـرَّحى   تَنَفَّسَ قُنْباها؛ فطارَ طحينُها[١٥٧]".

أقول: ما أشارَ إليه الصّغانيّ حقٌّ، وعلى روايةِ (الدّيوان) بشرح محمّدِ بن حبيبَ فلا شاهدَ حينئذٍ. ولعلّ الرّوايةَ الثّانيةَ لبيت جريرٍ المذكورةَ في: (العين، والصّحاح) من غير طريقِ ابن حبيبَ. والله أعلم.

٢٠) **تركيب (ط ر ب)**[١٥٨]: وفيه يذكرُ شاهداً للطّرِمّاح كما وردَ في: (تهذيب اللّغة)، ثمّ يشيرُ إلى روايتِهِ في: (ديوانه)؛ فيقول: "(استَطْرَبَ الحُداةُ الإبلَ): إذا خَفَّتْ في سيرِها؛ من أجلِ حُدائِهم. وأنشدَ الأزهريُّ[١٥٩] للطّرِمّاحِ[١٦٠]: [البسيط]

---

[١٥٣] انظر: التكملة ١٩٠/١. ونقلَ كلٌّ من: صاحبِ التّاج ٢٤٨/٣، وصاحبِ الجاسوس على القاموس ٥٤٣ هذا التّصحيح، وتفسيرَه، منسوباً إلى الصّغانيّ تصريحاً.

[١٥٤] العباب ٢٩٥/٢.

[١٥٥] ومنها: العين ٣٠٢/٢. وقبلـه: "(الطُّبْطُبان): الثّديان". والصّحاح ١٧١/١، ٢١١٢/٥ وفيه: (وإن طحنت)، وفيه: "(دُرْنا): موضعٌ... والرَّجلُ دُرْنـيٌّ، والمرأةُ دُرْنيّـةٌ". والبيت في: العين، والصّحاح من دون نسبةٍ إلى أحد. وانظر: التّاج ٩/٣٥.

[١٥٦] ديوانه (بشرح محمّد بن حبيب) ٥٥٥.

[١٥٧] في: الدّيوان: "(قُنباها): أرادَ فرجَها. شبّه البظرَ بغلافِ ذَكَرِ الحمار". وفي: أساس البلاغة ٢٤٨/١: "أي: فَسَتْ". والبيت في: أساس البلاغة ٢٤٨/١ من دون نسبةٍ. وبروايةٍ ثالثةٍ لصدرِ البيت هي:

إذا قبضت تيميّةٌ رائدَ الـرَّحى   ....

[١٥٨] العباب ٢٩٨/٢.

[١٥٩] في: التّهذيب ٢٤٨/٢ عن اللّيث، ٣٣٥/١٣، ٢٢٣/١٤. وانظر: التّاج ٥/٣٥. وذَكَرَ الصّغانيُّ روايةَ الأزهريّ هذه في: التّكملة ١٩٣/١ أيضاً. وهي روايةُ (العين) ٥١/٢، ٢٣٨/٦، ٩١/٨ من قبلُ.

[١٦٠] في: ديوانه ١٢٢. والطّرِمّاح هو: ابن حكيمٍ الطّائيّ. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٥٧٠، والاشتقاق ٣٩٢، والمؤتلف والمختلف ١٩١.

واستطرَبَتْ ظُعْنُـهم لـمّا احْزَأَلَّ بهم   آلُ الضُّحى ناشِطاً من داعباتِ دَدِ[161]

وفي (شِعره): (واستطرَفَتْ) بالفاء[162]".

أقول: الذي في (ديوان) الطّرمّاح المطبوع يوافقُ إنشادَ الأزهريّ. ولعلّ ما بين يديّ الصّغانيّ من شِعره بروايةٍ ثانية. والله أعلم.

٢١) **تركيب (ظ أ ب)**[163]: وفيه يصحّحُ نسبةَ أبياتٍ ثلاثة، ويذكرُ روايةً أخرى لأحدها؛ فيقول: "(الظَّأْبُ) أيضاً: الصّوتُ، والجَلَبَةُ. قالَ المُعلّى بنُ جَمَالٍ العَبديُّ[164]، وأنشدَه الأزهريُّ في: (التّهذيب)[165] لأوسِ بن حَجَرٍ[166]، وأنشدَه أبو عبيدة، معمَرُ بنُ المثنّى[167] في كتاب: (المثالِبِ)[168] لحمّادِ بن سَلَمَةَ[169]، وهو للمُعلّى: [الوافر]

---

[161] قالَ الأزهريُّ بعد البيت: "يقولُ: حملَهم على الطَّرَبِ شوقٌ نازعٌ. وقيل: أرادَ بـ(النّاشط): غناءَ الحادي". التّهذيب ٣٣٥/١٣. وانظر: ٢٢٣/١٤، والتّاج ٢٦٩/٣. وفي: العين ٢٣٨/٦: "(النّاشط): الطّريق في قولِ الطّرمّاح [البيت]". وروايةُ الدّيوان: (داعيات) بالياء. وانظر: العين ٥١/٢، والتّهذيب ٣٣٥/١٣. "(احزألّ بهم): أي: ارتفعَ بهم. و(آل الضّحى): السّراب. و(الدّدُ): اللّهو، واللّعب. و(من داعيات ددِ): أي: هذا النّاشطُ من دواعي الطّرب، وأسبابه". حاشية (ديوانِ) الطّرمّاح.

[162] الذي في: (ديوانِ) الطّرمّاحِ المطبوع ١٢٢: "واستطربت" بالباء. وبروايةِ الفاء أنشدَ الصّغانيّ منسوباً إلى الطّرمّاح في: التّكملة ١٩٣/١، ٢٣٠/٢، والعباب: (د د) ٢٤١/٤، و(ن ش ط) ٢٣/٩. وفي: التّاج ٦٩/٨: (استطرقت) بالقاف.

[163] العباب ٣٠٥/٢، ٣٠٦.

[164] وسيذكرُ الصّغانيّ في: العباب (د هـ س) ٣٣٤/٧ البيتين الآتيين: الثّاني والثّالث منسوبَين إلى المعلّى بن حَمَّالٍ [كذا] العبديّ، وفي تركيب (ص و ع) ٣٠٣/١٠ الثّاني فحسب منسوباً إلى المعلّى بن جَمَّالٍ [كذا] العبديّ. والثّاني للمعلّى بن جَمَالٍ العبديّ في: الأضداد للأصمعيّ ٣٣، وللمعلّى بن جَمَّالٍ العبديّ في: الصّحاح ٩٣١/٣، وللمعلّى بن حَمَّالٍ العبديّ في: التّاج ٣٣٩/٣٢. والثّاني والثّالث للمعلّى العبديّ –من دون تحديد– في: التّنبيه على أوهام أبي عليٍّ القاليّ في أماليه ١٠٢.

[165] ٢٥٤/١، ٣٩٨/١٤ وفي الموضعين شكّلَ عجزا البيتين الثّاني والثّالث بيتاً واحداً، وفيه: "يصوع" بالعين. وهي كذلك في: العباب (ص و ع) ٣٠٣/١٠.

[166] البيتان الثّاني والثّالث فقط في: ملحق ديوانه ١٤٠. وعجزُ الثّالث له في: العين ١٧٢/٨، وعجزا الثّاني والثّالث له في: الغريب المصنّف ٦٧، والمحكم ٣٠١/٢، ٣٦/١٠ حيث علّقَ ابنُ سيده بعد نسبته لهما إليه: "وليسَ أوسُ بن حَجَرٍ هذا هو التّميميّ؛ لأنّ هذا لم يجئ في شعره". وهما لأوسِ بن حجر في: المحكم ٤٣/١٠ أيضاً، وفي: التّاج ٢٩٩/٣، ٣٨١/٢١، ٢١٦/٢٦. وترجمة أوسٍ في: طبقات فحولِ الشّعراء ٩٧، والشّعر والشّعراء ١٩٨.

[167] سبقت ترجمته في التّركيب رقم (١٦).

[168] لم أقف على هذا الكتابِ البتّة.

[169] ما وقفتُ على (شاعرٍ) بهذا الاسمِ فيما بين يديّ. ونصَّ الأنباريّ في: الأضداد ٣٧ على إنشاد أبي عبيدةَ البيتين الثّاني والثّالث للمعلّى بن حَمَّالٍ العبديّ، ولم ينصَّ على اسم كتابٍ له. أمّا القيسيّ –وهو أكثر من

أرى مِعْزايَ مِعْزىً أعجبَتْني كراماً كلُّها رُبَّى[١٧٠] رَؤُومُ
وجاءَتْ خُلْعَةٌ دُهْسٌ[١٧١] صَفايا يَصُوعُ عُنُوقَها أَحْوَى زَنيمُ[١٧٢]
يُفَرِّقُ بينها صَدَعٌ رَبَاعٌ[١٧٣] له ظَأْبٌ كما صَخِبَ الغريمُ[١٧٤]

ويُروى: (يَصُورُ عُنُوقَها)[١٧٥]".

أقول: أرى تصحيحَ الصّغانيّ ما نسبَه أبو عبيدة صواباً؛ لعدم نسبة أحدٍ –ممّن وقفتُ عليه– البيتَ إلى حمّادِ بن سلمة، وكذلك أرى تصحيحَه ما نسبَه الأزهريُّ؛ إذ إنّه على الرّغم من نسبةِ بعضِ الأئمّةِ عجزي البيتين: الثّاني والثّالث إلى أوسِ بن حجر فإنّ الأوّلَ من الأبيات لم يرد في: (ديوانه) البتّة، وورد: الثّاني والثّالث في ملحق (ديوان) أوس. إضافةً إلى نسبة كثيرٍ منهم البيتين: الثّاني والثّالث إلى المعلّى مع اختلافِهم في اسمِ أبيه، وورودِه بأشكالِه الثلاثةِ عندهم. والله أعلم.

٢٢) **تركيب (ع ر ب)**[١٧٦]: وفيه يصحّحُ روايةَ شاهدٍ؛ فيقول: "(العَرَبَةُ) أيضاً: النَّفْسُ. وروى بعضُهم[١٧٧] قولَ الرَّمّاحِ بنِ أَبْرَدَ، وهو ابنُ

وقفتُ عليه متحدّثاً عن نسبة هذا الشّعر، شارحاً لغتَه– فقالَ في: إيضاح شواهدِ الإيضاح ٨١٤: "هذا البيتُ لجمالِ بن سلمةَ العبديّ. كذا ذَكَرَ أبو عبيدة، معمرُ بنُ المثنّى في كتاب (المثالب)".

[١٧٠] شاةٌ ربّى: وضعت حديثاً، ويتبعها ولدُها. انظر: العين ٢٥٧/٨، والشّاء للأصمعيّ ٥٥، والمقصور والممدود للقاليّ ٢٤١.

[١٧١] في ملحق (ديوان) أوس ١٤٠: (دُبْسٌ). والشاعر في هذين البيتين يصفُ تيساً.

[١٧٢] قالَ الأنباريّ في: الأضداد ٣٧ شارحاً: "(الخُلْعة): الخيار من شائِه. و(الدُّهْسُ): التي لونها لونُ التّراب... و(الصّفايا): الغزيرات". قالَ الأزهريُّ في: التّهذيب ٣٩٨/١٤: "(يصوع): يسوقُ ويجمعُ. و(عُنُوق): جمع: (عَناق) للأنثى من ولدِ المعز. و(الزّنيمُ): الذي له زَنَمتان في حلقِه". الأحوى: التّيس. انظر: التّنبيه على أوهامِ القاليّ ١٠٢.

[١٧٣] في: العباب (ظ أ ب) ٣٠٦/٢، و(د هـ س) ٣٣٤/٧ بتنوينِ الكسر. و"(الصَّدَعُ): الذي بين السَّمين والمهزول". التّنبيه على أوهامِ القاليّ ١٠٢.

[١٧٤] في ملحق (ديوان) أوس: "ظَأَبَ الغريمُ". و(الغريمُ): الذي عليه الدَّينُ، وقد يكون أيضاً: الذي له الدَّين. انظر: الصّحاح ١٩٩٦/٥.

[١٧٥] وهي رواية ملحق (ديوان) أوس، وروايةُ الأصمعيّ في: الأضداد ٣٣، والزّجّاج في: معانيه ٣٤٦/١، والأنباريّ في: الأضداد ٣٧، والتّهذيب ١٦٤/١، ٢٢٨/١٢ عن الزّجّاج في الموضعَين، والصّحاح ٩٣١/٣ حيث قالَ الجوهريّ: "(يصور): يُميلُ". والبكريّ في: التّنبيه على أوهامِ القاليّ ١٠٢. وكذا رواه الصّغانيّ في: العباب (د هـ س) ٣٣٤/٧. وذكر ثمّة أنّه يُروى: "يصوعُ عنوقَها". بالعين أيضاً. وانظر: التّاج ٩٨/١٦، ٥٢٤/٢٠.

[١٧٦] العباب ٢/ ٣٢٥.

[١٧٧] هو الجوهريّ من روى، ومن سيفسّر بما سيذكره الصّغانيّ. وذلك في: الصّحاح ١٧٩/١، ٤١٢ وفيه: "طابت لها النّفس". وروايةُ البيت فيه:

ميّادةَ[١٧٨]، وميّادةُ أمُّه، يمدحُ الوليدَ بنَ يزيدَ[١٧٩]: [البسيط]

لمّا أتيتُكَ من نجدٍ وساكنِه   نَفَحْتَ لي نفحةً؛ طابَتْ لها العَرَبُ

وفسّرَه بـ(طابَتْ لها النّفوسُ). والرّوايةُ: (طارَتْ بها العربُ)[١٨٠] أي: حدّثَ العربُ النّاسَ بها".

أقول: أرى الرّوايةَ التي نصَّ عليها الصّغانيُّ صواباً؛ إذ إنّها روايةُ ابن ميّادة في (شِعرِه). والله أعلم.

٢٣) **تركيب (ك ن ب)**[١٨١]: وفيه ينسبُ شاهداً ورد عند أبي حنيفةَ الدِّينَوريّ (٢٨٢هـ) من دون نسبة، وينقلُ روايةَ (ديوانِ) الشّاعرِ المنسوبِ إليه الشّاهد؛ فيقول: "(الكَنَبُ) – بالتّحريك–: نبتٌ. قالَ الدِّينَوريُّ[١٨٢]: "سألتُ بعضَ الأعرابِ عن (الكَنَبِ)؛ فأراني شِرْسَةً من نباتِ الشّوكِ، لها في أطرافِها براعيمُ قد نبتَ من كلِّ بُرعُومةٍ شوكاتٌ ثلاثٌ متفرّقةٌ". قالَ[١٨٣]: "وفي (الكَنَبِ) يقولُ الشّاعرُ، ووصفَ نساءً: [البسيط]

مُعالِياتٍ عن الأريافِ، مَسْكَنُها   أطرافُ نجدٍ بأرضِ الطَّلْحِ، والكَنَبِ"

قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتابِ[١٨٤]: هكذا أنشدَه، والبيتُ للأخطلِ[١٨٥]، وفي (شِعره):

لمّا أتيتُكَ أرجو فضلَ نائلكم   نفحتَني نفحةً ....

وكانَ الصّغانيّ سمّاه في: التّكملة ٢٠٨/١. وقالَ معلّقاً على روايةِ الجوهريّ: "البيتُ مغيّرٌ". وانظر: التّاج ٣٤٣/٣. وممّن ذكرَ البيت بهذه الرّواية أيضاً: ابن فارس في: المجمل ٦٦٥.

[١٧٨] ترجمته في: (ألقاب الشّعراء، ومن يُعرف منهم بأمّه)، نوادر المخطوطات ٣٣٤/٢، والشّعر والشّعراء ٧٥٩، والمؤتلف والمختلف ١٥٨.

[١٧٩] ابن عبدِ الملك. مات سنة (١٢٦هـ). ترجمته في: تاريخ دمشق ٣١٩/٦٣.

[١٨٠] وهي الرّوايةُ الواردةُ في (شِعْرِ) ابن ميّادة ٥٩. وفي: التّكملة ٢٠٨/١.

[١٨١] العباب ٤٥٨/٢، ٤٥٩.

[١٨٢] أحمد بن داوود بن وَنند، أبو حنيفة. مات سنة (٢٨٢هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٢٥٨. وقوله الآتي في: النّبات (القسم الثّاني من القاموس النّباتيّ) ٢٤٩. وفيه: (الكَنِب) بكسرِ النّون. وانظر: التّاج ١٧٩/٤.

[١٨٣] في: النّبات، باب الحبال ٢٤٨/٣. وفيه: "وفي (الكنب) يقولُ الطّرمّاح: معالياتٌ [بالضّمّ].... الكَنِبِ [بكسرِ النّون]".

[١٨٤] عبارةٌ درجَ الصّغانيُّ –رحمه الله– على استعمالها في بعضِ مصنّفاته؛ لئلّا تُنتحلَ. والمقصودُ ههنا: (العُباب).

[١٨٥] قالَ محقّقُ (العباب) الدكتور المخدوميّ –رحمه الله –: "لم يردِ في شِعره" هـ ١، ٤٥٩/٢. قلتُ: ولم أقف عليه في ديوانِ الأخطل، (صنعةِ السّكّريّ). ونسبَه الجوهريُّ في: الصّحاح ٢١٥/١، وابنُ فارسٍ في: المجمل ٧٧٢، والزَّبيديُّ في: التّاج ١٧٩/٤ إلى الطّرمّاح، وفي المعاجمِ الثلاثةِ السّالفة: "الكَنِب" بكسرِ النّون. قلتُ: وهو في (ديوانِ) الطّرمّاح ٥٤ بروايةِ: "الخَزير، نجدٍ منَ اهْلِ"، وبكسرِ نون (الكنِب) أيضاً. معاليات: مرتفعات. الخَزير: من أطعمةِ العرب، أهلِ الأرياف. هامش (ديوانِ) الطّرمّاح. وأشارَ محقّقه إلى أنّ كلمةَ (الخَزير) من الأصلِ المخطوط.

مُعالِياتٍ عن الخِنزيرِ، مَسْكَنُها   أطرافُ نَجْدَين أهلُ الطَّلْحِ، والكَنَبِ".

أقول: أظنّ أنّ الصّغانيّ سها ههنا في النّسبةِ إلى الأخطل؛ إذِ البيتُ منسوبٌ في: (النّبات) إلى الطّرِمّاح، وهو في: (ديوانه) المطبوع، وكذلك هو منسوبٌ إليه عند ثلّةٍ من اللّغويّين، ولم أقف عليه في (ديوانِ) الأخطل، (صنعةِ السّكّريّ). والله أعلم.

٢٤) **تركيب (ن ع ب)**[١٨٦]: وفيه يرجّحُ نسبةَ شاهدٍ؛ فيقول: "(نعبَ الغرابُ) أي: صاحَ، (يَنْعِبُ، ويَنْعَبُ نَعْباً، ونَعِيباً، ونَعَباناً، وتَنْعاباً). قالَ أبو ذؤيبٍ الهذليُّ[١٨٧]– ويُروى لصخرِ الغَيِّ، ولأخي صخرِ الغَيِّ[١٨٨]؛ يرثي أخاه صخراً، ومن روى لأخي صخرِ الغَيِّ أكثرُ[١٨٩]–: [الطّويل]

فُرَيخانِ يَنْضاعان في الفجرِ كلّما   أَحَسَّا دَوِيَّ الرّيحِ، أو صوتَ ناعبِ[١٩٠]".

أقول: لم أتبيّن سببَ ترجيحِ الصّغانيّ ما رجّحه، وأراني منساقاً مع نسبةِ السّكّريّ البيتَ إلى صخرِ الغيّ. ولاسيّما أنّ الصّغانيَّ نفسَه تابعَه في: (العباب)، تركيب (ض و ع) بنسبتِه إلى صخر، واستعملَ ثمّة صيغةَ التّمريض (يُروى) مع النسبة إلى أبي ذؤيبٍ. والله أعلم.

٢٥) **تركيب (ب هـ ت)**[١٩١]: وفيه ينصُّ على وجودِ تصحيفٍ في كلمةٍ في مشطور، ثمّ يذكرُ الرّوايةَ الصّحيحة له؛ معلّلاً ما رأى؛ فيقول: "(البَهِيتَةُ): البُهْتان. يقال: (يالِلْبَهيتَةِ) بكسرِ اللّام، وهي استغاثةٌ[١٩٢]. وذكرَ بعضُ أهلِ اللّغةِ قولَ

---

[١٨٦] العباب ٤٩٥/٢.

[١٨٧] لم أقف على البيتِ الآتي له في: ديوانِ الهذليّين. وأبو ذؤيبٍ هو: خويلد بن خالد بن مُحَرِّث. من المخضرمين. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ١٢٣، ١٣١، والشّعر والشّعراء ٦٣٩.

[١٨٨] ترجمة صخر في: الأعلام ٢٠١/٣. وأخوه هو الأعلمُ الهذليّ، حبيب بن عبدِ الله. ترجمته في: المؤتلف والمختلف ١١٩.

[١٨٩] صرّحَ السّكّريّ في: شرح أشعارِ الهذليّين ٢٤٥ بنسبة البيتِ الآتي إلى صخرِ الغيّ بن عبدِ الله الخُثَميّ [كذا]؛ يرثي أخاه أبا عمرو، وأنّه قد روي لأبي ذؤيبٍ، وعنه نقلَ الصّغانيّ هذه الاحتمالات ههنا، ومن دون تصريح. وتابعه في: العباب (ض و ع) ٣٢٧/١٠ بقوله: "قالَ صخرُ الغيّ الهذليّ. ويُروى لأبي ذؤيبٍ الهذليّ، ولأخي صخرِ الغيّ [البيت]". وانظر: ديوان الهذليّين ٥١/٢.

[١٩٠] البيت للهذليّ من دون تحديد في: إصلاح المنطق ٢٥٨، والمعاني الكبير ٢٨٢، والصّحاح ١٢٥١/٣، والمحكم ٢٩٣/٢. والشّاعرُ يذكرُ فرخَي عُقابٍ فقدا أمّهما. ينضاعان: يتحرّكان كلّما طلعَ الفجرُ. وهو لأبي ذؤيب في: التّهذيب ٧٠/٣. وانظر: التّاج ٤٣١/٢١.

[١٩١] العباب ٥٥١/٢.

[١٩٢] قالَ ابنُ دريد: "تقولُ العربُ إذا استعظمتِ الأمرَ: (يا لِلْبَهيتة)". الجمهرة ٢٥٧. وفي: مجمل اللّغة ١٣٦: "العربُ تقولُ: (يا لَلْبَهيتةِ) [كذا بالفتح] أي: يا لَلْكَذب". وانظر: التّاج ٤٥٦/٤.

أبي النّجم[١٩٣]: [الرّجز]

سُبِّي الحَماةَ، وابْـهَـتِـي عليـها

وقالَ[١٩٤]: "(على) مقحمةٌ؛ لا يقالُ: (بَهَتَ عليه)، وإنّما الكلامُ: (بَهَتَه)". وهو تصحيفٌ[١٩٥]، والرّوايةُ: (وانْـهَـتِي) بالنّون[١٩٦]، من (النَّهِيتِ) وهو الصّوتُ، يقولُه أبو النّجم لامرأتِه، وبعدَه[١٩٧]:
وبعدَه[١٩٧]:

فإنْ أبَتْ فازْدَلِفي إليها

وانـتزِعي من خُصَلِ صُدْغَيها".

أقول: أرى حجّةَ الصّغانيّ في وقوعِ التّصحيف قويّةً؛ وذلك لعدم تعدّي الفعل (بهت) بحرفِ الجرّ (على)، على وفق ما أشارَ الجوهريُّ نفسُه، الذي لم يعلّق على وجودِ تصحيفٍ في الرّجز. ولم ألتفت إلى وجودِ الرّواية بالنّون في: (ديوان أبي النّجم) المطبوع؛ إذ اعتمدَ محقّقُه في إثباتها على تصحيحِ الصّغانيّ هذا التّصحيف. والله أعلم.

٢٦) **تركيب (س ب ت)**[١٩٨]: وفيه يصحّحُ نسبة شاهدٍ إلى شاعر، وينفي نسبتَه إلى آخرين، مستدلّاً؛ فيقول: "(السَّبَنْتَى، والسَّبَنْدَى) أيضاً: النَّمِرُ[١٩٩]، ويُشْبِهُ أن يكونَ سُمّي به؛ لجرأتِه. وقالَ جَزْءُ بنُ ضرارٍ[٢٠٠] أخو الشّمّاخِ –ووقعَ في: (الحماسة) للشّمّاخِ[٢٠١]، ورواه أبو رياشٍ[٢٠٢]

---

[١٩٣] العجليّ. في: ديوانه ٤٧٠. وأبو النّجم هو: الفضل بن قُدامةَ، قائلُ أجودِ أرجوزةٍ للعرب. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٧٣٧، ٧٤٥، والشّعر والشّعراء ٥٨٨.

[١٩٤] هو الجوهريّ في: الصّحاح ٢٤٤/١. وسمّاه الصّغانيّ في: التّكملة ٣٠٢/١. وكانَ تحدّثَ عن الشّاهدِ، وما بعده ثمّة.

[١٩٥] وأضافَ الصّغانيُّ في: التّكملة: "وتحريف". وممّن روى الرّجز بالباء: ابن قتيبة في: الشّعر والشّعراء ٥٩٣، والزّبيديّ في: التّاج ٤٧٦/٣٧.

[١٩٦] أي: صَوِّتي، واصرخي عليها. وبالنّون هي روايةُ (ديوان) أبي النّجم. وصرّحَ محقّقه بأخذه الرّوايةَ التي أثبتَها فيه عن الصّغانيّ في: التّكملة، وعلّلَ لما اختار. وفصّلَ الزَّبيديُّ في: التّاج ٤٥٤/٤–٤٥٦ هذا التّصحيفَ في روايةِ الشّاهد. وثمّة روايةٌ ثالثةٌ ذكرها ابنُ سيده في: المحكم ٢٥٧/٤؛ فقالَ: "... وقول أبي النّجم: **سُبّي الحماةَ، وادْرَهي عليها** إنّما معناه: اهجُمي عليها، وأَقْدِمي". وكرّرَ هذه الرّواية في: ٢٨٨/٤.

[١٩٧] في: (ديوان) أبي النّجم العجليّ ٤٧٠، ٤٧١.

[١٩٨] العباب ٥٧٧/٢.

[١٩٩] ما سبق عن الأصمعيّ –كما نصَّ الصّغانيّ– في: العباب (س ب د) ٢٩٢/٤.

[٢٠٠] في: التّكملة ٣١٦/١ أنّ نسبةَ البيتِ الآتي إلى جَزْءٍ أخي الشّمّاخ هي عن أبي محمّدٍ الأعرابيّ.

[٢٠١] وهو في: ملحق ديوانه ٤٤٩. وله في: شرح الحماسة للمرزوقيّ ١٠٩٠، ١٠٩٢، وللفارسيّ (٤٦٧هـ) ٤٨٨/١، ٤٩٠. وهو للشّمّاخ في: الصّحاح ٢٥١/١ يرثي عمرَ بنَ الخطّاب ﷺ. وانظر: التّنبيه والإيضاح ١٦٥/١، والتّاج ٥٤٠/٤، ٥٤١.

[٢٠٢] أحمد بن إبراهيمَ الشّيبانيّ. مات سنة (٣٣٩هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ١٨١.

لمُزَرِّدٍ[٢٠٣]، وليسَ لهما، وإنّما هو لجَزْءٍ، ذَكَرَه أبو عُبيدٍ[٢٠٤]، محمّدُ بنُ موسى المَرْزُبانيُّ في ترجمته[٢٠٥]. ويقالُ: إنّ الجنّ ناحَت به على عمرَ بنِ الخطّاب ﷺ-: [الطّويل]

وما كنتُ أخشى أن تكونَ وفاتُه بكَفَّي سَبَنْتَى أزرقِ العينِ مُطْرِقِ[٢٠٦]".

أقول: اعتمدَ الصّغانيُّ في تصحيحِ نسبةِ هذا الشّاهد إلى جَزْءٍ، ونفيها عن غيره على المرزُبانيّ (٣٨٤هـ)، وفي حديثِ نسبتِه كلامٌ طالَ بينهم، وأجدُ ممّا يقوّي رأيَ الصّغانيّ قولُ محقّقِ (ديوانِ) الشّمّاخ في تصديره استقصاءَه أقوالهم في نسبةِ البيت، وقصيدته: "لم نجد نصّاً ينفي نسبتَها لجَزْءٍ". والله أعلم.

٢٧) **تركيب (س ك ت)**[٢٠٧]: وفيه ينقلُ نسبة شاهدٍ عن الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، ثمّ ينفيها؛ فيقول: "(سكتَ الرّجلُ): إذا ماتَ... قالَ المُتلمِّسُ، واسمُه: جريرُ بن عبدِ المسيح[٢٠٨] يذكرُ موتَ عديٍّ[٢٠٩]. أنشدَه له جارُ اللهِ العلّامةُ[٢١٠] -رحمَه الله- في:

---

[٢٠٣] ليسَ البيتُ الآتي في ديوانه. وممّن نسبه إلى مزرّد: الجاحظ في: البيان والتّبيين ٣/٣٦٤، وابن برّيّ في: التّنبيه والإيضاح ١/١٦٥. وترجمةُ الإخوةِ الثلاثة: جَزْء، والشّمّاخ، ومزرِّد بني ضرار في: طبقات فحولِ الشّعراء ١٣٢، والشّعر والشّعراء ٣٠٤- ٣٠٧، والاشتقاق ٢٨٦. وترجمة: الشّمّاخ، ومزرّد في: (ألقاب الشّعراء)، نوادر المخطوطات ٢/٣٣٤، والمؤتلف والمختلف ١٧٧، ٢٥٠.

[٢٠٤] عرضَ الصّغانيُّ لهذا الخلاف في نسبةِ الشّاهدِ الآتي في: التكملة ١/٣١٦. وفيه: "أبو عبيدِ الله". وعرضَ له أيضاً في: التكملة ١/٤٠٥ عند حديثِه عن نسبة بيتٍ آخر من قصيدة هذا الشّاهد. وترجمةُ المرزُبانيّ المتوفّى سنة (٣٨٤هـ) في: معجم الأدباء ٢٥٨٢.

[٢٠٥] لعلّه يعني في: (معجمِ الشّعراء)، وتراجمُ حرفِ الجيم هي في الجزءِ الأوّلِ المفقود منه. وفاتَ الصّغانيّ أنّ ممّن نسبَ البيتَ إلى جَزْءٍ من المترجِمين للشّعراء ابنَ سلّام في: طبقاته ١٣٣. وجرت عادته أن يعتمدَ في نسبة بعضَ الأشعار على ابن سلّام. وممّن نسبه إليه أيضاً: ابنُ دريد في: الاشتقاق ٢٨٦.

[٢٠٦] في نسبة هذا البيت -وهو الأخيرُ من قصيدةٍ عدّتها ستّةُ أبيات- إلى أحدِ الإخوةِ الثلاثة، أو غيرهم اختلافٌ واسع بين العلماء، استقصاه بما لا مزيد عليه محقّق (ديوان الشّمّاخ) في: هـ٣١، ص ٤٤٨- ٤٥١. قالَ المرزوقيّ في: شرح الحماسة ١٠٩٢: "لم يخطر ببالي أن يكونَ في جلالتِه وارتفاع محلّه يرديه عبدٌ جسورٌ، لئيمٌ جريءٌ، أزرقُ العين، مسترخي الأجفان. وإنّما حلّى قاتلَه بهذه الحِلية؛ تنبيهاً على حقارتِه في نفسِه وجنسِه، وذمّاً لأصلِه وفرعِه". والمقصود بـ(أزرقِ العين) أبو لؤلؤة -لعنه الله-. وكانَ غلاماً روميّاً. انظر: شرح الحماسة للفارسيّ ١/٤٩٠، والتّنبيه والإيضاح ١/١٦٥.

[٢٠٧] العباب ٢/٥٨٣.

[٢٠٨] سبقت ترجمته في التّركيب الثّالث.

[٢٠٩] ابن زيدٍ العِبَاديّ. الشّاعر. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ١٣٧، ١٤٠، و(أسماء المغتالين)، نوادر المخطوطات ٢/١٥٧، والشّعر والشّعراء ٢١٩. وسيأتي له شاهد في التّركيب رقم (٤٩).

[٢١٠] يعني الزّمخشريّ. (٥٣٨هـ).

(الفائق)[٢١١]، ولم أجدْ له على التّاءِ شِعراً[٢١٢]: [الكامل]

ولقد شَفَى نفسي وأَبرأَ داءَها　　　أَخْذُ الرّجالِ بحَلْقِهِ حتّى سَكَتْ".

أقول: أرى أنّ نفيَ الصّغانيّ لم يجانبِ الصّوابَ؛ إذ لا وجودَ لهذا البيت، ولا لقافيةِ التّاء في: (ديوانِ) المتلمّسِ الضُّبَعيّ. والله أعلم.

٢٨) **تركيب (س ن ت)**[٢١٣]: وفيه يصحّحُ نسبةَ شاهدٍ، مستدلّاً، ثمّ يذكرُ روايةً أخرى له؛ فيقول: "(أَسْنَتَ القومُ): أجدبُوا. قالَ عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى[٢١٤] -ويُروى لمطرودٍ الخُزاعيِّ[٢١٥]، ولبنتِ هاشمِ بن عبدِ منافٍ[٢١٦]. والصّحيحُ أنّه لابنِ الزِّبَعْرَى[٢١٧]؛ ذَكَرَه المَرْزُبانيُّ[٢١٨] له في ترجمتِه في:(المؤنّق)[٢١٩]-: [الكامل]

عمرُو العُلى هَشَمَ الثّريدَ لقومِهِ　　　ورجالُ مكّةَ مسنِتُون عجافُ

ويُروى:

عمرُو الذي[٢٢٠] هَشَمَ الثّريدَ لقومِهِ　　　.........................

---

(٢١١) ١٤/٢. وهو مسبوقٌ بإنشادِ الخطّابيّ للبيت، ونسبتِه إلى المتلمّس أيضاً في: غريب الحديث ٣٦٥/١.

(٢١٢) ليسَ البيتُ الآتي في: (ديوانِ) المتلمّسِ الضُّبَعيّ (برواية الأثرم، وأبي عبيدة عن الأصمعيّ)، ولا في الشِّعرِ المنسوب إليه.

(٢١٣) العباب ٥٨٦/٢.

(٢١٤) في: شِعره (ما يُنسب إليه، وإلى غيره) ٥٣. وعبدُ الله بنُ الزِّبَعْرى بن قيس، السّهميّ. صحابيٌّ ﷺ. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٢٣٣، والمؤتلف والمختلف ١٦٨.

(٢١٥) وهو ابن كعب. ترجمته في: معجم الشّعراء ٣٣٣. ونسبه إليه: ابنُ دريد في: الاشتقاق ١٣، والأزهريُّ في: التّهذيب ٩٥/٦، والمرزبانيُّ في: معجم الشّعراء ١٩ لدن ترجمته هاشماً جدَّ النّبيّ ﷺ برواية: (عمرو الذي)، ٣٣٣، ٣٣٤ لدن ترجمته مطروداً. وقالَ المرزُبانيُّ -مشكّكاً- ههنا عن قصيدةِ هذا البيت: "وله. ورُويت لغيره".

(٢١٦) وهو لها في: العين ٤٠٥/٣، والمحكم ١٩٤/٤.

(٢١٧) ونسبه إليه الجوهريُّ في: الصّحاح ٢٥٤/١، ٢٠٥٨/٥. وانظر: التّاج ٥٦٩/٤، ١٠٠/٣٤. وإليه أيضاً الأنباريّ في: الزّاهر ١٣٧/٢.

(٢١٨) قالَ محققُ (العباب) د. المخدوميّ -رحمه الله- هـ ٣، ٥٨٦/٢: "كذا. وقد عزاه المرزُبانيّ في كتابه في موضعَين ص٢٠٠، ٣٧٥ إلى مطرودٍ بن كعبٍ الخُزاعيّ". وعنى المحقّق ههنا: (معجم الشّعراء) ط. كرنكو، لا (المؤنّق)، ويقابلهما: ص١٩، ٣٣٣ بتحقيق د. فاروق اسليم للمعجم. فالمرزُبانيّ في هذين الموضعين من معجمه -وثانيهما ترجم فيه مطروداً- نسبَ البيتَ الآتي إلى مطرودٍ، لا إلى ابنِ الزّبعرى.

(٢١٩) (المؤنّق في أخبارِ الشّعراءِ الجاهليّين والمخضرمين والإسلاميّين على طبقاتهم). وهو من كتبِ المرزُبانيّ المفقودة.

(٢٢٠) وهذه الرّواية في بعض كتبِ النّحويّين، ومنها: سرّ صناعةِ الإعراب ٥٣٥. من دون نسبة.

على تركِ إجراءِ المُجرى[٢٢١]".

أقول: أرى ما صحّحَه الصّغانيُّ مرجوحاً؛ إذ إنّ ورودَ البيتِ في: (شِعر) ابن الزِّبعرى، (ما يُنسب إليه وإلى غيره) يجعلُه غير مقطوعِ النّسبة إليه، وإن كانَ الصّغانيُّ اعتمدَ على نسبةِ المرزُبانيّ في: (المؤنّق) البيتَ إلى ابنِ الزّبعرى، فهو نسبه في موضعين من (معجمه) إلى مطرودٍ. والله أعلم.

٢٩) **تركيب (ب ع ث)**[٢٢٢]: وفيه يذكرُ روايةَ ابن قتيبةَ (٢٧٦هـ) بيتاً للبَعيث، خلافاً لما في: (ديوانه)، ثمّ يذكرُ روايةَ ابنِ سلّامٍ (٢٣١هـ) المغايرةَ للرّوايتين المذكورتين؛ فيقول: "(البَعِيثُ): اسمُ شاعرٍ من تميمٍ[٢٢٣]، واسمُه: خِداشُ بن بِشْرِ بن خالدِ بن بَيْبَةَ بن قُرْطِ بن سفيانَ بن مجاشعِ بن دارمٍ[٢٢٤] بن مالكِ بن حنظلةَ بن مالكِ بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ. قالَ ابنُ قتيبةَ[٢٢٥]: "لُقِّبَ بقولِه: [الطّويل]

تَبَعَّثَ منّي ما تَبَعَّثَ[٢٢٦] بعد ما اســ ـتمرَّ فؤادي، واستمرَّ مَريري[٢٢٧]"

وهذا البيتُ في صدرِ (ديوانِ شِعرِه) على هذا النّسق:

تَبَعَّثَ منّي ما تَبَعَّثَ بعد ما أُمِرَّتْ قُوايَ، واستمرَّ عَزيمي[٢٢٨]

وهو في: (كتابِ محمّدِ بن سلّامٍ الجمحيّ)[٢٢٩]:

تَبَعَّثَ منّي ما تَبَعّثَ بعد ما أُمِرَّتْ حِبالي كُلُّ مِرَّتِها شَزْرا[٢٣٠]

---

[٢٢١] يعني منعَ الاسمِ من التّنوين.

[٢٢٢] العباب ١١/٣.

[٢٢٣] وكنيةُ البعيث هذا: أبو مالكٍ. انظر: الشّعر والشّعراء ٤٨٨، والتّنبيه والإيضاح ١٧٩/١، والتّاج ١٧٠/٥.

[٢٢٤] كذا ساقَ نسبَه ابنُ سلّام في: طبقاته ٥٣٣.

[٢٢٥] روايةُ البيتِ الآتي في: الشّعر والشّعراء المطبوع ٤٨٨ هي هي رواية صدر (ديوان شِعر البعيث) الآتية، وليست فيه كما سيذكرُ الصّغانيّ. ونقل ابن برّيّ في: التّنبيه والإيضاح ١٧٩/١ -مصوّباً الإنشادَ- عن ابن قتيبة، وغيره روايةً للعجز جعلها ابن برّيّ "الصّحيحةَ، المُجمَعَ عليها"، وهي: **(استمــرّ فؤادي، واستمــرّ عزيمي)**. قلتُ: وهي ليست في: (الشعر والشّعراء) المطبوع أيضاً.

[٢٢٦] "تبعّثَ منه الشّعرُ، وغيره: انبعثَ. كأنّه سالَ، وانفجرَ". طبقات فحولِ الشّعراء هـ٢، ٥٣٣.

[٢٢٧] هذه الرّواية في: الصّحاح ٢٧٣/١. وانظر: التّنبيه والإيضاح ١٧٩/١، والتّاج ١٧٠/٥.

[٢٢٨] وهذه الرّواية في: (ألقاب الشّعراء)، نوادر المخطوطات ٣٣١/٢. "أرادَ أنّه قالَ الشّعر بعدما أسنّ، وكبر". الشّعر والشعراء ٤٨٨.

[٢٢٩] طبقات فحولِ الشعراء ٥٣٣. وهو كذ لك في: البيان والتّبيين ٣٧٤/١، ١١/٣.

[٢٣٠] في: (الطّبقات) المطبوع، والمُزهر ٤٤٢/٢ النّاقل تصريحاً عن (الطّبقات): "حبالٌ". "أمرَّ الحبلَ: فتلَه فتلاً محكماً... والشّزْرُ: الفتلُ.... يَذْكُرُ أنّه قالَ الشّعرَ بعد أن كبرَ، وأسنّ، واستحكمَ، واشتدَّ رأيُه وعزمُه". طبقات

قالَ[٢٣١]: "وهو أوّلُ بيتٍ قالَه". وليست له قصيدةٌ رائيّةٌ، ولا ميميّةٌ منها هذا البيتُ، وإنّما هو بيتٌ يتيمٌ".

أقول: اعتمدَ جامعا (شِعر البَعيث) روايةَ الجمحيّ في جمعِهما، ولو أنّهما وقفا على كلامِ الصّغانيّ ههنا لظهرَ لهما وقوفُه على (ديوانِه) المفقودِ حاليّاً، ولاختارا ما ذكر، ويعزّزُ صحّةَ روايةِ (الدّيوانِ) المفقود نقلُ ابنِ قتيبةَ إيّاها في: (الشّعر والشّعراء). والله أعلم.

٣٠) **تركيب (ب غ ث)**[٢٣٢]: وفيه يصحّحُ نسبة شاهدٍ أنشده أبو تمّامٍ (٢٣١هـ)؛ فيقول: "ابنُ السِّكّيت[٢٣٣]: "(البُغاثُ): طائرٌ أَبْغَثُ إلى الغُبْرَةِ، دُوَينَ الرَّخْمَة[٢٣٤]، بطيءُ الطّيران". وفي المَثَلِ: (إنّ البُغاثَ بأرضِنا يستنسرُ)[٢٣٥] أي: مَن جاورَنا عزَّ بنا[٢٣٦].

وأنشدَ أبو تمّامٍ[٢٣٧] للعبّاسِ بنِ مِرداسٍ السُّلَمِيُّ[٢٣٨] ﷺ، وهو لمعاويةَ بن مالكٍ، مُعَوِّذِ الحكماء[٢٣٩]: [الوافر]

فحولِ الشّعراء هـ٢، ٥٣٣. وروايةُ الجمحيّ هذه هي ما اعتمدَ جامعا (شِعر البَعيث): العراقيّ ص٢٢، والشّاميّ ص٤٧. وأشارَ الشّاميّ في هوامشِه إلى الرّواياتِ المختلفةِ لهذا البيتِ اليتيم.

[٢٣١] ابن سلّامٍ في: طبقاته ٥٣٣. وفيه: "شِعرٍ".

[٢٣٢] العباب ٣/١٢، ١٣.

[٢٣٣] في: إصلاح المنطق ٣٧٤. وفيه: (البَغاث) بفتحِ الباء. وقوله في: التّهذيب ٨/٩٤، وفي: التّنبيه والإيضاح ١/١٧٩ حيث غلّطه ابن برّيّ من وجهين.

[٢٣٤] سُكّنَ الخاء في: (العباب) المطبوع. وهو مفتوحٌ في: الإصلاح، والصّحاح ٥/١٩٢٩، والمقاييس ١/١٤٩. وهو طائرٌ يشبهُ النّسرَ. ج: (رَخَمٌ). والرّخْمَةُ: قريبٌ من الرّحمة. يقال: (وقعَتْ عليه رخْمَتُه) أي: محبّتُه. انظر: الصّحاح ٥/١٩٢٩، ١٩٣٠.

[٢٣٥] قالَ ابنُ السّكّيت: "أي: إنّ الضّعيف يصيرُ قويّاً". إصلاح المنطق ٣٧٤. ويقال هذا المثل "للذليلِ يُعَزُّ بعد الذّل". مجمع الأمثال ١/١٠.

[٢٣٦] ما سبقَ من كلامِ الصّغانيّ هو للجوهريّ في: الصّحاح ١/٢٧٤. وفيه قُيّدت كلمةُ (البغاث) بالحركاتِ الثلاث. وانظر في تثليثها: التّهذيب ٨/٩٤.

[٢٣٧] حبيب بن أوسٍ الطّائيّ. مات سنة (٢٣١هـ). ترجمته في: الورقة ١٧٣.

[٢٣٨] شرح الحماسة للمرزوقيّ ١١٥٣، ١١٥٤. وملحق (ديوانِ) العبّاس ﷺ، (ما نُسب إليه، وإلى غيره) ١٧٣. وهو له في: التّنبيه والإيضاح ١/١٧٩، وفي: (كتاب العصا) لأسامة بن منقذ، نوادر المخطوطات ١/١٨٤، ١٨٥.

[٢٣٩] هو "معاويةُ بن مالكِ بن جعفرِ بن كلاب". المؤتلف والمختلف ٢٤٧ وفيه: معوّذ (بالذّال)، ومعجم الشّعراء ٣٦٥ وفيه: (بالدّال). وفي: التكملة ٢/٣٠٣: "معوِّدُ الحكماء". بالدّال لا بالذّال. وفي: المُزهر ٢/٤٣٦ عن ابن دريد في: (الوشاح): "معوّد الحُكّام". وانظر: التّاج ٨/٤٤٧. والبيتُ الآتي منسوبٌ إليه من دون لقبه في: جمهرة أنساب العرب ٢٨٢.

بغاثُ الطَّيرِ أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصَّقرِ مِقْلاتٌ نَـزورُ[٢٤٠]".

أقول: لم أطمئنّ إلى نسبةٍ ما لهذا الشّاهد؛ إذ إنّ وجودَه في (ملحقَي ديوانَي): العبّاس ﷺ، وكُثَيِّر يضعفُ النّسبةَ الصّريحة إليهما، وعدم وجود (ديوانٍ) بين أيدينا لمعوّذ لا يجعلني أطمئنّ إلى النّسبة إليه. والله أعلم.

٣١) **تركيب (ح ر ب ث)**[٢٤١]: وفيه يعرِّفُ بشاعرٍ، ويصحّحُ روايةَ شاهدٍ أورده أبو حنيفةَ الدِّينَوريّ، ثمّ يذكرُ روايتين أخريين له؛ فيقول: "قالَ الدِّينَوَريُّ[٢٤٢]: "(الحُرْبُثُ): نبتٌ ينبطحُ على الأرضِ، له ورقٌ طُوالٌ، وبين ذلك الطُّوالِ شيءٌ قُصَارٌ... قالَ المُرقِّشُ[٢٤٣]: [السّريع]

باتَ بجَوٍّ مُخْصِبٍ أهلُه مُخْتَلِطٍ حُرْبُثُـه واليَنَمْ[٢٤٤]".

انتهى قولُ الدِّينَوريّ. قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتابِ: (المُرقِّشُ) هذا هو الأكبرُ. والرّوايةُ الصّحيحةُ:

باتَ بغَيثٍ مُعْشِبٍ نَبْتُـه[٢٤٥] ....

ويُروى: (مُعْشِبٍ مؤنِقٍ)، ويُروى: (باليَنَم)[٢٤٦]".

أقول: ما صحّحُه الصّغانيّ هو هو الوارد في: النّبات (القسم الثّاني من القاموسِ النّباتيّ). والله أعلم.

٣٢) **تركيب (ق ب ع ث)**[٢٤٧]: وفيه ينسبُ شاهداً إلى قائله، ثمّ ينقلُ روايةً له على الشّكّ

---

[٢٤٠] البيت في: ملحق (ديوان) كُـثَيِّر ٥٣٠ برواية (خَشاشُ الطّير). ونُسِبَ في: المحكم ٣٣٦/٦، ٢٧/٩ إلى كُثيِّر. وإليه، أو إلى غيره في: التّاج ٤٢/٥، وإليه في: التّاج ٢٠٧/١٤. وعجز هذا البيت مثلٌ "يُضرَبُ في قلّةِ الشيءِ النّفيس". مجمع الأمثال ٦٢/١.

[٢٤١] العباب ٢٩/٣، ٣٠.

[٢٤٢] في: النّبات (قطعة من الجزءِ الخامس) ١٢٢. وفيه: "صغار" بدل: "قصار". وفي: النّبات (القسم الثّاني من القاموسِ النّباتي) ٣٥٢ ذُكِرَ البيتُ منسوباً إلى مرقِّش؛ يصفُ ثورَ وحشٍ، وصدره: **باتَ بغيثٍ معشِبٍ نبتُـه**. وفيه: "حَرْبُثُه" بفتحِ الحاء. وورد طرفٌ من كلامِ أبي حنيفة الدّينوريّ في: التّاج ٢٢١/٥، ٢٢٢.

[٢٤٣] عمرو بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٢٠٥، والمؤتلف والمختلف ٢٤٢.

[٢٤٤] في: النّبات ١٢٢: "نبتُه" بدل: "أهلُه". اليَنَمُ: ج. اليَنَمَة، نبتٌ أيضاً. انظر فيه: النّبات (القسم الثّاني من القاموسِ النّباتي) ٣٥١، ٣٥٢.

[٢٤٥] وهذه رواية (ديوانِ) المرقِّشِ الأكبر (ضمن ديوان المُرَقِّشَين) ٧٤. وفيه: "بغيبٍ". وهو يصف ههنا ثوراً. وهو له بروايةِ الصّدر كما في: (الدّيوان) في: المحكم ٥١٢/١٠. وله برواية: (بغيثٍ) في: التّاج ١٤٣/٣٤.

[٢٤٦] لم أقف على رواية: (معشب مؤنق). وروايةُ (باليَنم) هي روايةُ (ديوان) المرقّش ٧٤، والمفضّليّات ٢٣٠.

[٢٤٧] العباب ٧٤/٣. وانظر: التّكملة ١٣/١، ١٤.

من منشدِه، ثمّ ينقلُ تفسيرَ كلمةٍ فيه؛ فيقول: "ابنُ عبّادٍ[٢٤٨]: "(جملٌ قَبَعْثَى): ضخمُ الفراسن[٢٤٩]، و(ناقةٌ قَبَعْثاةٌ)". وأنشدَ أبو عمرٍو الشّيبانيُّ في كتاب: (الحروف)[٢٥٠]– وهو للجُميحِ بنِ الطَّمّاحِ[٢٥١]–: [الوافر]

فَجَيَّأها النّساءُ فجاءَ منها قَبَعْثاةٌ، ورادِفَـةٌ رَذُومُ[٢٥٢]

أو (قبعذاةٌ)[٢٥٣] على الشّكّ. والشّكُّ من أبي عمرٍو، وقالَ أبو سعيدٍ[٢٥٤]: "(القَبَعْثاةُ) في هذا البيت: العَفَلَة[٢٥٥]".".

أقول: أرى ما نسبه الصّغانيُّ إلى الجُميحِ صحيحاً؛ إذ هو في (شِعره)، الذي اعتمدَ فيه جامعُه على روايةِ: (قَبَعْثاة). والله أعلم.

---

[٢٤٨] في: المحيط في اللّغة ٢١٠/٢ بتصرّفٍ يسير. وابن عبّاد هو: إسماعيل بن عبّادِ بن العبّاس، الأصبهانيّ، أبو القاسم. لقّبه أحد أمراء آل بويه بالصّاحب كافي الكفاة، وصار وزيراً لهم. ترجمته في: معجم الأدباء ٦٦٢.

[٢٤٩] هي: "أخفافُ الإبل. وهي شرُّ ما أُكِلَ". المعاني الكبير ٣٨٦.

[٢٥٠] نقلَ الصّغانيُّ البيتَ الآتي في: العباب (ج ي أ) ١٨٢/١ عن الشيبانيّ في كتابِه هذا أيضاً، من دون نسبة. ونقلُه عنه هذا البيت مع آخر قبله –سيأتي قريباً– من دون نسبةٍ إلى أحد هو ما جعلني أجزمُ أنّه هو من نسبه إلى الجميح. وانظر: التّاج ١٨٣/١؛ إذ نقلَ عن: (العباب) تصريحاً. وسبقت ترجمةُ الشّيبانيّ في التّركيب رقم (٤).

[٢٥١] يصفُ ناقتَه. والبيتُ في: شِعره ٤٩٠، وفي: ديوان بني أسد ٣٢/٢. وأنشده له أبو عمرٍو الشّيبانيُّ في: الجيم ١٣٦/١ أيضاً. والجُميح هو: مُنقِذ بنُ الطّمّاح بن قيس، الأسديّ. ترجمته في: معجم الشّعراء ٣٨٦.

[٢٥٢] كانَ الصّغانيّ نقلَ في: العباب (ج ي أ) ١٨٢/١ عن الشّيبانيّ قوله –قبل هذا الإنشاد–: "الجَيْئَةُ: الدّمُ، والقَيْح"، ثمّ نقلَ عنه بيتاً قبل هذا هو:

تخَرّقَ ثَفْرُها أيّامَ خُلَّتْ على عَجَلٍ، فَجِيبَ بها أديمُ

ثمّ روايةً أخرى لبيتنا هذا عن شَمِرٍ، وختمَ بروايةٍ ثانيةٍ لهذين البيتين عن: "(أشعار بني الطَّمّاح) في ترجمةِ الجُمَيح بن الطَّمّاح". وانظر: الجيم ١٣٦/١، والتّاج ١٨٣/١ حيث نقلَ الزَّبيديّ عن: (العباب) تصريحاً. (جيّأها النّساء): خاطَتْها. و(الرّادفة): العجز. و(الرّذوم): السّائل من كلّ شيءٍ. هامش (شِعر) الجميح.

[٢٥٣] في: العباب المطبوع: "قبعثاة". وهو خطأٌ طباعيٌّ. وكانَ الصّغانيُّ عكسَ الأمر في: العباب (ج ي أ) ١٨٢/١.

[٢٥٤] أظنّه الضّريرَ البغداديّ، أحمد بن خالد. ولم أقف له على تاريخ وفاة. ترجمته في: معجم الأدباء ٢٥٣. ونقل الصّغانيّ عنه في: العباب (ج ي أ) ١٨٣/١ قوله: "(الرَّذومُ): معجَمةٌ". وانظر: التّاج ١٨٣/١.

[٢٥٥] في: العباب المطبوع: "العَفِلة" بكسرِ الفاء. وهو خطأٌ طباعيٌّ. وقالَ الصّغانيّ في: العباب (ج ي أ) ١٨٣/١: "(قبعثاةٌ): عَفَلَةٌ". من دون نسبةٍ إلى أحد. و"(العَفَلةُ): شيءٌ يخرجُ من قُبلِ المرأة، وحَياءِ النّاقة". العباب (ع ف ل) ٤١٥/١٣.

٣٣) **تركيب (ن ث ث)**[٢٥٦]: وفيه ينقلُ روايتين لشاهدٍ، ثمّ يصحّحُ الثّانيةَ منهما؛ فيقول: "(نَثَّ الحديثَ يَنُثُّه –بالضمِّ– نَثّاً): إذا أفشاه. ويُروى قولُ قيسِ بنِ الخطيمِ الأنصاريِّ[٢٥٧]: [الطّويل]

إذا جاوزَ الاثنين سِرٌّ فإنّه ... بِنَثٍّ وتكثيرِ الوُشاةِ قَمِينُ[٢٥٨]

ويُروى: (بِنْشرٍ وتكثيرِ الحديث)[٢٥٩]. وهذه هي الرّوايةُ الصّحيحة".

أقول: على الرّغم من نقلِ عددٍ من اللّغويّين الرّوايةَ الأولى منسوبةً إلى قيسٍ فإنّني أرى ما صحّحَه الصّغانيُّ حقّاً؛ إذ به جاءت روايةُ (ديوان) قيس بنِ الخطيم، ونقلَها منسوبةً إليه عددٌ آخر منهم. والله أعلم.

٣٤) **تركيب (ب و ج)**[٢٦٠]: وفيه يصحّحُ نسبة شاهدٍ إلى شاعرٍ، وينفيها عن أخويه؛ فيقول: "(البائِجَةُ): الدّاهيةُ. قالَ جَزْءٌ أخو الشّمّاخِ؛ يرثي عمرَ بنَ الخطّابِ ﷺ، وليسَ للشّمّاخِ[٢٦١]، ولا لمُزَرِّدٍ: [الطّويل]

قَضَيتَ أموراً، ثمّ غادرْتَ بعدها ... بَوائِـجَ في أكمامِها لم تُفَتَّـقِ[٢٦٢]".

أقول: فصّلَ الصّغانيّ في: (التّكملة) ما أجمله ههنا من حديثه عن نسبة هذا البيت؛ فبعد ذِكرِه إنشادَ الجوهريّ له منسوباً إلى الشّمّاخ علّق[٢٦٣]: "وليسَ للشّمّاخِ على هذا الرّويّ شيءٌ، لكنّه اتّبعَ أبا تمّامٍ؛ فإنّه ذَكَرَه له في: (الحماسة)[٢٦٤]. وقالَ أبو رياشٍ: "إنّه لمُزَرِّدٍ أخي الشّمّاخ"، وليسَ له. وقالَ أبو محمّدٍ الأعرابيُّ: "إنّه لجَزْءٍ أخي الشّمّاخ" وهو الصّحيحُ؛ ذَكَرَه المَرزُبانيُّ في ترجمتِه". وقد سبقَ مثلُ هذا التّفصيل في تركيب (س ب ت) رقم (٢٦) من بحثنا هذا. والله أعلم.

---

[٢٥٦] العباب ٣/٩٦.

[٢٥٧] الأوسيّ. أدركَ الإسلام، ولم يُسلم. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٢٢٨، ومعجم الشّعراء ٢٣٨.

[٢٥٨] قمين: جدير، وحريّ. وهذه الرّوايةُ لقيسٍ في: غريب الحديث لأبي عُبيد ١/٤٢٣، والتّهذيب ٩/٢٠٣، ١٥/١٤٢، والصّحاح ١/٢٩٤، ٦/٢٢٩٥، والتّاج ٥/٣٦٩، ٣٧/٢٨٤.

[٢٥٩] وهي رواية (ديوان) قيس بنِ الخطيم ١٦٢. حيث فصّلَ محقّقُه في رواياتِ هذا البيت، صدراً وعجزاً. وهي روايةُ الأنباريّ في: المذكّر والمؤنّث ١/٣٢٧ منسوباً إلى قيس، وابن جنّي في: سر صناعةِ الإعراب ٣٤٢ من دون نسبة .

[٢٦٠] العباب ٣/١٢٣.

[٢٦١] وهو له في: التّهذيب ١١/٢٢١ يرثي عمرَ ﷺ، وفي: الصّحاح ١/٣٠١ وكلاهما عن الأصمعيّ. وانظر: التّاج ٥/٤٣٥.

[٢٦٢] سبقَ الحديثُ مفصّلاً في التّركيب رقم (٢٦)، وهوامشه عن نسبة بيت آخر من قصيدة هذا البيت.

[٢٦٣] التكملة ١/٤٠٥.

[٢٦٤] شرحها للمرزوقيّ ١٠٩٠، ١٠٩٢.

٣٥) **تركيب (ح و ج)**[٢٦٥]: وفيه يصحّحُ للكسائيّ (١٨٩هـ) نسبةَ شاهدٍ، وينصُّ على أنّه مغيّرٌ، ويذكر روايته؛ فيقول: "(حاجَ يَحُوجُ حَوْجاً): إذا احتاجَ. وأنشدَ أبو الهيثمِ[٢٦٦]: [الطّويل]

غَنِيْتُ فلم أَرْدُدْكُمُ عند بُـغْيـةٍ ... وحُجْتُ فلم أَكْدُدْكُمُ بالأصابعِ[٢٦٧]

وقالَ اللِّحيانيُّ[٢٦٨] في: (نوادره): "أنشدَ الكسائيُّ[٢٦٩] عن أبي فقعسٍ[٢٧٠] للكُميت بن معروفٍ[٢٧١]". وأنشدَ البيتَ. وليسَ البيتُ للكميتِ بن معروفٍ، ولا للكميتِ بن زيدٍ[٢٧٢]، وإنّما هو مُغَيَّرٌ من (شِعرِ كُثَيِّرٍ)[٢٧٣]. والرّوايةُ:

وأُعْدِمُ بعد الوَفْرِ، ثمّ يَزيدُني ... عفافاً، ولم أَكدُدْكُمُ بالأصابعِ

أصبْتُ الغِنى يوماً فلم أنْأَ عنكمُ ... ولم أَتّخِذْ أعراضَكم كالبضائعِ

[و] ليسَ فيهما شاهدٌ على ذلك".

أقول: لم أقف على البيتين في: (ديوان) كُثَيِّرٍ الذي بين يديّ، ومع وجودِ البيتِ الأوّلِ المفرد في: (ديوانه) إلّا أنّ بعضَ أئمّةِ اللّغة نسبوه إلى الكميتِ بن معروف، وهو موجودٌ أيضاً في: (ديوانِ) الكميت بن زيدٍ الأسديّ؛ فلا أراني مطمئنّاً إلى نفي النّسبة إليهما. والله أعلم.

---

[٢٦٥] العباب ١٥٤/٣.

[٢٦٦] لعلّه خالد بن يزيد بن أبي سويد. مات سنة (٢٧٦هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ١٢٣٧.

[٢٦٧] البيت بهذه الرّواية في: (ديوانِ) الكميت بن زيدٍ الأسديّ ٢٤٠. وبرواية: (عن بغية، وجُعْتُ) في: ديوان كُثَيِّر ٢٣٩، معاتباً قومَه. ولا شاهد على تركيبنا فيها. والعجز من دون نسبةٍ في: التّهذيب ١٣٥/٥ وفيه: "أَكْدُرْكُمُ". تحريف. وقالَ الأزهريُّ: "أي: تعفّفْتُ عن سؤالكم". والبيت في: الصّحاح ٥٣٠/٢، والمجمل ٢٥٥، والخزانة ٢٦٦/٨، والتّاج ٩٧/٩ للكميت من دون تعيين، ولكُثَيِّر في: أساس البلاغة ١٩٧/٢.

[٢٦٨] عليّ بن المبارك –وقيل: ابن حازم–. أبو الحسن. لم أقف له على تاريخ وفاة. ترجمته في معجم الأدباء ١٨٤٣.

[٢٦٩] عليّ بن حمزة بن عبدِ الله، أبو الحسن. مات في الرّيّ صحبةَ الخليفةِ الرّشيد سنة (١٨٩هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ١٧٣٧.

[٢٧٠] لعلّه الأسديّ. ولم أقف له على ترجمة فيما بين يديّ.

[٢٧١] وهو له أيضاً في: الصّحاح ٣٠٨/١. وعلّقَ الصّغانيّ على نسبةِ الجوهريّ البيتَ إلى الكميت بقوله في: التّكملة ٤١٨/١: "وليسَ للكميت على قافيةِ العينِ المكسورةِ شيءٌ"، ثمّ ذكر تغييره من (شعر كُثَيِّر)، والبيتين الآتيين. وكذلك فعل في: التّكملة ٣٢٩/٢ أيضاً. والبيتُ للكميت بن معروفٍ الأسديّ في: المحكم ٤٦١/٣، وعنه في: التّاج ٤٩٤/٥. وترجمةُ الكميت بن معروف في: طبقات فحولِ الشّعراء ١٨٩، ١٩٥، والمؤتلف والمختلف ٢٢٣.

[٢٧٢] سبقت ترجمته في التركيب رقم (١٨).

[٢٧٣] لم أقف على البيتين الآتيين في: (ديوان) كُثَيِّر الذي بين يديّ. وكرّرَ الصّغانيُّ البيتين منسوبَين إلى كُثَيِّر في: العباب (ك د د) ٥٠٤/٤ حيث قال: "(الكَدُّ): الإشارةُ بالإصبَعِ كما يشيرُ السّائلُ".

٣٦) **تركيب (د ل ج)**[٢٧٤]: وفيه يوثّقُ روايةً لرجز؛ فيقول: "(الدَّوْلَجُ) –بالفتح–: كِناسُ الوحشِ[٢٧٥]، لغةٌ في: (التَّوْلَج)[٢٧٦]. قالَ العجّاجُ[٢٧٧] يصفُ ناقَتَه[٢٧٨]: [الرّجز]

إذا حِجاجا مُقْلَتَيها هَجَّجا[٢٧٩]

واجتافَ أُدْمانُ[٢٨٠] **الفلاةِ الدَّوْلَجا**

كأنّ تحتي ذاتَ شَغْبٍ[٢٨١] **سَمْحَجا**

والرّوايةُ الموثوقُ بها: (التَّوْلَجا) بالتّاء[٢٨٢]".

أقول: على الرّغم من عدم توثيقِ الصّغانيّ في: (التّكملة) ما وثّقه ههنا في: (العباب)، إلّا أنّني أرى ما وثّقه حقّاً؛ إذ إنّه رواية (ديوانِ) العجّاجِ (بشرح الأصمعيّ). والله أعلم.

٣٧) **تركيب (ف ل ج)**[٢٨٣]: وفيه يذكرُ روايةَ شاهدٍ، ثمّ يصحّحُ وزنَه؛ فيقول: "(الفَلَجُ) –بالتّحريك–: نهرٌ صغيرٌ. سُمّي بذلك؛ لأنّه فَلَجٌ، أي: كأنّه لمّا شَقَّهُ صارَ فُرْجَةً... قالَ عَبيدُ بنُ الأبرص[٢٨٤]: [مخلّع البسيط]

أو فَلَجٌ ببطنِ وادٍ ۔۔۔ للماءِ من تحتِـه قَسِيبُ[٢٨٥]

---

[٢٧٤] العباب ١٨٥/٣.

[٢٧٥] وهو بيته، وموضعه. انظر: المقاييس ١٤١/٥، والعباب (ك ن س) ٥١٢/٧.

[٢٧٦] تنظرُ اللّغتان في: الجمهرة ٤٩٤، ١١٧٤، والتّهذيب ٦٥٥/١٠، والصّحاح ٣١٥/١.

[٢٧٧] عبدُ الله بن رؤبة، أبو الشّعثاء. لقي أبا هريرةَ ﷺ، وسمعَ منه. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٧٣٨، ٧٥٣، والشّعر والشّعراء ٥٧٥.

[٢٧٨] في: (ديوان) العجّاج (برواية الأصمعيّ، وشرحه) ٣٣٧. وفي: العباب (س م ح ج) ٢٢٠/٣: "قالَ العجّاجُ في الأتان". وذلك بعد قوله: "(السَّمْحَجُ): الأتانُ الطّويلةُ الظّهر".

[٢٧٩] قالَ الأصمعيّ في شرحِه (ديوانَ) العجّاج: "(الحِجاجان): العظمان اللذان عليهما الحاجبُ... (هجَّجا): غارا".

[٢٨٠] الأصمعيّ: "(اجتافَ): مثلُه أيضاً: دَخَلَ. و(أُدمانُ الفلاة): يعني الظّباءَ البيضَ. الواحدُ: آدمُ، والأنثى: أدماءُ". وفي: التكملة ٤٣٣/١ بفتح الهمزة.

[٢٨١] في: (ديوانِ) العجّاج: "شَغْبٍ" بالغين. قالَ الأصمعيُّ: "(الشَّغْبُ): المُخالَفةُ، والعَسَرُ، والاعتراضُ. و(السَّمْحَجُ): الطّويلةُ على الأرض. والجمع: سماحجُ". وفي: العباب (س م ح ج): "ذاتُ [بالضّمّ]، وشَغْبٍ [بالغين]".

[٢٨٢] وهي رواية (ديوانِ) العجّاج. انظر: الجمهرة ١١٧٤، والتكملة ٤٣٣/١.

[٢٨٣] العباب ٢٨٠/٣.

[٢٨٤] في: ديوانه ١٢. وروايته: "أو فَلَجٍ ما ببطنِ...". وعَبيدٌ: جاهليٌّ من المعمَّرين، قتلَه النّعمانُ بنُ المنذر يوم بؤسِه. الشّعر والشّعراء ٢٥٩.

[٢٨٥] البيتُ لعَبيدِ بنِ الأبرص بهذه الرّواية في: المحكم ٢٤٣/٦، ٤٣٤/٧، والعباب (ق س ب) ٤٠٤/٢. قالَ الجوهريُّ: "مررتُ بالنّهر وله قَسيبٌ، أي: جِرْيَةٌ". الصّحاح ٢٠١/١ عن: إصلاح المنطق ٤٢١ بتصرّفٍ؛

هكذا الرّوايةُ. ولو رَوَى: (في بطونِ وادٍ) لاستقامَ وزنُ البيت[٢٨٦]".

أقول: نبّهَ محقّقُ (العباب) الدكتور المخدوميّ -رحمه الله- إلى أخذِ الصّغانيّ عن غيره آراءَهم من دون تصريحٍ بذلك[٢٨٧]، وهذا ما حصلَ ههنا؛ إذ إنّ إشارتَه إلى الرّوايةِ التي بها يستقيمُ الوزن هي للجوهريّ. والله أعلم.

٣٨) **تركيب (ك م ج)**[٢٨٨]: وفيه ينفي وجودَ شاهدٍ ذكره الأزهريُّ لطرفةَ في: (شِعرِه)؛ فيقول: "الأزهريُّ[٢٨٩]: "(الكَمَجُ) -بالتّحريك-: طرفُ مَوصِلِ الفخِذِ من العَجُز". قالَ: "وهذا البيتُ رأيتُه في شِعر طَرَفةَ بنِ العبد". وأنشدَ: [الرّمل]

وبِفَخْذَيْ[٢٩٠] بَكْرَةٍ مَهْرِيّةٍ مثلِ دِعْصِ الرّملِ مُلْتَفِّ الكَمَجْ[٢٩١]

قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: ولم أجدْه في (شِعر طَرَفة)[٢٩٢]".

أقول: لا يمكنُ الجزمُ بأنّ الصّغانيّ لم يوفّق فيما قال؛ إذ ما كانَ ليطلقَ حكمَه هذا من دون تُؤَدَةٍ، و على الرّغم من وجودِ هذا البيت في: (ديوان) طرفةَ (بشرح الأعلم) -كما نصَّ محقّقُ (العباب) الدكتور العتيبي حفظَه الله- إلّا أنّه وقعَ في قسمِ (صلةِ الدّيوان) وهو ممّا ليسَ عند الأعلم، وعَثَرَ عليه محقّقا (الدّيوان) في بطونِ المصنّفات. والله أعلم.

٣٩) **تركيب (م ج ج)**[٢٩٣]: وفيه ينقلُ إنشادَ الأزهريّ لرجزٍ، ثمّ يبيّنُ الرّوايةَ في ديوانِ الرّاجز؛ فيقول: "(كَفَلٌ مُمَجْمَجٌ): إذا كانَ يَرْتَجُّ من النَّعْمَةِ، وقد تَمَجْمَجَ. قالَ العجّاجُ[٢٩٤]: [الرّجز]

يوضّحُ المعنى أكثر. وانظر: العباب (ق س ب) ٤٠٣/٢. و"المعنى: دمعُه كنهرٍ صغيرٍ ينسابُ عبر واد". هامش (ديوان) عَبيد.

(٢٨٦) قوله: "ولو... البيت" هو للجوهريّ في: الصّحاح ٣٣٥/١. وانظر: التّاج ١٥٧/٦.

(٢٨٧) مقدّمة تحقيق (العباب) ٥٦/١- ٥٨.

(٢٨٨) العباب ٢٨٦/٣، ٢٨٧.

(٢٨٩) قولاه الآتيان، وإنشاده في: التّهذيب ٤/١٠، ٥. وفيه: "في العجز". بدل: "من العجز".

(٢٩٠) كُسِرَ الخاءُ في: العباب، وبه لايصحُّ الوزن. والتّصويب من: التّهذيب، وصلة (ديوان) طرفة (بشرح الأعلم) ١٤٨، والتّكملة ٤٨٤/١.

(٢٩١) المهريّـة: إبلٌ تُنسب إلى (مَهْرةَ بن حَيْدان): حيٌّ عظيمٌ من العرب. انظر: الجمهرة ٨٠٤. الدِّعْصُ: "الكثيّبُ الصّغير من الرّمل". الجمهرة ٦٥٣.

(٢٩٢) وكانَ الصّغانيّ قالَ في: التّكملة ٤٨٤/١: "ولم أجدْه في (دواوين شِعره)". وقالَ محقّقُ العباب د. العتيبيّ هـ١، ٢٨٧/٣: "موجودٌ في: (شِعره بشرحِ الأعلم) ص١٤٨، ط. إدارة الثّقافة". وقالَ الزَّبيديّ -مشكّكاً- في: التّاج ١٧٥/٦: "ورُوِيَ هذا البيتُ لطرفة".

(٢٩٣) العباب ٢٩٩/٣.

(٢٩٤) سبقت ترجمته في التّركيب رقم (٣٦) من بحثنا هذا.

وكَفَلاً رَيَّانَ قد تَمَجْمَجا

هكذا أنشدَه الأزهريُّ(٢٩٥). والذي في: (رجزِه)(٢٩٦):

وكَفَلاً وَعْثـاً إذا تَرَجْرَجا

أَمَرَّ منها قَصَباً خَدَلَّجا(٢٩٧)".

أقول: مع أنّ الصّغانيّ صدّرَ المشطورَ الأوّل في كتابه: (التّكملة) بصيغةِ التّمريض (ويُروى)، إلّا أنّ ما ذكره ههنا في: (العباب) دقيقٌ؛ إذ إنّ روايةَ (ديوانِ) العجّاج (بشرحِ الأصمعيّ) جاءت بما ذكر، إلّا أن يكونَ الأزهريّ اعتمدَ روايةَ غير الأصمعيّ لـ(ديوانِ) العجّاج. والله أعلم.

٤٠) **تركيب (م ش ج)**(٢٩٨): وفيه ينسبُ شاهداً إلى شاعر، ويذكرُ نسبةَ: الجُمَحِيِّ، وأبي عمرٍو إلى غيره، ثمّ يذكرُ روايةً ثانيةً له، شارحاً بعضَ كلماتِه؛ فيقول: "(مَشَجْتُ بينهما أَمْشِجُ) -بالكسر -أي: خَلَطْتُ. والشيءُ مَشِيجٌ، والجمع: (أَمْشاجٌ) مثالُ: (يتيمٍ، وأيتامٍ)... قالَ الدّاخلُ، واسمُه: زهيرُ بن حرامٍ(٢٩٩)، أخو بني سهمِ بنِ معاويةَ الهذليُّ(٣٠٠). وقالَ الجُمَحِيُّ، وأبو عمرٍو(٣٠١): إنّه لعمرِو ابنِ الدّاخل(٣٠٢): [الوافر]

---

(٢٩٥) في: التّهذيب ٥٢٣/١٠. والرّجز بهذه الرّواية، وبلا نسبة في: العين ٢٩/٦ وفيه: "تمحمجا" بالحاء. وهو خطأ طباعيٌّ. وللعجّاج في: التّكملة ٤٨٩/١. وبلا نسبة، وبرواية: "وكَفَلٍ" في: التّاج ٢٠٢/٦.

(٢٩٦) (ديوان) العجّاج (بروايةِ الأصمعيّ، وشرحه) ٣٣٠، ٣٣١. والمشطورُ الأوّل من الآتيين في: المقاييس ١٦٦/١ منسوبٌ إلى رؤبة. وذكرَ الصّغانيّ المشطورَ الأوّل من الآتيين في: التّكملة ٤٨٩/١ مصدَّراً بـ"ويُروَى".

(٢٩٧) قالَ الأصمعيّ شارحاً: "(الكفلُ): العَجُزُ. و(الوعثُ): السّهلُ. و(الوعثُ): المكانُ الشّديدُ الكثيرُ الرّمل، اللَّيِّنُ الوطء، يَشُقُّ على الماشي فيه، وقوله: (إذا ترجرجا) يعني إذا انحدرَ، يعني الرّملَ... (أمرّ): فَتَلَ؛ وذلك أنّ المرأةَ إذا عظُمت عَجيزتُها، فمشَت، لوت فَخِذَيها، ولوت ظهرَها. و(القصبُ الخَدلّجُ): المستوي الحسن".

(٢٩٨) العباب ٣٠٥/٣.

(٢٩٩) في: الصّحاح ٣٤١/١: "خرام" بالخاء. وهو خطأٌ طباعيٌّ.

(٣٠٠) نسبَه إليه الصّغانيّ في: التّكملة أيضاً ٤٩٤/١. وترجمه في كتابَيه: التّكملة ٣٥٠/٥، والعباب (د خ ل) ٢٣٠/١٣. والبيتُ لزهيرِ بن حرامٍ الدّاخلِ الهذليّ في: التّاج ٢١٥/٦. وكذلك ترجمه صاحبُ التّاج ٤٨٤/٢٨. وفيه: "بني سهم بن معاوية بن تميم".

(٣٠١) لم أقف على النّسبةِ الآتية في: طبقاتِ الفحولِ للجمحيّ، ولم أتبيّنِ المقصود بأبي عمرو ههنا، مع ظنّي أنّه الشّيبانيّ.

(٣٠٢) البيتُ لعمرو هذا في: التّمام في تفسيرِ أشعارِ هذيل ٢٦، ٢٩ (ضمن الحديث عن بعض أبياتِ القصيدةِ التي البيتُ منها)، وديوان الهذليّين ٩٨/٣، ١٠٤. وحديثُ الصّغانيّ عن نسبةِ البيتِ الآتي هو للسّكّريّ في: شرح أشعارِ الهذليّين ٦١١ من دون تصريح. وانظر: التّاج ٣٢٣/٢٦. ونُسِبَ البيتُ بروايةٍ أخرى في: العين ٤١/٦، وأساس البلاغة ٢٥٤/٢ إلى أبي ذؤيب. ولم أقف عليه في (شِعره) في: ديوان الهذليّين.

كأنّ الـرّيشَ والفُوقَين منـها   خلالَ النَّصلِ سِيطَ به مَشِيجُ[٣٠٣]

ويُروى: (والفُوقَين منه، خِلافَ)[٣٠٤]. (منها) أي: من السِّهام، و(منه) أي: من السَّهم، و(خلاف) أي: بعدَه[٣٠٥]".

أقول: لم أقف على ما يرجّحُ إحدى النّسبتين المذكورتين. وحديثُ الصّغانيّ عن نسبةِ البيت أخذه –من دون تصريح– عن السّكريّ، الذي نقلَ قولَي مَن سبقَه من أئمّةِ الشّأن في نسبةِ البيت، من دون قطعٍ بأحدهما. والله أعلم.

٤١) **تركيب (هـ ج ج)**[٣٠٦]: وفيه يصوّبُ روايةَ شاهدٍ أورده الأزهريُّ؛ فيقول: "(سَيْرٌ هَجاجِيٌّ) –بياءَيِ النّسبة– أي: شديدٌ. قالَ مزاحمٌ العُقَيْليُّ[٣٠٧]: [الوافر]

وتحتي من بناتِ العِيدِ نِقْضٌ   أَضَرَّ بِنِـيِّـه[٣٠٨] سَيْرٌ هَجاجِيْ

وأصلُه: (هَجاجِيٌّ)، فسكّنَ؛ للقافية، وهي مكسورةٌ[٣٠٩]، وقالَ الأزهريُّ[٣١٠]: "سَيْرٌ هَجاجُ"، وأنشدَ البيتَ. والصّوابُ ما ذكرتُ".

أقول: أرى مجانبةَ ما صوّبَه الصّغانيُّ الصّوابَ؛ إذ إنّ إنشادَ الأزهريّ وافقَ روايةَ (ديوان) مزاحم. والله أعلم.

---

(٣٠٣) الفُوقان: حرفا السّهم. العين ٢٢٥/٥.

(٣٠٤) وهذه رواية أبي عبيدة في: مجاز القرآن ٢٧٩/٢ ولكنّه نسبه إلى أبي ذؤيب. وهي كذلك روايةُ السّكّريّ في: شرح أشعارِ الهذليّين ٦١٩، ورواية ديوانهم أيضاً ١٠٤/٣. وانظر: التّكملة ٤٩٤/١، والتّاج ٢١٥/٦.

(٣٠٥) ما شرحَ الصّغانيُّ هو عن: شرحِ أشعارِ الهذليّين أيضاً. وفيه: "يقول: كأنّ هذا السّهمَ سِيطَ بدمٍ لمّا خرجَ من الـرَّمِيّة... وقولـه: (سيط بـه) أراد: بهمـا. و(سِيط): خُلِطَ. يقـول: خـرجَ وقـد دَمِـيَ الـرِّيشُ، والفُوقـان". وانظـر: التّكملة ٤٩٤/١، والتّاج ٢١٥/٦.

(٣٠٦) العباب ٣٣٣/٣.

(٣٠٧) في: ديوانـه ٤٤. والبيتُ لمزاحمٍ في: منتهى الطّلب ١٥٢/٧. ومزاحمُ هو ابنُ الحـارث. ترجمته في: طبقات فحولِ الشعراء ٧٧٠، وشعراء بني عُقيلٍ، وشعرهم في الجاهليّة والإسلام ٢٨٩.

(٣٠٨) وكانَ الصّغانيّ قـال في: التّكملـة ٥٠٦/١: "والـرّواية: (أَضَـرَّ بِطِرْقِـه...)". (العِيدُ): نوقٌ نجائب. (نِقْضٌ): بعيرٌ أهزلَه السّفر. (النِّيُّ): الشّحم. انظر: منتهى الطّلب هـ٤، ١٥٢/٧.

(٣٠٩) ما قاله الصّغانيّ حقٌّ؛ إلّا أنّ البيتَ جاءَ وحيداً في (الدّيوان) بقافيةِ الجيمِ المضمومة ضمن قصيدةٍ جيميّـةٍ مكسورةٍ، عدّةُ أبياتها (١٦) بيتاً. وانظر: التّكملـة ٥٠٦/١. وعلّقَ محقّقُ (منتهى الطّلب) هـ ٤، ١٥٢/٧ بقولـه: "هذا البيتُ دخلَه إقواءٌ. وهو اختلافُ حركةِ الرّويّ في الرّفع، والجرّ".

(٣١٠) قولـه، وإنشـاده الآتـي منسـوباً إلـى مـزاحمٍ العُـقَيليّ فـي: التّهذيب ٣٤٥/٥. وفيـه: (نضـوٌ) بـدل: (نِـقْض). وانظر: التّـاج ٢٧٢/٦. ومـا قالـه الأزهـريّ يوافـقُ مـا فـي: (ديـوانِ) مـزاحم. وفـي: (العبـاب) المطبـوع: "هجـاجٌ" بتنوين ضمّ، وهو خطأٌ طباعيٌّ تصويبه من: (ديوان) مزاحم ٤٤، والتّهذيب.

وفي التّركيبِ ذاتِه أعني (هـ ج ج)[311] يذكرُ الصّغانيُّ نسبةَ شاهدٍ إلى شاعرٍ، ويشيرُ إلى نسبةِ المرزُبانيّ (٣٨٤هـ) الشّاهدَ إلى غيره، من دون تعليقٍ؛ فيقول: "قالَ أبو عُبيدٍ: "(هَجْ، وهَجٍ): زَجْرٌ للكلبِ، يُسَكَّنُ ويُنوّنُ، كما يقالُ: (بَخْ، وبَخٍ)"[312]. قالَ الحارثُ بنُ الخزرجِ الخَفَاجيُّ، وأنشدَه المَرزَبانيُّ[313] للخزرجِ بن عوفِ بن جميلِ بن معاويةَ بن مالكِ بن خفاجةَ[314] بن عمرٍو بن عَقيلٍ[315]: [الكامل]

سَفَرَتْ؛ فقلتُ لها: هَجٍ؛ فتَبَرْقَعَتْ فذكَرْتُ حين تَبَرقَعَتْ هَبّارا[316]".

أقول: لم أقف –فيما بين يديّ– على ما يرجّحُ إحدى النّسبتين للبيتِ المستشهَد به، ولعلّ نسبةَ ابن يعيشَ (٦٤٣هـ)، والزَّبيديّ (١٢٠٥هـ) الشّاهدَ إلى الحارث بنِ الخزرج ما يعضدُ قولَ الصّغانيّ. والله أعلم.

٤٢) **تركيب (ب د ح)**[317]: وفيه يذكرُ روايةً ثانيةً لرجز، ثمّ يرجّحُها، معلِّلاً ما رجّح؛ فيقول:

---

(٣١١) العباب ٣٣٤/٣. ولم أعطِ رقماً لهذا التّركيب؛ لأنّه مكرّرٌ من دون مضمونه.

(٣١٢) لم أقف على قولِ أبي عُبيد هذا فيما بين يديّ، وهو للجوهريّ في: الصّحاح ٣٤٩/١. وأظنّ أنّ سهواً وقع ههنا في النّسبة إلى أبي عُبيد؛ إذ نسبَ الصّغانيُّ في: التكملة ٥٠٧/١ القولَ إلى الجوهريّ لا إلى أبي عُبيد. والله أعلم. وأبو عُبيدٍ هو: القاسمُ بن سلّام. مات في مكّة سنة (٢٢٤هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ٢١٩٨.

(٣١٣) كذا ضُبطت في: (العباب) المطبوع بفتحِ الزّاي. وليسَ اسمُ (الخزرج بن عوف) في: (معجم الشّعراء الموجود، ولا في الموشّح) للمرزُبانيّ.

(٣١٤) ذكرَ الصّغانيُّ هاتين النّسبتين في: التكملة ٥٠٧/١، ٨١/٣، وفي: العباب (ض ب ر) ٢٣/٦. وذكرهما الزَّبيديّ في التّاج: ٣٨٨/١٤. وفيه: "للخزرج بن عون". وهو تحريف. وأفردَ النّسبةَ إلى الحارث بنِ الخزرجِ الخفاجيّ في: التكملة ٢٢٩/٣، وكذلك أفردها الزَّبيديّ في: التّاج ٣٧٩/١٢، ثمّ نقلَ كلامَ الصّغانيّ عن المرزُبانيّ. ومن قبلِ الصّغانيّ أفردَ النّسبة إلى الحارث بنِ الخزرج: ابنُ يعيش في: شرح المفصّل ٨٤/٤. ونُسِبَ البيتُ الآتي في: المقصور والممدود للقاليّ ٣٣ إلى رجلٍ من بني عُقيلٍ، يذكرُ امرأتَه. وانظر: شعراء بني عُقيل، وشعرهم في الجاهليّة والإسلام ٢١٥. ولم أقف على ترجمةٍ لكلا الشّاعرين.

(٣١٥) ضُبطت في: (العباب) المطبوع بفتحِ العين. ولعلّ الصّوابَ الضّمّ.

(٣١٦) قالَ الجاحظ: "قالَ الشّاعرُ –وضربَ بالكلبِ المثلَ في قبحِ الوجه–: [البيت]". الحيوان ٢٥٩/١. وانظر: شرح المفصّل لابن يعيش ٨٤/٤. وقالَ الصّغانيّ في: التكملة ٥٠٧/١، ٢٢٩/٣ بعد البيت: "والرّوايةُ: (ضبّارا) بالضّادِ معجمةً". وعنه في: التّاج ٣٨٨/١٤. وانظر: التكملة ٨١/٣ حيث فصّلَ أكثر فيها، وعن الصّغانيّ في: التّاج ٣٨٠/١٢. وانظر: التّاج ٣٨٨/١٤. وقالَ في: العباب (ض ب ر) ٢٣/٦: "وروايةُ ثعلبٍ: (هَبّارا). والصّوابُ: (ضَبّارا)". والرّواية كذلك في كثيرٍ من المصادر، ومنها: الحيوان ٢٥٩/١، ٢١/٢، والمقصور والممدود للقاليّ ٣٣، والتّهذيب ٣٤٥/٥ عن اللّحيانيّ، والتّاج ٢٧٠/٦ حيث فصّلَ الزَّبيديّ أيضاً. و(ضَبّار): اسم كلبِ الشّاعر. انظر: الحيوان ٢٥٩/١.

(٣١٧) العباب ٣٥٢/٣.

"(الأَبْدَحُ، والمَبدُوحُ): ما اتّسعَ من الأرض،كما يُقالُ: (الأبطحُ، والمَبطوحُ)(٣١٨). قالَ أبو النّجمِ(٣١٩): [الرّجز]

ومَـهْمَـهٍ تحسَبُـه مَكْسوحا

يُطَـوِّحُ الـهادي به تَطْويحا(٣٢٠)

إذا عَلا دوِّيَّـهُ(٣٢١) المَبْدُوحا(٣٢٢)

ويُروى: (المَنْدوحا) بالنّون. وهذه الرّوايةُ أصحُّ(٣٢٣)، أي: في نَداحٍ من الأرض، أي: متّسعٍ. والأُولى من (البَداح)".

أقول: على الرّغم من أنّ ما رجّحَه الصّغانيّ هو ما جاءَ به (ديوانُ) أبي النّجم المطبوع، إلّا أنّني لا أرى وجهاً معنوياً يقوّي ما رجّحَ؛ إذ معنى الكلمتين: (المبدوح، والمندوح) واحدٌ(٣٢٤). والله أعلم.

٤٣) **تركيب (ز ح ح)**(٣٢٥): وفيه ينفي نسبةَ ابن قتيبةَ شاهداً إلى ذي الرّمّة، وينقلُ – عن غلامِ ثعلبٍ– نسبتَه إلى شاعرٍ آخر؛ فيقول: "(زحزحتُه عن كذا): باعدتُه عنه. قالَ اللهُ تعالى: ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ**﴾ [آل عمران، ١٨٥]. وقالَ ابنُ قتيبةَ في: (طبقاتِ الشّعراء)(٣٢٦): "قالَ ذو الرُّمَّة(٣٢٧): [البسيط]

يا قابضَ الـرُّوحِ عن جسمٍ عَصَى زمناً وغافرَ الـذّنبِ زحزحني عن النّارِ".

---

(٣١٨) انظر: التّهذيب ٤٣٢/٤.

(٣١٩) العجليّ. والرّجز في: ديوانه ١٢٣. وسبقت ترجمة أبي النّجم في التّركيب رقم (٢٥).

(٣٢٠) "(المهمه): المفازةُ البعيدة، أو البلدُ القفر. (مكسوحا): مكنوساً، أراد أنّه خالٍ قفرٌ... طاح في المفازة، وتطوّح: تاه فيها، وهلك". هامش الدّيوان. وفي: التّكملة ١١٦/٢: "الحادي". ولعلّها تحريف.

(٣٢١) قالَ الأزهريّ عن اللّيث: "(الدَّوُّ): بلدٌ...". التّهذيب ٤٢٤/٤. وفي: (ديوان) أبي النّجم من دون تشديد واو (دوّيّه).

(٣٢٢) بهذه الرّواية –أعني بالباء– بغير نسبة في: التّهذيب ٤٣٢/٤ عن شَمِرٍ عن الأصمعيّ، ولأبي النّجم في: التّاج ٣٠٢/٦.

(٣٢٣) وهي رواية (ديوان) أبي النّجم. وأضافَ الصّغانيّ في: التّكملة ٥/٢ بعد قوله: "أصحّ": "وأكثر". وبرواية (المندوحا) –بالنّون– في: العين ١٨٤/٣، والتّهذيب ٤٢٤/٤ عن اللّيث، والتّكملة ١١٦/٢، والعباب (ن د ح) ٦٠٥/٣.

(٣٢٤) وهو الواسع من الأرض، وغيرها. انظر هذا المعنى لكلتا الكلمتين في: العين ١٨٤/٣، والجمهرة ٢٧٣، ٥٠٦، والتّهذيب ٤٢٤/٤، ٤٣٢، والصّحاح ٣٥٤/١، ٤٠٩، والمقاييس ٢١٤/١، ٤١٣/٥.

(٣٢٥) العباب ٤٢٠/٣.

(٣٢٦) الشّعر والشّعراء ٥١٦.

(٣٢٧) "لمّا حضرتْه الوفاةُ في البادية". الشّعر والشّعراء ٥١٦. وممّن نسبه إلى ذي الرّمّة بهذه الرّواية: الجوهريّ في: الصّحاح ٣٧١/١، والزَّبيديّ في: التّاج ٤٣٩/٦.

وليسَ هو في: (دواوين شِعر ذي الرُّمَّة)[٣٢٨]. وأنشدَه أبو عمرَ في: (اليواقيت)[٣٢٩] لأبي نُوَاسٍ[٣٣٠]".

أقول: على الرّغم من نسبةِ كلٍّ من: ابن قتيبة، والجوهريّ البيتَ إلى ذي الرّمّة إلّا أنّ وجودَه في: ملحق (ديوان) ذي الرّمّة (بشرحِ التّبريزيّ)، وبراويةٍ مختلفةٍ عمّا ههنا يضعِفُ النّسبةَ الصّريحةَ إليه، ويعزّزُ ما نفاه الصّغانيُّ. ولم أقف عليه في (ديوان) أبي نواس (بروايةِ الصّوليّ)، ولعلّه له بروايةِ عالمٍ آخر. والله أعلم.

٤٤) **تركيب (ص ب ح)**[٣٣١]: وفيه يردُّ على سيبويه نسبةَ شاهدٍ؛ فيقول: "وأنشدَ سيبويهِ[٣٣٢] لحاتمٍ، وهو لرجلٍ من النَّبِيْتِ[٣٣٣]، وله مع حاتمٍ وماويّةَ قصّةٌ[٣٣٤]: [البسيط]

هلّا سألتِ النّبيتيّين ما حَسَبي ... عند الشّتاءِ إذا ما هبّتِ الرّيحُ

وردَّ جازرُهم حرفاً مُصَرَّمـةً ... في الرّأسِ منها، وفي الأصلابِ تمليحُ

إذا اللِّقاحُ غَدَتْ مُلْقىً أَصِرَّتُها ... ولا كريمَ من الوِلْدان مَصْبوحُ[٣٣٥]".

---

[٣٢٨] وهو في: (ملحق) ديوانه (بشرحِ التّبريزيّ) ٦٣٢. والرّواية:

يا مُخرجَ الرّوحِ من جسمي إذا احتُضِرَتْ ... وفارجَ الكربِ زحزحني عن النّارِ

وقريبٌ من رواية (ملحقِ الدّيوان) في: تاريخ دمشق ١٨٥/٤٨، ١٨٦ بسنده منسوباً إلى ذي الرّمّة.

[٣٢٩] سبقَ الحديث عن كتاب أبي عمرَ الزّاهد هذا في التركيب رقم (٧).

[٣٣٠] لم أقف على البيت في: (ديوان) أبي نُواس (برواية الطّوسيّ) (فنّ الزّهد). وانظر: التّكملة ٣٨/٢ حيث ذكرَ الصّغانيُّ ما ذكر ههنا رادّاً على الجوهريّ أخذه نسبةَ البيت إلى ذي الرّمّة من: (طبقاتِ الشّعراء) لابن قتيبة. والبيتُ منسوبٌ إلى أبي نُواس في: معاهد التّنصيص على شواهدِ التّلخيص ٩٨/١ ورواية صدره: .....**من جسمٍ أسى زمناً**. وأبو نُواس هو: الحسن بن هانئ بن عبدِ الأوّل. أبو عليّ. مات سنة (١٩٨هـ). ترجمته في: الورقة ١٧٨.

[٣٣١] العباب ٤٦٦/٣.

[٣٣٢] ليستِ الأبياتُ الثّلاثةُ الآتيةُ في: الكتاب. والذي فيه: ٢٩٩/٢ البيتُ الملفّق من صدرِ الثّاني، وعجزِ الثّالث، ولم يُنسَبْ ثمّة. والبيتان الثّاني والثّالثُ الآتيان في: (ديوان شِعر) حاتمٍ الطّائيّ (ما نُسب إليه، وليسَ له) ٣١١. وهما له في: شرح أبيات سيبويه لابنِ السّيرافيّ ٧/٢، ٨. وتعقّبه الغُنْدِجانيّ في: فرحة الأديب ١٢٥، ١٢٦، ونسبَ الأبياتَ الثّلاثة إلى رجلٍ من الأنصار من النَّبيت، وكذلك فعلَ القيسيّ في: شرح شواهدِ الإيضاح ٢٧١، ٢٧٣. ونسبَ الأعلمُ في: تحصيل عينِ الذّهب ٣٥٢ البيتَ الملفّقَ من صدرِ الثّاني، وعجزِ الثّالث إلى رجلٍ من النَّبيت بن قاصد.

[٣٣٣] وكرّرَ الصّغانيّ في: العباب (م ل ح) ٥٩٤/٣ نسبةَ البيتِ الثّاني إلى رجلٍ من النَّبيت. وهو: حيٌّ من الأنصار. واسمُه: عمرو بن مالكِ بن الأوس. انظر: الاشتقاق ٤٣٧، وشرح شواهدِ الإيضاح ٢٧١.

[٣٣٤] هي في: الشّعر والشّعراء ٢٤٤– ٢٤٨، والخزانة ٢١٦/٤ عن الأغاني.

[٣٣٥] قالَ ابنُ السيرافيّ شارحاً: "(اللِّقاحُ): جمع (لِقْحةٍ) وهي النّاقةُ ذاتُ اللّبن. و(الأصرّةُ): جمع (صِرارٍ) وهو ما يُشدّ على ضَرعِ النّاقة؛ لئلّا يرضعَها فصيلُها. يريدُ أنّهم ألقَوا الأصرّة؛ لأنّه لم يكن في الإبلِ ذاتُ لبنٍ فتُصرّ.

أقول: لم يأتِ أيُّ بيتٍ من الثلاثةِ التي ذكرها الصّغانيّ في: (كتاب سيبويه)، وإنّما جاءَ فيه البيتُ الملفّقُ من صدرِ الثّاني وعجزِ الثّالث، ومن دون نسبةٍ إلى حاتمٍ، أو إلى غيره. وأرى أنّ الصّغانيّ الذي أخذَ عن الغُنْدِجانيّ النسبةَ إلى النّبيتيّ، أخذَ عنه أيضاً النّسبةَ –الخاطئة– التي ذكرها ابنُ السيرافيّ (٣٨٥هـ) إلى حاتم. ويقوّي النّسبةَ إلى النّبيتيّ ذكرُها عن ثلّةٍ من الأئمّة. والله أعلم.

٤٥) **تركيب (ص ف ح)**[٣٣٦]: وفيه يذكرُ روايةً ثانيةً لكلمةٍ في شاهدٍ، ثمّ ينقلُ شرحَها، ثمّ يجوّدُها، مرجِّحاً؛ فيقول: "(التَّصْفيحُ): مثلُ: التّصفيقِ، من صَفْحَتَي اليدِ[٣٣٧]، ومنه حديثُ النّبيّ ﷺ: "**التّسبيحُ للرِّجالِ، والتّصفيحُ للنّساءِ**"[٣٣٨]. ويُروى: (والتّصفيقُ). و(تصفيحُ الشيءِ): جعلُه عريضاً، ومنه قولهم: (رجلٌ مُصَفَّحُ الرّأس) أي: عريضُه. قالَ لبيدٌ[٣٣٩] رضي الله عنه يصفُ لمعانَ البرقِ في خلالِ السّحابِ: [الوافر]

يُضِيءُ ربابُـه في المُزنِ حُبْشاً ... قياماً بالحِرابِ وبالإلالِ[٣٤٠]

كأنّ مُصَفَّحاتٍ في ذُراه ... وأَنْواحاً عليهنَّ المآلي[٣٤١]

قالَ ابنُ الأعرابيّ[٣٤٢]: "(المُصَفَّحاتُ) بفتحِ الفاء: السّيوفُ[٣٤٣]؛ لأنّها صُفِّحَتْ حين طُبِعَتْ. وتصفيحُها: تعريضُها، ومَطْلُها". ويُروى بكسرِ الفاء، كأنّه شَبَّهَ تَكَشُّفَ

يصفُ جهداً وجدباً ذهبت فيه الألبان. و(الوِلدانُ): الصّبيان، الواحدُ: (وليد). و(المصبوحُ): الذي يُسقى عند الإصباح. يريدُ أنّه لم يكن عندهم من اللّبن ما يسقي هذا الصّبيّ. و(الجازرُ): الذي ينحرُ النّاقة... و(التّمليحُ): بقيّةٌ بقيَت من شحم. و(الحرفُ): الضّامر. و(المصرّمةُ): التي لم يبقَ فيها لبنٌ. يريد أنّ الجازرَ لم يجد ناقةً سمينةً". شرح أبيات سيبويه ٨/٢. و(الأصلابُ): ج: صُلْب. وهو الظّهر. انظر: شرح شواهدِ الإيضاح ٢٧٢.

[٣٣٦] العباب ٤٨٣/٣.

[٣٣٧] في: الفائق ٣٠٣/٢ –وعنه ينقلُ الصّغانيّ ههنا بتصرّف، ومن دون تصريح–: "اليدين".

[٣٣٨] مسند الإمام أحمد ٤٦١/٣٧، حديث رقم ٢٢٨٠١. وتمامه: "مَن نابَه شيءٌ في صلاتِه؛ فليقل: سبحانَ الله. إنّما التّصفيحُ للنّساء، والتّسبيحُ للرّجال". وفي ٤٦٦/٣٧ حديث رقم ٢٢٨٠٧: "إنّ التّصفيحَ...".

[٣٣٩] في: ديوانه (بشرح الطّوسيّ) ٨٩، ٩٠. ولبيدٌ هو ابنُ ربيعة بنِ مالك، العامريّ. أبو عقيل، من المخضرمين. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ١٢٣، ١٣٥، والشّعر والشّعراء ٢٦٦.

[٣٤٠] قالَ الطّوسيُّ شارحُ (ديوان) لبيد رضي الله عنه: "(الرّبابُ): السّحابُ الذي تراه كأنّه متدلٍّ، كأنّه أعناقُ النّعام. و(المزن): السّحاب. شبّه انكشافَ البرقِ عن سوادِ الغيم بحبشانٍ بأيديهم حِرابٌ. (الإلالُ): الحِراب. واحدها: ألَةٌ".

[٣٤١] قالَ الطّوسيُّ: "(الأنواحُ): النّساءُ ينحن. (المآلي): الخِرقُ التي تكونُ مع المرأة، تحرّكُها؛ تندبُ بها... شبّه هَزْمةَ الرّعد في جوانبِه بنساءٍ ينحن. (ذراه): أعاليه".

[٣٤٢] قوله في: الصّحاح ٣٨٣/١. وبعضُه نقلَه عنه الطّوسيُّ شارحُ (ديوان) لبيد رضي الله عنه. ونسبه صاحبُ التّاج ٥٤٦/٦ إلى ابن سيده.

[٣٤٣] انظر: العين ١٢٢/٣، والتّهذيب ٢٥٧/٤، والتّاج ٥٤٥/٦.

الغيثِ[٣٤٤] إذا لَمَعَ منه البرقُ، فانفرجَ، ثمّ التقى بعد خُبُوِّه بتصفيحِ النِّساءِ إذا صَفَّحْنَ بأيديهنَّ[٣٤٥]، وصفّقْنَ بها. وهذا الوجه أجودُ من الأوّل[٣٤٦]".

أقول: ما جوّدَ الصّغانيّ ههنا هو ما اختارَ الجوهريّ، وهذا من المواضعِ القليلة التّي يوافقُه فيها، ومع ذلك لم يصرّح. والله أعلم.

٤٦) **تركيب (ض ر ح)**[٣٤٧]: وفيه يردُّ على أبي عمرٍو شرحَ كلمةٍ في شاهدٍ، ويصحّحُ روايتَه؛ فيقول: "(الضَّرْحُ): الشَّقُّ. وروى أبو عمرٍو قولَ ذي الرُّمَّة[٣٤٨]: [الطّويل]

ضَرَحْنَ البُرودَ عن ترائبِ حُرّةٍ وعن أعيُنٍ قَتَّلْننا كلَّ مَقْتَلِ

بالحاء[٣٤٩]، ولم يفسِّرْه بـ(شَقَقْنَ)، بل قالَ: "معناه: (ألقَين)". قالَ: "ومن رواه بالجيمِ فمعناه: (شَقَقْنَ)"[٣٥٠]. قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتابِ: (الضَّرْجُ، والضَّرْحُ) بالجيم والحاء: الشَّقُّ[٣٥١]، لكنّ الرّوايةَ الصّحيحةَ المعتمَدَ عليها بالجيمِ في البيت[٣٥٢]".

أقول: لم يعلّلِ الصّغانيُّ رفضَه المعنى الذي فسّره أبو عمرو لـ(ضرحن) –بالحاء–. وأرى ما صحّحَ من روايةٍ حقّاً؛ إذ به جاءت روايةُ (ديوان) ذي الرّمّة (بشرحِ التِّبريزيّ). والله أعلم.

---

(٣٤٤) هي: (الغيم) كما في: الصّحاح ٣٨٣/١، وعنه ينقلُ الصّغانيُّ ههنا وجهَ الكسر، من دون تصريح. وأشارَ محقّقُ: (العباب) إلى هذا التّحريف. وعلّقَ صاحبُ التّاج ٥٤٦/٦ بعد إيرادِه وجهَ كسرِ الفاء وتأويلَه عن: (الصّحاح) أيضاً بقوله: "ويُعلَمُ من هذا أنّ (المصفِّحات) –على روايةِ الكسر– من المجاز؛ فتأمّل".

(٣٤٥) انظر روايةَ كسرِ الفاء، وتأويلَها هذا في: (ديوان) لبيد ﷺ (بشرح الطّوسيّ) ٩٠.

(٣٤٦) وثمّة وجهٌ ثالثٌ ذكره الطّوسيُّ شارحُ (ديوان) لبيد ﷺ؛ فقالَ: "(المصفّحاتُ): الإبلُ اللّواتي قد صفحت عن أولادِها، أي: عُزِلت عنها. فشبّهَ صوتَ الرّعد في هذا السّحابِ بصوتِ هذه الإبل".

(٣٤٧) العباب ٤٩٦/٣.

(٣٤٨) يصف نساءً. ديوانه (بشرح التّبريزيّ) ٤٩٩.

(٣٤٩) وممّن رواه بالحاء، منسوباً إلى ذي الرّمّة: ابنُ سيده في: المحكم ١٢٦/٣.

(٣٥٠) روايةُ أبي عمرٍو، وقولاه في: التّهذيب ٢٠٧/٤. وعلّقَ الأزهريُّ بعد القولَين بقولِه: "وفي ذلك تغايرٌ". وانظر: التّاج ٥٧٠/٦. وقولُه الأوّل من دون نسبة في: الصّحاح ٣٢٧/١. وانظر: التّكملة ٤٦١/١، والتّاج ٧٧/٦.

(٣٥١) ما سبق هو كلامُ الأزهريّ في: التّهذيب ٢٠٦/٤. ولم ينسبه الصّغانيّ. والكلمتان بهذا المعنى في: الجمهرة ٤٥٩، والتّهذيب ٥٥٣/١٠، والصّحاح ٣٢٦/١، والمقاييس ٣٩٩/٣.

(٣٥٢) وهي روايةُ (ديوان) ذي الرُّمّة (بشرح التِّبريزيّ). وممّن رواه بالجيم: الأزهريّ في: التّهذيب ٥٥٣/١٠، والجوهريّ في: الصّحاح ٣٢٧/١. وفيه: "شقَّقْنَ" بتضعيفِ القافِ الأولى. وكانَ الصّغانيُّ قالَ في: التّكملة ٤٦١/١: "وبالجيمِ هو الصّوابُ". وبه روى البيتَ في: العباب (ض ر ج) ٢٣٨/٣. وانظر: التّكملة ٤٦٠/١، والتّاج ٧٧/٦.

٤٧) **تركيب (ف و ح)**[٣٥٣]: وفيه ينقلُ رجزاً منسوباً إلى ليلى الأخيليّة، ثمّ يذكرُ روايةً ثانيةً لأحدِ المشاطير من غير تعليقٍ عليها، ثمّ ينقلُ نسبةَ كلٍّ من: أبي زيدٍ (٢١٥هـ)، وضَمْرَةَ (؟؟؟) الرّجزَ إلى غيرِ ليلى، ويرجّحُ ما قالا؛ مستدلّاً؛ فيقول: "(فاحَ الدّمُ): سالَ... وقالَت ليلى الأخيليّةُ[٣٥٤] في قتلِ دَهْرٍ الجُعْفِيِّ[٣٥٥]: [الرّجز]

نحن قتلْنا الملكَ الجَحْجاحا
دهراً فهيَّجْنا به النّواحا[٣٥٦]
لا كذبَ اليومَ، ولا مُزاحا
قوميْ الذين صَبَّحوا صباحا
يومَ النُّخَيْلِ غارةً مِلْحاحا[٣٥٧]
مَذْحِجَ فاجتحناهمُ اجتياحا
فلم نَدَعْ لسارحٍ مُراحا[٣٥٨]

---

(٣٥٣) العباب ٥٢٩/٣.

(٣٥٤) وهي من بني عُقيل بن كعب، ونسبتُها إلى جدّها الأعلى. ماتت زمنَ الحجّاج. ترجمتها في: الشّعر والشّعراء ٤٣٩. وانظر حديثاً مطوّلاً عنها في: شعراء بني عُقيل، وشعرهم في الجاهليّة والإسلام ٢٧٨، وما بعدها. والرّجز في: ديوانها ٦١، ٦٢ ما عدا المشطورِ السّادس، وبترتيبٍ مخالفٍ لما أورده الصّغانيّ. وأوردَ الصّغانيّ المشاطيرَ التّسعةَ الآتيةَ منسوبةً إليها أيضاً في: التّكملة ٧٩/٢، ٨٠. ونقلَ كلٌّ من: العينيّ في: المقاصد النّحويّة ٣٩١، والسّيوطيّ في: شرح شواهدِ المغني ٨٣٢ نسبةَ الرّجز إلى ليلى الأخيليّة عن الصّغانيّ في: (العباب) تصريحاً. وبعد قولِه في: الخزانة ٢٤/٦: "وروى العينيّ عن الصّغانيّ في: (العباب) أنّ الرّجزَ لليلى الأخيليّة في قتل دَهْرٍ الجعفيّ...". قالَ البغداديّ في: الخزانة ٢٥/٦: "وقد فتّشْتُ هذا الرّجزَ بجميعِ موادّ ألفاظِه في: (العباب) فلم أرَ له فيه أثراً، ولم أدرِ من أيّ مادّةٍ نقلَه. والله أعلم". أقول: هذا قولُ البغداديّ -رحمه الله- وهو مَن هو تحرّياً ودقّةً، وها هو الرّجزُ كاملاً في: (العباب)، في تركيب (ف و ح) فسبحان من لا يسهو عن شيء.

(٣٥٥) رئيس مَذْحِجَ في الجاهليّة، الذي سارَ بجيشٍ له؛ للاستيلاء على ديار بني كعب بن ربيعةَ بن عامر بن صعصعة، أجدادِ ليلى؛ فانهزم، وقتلَه عِقالُ بن خويلدٍ العُقيليّ؛ فما زالت شعراؤهم تفتخرُ بذلك اليوم. انظرِ القصّة في: ديوان ليلى ٦١، وطبقات فحولِ الشّعراء ٧٧٠، وشعراء بني عُقيل، وشعرهم في الجاهليّة والإسلام ٣٣، ٨٥، ٢٣١.

(٣٥٦) في: (ديوان) ليلى ٦١، والمقاصد النّحويّة ٣٩١، والخزانة ٢٤/٦ عن العينيّ: "أنواحا"، وفي: التّكملة ٧٩/٢: "الأنواحا". وقالَ العينيّ: "(الأنواحُ): جمع: (نوح)، بمعنى النّياحة".

(٣٥٧) (النُّخَيلُ): اسمُ موضع. (غارةً): مفعولٌ له، أو حال. أي: مُغِيرين. (مِلحاحٌ): كثيرُ الإلحاح. أي: "غارةً شديدةً لازمةً". المقاصد النّحويّة ٣٩٢. وانظر: شرح شواهدِ المغني ٨٣٣، والخزانة ٢٣/٦، ٢٤.

(٣٥٨) "(السّارحُ): المالُ السّائم". المقاصد النّحويّة ٣٩٢. "و(المُراحُ): -بالضّمّ-: اسمُ مكانٍ، من أراحَ إبلَه؛ إذا ردّها إلى المُراح، وهو حيث تأوي إليه الإبلُ والغنمُ باللّيل، ولا يكونُ ذلك إلّا بعد الزّوال". الخزانة ٢٤/٦.

إلا دِيَاراً[٣٥٩]، و[٣٦٠] دماً مُفاحا

نحنُ بنو خُويلدٍ صُراحا[٣٦١]

وروى أبو حاتم[٣٦٢]: (مِراحا)[٣٦٣]. وعزا أبو زيدٍ[٣٦٤] الرّجزَ في: (نوادرِه)[٣٦٥] إلى "أبي حربٍ، الأعلمِ بن خويلدٍ، من بني عُقَيلٍ، وهو جاهليٌّ[٣٦٦]". وكذلك في: (نوادرِ) ضَمْرَةَ بنِ ضَمرة[٣٦٧]، ويرجِّحُ ما قالا ذِكْرُ (بني خُويلدٍ) في الرّجز".

أقول: على الرّغم من وجودِ ثمانيةٍ من المشاطيرِ التّسعة في: (ديوان) ليلى، إلّا أنّني أميلُ إلى ما رجّحَ الصّغانيُّ -متابعاً-؛ إذ إنّ ليلى لم تُشهر بأمورِ حربٍ أو قتال، وأرى أنّ قائلَ المشاطيرِ راجزٌ عاشَ تلك الوقعةَ، وخبرها، ورأى نفسَه جديراً بالفخر بها؛ إذ إنّ (عِقالاً بنَ خويلد) قاتلَ رئيسِ مَذْحِج كانَ أخاه. ولا أملكُ الاطمئنانَ لما رأيتُ ما لم أستطعِ الوقوفَ على (شِعر) الأعلم

---

(٣٥٩) في: التّكملة: "دباراً" بالباء. ولعلّه تصحيفٌ.

(٣٦٠) في: (ديوان) ليلى ٦٢، ونوادر أبي زيد ٢٣٩: "أو". وكذلك في: المقاصد النّحويّة ٣٩١ النّاقل تصريحاً عن: (العباب). وقالَ في: ٣٩٣: "وفي روايةِ الصّاغانيّ: (ودماً) بواوِ العطف". وكذلك قالَ السّيوطيّ في: شرح شواهدِ المغني ٨٣٣.

(٣٦١) كُسِرَ الصّادُ في: نوادر أبي زيد ٢٣٩، والتّكملة ٢/٨٠، والخزانة ٦/٢٣. "و(الصِّراحُ): -بكسرِ الصّاد-: جمعُ (صريح). و(الصّريحُ): الرّجلُ الخالصُ النّسب". المقاصد النّحويّة ٣٩٣. وانظر: شرح شواهدِ المغني ٨٣٣، والخزانة ٦/٢٤.

(٣٦٢) سهل بن محمّدِ بن عثمان، السّجستانيّ. مات في البصرة سنة (٢٥٥هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ١٤٠٦.

(٣٦٣) بالرّاءِ المهملة، وذلك بدل (مُزاحا) الواردة في المشطورِ الثّالث، وروايةُ أبي حاتم نقلَها أبو زيدٍ في: (نوادره) ٢٣٩. وأوردها الصّغانيّ في: التّكملة ٢/٨٠، والعينيّ في: المقاصد النّحويّة ٣٩١ حيث قالَ: "من: (مرحَ يمرحُ) إذا بطر". وقالَ البغداديُّ النّاقلُ في: الخزانة ٦/٢٣ عن (نوادر) أبي زيدٍ -ولم أقف على نقلِه عنها في مطبوعتَيها-: "**(لا كذبَ اليوم ولا مِراحا)** قالَ أبو حاتم: "(مِراحا) -بكسرِ الميم، وبالرّاءِ المهملة- وهو النّشاط".

(٣٦٤) سعيد بن أوسِ بن ثابت، الأنصاريّ الخزرجيّ. مات سنة (٢١٥هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ١٣٥٩.

(٣٦٥) ٢٣٩ وفيها: "قالَ أبو حربٍ بنُ الأعلم، من بني...". وانظر: المقاصد النّحويّة ٣٩١ حيث نقلَ العينيّ عن (نوادر) أبي زيدٍ بعد أن جزمَ بنسبةِ الرّجز إلى رؤبةَ، وأشارَ إلى خلافٍ في اسم أبي حربٍ هذا، والخزانة ٦/٢٣. قلتُ: والرّجز في: (ديوان) رؤبة، (ما نُسب إليه) ١٧٢.

(٣٦٦) وهو أخو عِقالٍ قاتلِ دهرٍ الجُعفيّ. ترجمته في: ديوان ليلى ٦١، وشعراء بني عُقيل، وشعرهم في الجاهليّة والإسلام ٢٣١. واكتفى الصّغانيّ في: التّكملة ٢/٨٠ بالقول: "أنشده أبو زيدٍ في: (نوادره) لأبي حربٍ الأعلم. وقالَ: إنّه جاهليٌّ". وهو منسوبٌ إليه في: المقاصد النّحويّة ٣٩١ عن أبي زيدٍ، وابن الأعرابيّ، وفي: شرح شواهدِ المغني ٨٣٢، وفي: التّاج ٧/٣٢. وانظر: شعراء بني عُقيل، وشعرهم في الجاهليّة والإسلام ١٤٣، ١٨٥، ٢١٥.

(٣٦٧) لم أقف على ترجمةٍ له، ولا خبرٍ عن (نوادره). والله أعلم.

بن خُويلدٍ مستقلّاً، أو ضمن أشعارِ قومِه[٣٦٨]. والله أعلم.

٤٨) **تركيب (ق د ح)**[٣٦٩]: وفيه ينسبُ شاهداً إلى شاعرٍ، وينفي نسبتَه إلى آخر؛ فيقول: "(القادِحُ): الصَّدْعُ في العُودِ، والسّوادُ الذي يظهرُ في الأسنانِ. قالَ رجلٌ من بني شَمَجَى بن جَرْمٍ[٣٧٠] في أُذينةَ بنتِ عمٍّ صَعْبِ بنِ كلثومٍ، وليسَ لجميلٍ كما وقعَ في: (كتابِ اللّيث)[٣٧١]، وفي: (التّهذيب)[٣٧٢]، وغيرهما[٣٧٣]: [الطّويل]

رَمَى اللهُ في عينَي أُذينةَ[٣٧٤] بالقَذى ... وفي الغُرِّ من أنيابِها بالقَوادِحِ".

أقول: نسبةُ هذا الشّاهد إلى رجلٍ من بني شَمَجى أمرٌ انفردَ به الصّغانيُّ. وكنتُ أشرتُ في التّركيب رقم (٩) من بحثنا هذا إلى أنّ صاحبَ (الخزانة) جعلَ نسبةَ الصّغانيّ هذا البيت من الغرائب، ثمّ نقلتُ عنه قولاً توضيحيّاً. والله أعلم.

٤٩) **تركيب (م ر ح)**[٣٧٥]: وفيه ينقلُ روايةَ شاهدٍ عن الأزهريّ، ثمّ يشيرُ إلى روايتِه في (ديوانِ) قائلِه، من دون ترجيح إحدى الرّوايتين، ويرى وقوعَ تصحيفٍ في كلمةٍ فيه، ؛ فيقول: "يقالُ: (ذهبَ مَرَحُ المَزادَةِ[٣٧٦]): إذا انسدَّتْ عيونُها؛ فلم يَسِلْ منها شيءٌ. وأنشدَ الأزهريُّ[٣٧٧] لعَديِّ بن زيدٍ[٣٧٨] العِبَاديِّ[٣٧٩]: [الخفيف]

---

(٣٦٨) "وشِعر أبي حربٍ شِعرٌ قليلٌ؛ ولذلك فهو من شعراءِ الجاهليّةِ المقلّين". شعراء بني عُقيل، وشعرهم في الجاهليّة والإسلام ٢٣٣.

(٣٦٩) العباب ٥٣٥/٣.

(٣٧٠) سبقَ الحديث عن بني شَمَجَى في التّركيب رقم (٩).

(٣٧١) العين ٤٠/٣. واللّيث هو: ابنُ المظفّر بن نصر بن سيّار، تلميذُ الخليل. ولم أقف له على تاريخ وفاة. ترجمته في: معجم الأدباء ٢٢٥٣.

(٣٧٢) ٣١/٤.

(٣٧٣) كالصّحاح ٣٩٤/١. وهو لجميلٍ أيضاً في: التّاج ٤٠/٧.

(٣٧٤) في: التّهذيب، والصّحاح، والتّاج: (بثينة). وسبقَ حديثُنا عن هذه الرّواية، وعن نسبةِ البيت بتفصيلٍ لا بأسَ فيه في هوامشِ تركيب (**ت ر ب**) برقم (٩) من بحثنا هذا.

(٣٧٥) العباب ٥٧٧/٣.

(٣٧٦) "يُستقى فيها الماءُ". إصلاح المنطق ٣٣١. والقول في: العين ٢٢٥/٣، والتّهذيب ٥١/٥.

(٣٧٧) في: التّهذيب ١١/٥، ٥٢ وليس فيهما نسبة: "العباديّ". ونقلَ الصّغانيُّ حديثَه اللّغويّ ههنا عن: التّهذيب ٥٢/٥. وانظر: التّاج ١١٤/٧.

(٣٧٨) يصفُ الغيثَ. والبيتُ الآتي لعديٍّ بن زيدٍ في: الاختيارَين ٧٠٣، ٧٠٦، والتّاج ١١٤/٧، ١٨٨/١٤. وسبقت ترجمة عديٍّ في التركيب رقم (٢٧). قالَ ابنُ قتيبة في: الشّعر والشّعراء ٢١٩: "علماؤنا لا يرون شِعرَه حُجّةً".

(٣٧٩) في: العباب المطبوع: "العَبَّاديّ". وهو خطأ. تصويبه من: ديوانه.

مَرِحٌ وَبْلُـهُ يَسُحُّ سُيُوبَ الـــ ـــماءِ سَحّاً كأنّه مَنْحورُ[٣٨٠]

وفي: (شِعره): (هَزِجٌ وَبْلُهُ)[٣٨١]. وأحدُ اللّفظَين تصحيفُ الآخر[٣٨٢]".

أقول: على الرّغم من عدم نصِّ الصّغانيّ ههنا في: (العباب) على ما رآه الرّوايةَ الأصحّ، إلّا أنّه نصَّ في: (التّكملة) على اختيارِه روايةَ: (هَزِجٌ وبلُه)، وأرى ما أنشدَه الأزهريُّ الأصحَّ؛ إذ هي روايةُ (ديوان) عديٍّ المطبوع. والله أعلم.

٥٠) **تركيب (ن ص ح)**[٣٨٣]: وفيه ينقلُ عن الجوهريّ -من دون تصريح-؛ فيذكرُ روايةً ثانيةً لرجزٍ، وينفي عنها العلوَّ؛ فيقول: "ابنُ الأعرابيّ[٣٨٤]: "(نَصَحَتِ الإبلُ الشُّرْبَ، تَنْصَحُ نُصوحاً): إذا صَدَقَتْه[٣٨٥]". وأنشدَ[٣٨٦]: [الرّجز]

هذا مَقامي لكِ حتّى تَنْصَحي

رِيّاً وتجتازي[٣٨٧] بَلاطَ[٣٨٨] الأبْطَحِ

... ويُروى: (حتّى تَنْضَحي) بالضّادِ المعجمة[٣٨٩]. وليسَ بالعالي من الكلامِ[٣٩٠]".

---

(٣٨٠) في: التّهذيب ١١/٥: "سُبُوب" بالباء. خطأ طباعيٌّ. و"(سيوبُ الماء): مجاري الماء. واحدُها: (سَيْبٌ)". الاختيارَين ٧٠٦. (منحورٌ): مذبوح. انظر: التّاج ١٨٨/١٤.

(٣٨١) الصّدر في: (ديوان) عديٍّ المطبوع ٨٦:

مَرِحٌ وَبُلْـهُ [كذا ضُبطت] **يَسُحُّ سُيولَ الـــ** ....

ورواية: (هَزِجٌ وبلُه) في: الاختيارَين ٧٠٦. وقالَ الأخفشُ الأصغرُ ثمّة: "ويُروى: (مَرِخٌ وبلُه)". بالخاء.

(٣٨٢) كذا قالَ الصّغانيّ ههنا من دون أن يقطع. وكانَ نصَّ في: التكملة ١٠٤/٢ على أنّ ما في: (شِعر) عديٍّ هي الرّواية.

(٣٨٣) العباب ٦٠٩/٣.

(٣٨٤) قولُه، والإنشادُ الآتي، والرّوايةُ الثانيةُ التي سيذكرها الصّغانيُّ، والحكمُ عليها، كلُّ ما سبقَ نقلَه عن الجوهريّ في: الصّحاح ٤١١/١ من دون تصريح، أو تلميح. وانظرِ الرّوايةَ الثّانية، والحكمَ عليها في: التّاج ١٧٦/٧.

(٣٨٥) فشربَتْ حتّى ارتوت. انظر: المحكم ١٥٨/٣.

(٣٨٦) مخاطباً إبلَه. وهذا الإنشادُ من المواضعِ النّادرة جدّاً في: (العباب) التي خلت من نسبةٍ إلى قائل. ولم أقف على مَن نسبه، أو تحدّث عن نسبته فيما بين يديّ.

(٣٨٧) في: المحكم ١٥٨/٣: "وتختاري".

(٣٨٨) في: أساس البلاغة ٢٩٤: "بلاد". "و(البَلاطُ) -بالفتح-: الحجارةُ المفروشةُ في الدّارِ، وغيرِها". الصّحاح ١١١٧/٣.

(٣٨٩) وهذه الرّواية في: الصّحاح ١١١٧/٣، وعنه في: التّاج ١٦٦/١٩، وفي: العباب (ب ل ط) ٢٣/٩ ولم يعلّقِ الصّغانيّ البتّة على إيراده الرّوايةَ بالضّاد في هذا التّركيب.

(٣٩٠) العبارتان: "بالضّادِ المعجمة، من الكلام" ليستا في: الصّحاح.

أقول: ما زالَ الصّغانيّ على منهجِه في نقولِه عن الجوهريّ في: (الصّحاح)؛ ينقلُ عنه اللّغةَ، والرّوايةَ الثّانية، والحكمَ عليها، ولا يصرّحُ بما نقلَ البتّة. لا بل أوردَ في: (العباب)، تركيب (ب ل ط) ٢٣/٩ الرّجزَ بروايةِ الضّادِ المعجمة –التي جعلها ههنا غير عاليةٍ– ناقلاً عن: (الصّحاح) من دون تصريح، ولم يعلّق عليها ثمّة؛ لأنّ الجوهريَّ ما علّق. والله أعلم.

٥١) **تركيب (و ج ح)**[٣٩١]: وفيه يصوّبُ كلمتين ذكرهما الأزهريّ في شاهدٍ؛ مستدلّاً بقافيةِ القصيدةِ التي منها الشّاهدُ؛ فيقول: "قالَ الأزهريُّ في هذا التّركيبِ[٣٩٢]: "(الوَجَحُ): شِبْهُ الغار". وأنشدَ: [البسيط]

بكلِّ أَمْعَزَ منها غيرِ ذي وَجَحٍ   وكلِّ دارةِ هَجْلٍ ذاتِ أَوْجاحِ[٣٩٣]

والصّوابُ: (الوَحَجُ) بتقديمِ الحاءِ على الجيمِ[٣٩٤]. والقصيدةُ جيميّةٌ، وهي لأبي وجزةَ السّعديّ[٣٩٥]، السّعديّ[٣٩٥]، وقبل البيتِ:

يا دارَ أسماءَ قد أَقْوَتْ بالأَنْشاجِ   كالوشْمِ، أو كإمامِ الكاتبِ الهاجي[٣٩٦]".

أقول: على الرّغم من صحّةِ ورود كلمتَي: (وجح، وأوجاح) جيميّتين في (شِعر) أبي وجْزة، إلّا أنّ ما رواه الأزهريّ حقٌّ أيضاً؛ إذِ (الوجح، والوحج) لغتان نقلهما الصّغانيّ في: (العباب) في تركيب (و ح ج). والله أعلم.

---

[٣٩١] العباب ٦٢٢/٣.

[٣٩٢] قولُه، وإنشادُه الآتي في: التّهذيب ١٣٧/٥. وفيه: "الموجَحُ يُشبه المغار".

[٣٩٣] علّقَ الأزهريّ بعد البيت بقولِه: "أي: ذات غِيران". وانظر: التّاج ٢٠٣/٧. (الأمعزُ): المكانُ الكثيرُ الحصى، الصّلب. (الدّارةُ): الأرضُ الواسعة بين الجبال. (الهَجْلُ): المطمئنُّ من الأرض. هامش (شِعر) أبي وجْزة ٦٨.

[٣٩٤] لم يشرِ الصّغانيّ ههنا إلى ما نقلَه في: تركيب (و ح ج) ٣٢٧/٣ من: (العباب) بقولِه: "(الأوحاجُ): الأماكنُ الغامضة. الواحدة: (وَحَجَةٌ). وقالَ شَمِرٌ: (الوَحَجُ): الملجأ. لغةٌ صحيحةٌ في: (الوَجَح)، بتقديمِ الجيم على الحاء".

[٣٩٥] لم ينسبِ الصّغانيّ البيتين المذكورين في هذا التّركيبِ إلى أحدٍ في: التّكملة ١٢٢/٢، ١٢٣ على الرّغم من ذكره التّصويبَ ذاتَه، وقافيةَ القصيدة هناك. والبيتان المذكوران من القصيدةِ الجيميّة في: (شِعر) أبي وجْزة ٦٨. والثّاني منسوبٌ إليه في: التّاج ٢٨١/٤٠. وأبو وَجْزة هو: يزيد بن عُبيد. وهو من رواةِ الحديثِ النّبويِّ الشّريف. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٦٩١.

[٣٩٦] في: (شِعر) أبي وجْزة، والصّحاح ٢٥٣٣/٦ عن ثعلبٍ، والتّكملة ١٢٣/٢، والتّاج ٢٨١/٤٠ عن: الصّحاح: "بأنشاجِ". وخمّن ياقوتُ في: معجم البلدان ٢٦٥/١؛ فقال: "كأنّه من نواحي المدينة في (شِعر) أبي وجْزة [البيت]". وفي: الصّحاح ٢٥٣٣/٦، وعنه في: التّاج ٢٨١/٤٠: "كالوحي" بدل: "كالوشم". و(الإمامُ) في البيت هو الكتاب. هامش (شِعر) أبي وجْزة.

٥٢) **تركيب (و ذ ح)**[٣٩٧]: وفيه ينقلُ عن الجوهريّ –من دون تصريح– بيتاً شاهداً لجرير، ثمّ يذكرُ روايتَه كما وجدها في (شِعره)؛ فيقول: "(الوَذَحُ): ما يتعلّقُ بأذنابِ الشّاةِ وأَرفاغِها[٣٩٨] من أبعارِها وأبوالِها؛ فيَجفُّ عليها. الواحدةُ: (وَذَحَةٌ)... وجمعُ (الوَذَحَةِ): (وُذْحٌ) أيضاً، مثالُ: (بَدَنَةٍ، وبُدْنٍ). قالَ جريرٌ: [البسيط]

والتَّـغْلَبيّـةُ في أفواهِ عورتِـها ... وُذْحٌ كثيرٌ، وفي أكنافِها الوَضَرُ[٣٩٩]

هكذا أنشدَه بعضُ أهلِ اللّغة[٤٠٠]. والذي وجدتُ في (شِعره)[٤٠١] يهجو الأخطلَ[٤٠٢]:

والتّـغْلَبيّـةُ في ثِنْيَـيْ عباءَتِـها ... بَظْرٌ طويلٌ، وفي باعِ ابنِها قِصَرُ[٤٠٣]".

أقول: مع صحّةِ ما وجدَه الصّغانيُّ في (ديوان) جرير، إلّا أنّ روايةَ الجوهريّ للبيتِ صحيحةٌ أيضاً؛ إذ بها أُنشِدَ البيتُ في (ديوان) جرير في إحدى نسخِه، كما نصَّ محقّقُه. والله أعلم.

((نهايةُ القسمِ الأوّلِ من هذا البحث))

مصادرُ ومراجعُ القسمِ الأوّل من البحث:

الاختيارَين: للأخفش الأصغر (٣١٥هـ) تح: الدكتور فخر الدين قباوة، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

أساسُ البلاغة: للزّمخشريّ (٥٣٨هـ) المطبعة الوهبيّة، ط١، ١٨٨٢م.

أسامي شيوخِ البخاريّ، وكناهم: للصّغانيّ (٦٥٠هـ) تح: حسنين سلمان مهدي، دار الكمال المتّحدة، دمشق، ط١، ٢٠١٦م.

أسماءُ خيلِ العرب، وأنسابها، وذكر فرسانها: للأسود الغُنْدِجانيّ (كان حيّاً ٤٣٠هـ) تح: الدكتور محمّد عليّ سلطاني، دار العصماء، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

أسماءُ خيلِ العرب، وفرسانها: لابن الأعرابيّ (٢٣١هـ) تح: الدكتور نوري حمّودي القيسيّ، والدكتور حاتم صالح الضّامن، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ، د.ط، ١٩٨٥م.

إشارةُ التّعيين: لليمانيّ (٧٤٣هـ) تح: الدكتور عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض، ط١، ١٩٨٦م.

الاشتقاق: لابن دريد (٣٢١هـ) تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

---

[٣٩٧] العباب ٦٢٤/٣، ٦٢٥.

[٣٩٨] مفردها: (رُفْغٌ) بضمِّ الرّاء، وفتحها. وهو: "أصلُ الفَخِذ... وكلُّ موضعٍ اجتمعَ فيه الوسخُ من الجسدِ فهو رُفْغٌ". الجمهرة ٧٧٨.

[٣٩٩] "(الوَضَرُ): وسخُ الدَّسم واللّبن، وغُسالةُ: السِّقاء، والقصعة، ونحوها". العين ٥٤/٧.

[٤٠٠] هو الجوهريُّ في: الصّحاح ٤١٥/١. وفيه: "أكتافها" بالتّاء. ولم يسمّه الصّغانيّ ههنا –على عادته– مع أنّه ينقلُ اللّغةَ عنه. وانظر: التّاج ٢٠٦/٧ حيث تابعَ الزَّبيديُّ الجوهريَّ في نسبةِ البيت، وفي روايتِه.

[٤٠١] ١٥٩ (بشرح محمّدِ بن حبيبَ). وأشارَ المحقّق إلى أنّه في نسخةٍ من نسخِ (الدّيوان) جاءتِ الرّواية كالبيتِ الأوّل، وفيه: "أكتافها" بالتّاء أيضاً.

[٤٠٢] غياث بن غوثٍ بنِ الصّلْت. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٢٩٨، ٤٥١، والشّعر والشّعراء ٤٧٣.

[٤٠٣] "(الباعُ): قَدْرُ مدِّ اليدين... وربّما عُبّر بـ(الباع) عن الشّرفِ، والكرم". الصّحاح ١١٨٨/٣.

الإصابةُ في تمييزِ الصّحابة: لابن حَجَر (٨٥٢هـ) تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

إصلاحُ المنطق: لابنِ السِّكِّيت (٢٤٤هـ) تح: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٥٦م.

الأصمعيّات: للأصمعيّ (٢١٦هـ) تح: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣م.

الأضدادُ: للأصمعيّ (٢١٦هـ) ضمن (ثلاثة كتبٍ في الأضداد) تح: الدكتور أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكيّة للآباءِ اليسوعيّين، بيروت، ١٩١٢م.

الأضدادُ: للأنباريّ (٣٢٧هـ) تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.

الأعلام: للزِّركِليّ (١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٢م.

الأغلبُ العجليُّ، حياته، وشعره: الدكتور نوري حمّودي القيسيّ، مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ، مج ٣١، ج٣، شعبان ١٤٠٠هـ.

أمالي ابن الشّجريّ: (٥٤٢هـ) تح: الدكتور محمود الطناحي، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، د.ط، د.ت.

أمثالُ العرب: للمفضّل الضّبّيّ (١٧٨هـ) تح: الدكتور إحسان عبّاس، دار الرّائد العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

إيضاحُ شواهدِ الإيضاح: للقيسيّ (ق٦هـ) تح: الدكتور محمّد الدّعجانيّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

البيان والتّبيين: للجاحظ (٢٥٥هـ) تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

تاجُ العروس من جواهرِ القاموس: للزَّبيديّ (١٢٠٥هـ)، مطبعة حكومةِ الكويت.

تاريخُ الإسلام ووفَيَات المشاهير والأعلام: للذّهبيّ (٧٤٨ هـ) تح: الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

تاريخ دمشق: لابن عساكر (٥٧١هـ) تح: عمر العمرويّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٥م.

تحصيلُ عينِ الذهب من معدن جوهرِ الأدب في علم مجازاتِ العرب: للأعلم الشنتمريّ (٤٧٦هـ) تح: الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

تخليصُ الشّواهد، وتلخيصُ الفوائد: لابن هشام (٧٦١هـ) تح: الدكتور عبّاس مصطفى الصّالحيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

التّذكرة الحمدونيّة: لابن حمدون (٥٦٢هـ) تح: الدكتور إحسان عبّاس، وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

التّكملةُ والذّيل والصّلة لكتاب (تاج اللّغة وصحاح العربيّة): للصَّغانيّ (٦٥٠هـ) تح: عبد العليم الطحاويّ، وإبراهيم الأبياريّ، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم . مراجعة: عبد الحميد حسن، ومحمّد خلف الله أحمد، والدكتور محمّد مهدي علام، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠م.

التّمامُ في تفسيرِ أشعارِ هُذَيل: لابن جنّي (٣٩٢هـ) تح: أحمد ناجي القيسيّ، وزميليه، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٢م.

التّنبيهُ على أوهام أبي عليٍّ في أماليه: للبكريّ (٤٨٧هـ) الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ط، د.ت.

التّنبيهُ والإيضاح عمّا وقعَ في الصّحاح: لابن برّيّ (٥٨٢هـ) ج١ تح: مصطفى حجازيّ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.

تهذيب إصلاحِ المنطق: للتّبريزيّ (٥٠٢هـ) تح: الدكتور فخر الدّين قباوة. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

تهذيبُ اللّغة: للأزهريّ (٣٧٠هـ) تح: عبد السلام هارون، راجعه محمّد علي النجّار، دار الصادق للطباعة والنشر، د.ط ، د.ت.

الجاسوسُ على القاموس: أحمد فارس الشّدياق (١٣٠٤هـ) طبعة دار النّوادر، دمشق، ٢٠١٣م، المصوّرة عن الطّبعة الأصليّة في مطبعة الجوائب، قسطنطينيّة (إستانبول)، ١٢٩٩هـ.

الجامعُ الصّحيح: للبخاريّ (٢٥٦هـ) تح: محبّ الدّين الخطيب، وزميليه، المطبعة السلفيّة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.

جمهرةُ أنسابِ العرب: لابن حزم الأندلسيّ (٤٥٦هـ) تح: عبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت.

جمهرةُ اللّغة: لابن دريد (٣٢١هـ) تح: الدكتور رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

الجُمَيحُ بن الطّمّاحِ الأسديّ، حياته وشعره: شرح وتحقيق: محمّد عليّ دقّة، مجلّة جامعة الملك سعود، مج٥، الآداب ٢، ١٩٩٣م.

الجواهرُ المُضيّـةُ فـي طبقـاتِ الحنفيّـة: لابـن أبـي الوفـاء (٧٧٥هــ) تـح: الـدكتور عبـد الفتّاح محمّـد الحلـو، هجـر للطباعـة والنّشـر، ط٢، ١٩٩٣م.

الجيم: لأبي عمرٍو الشّيبانيّ (نحو ٢١٠هـ) تح: إبراهيم الإبياريّ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، د.ط، ١٩٧٤م.

الحيوان: للجاحظ (٢٥٥هـ) تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٥م.

خزانةُ الأدب ولبّ لباب لسانِ العرب: للبغداديّ (١٠٩٣هـ) تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

ديوانُ أوس بن حَجَر: تح: الدكتور محمّد يوسف نجم، دار بيروت، بيروت، د.ط، ١٩٨٠م.

ديوانُ تميم بن أبيّ بن مقبل: تح: الدكتور عزّة حسن، دار الشّرق العربيّ، حلب، د.ط، ١٩٩٥م.

ديوانُ جرانِ العَوْدِ النُّميريّ (رواية السكّريّ): مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط١، ١٩٣١م.

ديوانُ جرير (١١٤هـ): بشرح محمّد بن حبيب: تح: الدكتور نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، ط٤، د.ت.

ديوانُ جميل بثينة: دار بيروت، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.

ديوان ذي الرُّمّة (١١٧هـ): (شرح التّبريزيّ) تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

ديوانُ الرّاعي (نحو ٩٧هـ): جمع وتحقيق: راينهرت فايبرت، فرانتس شتاينر، فيسبادن، د.ط، ١٩٨٠م.

ديوان رؤبةَ بنِ العجّاج: تح: وليم بن الورد البروسيّ، مصوّرة دار ابن قتيبةَ، الكويت، د.ت، د.ط.

ديـوانُ شـعرِ حـاتم بـن عبـدِ اللهِ الطّـائيّ، وأخبـاره: صـنعة: يحيـى بـن مُـدرِك الطـائيّ، روايـة: هشـام بـن محمّـد الكلبـيّ، تـح: الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدنيّ، القاهرة، د.ط، د.ت.

ديوانُ شعرِ المتلمّس الضُّبَـعيّ (روايةُ الأثرم، وأبـي عبيدة عنِ الأصمعيّ): تـح: حسن الصـيرفيّ، معهد المخطوطـات العربيّة، القـاهرة، د.ط، ١٩٧٠.

ديوانُ الشمّاخ بن ضرارٍ الذّبيانيّ: تح: صلاح الدّين الهادي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٦٨.

ديوانُ طرفةَ بنِ العبد: شـرح الأعلمِ الشّنْتَمَريّ (٤٧٦هـ) تـح: دريّـة الخطيب، ولطفـي الصقال، مطبوعـات مجمـع اللّغة العربيّة، دمشـق، د.ط، ١٩٧٥م.

ديوانُ الطّرمّاح: تح: الدكتورء عِزّة حسن، دار الشّرق العربيّ، حلب، ط٢، ١٩٩٤م.

ديوانُ العباسِ بن مرداسٍ السُّلميّ: تح: الدكتور يحيى الجبوريّ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجمهورية، بغداد، د.ط، ١٩٦٨م.

ديوانُ عَبيد بنِ الأبرص: تح: الدكتور حسين نصّار، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

ديوانُ العجّاج (روايةُ الأصمعيّ، وشرحُه): تح: الدكتور عِزّة حسن، دار الشّرق العربيّ، حلب، د.ط، ١٩٩٥م.

ديوانُ عَديّ بن زيدٍ العِباديّ: حقّقه وجمعه: محمّد جبّار المعيبد، وزارة الثّقافة والإرشاد، بغداد، د.ط، ١٩٦٥م.

ديوانُ علقمـةَ بن عَبَدَة: تـح: سـعيد مكارم، دار صـادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م. وشرحُه للسيّد أحمد صقر، المطبعـة المحموديّة، القـاهرة، ط١، ١٩٣٥م.

ديوانُ قيس بنِ الخَطيم: تح: الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

ديوانُ كُثيّر عزّة (١٠٥هـ): جمعه وشرحه: الدكتور إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، د.ط، ١٩٧١م.

ديوان الكميت بن زيدٍ الأسديّ: تح: الدكتور محمّد نبيل الطّريفيّ، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

ديوان ليلى الأخيليّة (نحو ٨٥هـ): جمعه وحقّقه: خليل إبراهيم العطيّة، وجليل العطيّة، وزارة الثّقافة والإرشاد، بغداد، د.ط، د.ت.

ديوانُ المرقّشِ الأكبر (٥٧ق.هـ) (ضمن ديوان المُرَقِّشَين): تح: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

ديوان مزاحم العُقيليّ(نحو١٢٠هـ): تح: د: غازي مختار طليمات، ومحمّد محيي الدّين مينو، دار قنديل، دبي، ط١، ٢٠١٦م.

ديوانُ المُزَرِّد بـن ضـرارٍ الغطفانـيّ: (بروايـة ابـن السّكّيت، وغيره، وشـرح ثعلب) تـح: خليل إبراهيم العطيّـة، مطبعـة أسـعد، بغداد، ط١، ١٩٦٢م.

ديوان أبـي الـنّجم العجلـيّ (١٣٠هـ): تـح: الـدكتور محمّد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعـات مجمـع اللّغـة العربيّـة، دمشـق، د.ط، ٢٠٠٦م.

ديوانُ الهذليّين: القسم الأدبيّ في دار الكتبِ المصريّة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.

الزّاهرُ في معاني كلماتِ النّاس: لأبي بكرٍ الأنباريّ (٣٢٨هـ) تح: الدكتور حاتم صالح الضّامن، دار البشائر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤م.

سرّ صناعةِ الإعراب: لابن جنّي (٣٩٢هـ) تح: الدكتور حسن هنداويّ، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.

سِفْرُ السّعادة، وسفيرُ الإفادة: للسّخاويّ (٦٤٣هـ) تح: د، محمّد أحمد الدّالي، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، د.ط، ١٩٨٣م.

الشّاءُ: للأصمعيّ (٢١٦هـ) تح: الدكتور صبيح التّميميّ، دار أسامة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

شرحُ أبياتِ الكتاب: لابنِ السيرافيّ (٣٨٥هـ) تح: الدكتور محمّد الريح هاشم، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

شرحُ أشعارِ الهذليّين: للسّكريّ (٢٧٥، أو ٢٩٠هـ) تح: عبد السّتّار أحمد فرّاج، مطبعة المدنيّ، القاهرة، د.ط، د.ت.

شرحُ ديوانِ الحماسة: للمرزوقيّ (٤٢١هـ) تح: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

شرحُ ديوانِ لبيدِ بن ربيعةَ العامريّ للطّوسيّ: تح: الدكتور إحسان عبّاس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، د.ط، ١٩٦٢م.

شرحُ شواهدِ الشّافية: للبغداديّ (١٠٩٣هـ) تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، وزميليه، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.

شرحُ شواهدِ المغني: للسّيوطيّ (٩١١هـ) تح: الشّيخ محمّد محمود الشنقيطيّ، لجنة التراث العربيّ، د.ط، د.ت.

شرحُ كتابِ الحماسة: لأبي القاسم الفارسيّ (٤٦٧هـ) تح: الدكتور محمّد عثمان عليّ، دار الأوزاعيّ، بيروت، ط١، د.ت.

شرحُ المفصّل: لابن يعيش (٦٤٣هـ) توزيع مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ط، د.ت.

شرحُ نقائض جريرٍ والفرزدق: لأبي عُبيدة (٢١٠هـ) تـح: الدكتور محمّد إبرهيم حُور، الدكتور وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثّقافيّ، أبو ظبي، ط٢، ١٩٩٨م.

شعرُ الأخطل: صنعة السّكريّ، روايته عن ابن حبيب، تح: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٩٩٦م.

شـعرُ البعيثِ المُجاشعيّ (١٣٤هـ): جمـع وتحقيـق: الـدكتور ناصـر رشـيد محمّد حسين، دار الحريّـة للطباعـة، بغداد، د.ط، ١٩٧٤م. وطبعة أخرى بجمع وتحقيق: الدكتور عدنان محمّد أحمد، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠١٠م.

شعرُ جوّاس بن القعطلِ الكلبيّ: تح: قيس كاظم الجنابيّ، مجلّة الذّخائر، العدد ٩، ٢٠٠٢م.

شعرُ ضبّةَ، وأخبارُها في الجاهليّة والإسلام: الدكتور حسن بن عيسى أبو ياسين، مطابع جامعة الملك سعود، الرّياض، ط، ١٩٩٥م.

شعرُ عبدِ الله بنِ الزِّبَعْرَى (نحو ١٥هـ): تح: الدكتور يحيى الجبوريّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

شعرُ ابن ميّادة (١٤٩هـ): جمع وتحقيق: الدكتور حنّا جميل حدّاد، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، د.ط، ١٩٨٢م.

شعرُ النابغةِ الجعديّ: جمع وتحقيق وشرح: الدكتور واضح الصّمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

شـعرُ أبـي وَجْـزَةَ السّـعديّ (١٣٠هـ): جمـع: الـدكتور وليـد محمّد السّـراقبيّ، منشـورات الهيئـة العامّـة السّـوريّة للكتـاب، دمشـق، د.ط، ٢٠١٠م.

الشّعرُ والشّعراء: لابن قتيبة (٢٧٦هـ) تح: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.

شعراءُ بنـي عُقيل، وشعرُهم فـي الجاهليّة والإسلام حتّى آخرِ العصرِ الأمويّ: الدكتور عبد العزيز بـن محمّد الفيصـل، من دون بيانـات نشر.

الشّوارد: للصّغانيّ (٦٥٠هـ) تح: مصطفى حجازيّ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

الصّحاح: للجوهريّ (٣٩٣هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

الصّغانيُّ، أبو الفضائل، رضيُّ الدّين: عبد السّتّار أحمد فرّاج، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة، مج٢٦، ج١، ١٩٨٠م.

صلةُ التّكملة لوفياتِ النّقلة: للمنذريّ (٦٥٦هـ) تح: الدكتور بشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.

طبقاتُ فحولِ الشّعراء: لابن سلّام الجُمحيّ (٢٣١هـ) تح: محمود شاكر، دار المدنيّ، جدّة، د.ط، د.ت.

العُباب الزّاخر، واللّباب الفاخر: للصّغانيّ (٦٥٠هـ) تح: الدكتور فير محمّد حسن المخدوميّ، والدكتور تركيّ العتيبيّ، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٢٢م.

العِقدُ الثمين في تاريخِ البلدِ الأمين: للفاسيّ المكّيّ (٨٣٢هـ) تح: محمّد حامد الفقي، وزميليه، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

العين: للفراهيديّ (١٧٥هـ) تح: الدكتور مهدي المخزوميّ، والدكتور إبراهيم السّامرّائيّ، سلسلة المعاجم والفهارس، د.ط، د.ت.

غريبُ الحديث: للخطّابيّ (٣٨٨هـ) تح: عبد الكريم العزباويّ، جامعة أمِّ القرى، مكّة المكرّمة، د.ط، ١٩٨٢م.

غريبُ الحديث: لأبي عُبيد (٢٢٤هـ) تح: الدكتور حسين شرف، مراجعة: عبد السلام هارون، ومحمّد عبد الغني حسن، ومحمّد مهدي علام، ومصطفى حجازيّ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، د.ط، ١٩٨٤، ١٩٩٣م.

الغريبُ المصنّف: لابن سلّام (٢٢٤هـ) تح: الدكتور محمّد المختار العبيديّ، المجمَع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون، دار سُحنون، تونس، ط٢، ١٩٩٦م.

الغَريبَين في القرآن والحديث: لأبي عُبيد الهرويّ (٤٠١هـ) تح: أحمد فريد المزيديّ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرّمة، ط١، ١٩٩٩م.

الفائقُ في غريبِ الحديث: للزّمخشريّ (٥٣٨هـ) تح: عليّ محمّد البجاويّ، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٣م.

فرحةُ الأديب في الردّ على ابنِ السيرافيّ في شرح أبيات سيبويه: للأسود الغُنْدِجاني (كان موجوداً ٤٣٠هـ) تح: الدكتور محمّد عليّ سلطاني، دار النّبراس، د.ط، د.ت.

القاموسُ المحيط: للفيرزآباديّ (٨١٧هـ) تح: مكتب تحقيقِ التّراث في مؤسّسةِ الرّسالة، بإشراف محمّد نعيم العرقسوسيّ، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

الكتاب: لسيبويه (١٨٠هـ) تح: عبد السّلام هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

مالكٌ، ومتمّمٌ ابنا نُويرة: ابتسام مرهون الصّفّار، مطبعة الإرشاد، بغداد، د.ط، ١٩٦٨.

المؤتلف والمختلف في أسماءِ الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: للآمديّ (٣٧٠هـ) صحّحه، وعلّق عليه أ.د.ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

مجازُ القرآن: لأبي عُبيدة (٢١٠هـ) تح: محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، د.ط، د.ت.

مجمعُ الأمثال: للميدانيّ (٥١٨هـ) تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّنّة المحمّديّة، د.ط، د.ت.

مجملُ اللّغة: لابن فارس (٣٩٥هـ) تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

المحكمُ والمحيطُ الأعظمُ في اللّغة: لابن سيده (٤٥٨هـ) تح: الدكتور عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

المحيطُ في اللّغة: لابن عبّاد (٣٨٥هـ) تح: الشّيخ محمّد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

المذكّرُ والمؤنّث: لابنِ الأنباريّ (٣٢٨هـ) تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، د.ط، ١٩٨١م.

المُزهِرُ في علومِ اللّغة، وأنواعها: للسيوطيّ (٩١١هـ) تح: محمّد أحمد جاد المولى، وزميلَيه، دار الحرم للتّراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

مسندُ الإمامِ أحمدَ بن حنبل (٢٤١هـ): ج (٣٧) تح: الشيخ شعيب الأرنؤوط، وزملائه، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

معاني القرآن: للزجّاج (٣١١هـ) تح: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

المعاني الكبير في أبياتِ المعاني: لابن قتيبة (٢٧٦هـ) تصحيح المستشرق سالم الكرنكوى، دار النّهضة الحديثة، بيروت، د.ط، د.ت.

معاهدُ التّنصيص على شواهدِ التّلخيص: لعبد الرّحيم العبّاسيّ (٩٦٣هـ) تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٩٤٧م.

معجمُ الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفةِ الأديب): لياقوت الحمَويّ (٦٢٦هـ) تح: الدكتور إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

معجمُ البلدان: لياقوت الحمَويّ (٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٧٧م.

معجمُ الشّعراء: للمرزُبانيّ (٣٨٤هـ) تح: الدكتور فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

معجم شعراءِ الحماسة: الدكتور عبد الله بن عبد الرّحيم عسيلان، دار المريخ، الرّياض، د.ط، ١٩٨٢م.

المفضليّات: للضبّيّ (١٧٨هـ) تح: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٨، د.ت.

المقاصدُ النّحويّة في شرحِ شواهدِ شروحِ الألفيّة: للعينيّ (٨٥٥هـ) تح: الدكتور عليّ محمّد فاخر، وزميليه، دار السّلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

مقاييسُ اللّغة: لابن فارس (٣٩٥هـ) تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م.

المقصور والممدود: للقاليّ (٣٥٦هـ) تح: الدكتور أحمد عبد المجيد هريديّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

منتهى الطّلب من أشعارِ العرب: لابن ميمون (بعد ٥٨٩هـ) تح: الدكتور محمّد نبيل طريفيّ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

المنقوصُ والممدود: للفرّاء (٢٠٧هـ) تح: عبد العزيز الميمنيّ الرّاجكوتيّ، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.

الموشّحُ في مآخذِ العلماء على الشّعراء: للمرزُبانيّ (٣٨٤هـ) تح: محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

النّبات: للدِّينَوريّ (٢٨٢هـ) ج٣، والنّصف الأوّل من ج٥ تح: برنهارد لفين، دار النّشر فرانز شتاينر، فيسبادن، د.ط، ١٩٧٤م. وقطعة من ج٥ (من حرف الألف إلى حرف الزّاي) تح: ب. لوين، مطبعة بريل، ليدن، د.ط، ١٩٥٢م. و(من حرف السّين إلى حرفِ الياء) جمع: محمّد حميد الله، المعهد العلميّ الفرنسيّ للآثار الشّرقيّة، القاهرة، د.ط، د.ت.

النّوادر في اللّغة: لأبي زيدٍ الأنصاريّ (٢١٥هـ) تح: الدكتور محمّد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨١م. وطبعة دار الكتاب العربيّ (غير المحقّقة)، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

نوادرُ المخطوطات: تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

الوافي بالوفيات: للصّفديّ (٧٦٤هـ) تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

الورقة: لابنِ الجرّاح (٢٩٦هـ) تحقيق، وتتمّة: الدكتور عبّاس هاني الجرّاخ، دار ملامح، الشّارقة، ط١، ٢٠٢٢م.

ياقوتةُ الصّراط في تفسيرِ غريبِ القرآن: لغلام ثعلب (٣٤٥هـ) تح: الدكتور محمّد بن يعقوب التّركستانيّ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، ط١، ٢٠٠٢م.

المُستدركُ على صنّاعِ الدواوينِ

الأستاذ الدكتور المتمرس عبداللطيف الطائي

كلية الكوت الأهلية

الملخص:

بذلَ الرعيلُ الأولِ من الرواةِ العلماء والنقادُ جهودًا كبيرةً ومضنيةً من أجل تدوين تراث العرب الشعري وتوثيقهُ، وتنقيتهُ مما علقَ به من الشوائب والأدران، ومن أجل تلك المهمة القومية، خرجُوا إلى البوادي لأخذ الشعر من أفواه الأعراب، وأبناء القبائل، ومن أبناء الشعراء وأحفادهم، ومن بعد ذلك قاموا بصناعة المجاميع الشعرية ودواوين للشعراء، ودواوين للقبائل، فصنعوا دواوين لمعظم الشعراء، ولكن فات بعضهم قصائد وأبيات للشعراء لم يقفوا عليها، وقد جمعتها في هذا المستدرك شعرًا لعدد من الشعراء، فبلغ مجموع الاستدراك ((١٣١)) مائة وواحد وثلاثين بيتاً .

Al-Mustadrak on The Makers of Poetry

The Experienced Prof. Dr. Abdul Latif Al-Taie

Al Kut Private College

Abstract

The first generation of narrators, scholars and critics made great and strenuous efforts to record and document the Arabic poetic heritage, and purify it from the blemishes and impurities that were stuck to it, and for the sake of that national mission, they went out to the desert to take poetry from the mouths of the Bedouins, the tribes' sons and the sons and grandchildren of poets. And after that, they made collections for poetry, poets and tribes. So they made collections for most poets, but some of them missed poems and verses for poets that they did not find, and the researcher collected them in this Mustadrak of poetry for a number of poets, so the total summation amounted to ((131)) one hundred and thirty-one beta .

المقدمة:

بذلَ الرعيلُ الأول من الرواةِ العلماء والنقادُ جهودًا كبيرةً ومضنيةً من أجلِ تدوينِ تراث العرب الشعري وتوثيقهُ، وتنقيتهُ مما علقَ بهِ من الشوائب والأدران، ومن أجل تلك المهمة القومية، خرجوا إلى البوادي لأخذ الشعرَ من أفواه الأعراب، وأبناء القبائل، ومن أبناء الشعراء وأحفادهم، ومن بعد ذلك قاموا بصناعة المجاميع الشعرية ودواوين للشعراء، ودواوين للقبائل، فصنعوا دواوين لمعظم الشعراء، ولكنَّ المؤسف له حقًا، أنَّ عددًا كبيرًا من تلك الدواوين قد طوته يدُ النسيان، أو طالته آفة الضياع، والإعدام حرقًا وغرقًا، وذلك عندما تعرض الكتاب العربي للإعدام عدة مرات، إبان دخول المغول بغداد، وسقوط الدولة العباسية، وسقوط الدولة الفاطمية بمصر، وكذلك سقوط الدولة العربية في الأندلس، وقيام قائد الحملة الصليبية في الأندلس، بحرق الكتب العربية في ساحة الحمراء بغرناطة، وبلا شك كانت دواوين الشعراء من بين تلك الكتب التي أحرقها الصليبيون، أما الكتب التي رماها المغول في نهر دجلة وأغرقوها، فلا يُحصي عددها إلا الله ، ومع ذلك فقد نجا منها ما نجا من تلك الكتب والدواوين من تلك المجازر الكبيرة، فقام العلماءُ وأساتذةُ الجامعات في العصر الحديث بنفض الغبار عن تلك الدواوين، فمسحوا التراب عنها والغبار، وقاموا بتحقيقها تحقيقًا علميًا، وجعلوها في متناول أيدي القراء والباحثين، ومنْ لم يجدوا لهُ ديوانًا، صنعوا له ديوانًا، وذلك من خلال جمع أشتات شعره المتناثرة في بطون الكتب والمظان، فكان عملاً جليلاً يستحق الإعجاب والتقدير والاحترام، ومن خلال دراستي، ومتابعتي للأدب العربي القديم، المتمثل بالأدب الجاهلي والإسلامي والأموي، وقفتُ على شعرٍ لم يقفْ عليه الزملاء جامعو الدواوين، وقد أخلتْ به تلك الدواوين المجموعة، فعملتُ منه مستدركًا صغيرًا لدواوين خمسة شعراء، حُققَتْ دواوينهم أو جُمعتْ أشعارهم وهم على التوالي :

١- الشاعر قَيس بن زهير العبسي

٢- الشاعر الطُفيل الغنوي

٣- أبو محجن الثقفي

٤- الشاعر عُبيد بن أيوب العنبري

٥- الشاعر أبو جِلدة اليشكري

عملي في هذا المُستدرك يتمثلُ في إعطاءِ تعريفٍ موجزٍ عن كلِّ شاعر، مع الإشارة الى الديوان شعره وعدد طبعاته والمُستدركات عليه إنْ وجدتْ، مع الإشارة الى مصدر تخريج الشعر، وقد جعلته بعد الشعر مباشرة ليكون قريبًا من القارئ الكريم، فيما كانت المصادر والمراجع في

نهايـة المُسـتدرك، وقـد اسـتدركتُ علـى خمسـة شـعراء : شـاعرين جـاهليين، وشـاعر مخضـرم وشاعرين امويين، وفي الختام لا أقول أنّي وقفتُ على كل شعر الشعراء واستدركتُ ، ذلك لأنَّهُ أمرٌ مستحيلٌ على بني البشر، ولكنّي أقول: إني اجتهدتُ ولكلِّ مجتهدٍ نصيبٍ؛ والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين وسلم .

١- الشاعر قيس بن زهير العبسي

هو الشاعر قيسُ بن زُهيرٍ بن جُذيمة بن رَواحة العبسي، شاعرٌ جاهليٌ يكنى أبا هند[١] فارسٌ شجاعٌ تزعمَ قبيلة عبسٍ بعد مقتل أبيه، وهو أحد طرفي النزاع مع حذيفة بن بدر رئيس قبيلة ذبيان حول الرهان في سباق الخيل، وما ترتب عليه من اندلاع حرب داحس والغبراء، وكان رئيس قومه فيها[٢].

صنع الدكتور عادل البياتي له ديوان شعرٍ في سنة ١٩٧٢م، وبعد قراءة الديوان المصنوع وجدته قد أخلَّ بقصيدتين ونتفة وأربعة أبيات مفردة بمجموع ((٢٤)) أربعة وعشرين بيتاً، فصنعتُ منها هذا المستدرك :

(١)

قال قيس بن زهير يرثي ابنه شاس بعد أنْ أدرك ثأرهُ :

أبكـيُ لشاسٍ حينَ خُبِّرتُ أنَّـهُ ... بمـاءِ غني آخـر الليـلِ يُسلَـبُ
لقد كان مأتاهُ الرِّداءَ لحتفـهِ ... ومـا كان لـولا غُـرَّةُ اليـلِ يُسلَـبُ
قتيـلُ غنـى ليسَ شلٌ كشكلـهِ ... كـذاك لعمري الحين للمرءِ يُجلـبُ
سأبكي عليـهِ إنْ بكيتُ بعبـرةٍ ... وحقَّ لشـاسٍ عبرةٌ حيـنَ تسكـبُ
وحزنٌ عليـهِ ما حييتُ وعوْلـةٌ ... على مثلِ ضوءِ البدرِ أو هو أعجبُ
إذا سيمَ ضيماً كانَ للضيمِ مُنكرًا ... وكان لدى الهيجاءِ يُخشـى ويُرْهـبُ
وإنْ صوَّتَ الداعي الى الخير مرةً ... أجابَ لما يدعو لهُ حيـنَ يُكـربُ
ففـرّجَ عنـهُ ثُـمَّ كانَ وليَّـهُ ... فقلبي عليهِ – لو بدا القلبُ – ملهبُ

وانصرف الى قومهِ وكان لا يرى غنويًا إلا قتله .

التخريـج :

- أيام العرب في الجاهلية : ٢٣١

---

(١) المستقصي من أمثال العرب : ١/ ١٢١

(٢) عيون الأخبار : ٤ / ١١

(٢)

قال أبو علاء صاعد بن الحسن البغدادي : نقلتُ من خطِّ ثعلب لقيس بن زُهير بن جُذيمة العبسي :

قومي بهيسُ فنبّهي لي عوَّدي وإخالُ شاهدكم كمن لم يشهدِ
لولا ثلاثٌ ما جزعتُ وإنَّما جُعِلَ الحوادثُ للفتى بالمرصدِ
الناهضاتُ إلى الصياحِ عشيةً حتى ابتدرنَ تهابهنَ ضحى الغدِ
والمرعشاتُ من الخدورِ كأنَّها بقرٌ أسفَ لثاتها بالأثمدِ
والراقصاتُ كأنَّهُنّ سمائرٌ يقطعنَ بالفتيانِ عرضَ القردِ[٣]
بل شامتٌ بي إنْ هلكتُ وقائلٌ ممن يودُّ مسرتي لا تبعدِ
ومقامُ ذي حسبٍ وخطةُ ماجدٍ غدواً سأورثُ رهط بني عبدالأسودِ
أفمسلمي قومي ولستُ بنأنأٍ روعٍ إذا طرقَ الحوادثُ مسندي
لوعيدِ غربانٍ تنفشُ ريشها وغبٍّ تفرقَ في أصولِ الغرقدِ

- التخريج :

- القصيدة في كتاب الفصوص : ٢ / ٢٧٧

(٣)

قال قيس بن زُهير :

- فلا يَدْعُني قومي صريحًا لحُرَّةٍ لئن كنتُ مقتولًا ويسلمْ عامرُ

التخريج :

- البيت في تحصيل عين الذهب : ٣٩٥
- البيت في الكتاب : ١ / ٤٢٧
- البيت في النكت : ٧٢٠
- البيت في الرد على النحاة : ١٥٠
- البيت في الدرر : ٢ / ١٠
- البيت في شرح أبيات سيبويه : ٢/ ١٨٩ بلا عزو
- البيت في معاني القرآن : ١ / ٦٧ بلا عزو

---

[٣] الراقصات : النوق المسرعة المتوجهة صوب مكة المكرمة .

– البيت في ما يجوز للشاعر في الضرورة : ١٩٢ بلا عزو

(٤)

وقال قيس بن زهير :

– تركتُ النهابَ لأربابِهِ وأكرهتُ نفسي على ابن الصعقِ

–جعلتُ يدي وشاحًا لهُ وبعضُ الفــوارس لا يعتنــقُ

التخريــج :

– النتفة في ديوان عنترة بتحقيق مولوي : ٣٠

(٥)

وقال قيس بن زُهير :

- ومارستُ الرجالَ ومارسوني فمعوجٌ عليَّ ومستقيمُ

التخريــج :

– البيت في البرصان والعرجان : ٢٦٥

(٦)

وقال قيس بن زُهير :

- سوالفها كخدودِ الإماءِ صدتْ عن الذنب أنْ تلطما

التخريــج :

- البيت في البرصان والعرجان : ٢٤٥

٢–الشاعر الطُفيلُ الغنوي

هو الطُفيلُ بن كعب الغنوي، كان من أوصف الشعراء للخيل، كانَ يقال له في الجاهلية المُحبّر لحسن شعره [٤]، كما يقال له طُفيل الخيل، لأنَّـهُ كان من اوصف الناس للخيل، وهو عند ابن قتيبة في التسلسل (٨١) ومن بين شعراء الجاهلية[٥]، طُبع ديوان شعرِهِ مرتين هي كما يأتي :

- برواية السجستاني عن أبي سعيد الاصمعي، تحقيق وترجمة كرنكو في سنة ١٩٢٧م، لندن .

- بتحقيق محمد عبدالقادر أحمد، دار الكتاب الجديد، ط ١، سنة ١٩٦٨م، بيروت .

ولم يُستدركْ على شعره .

---

[٤] المؤتلف والمختلف : ٢٥٩

[٥] الشعر والشعراء : ١ / ٤٥٣

وقد جدتُ له في كتاب الوحشيات أربع قطع بمجموع ((٢٠)) عشرين بيتًا، وهي كما يأتي :

(١)

قال الطُفيلُ الغنوي :

– أ في أنْ نُدْعى إذا ما فزعتـمُ   ونُقصى إذا ما تأمنون ونحجبُ
– ويُجعلُ دوني من يودُّ لو أنَّكم   ضِـرامٌ بكفَّـيْ قابـسٍ يتلهَّـبُ
– وأصبحَ لا يدري أيقعدُ فيكـمُ   على حسك الشحناءِ أينَ يذهبُ

التخريـــج :

-القطعة في الوحشيات : ٩١

(٢)

وقـــال :

- ألمْ ترنا الحريشَ بقاعِ بـدْرٍ   تُخاطِرُنا وقدْ لجَّ الخِطــارُ
- إذا خفضُوا رفَعتُ لهم عصَاهم   كما يُخشى على الشمسِ النَّفارُ
- فإنِّي في بني كعْبٍ لصهـرٌ   وجارٌ بعدُ إنْ نفعَ الجِـوارُ
- لعلَّكـمُ علي حُبِّي كلابــاً   بذلتِ ضغينةٍ فيها وَجــارُ
- وكم من نعمةٍ لبني كِـلابٍ   لها أرَجٌ كما فُضَّ العِطــارُ
- وخيرٌ كانَ عندَ بني كِلابٍ   أُعارُوهُ وردُّوا ما استعـاروا

التخريـــج :

- الوحشيات : ٩٥

(٣)

وقـــال :

- لا تأمنونا إنَّنا رهطُ جُنـدُبٍ   وصاحِبُ همَّامٍ بذاتِ الأسارِعِ
- سَرَى يبتغيهِ تحتَ ليلٍ كأنَّـهُ   مَثالةُ سبْعٍ أو شُجاعُ الأجارِعِ
- ومنْ دُونِ أحراسٍ وقدْ نذروا بهِ   فما خامَ حتَّى حَسَّهُ بالأصابِعِ
- فَألقى عليه السيفَ حتى أجابـهُ   بفوَّارةٍ تأتــي بماءِ الأخــادِعِ

التخريـج :

- الوحشيات : ١١٨ – ١١٩

(٤)

وقـال :

- رأيتُ الحيَّ زهرةَ حيَّ صدقِ　　لمكروهِ العدِّوِ مُجانبينا
- ولا يرمـون شانئهم بسهـمِ　　ولا يردون إلا آخرينـا
- ولا يخشى المُغارَ محاربوهم　　وليسوا للمُغارِ بآمينينـا
- تجاوزتُ الشوامخَ من قُريشٍ　　أناسٌ يطلبُونَ ويَطلُبُونا
- ذوِي شرْجينِ من خيرِ وشرٍّ　　يضرُّون العَدَوَّ وينفعونا
- كذاك النّاسُ مُختلفون شتَّى　　سُعاةٌ يأخذُونَ ويمنعُونـا
- فأصبحتُ الغّداةَ حليفَ قوْمٍ　　أُجاوِرُ منهم غلّظاً ولينا

التخريــج :

- الوحشيات : ٩٥

٣- أبو محجن الثقفي :

أبو مُحجن رجل شاعر شريف، وكان قد غلب عليه الشراب، فضُربَ مرارًا، فحبسه سعد بالقادسية في القصر معه،[٦] وُلِدَ في الجاهلية وأسلم سنة ٩هـ، أما اسمه فهو أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة [٧] أما وصيته فكانت [٨] :

إذا مُتُ فادفني الى جنبِ كرمةٍ　　تروي عظامي بعدَ موتي عرُوقها
ولا تدفنـي في الفــلاةِ فأنَّنــي　　أخافُ أذا ما مُتُ أنْ لا أذوقهـا

توفي ابو محجن الثقفي في اذربيجان سنة ٣٠ هـ [٩] .

شعر أبي محجن طبع ثلاث طبعات هي كما يأتي :

- طُبِع بعناية الكونت لنبرغ (عمر السويدي) بشرح أبي هلال العسكري في مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٨٨٧م – ١٣٠٣هـ .
- طُبِع ثانيةً بعناية آبل في مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٨٨٧م – ١٣٠٣هـ.

---

[٦] ديوانه : ٣٠ – ٣٤

[٧] جمهرة أنساب العرب : ٢٦٨

[٨] طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٦٨

[٩] ديوانه : ٦

- طُبِع مشروحاً بتحقيق امتياز علي عرشي ونشره في مجلة ثقافة الهند في المجلد ٣ العدد ٢ من سنة ١٩٥٢م .
- ولم يستدرك عليه أحد
- استدركتُ عليه اثني عشر بيتاً هي :

(١)

قال أبو محجن الثقفي :

ألَمْ ترَ أنَّ الدهـرَ يعثرُ بالفتـــى	ولا يملكُ الإنسانُ صرفَ المقاديرِ
صبرتُ ولم أجزعْ وقد مات أخوتي	ولست عن الصهباءِ يومًا بصابرِ
رماها أميــر المؤمنـين بحتفهــا	فشُرَّابُها يبكونَ حــولَ المعاصــرِ

التخريــج :

- الوحشيات : ١٩٢

(٢)

في ديوان ابي محجن قصيدة قالها في يوم الجسر[١٠] جاءتْ في أحد عشر بيتًا أخلت رواية بثلاثة أبياتٍ، فجعلتها في أماكنها بحسب فهمي للقصيدة مع إعادة تدوين القصيدة الجديدة كاملة لكي لا يختل المعني وهي كما يأتي :

١-تطــاول ليلــي واعترنــي بلابــلُ	فدمعٌ مسِحٌ مسبلُ الودقِ هاطـلُ
٢-أنـى تسـدتْ نحـــونا أُمِ يوســف	ومن دونِ مسراها فيافٍ مجاهِلُ [١١]
٣-إلى فتية في الطفِّ نيــلَ سُراتهـم	وغودِرَ أفراسٌ لهــم ورواحــلُ [١٢]
٤-وأضحى أبو جبْرٍ خــلاءً بيوتُـــهُ	بما كان يغفوها الضِّعافُ الأرامِلُ
٥-وأضحى بنو عمرٍو لدى الجسرِ منهم	الى جامدِ الأبياتِ جـودٌ ونائـلُ
٦-وقمتُ على الجسر الذي كان رحمة	وسأهدني القمقــام والحي وائــلُ
٧-وما لُمتُ نفسي فيهـــمُ غيرَ أنَّهـا	إلى أجلٍ لم يأتِها وهــو عاجــلُ

---

(١٠) طبقات فحول الشعراء : ١ /٢٦٨

(١١) أُم يوسف : هي أخت الحجاج بن يوسف الثقفي، كان أبو محجن يتشبب بها، تسدت نحونا : جاوزت إلينا، مسراها : السّري هو السير في الليل،

(١٢) الطفّ : ما دنا من الريف، سراة القوم خيارهم، وأراد بذلك أصحاب أبي عبيد قائد معركة الجسر ونيلت سراتهم يعني أنَّهم قتلوا .

٨–وما رمتُ حتى خرقوا برماحهــم أهابي وجادت بالدماء الأباجلُ[١٣]
٩–وحتــى رأيـتُ مُهرتــي مُـــزورَةً لدى الفيلِ يَدمي نحرها والشواكِلُ
١٠–وما رُحتُ حتى كنتُ آخـرَ رائحٍ وصرعَ حولي الصالحون الأماثِلُ
١١– مررتُ على الأنصارِ وسط رحالهم فقلتُ لهم هل فيكم اليـوم قافِل[١٤]
١٢– وقربتُ روّاحًـــا وكُـوْرًا ونُمْرِقًـا وغُودِرَ في الَّيْسَ بكـرٌ ووائـلُ [١٥]
١٣– وقد تركوني في مكـرٍّ جيادهـم كنشوان عادٍ مزلـــجٍ شامـــلُ
١٤– ألا لعــنَ اللهُ الذيـــنَ يسرُّهـم رداي وما يدرون ما اللهُ فاعِـلُ [١٦]

مناسبة النص :

- قالها أبو محجن في معركة الجسر مع الفرس .

التخريــج :

- الأبيات المستدركة هي : ١، ٦، ١٣، وهي في السير وسير الملوك : ٢٩٨/٢
- الأبيات : ١، ٣، ١٠، ٦، ٨، ١٣، ١١ في السير وسير الملوك : ٢/ ٢٩٨

اختلاف الرواية :

– البيت الثامن : فما بدلا من وما
– البيت الحادي عشر : والقومُ جُثَّمٌ بدلا من وسط رحالهم

(٣)

وقال أبو محجن :

نعاهدُ أطرافَ القنا فَنَفِي لها إذا لمْ تُضَرجْ مِن دمٍ أنْ تُحَطَّما
حرامٌ علينا أنْ نَشيمَ سيوفَنا ولمْ تروَ من أعناقِ أعدائنا دما

التخريــج :

- حماسة شعر المحدثين : ٢٧

٤– الشاعر عُبيد بن أيوب العنبري

هو أبو المُطراب، وقيل أبو المطـراد عُبيد بن أيوب العنبـري من الشعراء اللصوص في

---

[١٣] ما رمتُ : ما برحتُ، الأباجل مفردها أبجل وهو عرقٌ في باطن الذراع .
[١٤] القافل : العائد من الغزو.
[١٥] رواحاً : أراد بعيره، الكور : الرحل، النمرقة : الطنفسة تكون تحت الرحل، أليس : موضع قريب من النُخيلة بالكوفة حيث حدثت المعركة .
[١٦] رداي : هلاكي، واللعن هو الإبعاد عن الخير .

العصر الأموي[١٧] جُمع شعره دكتور نوري حمودي القيسي، ونشره مرتين، هي كما يأتي :

١) نشرهُ في مجلة المورد ببغداد في المجلد ٢ في العدد ٢ لسنة ١٩٧٤م – ١٣٩٤هـ .

٢) أعادَ نشرهُ في كتاب شعراء أمويون القسم الأول في سنة ١٩٧٦م .

استدرك الدكتور نوري القيسي على نفسه في المستدرك على صُنّاع الدواوين : ٢٩١/١، والحقيقة أنّ الدكتور نوري القيسي توهم وقال عبيد بن أيوب وهو يريد عبيدُالله بن الحر الجعفي، لأنَّ المستدرك المذكور هو لعبيدالله بن الحرّ الجعفي؛ وليس لعبيد بن أيوب، لذا اقتضى التنبيه على ذلك، وتابعه على الوهم الدكتور سامي مكي العاني .

استدرك على شعره الدكتور حاتم الضامن ونشره في مجلة العرب السعودية الجزأين ١١– ١٢ لسنة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

جمع شعره وحققه عبدالمعين الملُوحي، ونشرهُ في كتابٍ حمل عنوان (أشعارُ اللصوص وأخبارهم)، دار الحضارة الجديدة، ط ٢، ١٩٩٣م، بيروت .

استدركتُ على شعر عُبيد بن أيوب العنبري ((٦٢)) اثنين وستين بيتاً بواقع قصيدتين الأولى ((١٢)) اثني عشر بيتًا، والثانية ((٤٠)) أربعين بيتًا، وقطعة قوامها((٤)) أربعة أبيات، ونتفتين اثنتين بواقع بيتين لكل نتفة، وبيت واحد أخلت به أحدى القصائد، وبيت مفرد يتيم والاستدراك هو كما يأتي :

(١)

قال عُبيد بن أيوب يشكو لسُليمان بن سعيد في زبرٍ :

١– أيا ابن سعيدٍ زبرٍ بادَ لحمي   وقد أودى حِذارُك بالفُؤادِ

٢– ومُتُّ هريئةً وهلكتُ جوعًا   وحرَّقَ معدتي شوكُ القتادِ

٣– وحبّـَةُ حنظلٍ ولُبابِ قُطبٍ   وتُّومٌ تنطقُ بطنَ وادي

٤– كأنَّ حراقفي جُلَبٌ تدامى   وصرتُ كآلِ نوْب ةَ في السَّوادِ

٥– فأمسى الذّيبُ يرقُبني مِخشًا   لخفَّةِ ضربتي وضعيفُ آدي

٦– وغولًا قفرةٍ ذكرٌ وأنثى   كأنَّ عليهما قطع البجادِ

٧– وضبعٌ أمُّ أربعةٍ ونمترٌ   طويلُ البَاعِ ذو نابٍ حدادِ

---

[١٧] أشعار اللصوص وأخبارهم : ١ / ٢٠٤ – ٢٢٥

٨- أتتركهنَّ يا ابن سـعيدٍ زُبـرٍ ولحمي ليسَ ذاكَ من السـدادِ

٩- ولمْ أظلمْ ولمْ أقطعْ طريقــًا وتسمعُ بي أقاويــلَ الأعـادي

١٠- فوْ كنتُ الأميرَ وكنتَ مثلي طر يدًا ما طردتُكَ في البـلادِ

١١- أجرْني لا يزلْ لكَ من ثناءٍ ثناءً مثــلُ سابقـةِ العِهـــادِ

١٢- فما ليثٌ بأجري منك عادٍ ولا أسدٌ من الأجماتِ غـادي

التخريــج :

- القصيدة في كتاب الفصوص : ٢ / ٨٨ – ٨٩
- لم يقف عليها جامعو شعره ولا المستدركون

(٢)

وقال عُبيـد :

١- لا خوفَ حتى لا تزالُ لغبطـةٍ تراها إذا مـا كنتَ في لحْـدٍ لاحـدِ

٢- وحتى يكونُ الذّيبُ آنسَ جانبًا من الصّاحبِ المَرْهُوبِ عندَ الشدائدِ

التخريـج :

- النتفة في كتاب الفصوص : ٨٩
- لم يقف عليها جامعو شعره ولا المستدركون .

(٣)

وقال عُبيـد :

١- لعمرُكَ إنّــي والظليـمُ بقفــرةٍ لَمُشتبها الأهـواءِ مُختلفا النجـرِ

٢- خليلا صفاءٍ بعـدَ طُولِ عـداوةٍ ألا يـا لتقليبِ القلوبِ وللدَّهــرِ

٣- لعمري لشخص الذيبِ والذيبُ جاهدٌ عليَّ وشخصُ الغُول في البلدِ القفرِ

٤- أحَبُّ الى قلبي من الأنسِ طلعــةً ولو حدثوني بالغنيمــةِ والأجـرِ

التخريــج :

- القطعة في كتاب الفصوص : ٢ / ٨٩
- لم يقف عليها جامعو الديوان ولا المستدركون

(٤)

قال أبو العلاء صاعدُ بن الحسن الربعي البغدادي قرأتُ على أبي سعيد (رحمه الله) لعُبيد بن أيوب العنبري من البحر الوافر :

١- جرى ظبْيٌ بِبَينِ الحيّ فرْداً	وفاتخةٌ ....خطُوفُ [١٨]
٢- وقلتُ لصاحبي والقلبُ يهفُو	أتزجرُ ذي السَّوانحِ أمْ تعيفُ
٣- فقالَ نعمْ جرّيْنَ بِبَينِ سَلمى	وبعضُ البينِ مُنْتَعِفٌ شَطُوفُ
٤- كأنَّ دموعَ عيني يومَ بانـوا	جُمانٌ خانهُ رَسَـنٌ ضَعيـفُ
٥- كأنَّ حمولَهم يومَ استقلـوا	وعامَ السَّرْحُ وانْشَمَرَ القطُوفُ
٦- ذُرى عِنَبٍ سقتهُ العينُ حتّى	لهُ فـي كلِّ هاجـرةٍ رفيـفُ
٧- فقلتُ لخادمي عَجِّلْ بِعَطوَى	فقامَ أخـو مُشايحةٍ خفيـفُ
٨- فجاءَ بها مُقعقعَةٌ وتعْدُو	كأنَّ شِراعَهـا جذعٌ مُنيـفُ
٩- تخِبُ إذا علوتَ بها جَزيزًا	وفي وَعْثِ البلادِ لها زَفيـفُ
١٠-كصيْخَدَةِ البطاحِ أباثَ عنها	وأبرزها أخـو زنـدٍ جَروفُ
١١- إذا رعَتِ الزَّمامَ تعجرفت بي	كما تفْري مُباذيـةٌ حلـوفُ
١٢- فلمَّا أنْ بدتْ أظعانُ سلمى	ودُونَ كلامهم حَنِقٌ أُنـُوفُ
١٣- وَجدتُ هشاشةً ووجدتُ خوفًا	وَوَقَّرني يمانيـةٌ هتُـوفُ
١٤- وأبناءٌ لها زرقٌ خِفـافٌ	تمُورُ من المقاتِلِ تجُوفُ
١٥- وأبيضُ يخطفُ الأبدانَ خطفًا	وقلبٌ لا أغمُّ ولا رجُـوفُ
١٦- ونِعْمَ فتى الطعانِ إذا تثنى	جبانٌ بالرّوادفِ أوْ عطُوفُ
١٧- وحينَ تدبُّ غاديةٌ لأخرى	لو تختلطُ المنيّةُ واللفيفُ
١٨- فلمّا أنْ لحقتْ تعرضتْ لي	لا مَسَاعرةٌ كأنَّهمُ السيُوفُ
١٩- فقالوا : ما دهاكَ؟ فقلتُ قومٌ	همُ الأعداءُ مثلهم يخيفُ
٢٠- أطالوا ذكركُم فركضتُ جهدي	وحمَّلني على الركضِ العريفُ
٢١- فقالوا لا ترمنا وأدنُ منا	فأنتَ لنا الطليعةُ والخلوفُ
٢٢- فباتوا جامعين برأسِ قوْزٍ	على وجلٍ كأنَّهم كَنِيـفُ

[١٨] هكذا ورد البيت في كتاب الفصوص

٢٣-فباتتْ وهيَ تضربُنا بطَلٍّ   وريحٍ ما تبوخُ لها عَصِيفُ
٢٤-فلا شخصٌ يحولُ لعيْنِ سارٍ   ولا أثرٌ يبينُ لمنْ يقُـوفُ
٢٥-فغامَستُ الهوى وقضيتُ ديني   كأنّي أيْمُ أثأبةٍ لطيــفُ
٢٦-إذا لَقِيَ الغصُونَ انسلَّ منها   فلا بشعٌ ولا جافٍ رجُوفُ
٢٧-فلمَّا أنْ دُفِعتُ الى ضِناكٍ   وقدْ هجعتْ وقد مالَ النصيفُ
٢٨-قرعتُ سوارَها فتبغمتْ لي   بصوتٍ لا أغنُّ ولا وجوفُ
٢٩-تبغُّمَ ريمةٍ تدعو غزالاً   بحيثُ تدافعَ العَقِدُ الحُقُوفُ
٣٠-فقالت والكرى في مُقلتيها   يجُولُ لقدْ تصفَّتكَ الحُتوفُ
٣١-فلا تَهْلكْ ولا نهْلكْ وشَمِّرْ   ولا تأْسف فللدُّنيا صرُوفُ
٣٢-فقلتُ لها أما تجزَينَ صبًّا   بهِ منْ حُبِّكم مرضٌ عنيفُ
٣٣-فقالتْ وهيَ كاذِبةٌ غَرُورٌ   ولكنْ ليسَ لي قلبٌ عزُوفُ
٣٤- عسى في عودةٍ إنْ عُدتَ تلقى   مُناكَ وربَّما يروي الصَّدُوفُ
٣٥-فقمتُ الى عُذافِرةٍ فأضحتْ   بطامسةٍ لجنتهـا عَـزُوفُ
٣٦-ترُوعُ ظِباءَها فتصُدُّ عنَّا   وكُلَّ أصَكَ مِشيتُهُ الدَّليفُ
٣٧-يَريعُ ويرتعي ما لمْ يُفَزَّعْ   وإنْ يذْعَرْ فإجْفيلٌ خَفيفُ
٣٨-كأنَّ عليهِ أعْدالًا وجُـلًا   وأهداماً تلوحُ لهـا هَفِيفُ
٣٩-فما كُدريةٌ صدرتْ بِشربٍ   تُبادرُ ذا حُويْصَلَةٍ يهيفُ
٤٠- بأسرعَ من قلوصي يومَ أرمي   بها يهماءَ ليسَ بها رَشِيفُ

التخريــج :

- كتاب الفصوص : ١ / ٤٢٧ – ٤٢٨
- لم يقف عليها جامعو الديوان ولا المستدركون

(٥)

للشاعر عُبيد بن أيوب العنبري في أشعار اللصوص وأخبارهم الجزء الأول الصفحة : ٢٢٨ – ٢٢٩، كما ذكرها الدكتور القيسي في القسم الأول الصفحة : ٢٢٢ – ٢٢٣، قوامها عشرة أبيات والبيتين التاسع والعاشر منها هما :

وأَلُّ عجزِ القومِ عمَّا ينوبهُم   تدافعهم عند طولُ التواكِلِ

وأوَّلُ خُبثِ الماءِ خُبْثِ تُرابهِ   وأوَّلُ لُؤمِ القومِ لومِ الحلائِلِ

وعند قراءتي لكتاب سُفط المُلحِ وزوحُ الترحِ لسعدالله بن نصر بن سعيد الدَّجاجي وجدته يستشهد بالبيت الآتي وقد عزاه الى الشاعر عبيد بن أيوب العنبري والبيت هو :

وأوَّلُ خبثِ المالِ خبثِ ترابهُ   وأوَّلُ لوْمِ المرءِ لومِ الحوائِلِ

والشاهد أخلتْ به رواية القصيدة السابقة، فاستدركته عليها وجعلته البيت الحادي عشر منها، وحسب سياق المعاني .

والبيت لم يقف عليه جامعا شعره ولا المستدركون عليه .

التخريـــج :

- البيت في سُفط الملح وزَوْح التُرح : ٢٣
- لم يقف عليه جامعو الديوان ولا المستدركون

(٦)

وقال عُبيد بن أيوب :

١- كأنَّ ذؤاباتِ الرّجالِ إذا غدَوْا   عليهنَّ إيماءٌ بلا وتعـالا

التخريـــج :

- البيت في كتاب الفصوص : ٢ / ٣٠٧
- لم يقف عليه جامعو الديوان ولا المستدركون

(٧)

وقال عُبيـد :

ظلمتُ الناسَ فاعترفوا بظلمي   فتبتُ فأزمعوا أنْ يظلموني

فلستُ بصابـــرٍ إلا قليـــلًا   فإنْ لمْ ينتهوا راجعتُ ديني

التخريـــج :

- النتفة في كتاب الفصوص : ٢ / ٩٠
- لم يقف عليها جامعو الديوان ولا المستدركون

٥- أبو جلدة اليشكري :

أبو جلدة اسمهُ كنيتُهُ ؛ وهو أبو جلدة بن عُبيد بن عبيدالله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل [١٩] وهو ممن سكن الكوفة، عاش في العصر الأموي ومات فيه، ومن المرجح أنَّهُ قُتِلَ في سنة ٨٥ هـ، وذلك بعد فشل ثورة ابن الأشعث، وهربه مع ابن الاشعث الى سجستان، فقد ذكر المؤرخون أنَّ رتبيل قتل ابن الاشعث وبعث برأسه الى الحجاج ولربما كان أبو جلدة معه وهذا ما أرجحه [٢٠] .

جمع شعره الدكتور نوري حمودي القيسي ونشره مرتين:

- نشره في مجلة المورد العراقية في المجلد ١٣ في العددين ٣ و ٥ لسنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤م .
- أعاد نشره ضمن كتابه شعراء أمويون في القسم الرابع لسنة ١٩٨٥م .
- لم يستدرك عليه أحد وقد استدركت عليه ((١٣)) ثلاثة عشر بيتًا .

القصيدة الحائية المضمومة تتكون من أحد عشر بيتًا ذكر الأبيات الستة الأولى منها ابن الشجري[٢١]، فيما ذكر أبو الفرج الأصفهاني الأبيات الخمسة الأخرى [٢٢]، وذكر عبد الكريم النهشلي اثنا عشر بيتًا من القصيدة [٢٣]، وعندما قرأتُ كتاب اختيارٌ من كتاب الممتع، وجدت العالم الراوية عبدالكريم النهشلي ذكر بيتين ذكرهما ابن الشجري، فيما ذكر الأصفهاني البيت الثالث، فيما رويا من القصيدة أما الأبيات التسعة الأخرى فلم يقفا عليها، وكذلك لم يقف عليها د.نوري القيسي، لذلك أعدت ترتيب القصيدة وبحسب اجتهادي الذي تبينته بعد قراءة معمقة للقصيدة وسأعيدُ ترتيب أبيات القصيدة كاملة بعد دمج الروايات الثلاث في بودقة شعرية واحدة، وفقاً لاجتهادي، وبذلك يكون طول القصيدة الجديد هو واحدٍ وعشرين بيتاً، والقصيدة الجديدة هي كما يأتي :

(١)

١- ألا حي من حان القنا دون أهله	وكيف يحيي شاحط الدار نازحُ
٢- جرى طائر بالبين وانشقت العصا	وصاح ببين من خليلك صائحُ
٣- لعمري لأهل الشام أطعن بالقنا	وأحمى لما يخشى عليه الفضائحُ

---

[١٩] الأغانـي : ١١ / ٢٩١

[٢٠] ينظر تاريخ الطبري : ٣٨٩/٦، الكامل في التاريخ : ٩٥/٤، تاريخ اليعقوبي : ٢/ ١٩٥

[٢١] الحماسة الشجرية : ١ / ٢٤٢

[٢٢] الأغانـي : ١١/ ٢٦٢

[٢٣] اختيار من كتاب الممتع : ٢٠٧ – ٢٠٨

٤ –هم المقدمون الخيل تدمى نحورها   إذا ابيض من هول اللقاء المسالحُ
٥ – فررنا عجالا عن بنينا وأهلينا   وأزواجنا إذ عارضتنا الصفائحُ
٦ – فررنا وخلينا البلاد التي بها   تقــوم إذا متنا علينــا النوائــحُ
٧ – جبُنا وما من موردِ الموتِ مهربُ   ألا قبحت تلك النفوس الشحائحُ
٨ – جزعنا فلا ماتتْ نفوسٌ نحبُها   وقد نزعتْ منا النفوسَ الشحائحُ
٩ – هزمنا فمنا راجعٌ بعد هجرةٍ   إلى فتيةٍ والدين بالناس واضــحُ
١٠ – تركنا لهم صحنَ العراقِ وناقلتْ   نبأ الأعوجياتُ الطوال الشرامحُ
١١ – ومنا مقيمٌ بالقرى متربصٌ   وآخر قد ضاقتْ عليهِ المنــادحُ
١٢ – وما كانَ إلا أنْ لقينا فهاربٌ   مع الريحِ أو ساعٍ وآخرَ سابــحُ
١٣ – بخلنا بأرواحِ النفوسِ وليتما   أتاحَ لها ريبُ المنــونِ المتائــحُ
١٤ – وكنا نُرجي الخيرَ عندَ سراتنا   فما منهم عندَ الملمــةِ صالــحُ
١٥ – نفينا عتاةَ الشامِ عن عُقرِ دارِنا   فلا خيرنا مضرٌ ولا البيعُ رابحُ
١٦ – فقلْ للحوارياتِ يبكينَ غيرنا   ولا تبكِنا إلا الكــلابُ النوابــحُ
١٧ – بكينَ إلينا خشيةَ أنْ تبيحــها   رماحَ النصارى والسيوفُ الجوانحُ
١٨ – بكينَ لكيما يمنعوهنَ منهمُ   وتأبى قلوبُ أضمرتْها الجوانــحُ
١٩ – ونادينا أينَ الفرارَ وكنتم   تغارونِ أنْ تبدو البُرى والوشائحُ
٢٠ – أ أسلمتمونا للعدو على القنا   إذا انتزعتْ منها القرونُ النواطحُ
٢١ – فما غارَ منكم غائرٌ لحليلةٍ   ولا عزبٌ عزتْ عليهِ المناكحُ

التخريــج :

- الأبيات ١–٣، ٦، ٨، ٩، ١١، ٧، ١٢–١٤، ١٦ في اختيار من كتاب الممتع : ٢٠٧ – ٢٠٨
- الأبيات من ٣ – ٧، ١٦ في الحماسة الشجرية : ١ / ٢٤٢
- الأبيات من ١٦ – ٢١ في الأغاني : ١١ / ٢٦٢
- الأبيات ٣، ١٠، ١٦ في الوحشيات : ٢٩
- الأبيات ٣، ١٠، ١٦، ١٧ في الفتوح لأبن أعثم الكوفي : ٧/١٤٣–١٤٤، معزوة إلى بكير بن هارون، وهذا وهم من المؤرخ .
- البيتان ١٦–١٧ في اللسان مادة : حور

- اختلاف الرواية :

٥ .... الصفائح ، في فتوح ابن أعثم .

١٠- ...... بنا الأعوجيات الطوال الشرامح، في فتوح ابن أعثم .

١٥ - ......عقر أرضنا فلا خسرنا .... في فتوح ابن أعثم .

١٦- فقل للغواني أن تبكين .... في فتوح ابن أعثم .

(٢)

خطب أبو جلدة اليشكري امرأةً من بني عِجلٍ بالبصرة تدعى حُلَيَّة بنت الحسن فرفضته بسبب عدم امتلاكه المال اللازم، فقال :

١- لما خُطبتْ إليَ حُليةَ نفسها قالتْ حُليـــةُ لا أرى لكَ مــالا

٢- أودى بمالي يا حليُ تكرمـي وتـــورعي وتحملـــي الأثقــالا

٣- إني وعيشكِ لو رأيتِ مقامنا في الصفِّ حينَ نقارعُ الأبطالا

٤- يوماً لسركَ أنْ تكوني خادمًا عندي إذا كرهَ الكماةُ نـــزِالا

التخريــج :

- القطعة في اختيار من كتاب الممتع : ٢٠٦ ٤

- لم يقف عليها جامعو الديوان

الخاتمة :

بعد ان قضينا جولة طويلة وممتعة بين المصادر والدواوين والكتب، خرجت بحصيلة جيدة من الشعر لم يقف عليها صناع الدواوين، صنعت منها خمسة مستدركات على خمسة شعراء، وبذلك يكون مجموع المستدرك للشعراء الخمسة هو : ((١٤٣)) مئة وثلاثة وأربعون بيتًا .

المصادر :

- اختيارٌ من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله – عبدالكريم النهشلي القيرواني ، تقديم وتحقيق منجي الكعبي – الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د.ت .
- أشعار اللصوص وأخبارهم – جمع وتحقيق عبدالمعين الملوحي، ط ٢، دار الحضارة الجديدة، بيروت ، ١٩٩٣م.
- الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني – مصورة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (د.ت) .
- أيام العرب في الجاهلية – تأليف محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د.ت) .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان – لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الرشيد للنشر ، العراق، ١٩٨٢م .
- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) – أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، مصر، (د.ت) .

- تاريخ اليعقوبي – لأحمد بن اسحق اليعقوبي (ت٨٩٧هـ)، مطبعة الغري، النجف ، ١٩٤٠م – ١٣٣٩هـ .
- تحصيل عين الذهب من معدن الجوهر في علم مجازات العرب – لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت٤٥٦هـ)، حققه وعلق عليه زهير عبدالمحسن سلطان، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٩٢م .
- جمهرة أشعار العرب – لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب (ت١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي، نشرته مكتبة نهضة مصر للطباعة، (د.ت) .
- جمهرة أنساب العرب – لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، ط ٨، مصر، ٢٠١٨م .
- الحماسة الشجرية – لهبة الله بن علي بن حمزة العلوي (٥٤٢هـ)، تحقيق عبدالمعين الملوحي، أسماء الحمصي، دمشق، ١٩٧٠م .
- حماسة شعر المحدثين – للخالديين، تحقيق د. خالد أحمد الملا السويدي و عارف أحمد عبدالغني، ط !، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١هـ .
- الدرر اللوامع على همع الهوامع – لأحمد بن الأمين الشنقيطي (ت١٣٣١هـ)، مطبعة كردستان، ١٣٢٧هـ .
- ديوان أبي محجن الثقفي – صنعة أبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، نشره وقدم له الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط ١ ، بيروت، ١٣٨٩هـ – ١٩٧٠م .
- الرد على النحاة – تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار الفكر العربي، ٢٠١٧ م .
- سُقط المُلح وزوحُ التُرح – لعبدالله بن نصر بن سعيد الدَّجاجي (ت٤٨٠هـ) تحقيقي الدكتور خالد أحمد الملا السويدي، دار كنان، ط ٢، دمشق ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
- السير وسير الملوك – للأصمعي عبدالملك بن قريب، تحقيق الدكتور خالد أحمد الملا السويدي، والأستاذ محمد حسين السيد حسين، دار نور حوران، مرايا للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢١م .
- شرح أبيات سيبويه – لان السيرافي يوسف بن ابي سعيد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة ، ١٩٣٧م.
- شرح القصائد العشر – ليحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي (ت٥٠٢هـ)، عنيت بتصحيحها وضبطها التعليق عليها إدارة مطبعة المنيرية، سنة ١٣٥٢هـ .
- الشعر والشعراء – لابن قتيبة ؛ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، (د.ت) .
- طبقات فحول الشعراء – لمحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ)، قراءة وشروح محمود محمد شاكر، مصر، (د.ت) .
- عيون الأخبار – لابن قتيبة، القاهرة ، ١٩٢٥ – ١٩٣٠ م .
- الكامل في التاريخ – لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، مصر، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .
- الكتاب – لسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، بولاق، ١٣١٦ – ١٣١٧هـ .
- كتاب الفتوح – للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي(ت ٣١٤هـ)، طبع بإشراف دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، ط١، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان .
- كتاب الفصوص . أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان ، ٢٠١١م .
- المستقصي من أمثال العرب – للزمخشري، حيدر آباد، الدكن، ١٩٦٢م .
- معاني القرآن – للفراء تحقيق نجاتي والنجار وشلبي، القاهرة، ١٩٥٥م
- لسان العرب – لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت) .
- نكت الهميان في نكت العميات – لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١١م .
- الوحشيات (الحماسة الصغرى) – لأبي تمام الطائي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م .

في مفهوم المرحلة الفنية
دراسة في شعر الفرزدق

الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد
جامعة بغداد – كلية التربية للعلوم الإنسانية – ابن رشد

الملخص:

يقدِّم هذا البحث مفهوماً للمرحلة الفنية مفرِّقاً بينها وبين المرحلة الزمنية؛ ليكون توزيع الشعر العربي على اساس (اتجاهات اداء) لا على مراحل سياسية أو عصور أو أزمات؛ لان الانتماء الذي دفع إلى الابداع الشعري قبل الإسلام بقي سارياً إلى مابعد الإسلام بقرن أو يزيد بحسب البيئة والذوق والشعراء أنفسهم فمفهوم الاتجاه قريب إلى الفن بعيد عن مفهوم الزمن؛ ويتخذ البحث شعر الفرزدق الذي لم يعش في الجاهلية مصداقاً لمفهوم الاتجاه؛ ولانريد هنا ان ندخل البحث في مفاهيم فلسفية كالتاريخانية والفرق بينها وبين التاريخية فالبحث أدبي نقدي بصدد نصوص فنية ومفاهيم فنية أدبية.

On The Concept of The Artistic Stage
A Study in Al- Farazdaq's Poetry

Prof. Dr. Ali Kadhim Asad
College of Education for Humanitarian Sciences -Ibn Rushd
University of Baghdad

Abstract

This research presents a concept of the artistic stage differentiating it from the temporal stage, so that the distribution of the Arabic poetry is based on the (Performance trends), not on political stages, eras or crisis, because the affiliation that led to poetic creativity before Islam remained valid until a century or more after Islam, depending on the environment, taste and the poets themselves. The concept of trend is close to art and far from the concept of time. The research takes Al-Farzadaq's poetry, who did not live in pre- Islamic

times, as evidence of the concept of trend. Here the researcher does not want to delve the research into philosophical concepts such as historicism and the difference between it and historicism since the research is literary and critical regarding artistic texts and literary artistic concepts.

المقدمة:

التعبير الفني رأي انسانيّ، يطمح الفنان في تقديمه إلى الإنسان، وليس في ذهنه إنسان محدد، بل هو رسالة إلى الإنسان في أي زمان، لا تنتمي الا للوجود الإنساني؛ لأنها خطاب خاص يتميز من التعبير اليومي المنتمي إلى تفصيلات تخصّ زمنها.

ولا ريب في أن الشاعر يصدر عن ثوابت، ذوقية وجمالية؛ ليلتقي مع سامعه، كما يتفاهم الناس بثوابت رمزية عرفية؛ فالقصيدة البدوية تنسب إلى الجاهلية، وهي نسبة زمنية ؛ أهي جاهلية زمناً أم تنتمي إلى ثوابت اداء جمالية تجعل منها جاهلية؟ أم هي خطاب لذلك الزمن فتنسب اليه؟

قد يتيسّر للباحث أن يقرّر أن ليس للزمن اثر في انتماء التعبير الفني إلى مرحلة دون مرحلة؛ إذا كان للكلام اليومي (الاعتيادي غير الفني) ارتباط بزمنه بما فيه من ثقافة وذوق وتقاليد اجتماعية؛ ذلك بأن التعبير الفني تعبير لكل متلقّ في كل زمان، فضلاً عن انّ الزمان وما يحدث فيه سبب للتعبير، وليس انتماء على حين يبدو اثر المكان أو (البيئة) واضحاً في هذا التعبير؛ لأنه يحمل شيئاً ليس بالقليل من تفصيلاتها، لغة وصياغات، وتبقى أشياء كثيرة من بيئات مختلفة وأزمان كثيرة، انطمرت في ذاكرة الفنان يصدر عنها؛ لانها مصادر ثقافته، لها الأثر في توجيه عاطفته وتكوين فكره، وقد يكتسب هذا التقرير قبولاً؛ لان التعبير قد يكون دافعه زمنٌ آخر ليس له علاقة بالزمن الذي قيل فيه، وهذا هو احد معاني حداثة النص الفني، ومعنى حدوثه وتجدده وحضوره في أي زمان، كالشعر الجاهلي أو غيره من النصوص التي تعيش معنا.

اِنَّ كثيراً من الباحثين المتقدمين لم يروا في الزمن مرجعاً للتعبير الفني اللهم الا لأغراض مدرسية يصنّفون فيها الشعر إلى مراحل لتقريب فهمه للمبتدئين؛ وبالرغم من صحة هذا الرأي فلابد من أن يقترن بالدليل وهو استكناه الأداء الشعري؛ وقد اخترت شعر الفرزدق لأتعرّف مرحلته الفنية وهو يعيش في اواخر صدر الإسلام وزمن بني أُمية، وأنا أصدر عن قولٍ لأبي عمرو بن العلاء، وهو يحدد نمط الأداء الجاهلي وزمن القصيدة الجاهلية، قال: ((فُتح الشعر

بامرئ القيس وخُتم بذي الرُّمة))[١]، غير ملتفت إلى الحقب التاريخية أو المراحل الزمنية كمرحلة صدر الإسلام وأيام الراشدين وعصر بني أمية، بل يصدر عن وحدة الاداء الرائد للشعر العربي، على تغاير الاجيال؛ أي عن مفهومٍ للزمن الفني للشعر الجاهلي وهو مفهوم الأداء لا مفهوم الزمن، وأصدرُ عن وصفِ الفرزدق لنفسه ولشعراء آخرين بأنهم يتقاسمون فضل جملٍ بازل مع الشعراء الجاهليين[٢]، – إشارة منه إلى انتمائه اليهم – واستفيد أيضاً من تقرير بعض المحققين من المستشرقين: ان المذهب البدوي بقي سارياً نمطاً بنائياً لدى الشعراء الذي جاؤوا بعد الإسلام[٣] ؛ فضلاً عن ان الذوق البدوي عند العربي لم يتغير في ليلة وضحاها عّما عليه قبل الإسلام، فقد كانت الكوفة مثلاً والبصرة والحجاز تفضلان امرأ القيس، ومكة والحجاز تفضلان زهيرا [٤]؛ فاللغة مجموعة دوال بقيت تدلّ على مدلولاتها، ولم تتغير كثيرا الا بعد قرن ونصف أو قرنين بعد الإسلام بتطور الحياة (تقريباً لا تحديداً)؛ لان هذا التطور لا يُقَرّر تقريراً ؛ بل تُدرس وجوهه كافة ؛ وليس بين أيدينا من حياة تلك القرون الا القليل ؛ ولذلك بيّن الأستاذ الدكتور طه حسين (رحمه الله) هذا بثبات حينما ذهب إلى انّ الزمان لا يعني شيئاً كبيراً للتحول التعبيري فقال: ((ولا ينبغي أن تخدعك هذه الألفاظ المستحدثة في الأدب ولا هذا النحو من التأليف الذي يقسم التاريخ الأدبي إلى عصور، ويحاول أن يدخل فيه شيئاً من الترتيب والتنظيم فذلك كله عناية بالقشور والأشكال ولا يمس اللباب ولا الموضوع))[٥]؛ ولكن لابد من تحكيم الإحصاء والاستقراء والتحليل لشعرٍ ينتمي إلى عصر فني، وهو يعيش في واقع موضوعي آخر، والفرزدق يقع بين مرحلتين، كأنه نقطة التحول بين القصيدة القبلية والأخرى التي وصفت بالمحدثة للشعراء المولّدين، ولأنه يصدر عن دوافع القصيدة القديمة، وهي الدوافع القبلية، ويشهد انحسار المدّ القبلي بالحضور الإسلامي، ويشهد القصيدة المرتبطة بالولاة أو السياسة عموماً أو القصيدة التي تعبر عن مشاعر الذات التي انفكت عن التعصب القبلي أو الهموم الجمعية عامة، وهو يخضع حينا للانتماء الجاهلي وحينا للواقع الإسلامي ويعاصر الأمويين، وهم يطيلون أمد الانتماء القبلي، بما اهاجوه من وعي جاهلي ظاهر، أحاطوا به أنفسهم وحصّنوا ملكهم، وظنوا انهم به يمتنعون، وكانت نهاية أمرهم به– كما هو معروف [٦] –

---

[١] وفيات الاعيان: ١٨١/٣.

[٢] الموشح: ٧٥.

[٣] انظر المفضليات: ٢٧.

[٤] انظر الموشح: ١٧٢.

[٥] تاريخ الادب العربي: ٨١/١.

[٦] انظر الاخبار الموفقيات: ١٢٧.

وهنا تثار بعض الاسئلة هي :

١- **التقليد والإبداع:** ما المسوّغ الموضوعي (المنهجي) للجمع بين التقليد والإبداع، في صياغة مصطلح (القصيدة التقليدية)، فالقصيدة خلق وإبداع، والتقليد محاكاة، أو خطّ، وجمعهما معاً، في حيّز واحد، هو كالجمع بين متناقضين، فلا بد من مسوّغ يسوّغ اجتماعهما، او يحلّ هذه المفارقة، ليؤدياً مفهوماً ما، يسوّغ هذه المفارقة. فهل يعني التقليد: الأسس أو الثوابت التي تضمّ الفعل الإبداعي، وهو صياغة اللغة صياغة خاصة، ترتفع عن المألوف، لتحقيق التأثير والبقاء؟ وينبع من هذا أمر آخر، هو: هل التزمت هذه القصيدة مثالاً أو شكلاً واحداً في كل عصور الريادة ؟ أم تحولت كأي شيء يخضع للتحول أو التطور، وما هذه (الألفاظ المستحدثة) التي شاعت، كالقصيدة الجاهلية والإسلامية والأموية؟ فهل صدع الشعراء بقصيدة إسلامية لمحض ما صدع الرسول ٦، بدعوته إلى الإسلام؟ وهل حضرت القصيدة الأموية في يوم اغتيال الإمام عليّ ٧ ؟

ينبغي أن ينظر إلى التقليد على انه مجرى يجمع بين الروّاد ومن بعدهم ؛ لا على انه محض محاكاة جامدة، ذلك بانّ المتأخر قد تكّلم باللغة التي تكلم بها المتقدم، وعاش في السياق الذي عاش فيه، وضمّه الذوق الجماعي الذي ضمَّه، فاكتسب هذا السياق هيأة القانون أو المعيار (العمود) فالتزم به الشاعر؛ حتى غدا لا يرى الشعر إلاّ به، وأصبح مناط وجوده، وصدر عنه بصورة تلقائية ؛ أو قل (غير واعية)؛ لأنه يراه طابعه ونمطه؛ أما ما أضافه على هذا (العمود)، فلأنّه ذو شخصية فنية متميزة، وُصفت من قبل بعض المعاصرين بأنها تجديد؛ وما هي الا تفاعل طبيعي مع التجربة الآنية والمواقف الجديدة التي لم يواجهها المتقدمون، وليست هي تصرفاً انفلاتياً من مجرى الرواد الأصيل، وما هي الا (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)؛ فالنقائض، مثلاً، امتدادٌ طبيعي للمنافرات التي كانت بين القبائل في الجاهلية أو بين الأفراد، ولكنّ المنافرات كانت بوحي من الإحساس العميق بالانتماء القبيلي، الذي لا يجد العربي شيئاً يربطه بمجتمعه سواه، أما النقائض فلا تختلف عن المنافرات فنياً ولكنّ العربيّ وجد انتماء جديداً في الإسلام، وبدأت قبضة الانتماء القبيلي تتراخى شيئاً فشيئاً، وليس بغتة، وفقدت القبيلة مكانتها وسطوتها، بعد أن حلّت مكانة الإسلام في قلب العربيّ، ولكن هذا حدث ببطء، ومع هذا البطء فانّ العربيّ، الذي لم تغب عن ناظريه مكانة القبيلة، لأنه يفزع اليها كلما دهمه أمر، كان يرى في الأفق انتماء بديلاً حينما يطّوقه الإسلام، ومن هنا لم يترسّخ الإسلام كثيراً في النفوس، الا بعد أجيال وأجيال بعد الإسلام ؛ لذا ترجحّت نفس العربيّ بين الاقتناع بالانتماء الجديد أو عدم الركون اليه تماماً ؛ ومهما يكن من أمر فقد وقعت تقاليد الجاهلية ضحية هذا الترجّح، وكانت النقائض إحدى الضحايا، فبدت (تمثيلية)، لا تخلو من متعة، على الرغم

من أصالة أسسها الفنية وجديّة مضموناتها، واتساع جمهورها، الذي كان يجد فيها بعثاً لذكريات الجاهلية أو تصرفاً عفوياً، يتدفق في سياق متعارف، لأنها تقاليد متّبعة [٧]، فهي نوع من الالتزام بسياق القصيدة القديمة وأسسها الفنية والموضوعية، فضلاً عن أنها تتيح للشاعر، والمتلقي ايضا، أن يضع نفسه في حيّز، يتاخم الجاهلية، شكلاً ومضموناً، ويحقق للشاعر أيضاً شخصية فنية، يرجو أن تظل جاهلية، مفعمة بالانتماء إلى القديم.

٢- أما قصيدة (ابن قتيبة) وآراؤه التحجيمية للقصيدة العربية، فأنها لا تعني الواقع الفني الجاهلي [٨]، وبدا كأنه يصف الواقع الشعري الذي كان في أيام بني العباس، بعد أن تحولت القصيدة إلى أداة مسخّرة لمديح الخلفاء وغيرهم، ولم تكن تنتسب إلى (القصيدة القائدة) [*] التي كانت تدير المجتمع العربيّ القديم، لانّ ابن قتيبة كان يؤكّد غرض المديح، والقصيدة القائدة لم تكن كلها مديحاً، بل كانت تحتوي هموم القبيلة، وتفصيلاتها كلها تقريباً، والمديح فيها لم يكن كالمديح الذي قدمها به ابن قتيبة.

٣- ان المجرى الاصيل لا يعني انه قيم ثابتة، فهناك بعض الثوابت، وكثير من المتغيرات، ويعني أيضاً وجود قدر كبير من الامكان مهيّأ للابتكار حتماً، وهو عدول عن المسيرة التقليدية، فهو اِنْ لم يخضع للتقسيم إلى مراحل زمنية، فانه تقسيم إلى حقب تحوّلية عن العمود القديم، لتطوّر الحياة، فهناك عصور سياسية، وهناك عصور شعرية، ويجب الربط بين العصر الشعري ومقتضيات التحول ؛ فضلاً عن أن هناك حقيقة كبرى هي أن المجرى الأصيل نفسه متغير في أثناء عصر الريادة نفسه، وفي كل عصر شعري أيضاً؛ لان قصيدة النابغة لا تطابق قصيدة الأعشى مثلاً، فكيف يُقسَر المتأخر على مجرى، والمتقدمون أنفسهم لم يقصروا أنفسهم عليه؟ فان قيل ليس للمتأخر أن يخرج عن المتقدم، والمتقدمون غدوا أمثلة، يجب أن تحتذى، فان هذا بالرغم من نزعته المحافظة ونمطيته ينطبق على محاكاة القدر الثابت من المجرى الأصيل، لا على القدر الذي يجب أن يكون متغيراً منه.

انّ الزمان، وان كان غنياً بمسوّغات التغيير، لا يعني تبديلاً أو نسخاً لقيم المجرى الفني الأصيل؛ لان هذا المجرى يرسو على قاعدة قبيلية ينطلق الأداء منها، ولما تزل ترفد النصوص،

---

(٧) انظر دراسات نقدية في الشعر العربي: ٢٧١.

(٨) انظر جماليات القصيدة التقليدية: (بحث في مجلة فصول): ٦٠/٦١.

(*) القصيدة القائدة: تعبير اعتمدته في هذا البحث، وفي كتابي الموسوم ((دراسات نصيه في شعر عبدالرزاق عبدالواحد))، اقصد به: القصيدة البدوية الجاهلية المعبرة عن المجتمع الجاهلي، وشاعرها الزعيم الروحي للقبيلة العربية.

اللهم الا أن يكون الشاعر ينتمي بالولاء إلى القبيلة العربية، ولكن إذا أردنا أن نتقرّى الإيحاء القبيلي لأداء الفرزدق، فهل نجد القصيدة البدوية القديمة؟

في ديوان الفرزدق٢٠٦ قصيدة و٣٤٢ مقطوعة، ومعدل طول قصيدته خمسة وثلاثون بيتاً، وتتجاوز ثماني عشرة قصيدة هذا المعدل، لتبلغ خمسين بيتاً، وله مطوّلتان، واحدة ب (١٤٩) بيتاً والثانية ب (١١٣) بيتاً، وكانت (١٤١) قصيدة في المديح، والمطوّلتان فيه، وكانت ثمانون مقطوعة فيه، وقد قدّم ثلاث قصائد مديح بمقدمة يأسف على الشباب ويشكو الزمان،وأخرى بالفخر، وقدّم بالغزل إحدى وثلاثين قصيدة، وجاءت (١٠١) قصيدة من دون تقديم، وهذا يشير إلى انه لم يتحول عن النمط الجاهلي، في موضوعات الافتتاح، كالنسيب والغزل، اللذين افتتح بهما ثلاثين قصيدة، ولكننا إذا أردنا أن نتبين مدى انتمائه ووفائه إلى نمط الأداء الجاهلي وعصور الريادة والمجرى الفني الأصيل، فعلينا أن نجيل الطرف في غرض المديح في قصائده، لأني أظنّ أن المديح أكثر الأغراض التي استجابت للتغير الذي طرأ على المجتمع العربي بعد الإسلام، فقد كان زعيم القبيلة هو المثال الممدوح، لمكانته القبيلية المرموقة، وكان الشعراء ينطلقون في مديحهم لهذا المثال من ارتباطهم به نسباً أو تعصّباً لقبائلهم، وكان مديحهم تنويهاً فنياً لمكانة اجتماعية يعتزّ بها العربي ويفخر بها طويلاً، فتغير هذا كله، وأصبح الممدوح خليفة، او واليا، او قائدا على راس جيش نظامي، وتغيرت تبعاً لهذا معاني المديح، فبعد أن كانت مصدر فخر واعتزاز واحترام، صارت وصفاً آلياً، لمعانٍ حاضرة، معدّة سلفاً في كثير من الأحيان، تصدر عن شاعر، لا يرتبط نسباً، أو رأياً، في كثير من الاحيان، بالممدوح، وصار المديح حرفة، يتكسب بها الشعراء، لا تخلو من تكلف، كخطاب للمنصب، لا للشخصية التي تشغله، فقد تزحزح الشاعر عن قيادة المجتمع والاحداث ونزل عن مرتبته القيادية إلى موهوب تستخدم الدولة مواهبه، وصار هو وروحه في جانب، وشعره في جانب آخر، ولا يعني هذا خلوّ عصور الريادة من مديح بهذا المعنى، ولا خلوّ عصر الدولة الإسلامية من مديح صادق، فقد نافر عامر بن الطفيل علقمة بن علاثة بشعر الأعشى[٩]، وكان الحطيأة يذبّ عن علقمة، في منافرته عامراً، ولكني لا أرى شبهاً بين مديح الأعشى والحطيأة، والمديح الذي طرأ على الشعر، الذي جاء بعد استواء الدولة الإسلامية، لان المديح الجديد قد تجرّد تماماً لهذه المهنة، ونزل الشاعر عن زعامة القبيلة وقيادة مجتمعه إلى موظف اعلامي عند الخلفاء والولاة ولكن الفرزدق بقي متحملاً تبعات قبيلته ويحمل همومها إلى ولاة الامر وكذلك كان من معاصريه من لم يفقدوا هذه الزعامة كالراعي النميري، أما الاخطل الذي كان شاعر بلاط ولكنه لاينسى قبيلته اذا دارت عليها الدوائر وحلّت بساحتها المكاره؛ ولانّ الخلفاء والولاة لم يعوّلوا على مكانة الشعر، تعويل

[٩] انظر ديوان الاعشى، ديوان الحطياة.

عامر بن الطفيل وعلقمة، ولانّهم كانوا في شغل عن قيم الشعر التي كان يعوّل عليها عامر وعلقمة، فقد بكى علقمة من هجاء الأعشى، وربما أبكاه مديحه عامراً، ولا يعني هذا أيضاً أن التحول الذي طرأ على المديح قد حدث بين يوم وليلة، بل خطا خطوات بطيئة جداً، ولم يعمّ مساحة المديح الأصيل الاّ بعد قرن أو يزيد، ومن هنا اعدّ المديح معياراً لتحول النماذج الفنية، في تلك المرحلة، واعني بها زمن الراشدين وزمن بني أُمية ، وقد كان شعر الفرزدق في المديح، فهل ينتمي هذا الشعر الكثير إلى نمط المديح الجاهلي القبيلي؟. كانت معاني مديحه تدور حول الفخر بنفسه وبقبيلته، اما ممدوحه فيرد في طرف، وقبيلة الشاعر، أو أحد آبائه، أو فخره بنفسه في طرف آخر، وربما مدحه، لأنه شبيه بأحد شيوخ تميم، وقد يغلو فيرفعه إلى مصافّهم، لأنّهم عند الفرزدق المثال الممدوح، كما مدح كعب النبيّ بقصيدة جاهلية خالصة، وكقصيدة الاعشى التي اعدّها لينشدها بين يدي الرسول، وحالت قريش، أو الخمر والنساء دون ما أراد، وهكذا يبنى الفرزدق بناءً مدحيا جديداً، قوامه موازنة بين الممدوح الطارئ على قصيدة المديح القبيلية (التي لا ترى ممدوحاً ألا وهو شيخ قبيلة أو فارس القبيلة أو الذي له شأن ممدوح من وجهة نظر القبيلة)، والرموز القبيلية الممدوحة أبدا بقصيدة المديح، على حين بكّر جرير في تحوله عن هذا المديح، موغلاً في النمط الجديد الذي سيصبح السبيل المولد للشعراء المحدثين، حينما لزم بلاط الحجاج، الذي قدّمه إلى عبد الملك، فانضمّ إلى الأخطل التغلبي النصراني في خدمة البلاط الأموي فسلّط عبد الملك الأخطل عليه، وسخر منه في حادثة مشهورة، قصد عبد الملك منها تطويعه، أو ترويضه ليكون شاعر بلاط، تجري في شعره نزعة جديدة، بعيدة عن نزعة الفرزدق المحافظة، التي التزمها طويلاً، بعيدا عن شخصية شاعر القبيلة، او ليخلق منه، أُنموذجا لشاعر جديد، يناسب الزمن الجديد والمملكة الجديدة، ومن هنا نفهم سرّ نفور الخلفاء والولاة من شعر الفرزدق، قياساً إلى ميلهم لشعر جرير، ونفهم أيضاً سرّ انتشار شعر جرير بين الناس، لأنّ للسياسة يدا في هذا الانتشار، لتعمّدها تفضيله على الفرزدق، فالمقولة المشهورة: ((جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر)) كأنها كناية عن تحجر الفرزدق، وبطء تحوّله وثباته ومحافظته على النمط القديم، وكناية عن مرونة جرير وجريانه مع التيار، واميل كثيرا مع ظنّي ان هذه المقولة من انتاج السياسة لا من احكام النقد، ولا يعني هذا أنّ جريراً في تحوله عن المديح القبيلي إلى المديح السياسي الذي يرتبط بالولاة والملوك، قد حذا حذو زهير، في انقطاعه، أو شبه انقطاعه إلى هرم بن سنان، ذلك بأنّ زهيراً كان يمدح هرماًً من حيث القبيلة كلها، على مبدأ الشاعر الجاهلي:

وما كان قيسٌ هُلكهُ هُلك واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدما

على حين لم يتحول الفرزدق إلى المديح الجديد، إلاّ وهو يمدح نفسه بكونه شاعر تميم، الذي يتقاسم مع رجالها زعامتها ويمدحها وهو في خضم مديحه للولاة، لكنّه لم يخلص للنمط الجديد اِخلاص جرير والأخطل، ذلك بأنّ الإسلام لم يغيّر السلوك الواقعي لهؤلاء القوم الاّ بعد أن يمرّ على مواقف كثيرة، تحتاج إلى زمن، قد يطول، ولاسيما إذا كان الأمر يتصل بالنفوس وما يصدر عنها من تعبير منشؤه العاطفة، انشاء وتلقياً، ولكنّ قوة هذا الثبات أو مرونة التحول تتفاوت من نفس إلى نفس ومن جماعة إلى جماعة، وهذا التفاوت يظل خاضعاً لسلطة التدرج، وإن ضغطت الحياة الجديدة على تفاصيل الحياة القديمة، فالشاعر الذي شهد الإسلام، وان بقي ذوقه القديم ودوافعه القبيلية تحدده في نظم القول، فانّ جديد الحياة قد يصرفه عن بعض تفصيلات ذلك النمط، وقوة الوازع القبيلي قد تدفعه إلى ممارسة الجديد، كالمديح مثلاً، لأن مفهوم الدولة يفرض مئات التفاصيل، وعلى الشاعر أن يقف منها وهو في روح أخرى، ومن هنا بدأ الفرزدق، وكثير من فحول عصره، مذبذبين، بناء على قوة الدافع المدحي أو ضعفه، وحينما يمرّ القارئ المختصّ على شعر الراعي أو ذي الرمّة أو عديّ بن الرقاع يجد الوازع القديم لم يتغير، وإذا وقف هؤلاء على عتبة المديح الجديد فاِن هذا القارئ يستطيع أن يلقط صفات الممدوح من بين كلمات القصيدة، ولن يؤثر هذا في سياقها القبيلي، كما وقف كعب في بردته، كأنه يمدح رئيس قبيلة، لأنك تستطيع أن تنحّي مفردات الاسلام التي سمعها كعب، وهي قليلة، وتبدلها بمفردات أخرى، ولا يتغير في القصيدة شيء، لأنها قصيدة قبيلية كما ذكرت آنفا، بل ما حدث بين القبائل في اثناء توطيد الاسلام وعرفت الناس من اسماء جاءت في سياق الاسلام كجبريل مثلا، والقاب كالرسول، تسمعها وهي في قصائد الحروب الهجائية التي استعرت بين شعراء القبائل المتهاجين لا لأنها مفاهيم دين تصدر عن اطمئنان ارواح هؤلاء القوم بالعقيدة الجديدة بل هي تفاصيل وقائع حدثت يستغلها شعراء قبائل غدت تبحث عن مصادر جديدة تفاخر بها قبائل تقابلها وحوافز هجاء لا اكثر، بهذا المعترك المتلاحم .

ولا يستثني هذا المتلقي من هؤلاء الفحول أحداً غير جرير؛ لأنه كان يُهمز بانتمائه إلى تميم[١٠] أو يُهمز بضعف الدور القبيلي لفرعه بين القبائل، قياساً على قبائل أقرانه، فهو من كليب بن يربوع، ولم يكن هذا الفرع مصدر فخر ينطلق جرير منه ليقابل الفرزدق، مثلا، بل كان يفزع الى أبناء عمومته بني رياح بن يربوع يفاخر بهم، فهم أرداف الملوك في الجاهلية، وعلى هذا نجد الآخرين، ولاسيما الفرزدق، ظلوا متمسكين بإطناب القبيلة، ما وسعهم ذلك؛ ويستطاع ان يُحكم على مديح هؤلاء بأنه لم يصدر عن شعراء احترفوا مهنة المديح؛ ولا ننسى كيف تقدّم ذو الرمة بقصيدة استغرق اغلبها التقديم؛ أما الأخطل فيكفيه انتماؤه إلى تغلب تلك القبيلة الضخمة

---

[١٠] انظر الاغاني: ٦٨/٨.

المرهوبة الجانب التي نوّه بها المسلمون على لسان النبي الأكرم ﷺ بقوله ((لولا الإسلام لأكلت تغلب الناس))، ولو أني أجد في نفسي شيئاً من صحة هذا الحديث، ولكنه يظل قولاً ناطقاً عن لسان حال بعض المسلمين ؛ ومهما يكن من أمر فقد ظلّ الأخطل يغرف من لذيذ الحياة في القصر الأموي، ولكنه سرعان ما ينحاز إلى قبيلته إذا دعت إلى هذا الدواعي[١١]. أما جرير فأنه فوق تبكيره إلى النمط الجديد فإنه راح يمدح قبائل أخرى ورجالاً غير رجال قبيلته ويتثاقل عن دواعي قبيلته، وربما مدح أعداءها لأيدٍ كانت لهم عليه إذا دعاه داع إلى هذا.

وإذا عدنا إلى النظر في شعر الفرزدق وجدناه مشدوداً إلى أدقّ التفاصيل الفنية الجاهلية؛ فالتصريع- مثلاً- أداء جمالي يتصل باحتفال الشاعر بشعره أو اهتمامه بسامعه، ولكنّ الفرزدق، شأنه شأن الشعراء الروّاد، لم يرد التصريع في مفاصل قصائده الا نادرا ولم يحتفل بهذا الاداء احتفال المحدثين ومن جاء بعده، بل كان التصريع في مطالعه كالامر الثانوي، وهذا يدفع الى الاعتقاد بانه أمر طارئ على القصيدة العربية، أو في الاقل انه من المراحل الفنية الأخيرة لتطور القصيدة، ولا أظن أن الجاهليين قد أولوه عنايتهم كثيراً، وربما كان من إضافات الرواة على القصائد الجاهلية المشهورة، لقصائد، او مطالع خلت منه، فقد كانت الرواة قديما تصلح من شعر الشعراء[١٢]، كما تذكر كتب النقد، ولاسيما الرواة الذين أدركوا الأداء الترفي أو الجمالي الذي كان في أيام بني العباس، والدليل على هذا، الشعر الذي جاء في دواوين شعر الجاهليين، من غير القصائد المشهورات، أو اختلاف الرواة في رواية قصائد بعينها، أو نقل أبيات مصرّعةٍ من منتصف القصيدة إلى مطلعها، كما ورد في مطلع قصيدة عنترة [١٣]، مثلا، بل اِنّ الشعراء الجاهليين، فوق إهمالهم التصريع، أهملوا تفاصيل جمالية كثيرة، اولع بها المحدثون، بعد أن انفكت القصيدة عن ارتباطها بالمجتمع، الذي كان يراها عضوا أصيلاً في حياتهم،فلم يلتفت الجاهليون إلى البديع والزركشة اللفظية، ولم يعبأوا بحسن التخلص، واستعملوا تراكيب وألفاظاً وردت في قصائد غيرهم، كـ (عد عن هذا)، مثلا، وحسموا الانتقال او الدخول في موضوع جديد واقتضبوه، ولم ينظروا إلى هذا على انه سرقة أو نسخاً أو سلخاً أو أخذا، بل نظروا إليه على انه اداء مشاعا، او من المستحسن الذي لا ضير في تضمينه أقوالهم، فضلاً عن أنهم أهملوا الأوزان القصيرة، ولم يأبهوا لتنويع الأوزان، الا ما شاع بينهم من اوزان وافقت

---

(١١) النقائض: ٧٠-٨٢، والموشح: ١٧٩.

(١٢) ظ: الموشح.

(١٣) وكذلك في قصيدة دريد بن الصمة في البيت التاسع قوله:

اعـــاذل مهـــلا بعـــض لومـــك واقصـــدي　　　وان كـــان علـــم الغيـــب عنـــدك فارشـــدي

ديوان دريد بن الصمة، تح : الدكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر : ٥٩.

اغراضا بعينها، فتواردوا عليها، كتقليد واجب الاتباع، يالفه المتلقي، وينطلق الشاعر تلقائيا على وحيه، كسبيل مهدته الذائقة العامة، من ضمن ادوات كثيرة توافرت للشاعر القديم، بحيث لايُشغل الا بالتعبير عما هو بازائه من موقف، ولذلك جاء ثلثا شعرهم على وزن واحد، وهو الطويل، ولم يلتفتوا الا لمسارب الشعر التي تنفتح عليهم، فما عليهم الا سلوك سبلها بلا تعقيب، ولاننسى اضطراب القصيدة في احدى معلقات الجاهليين وهي قصيدة عبيد بن الابرص لان الشعر كان تفاعلاً لا ينفصل عن الحياة القبيلية، وليس ترفاً اوفنا تنحى كثيرا عن قيادة الحياة، كما هو الحال في شعر كثير من المولّدين، ومن هنا نجد الحرف الأول من أحرف المطلع قد يسقط من دون أن يلتفت إليه، ثم يستمر القصيد بعد المطلع متسقاً مع الوزن، كأنّ المطلع عنوان للقصيدة، فقد سقط المتحرك الاول من تفعيلة الطويل (فعولن) من مطلع قصيدة دريد بن الصمة، على رواية الاصمعي[١٤] :

رثّ جديـــد الحبـــل مـــن امّ معبـــد بعاقبـــــة، واخلفـــــت كـــــلّ موعـــــد

وتجد هذا عند معاصري الفرزدق ايضا، ومنهم : قيس بن ذريح، مثلا، في بداية قوله:

تبكـــي علـــى لبنـــى وانـــت تركتهـــا وكنـــت عليهـــا بـــالملا انـــت اقـــدر[١٥]

ومثل هذا، وغيره، تجده في شعر الفرزدق، فالخرم[*] الذي ينتاب أول مطالعه في تفعيلة الطويل الأولى وتفعيلة الوافر كثير، يلفت الانتباه ويستحق الوقوف، قال (من الوافر)[١٦]:

لـــو جمعـــوا مـــن الخـــلاّن ألفـــاً فقـــــالوا اعطنـــــا بهـــــم أبانـــــا

وقوله من الطويل أيضاً [١٧] :

اِنَّ آبـــن بطحـــاوي قـــريش نمـــا بـــه إلـــى المجـــد أعـــراق كـــرام ومغـــرس

وقوله [١٨]:

لـو كنـت مـن سـعد بـن ضبة لـم أبـل مقـــالاً، ولـــو أحفظتـــني القـــوارص

---

(١٤) ديوان دريد بن الصمة : ٥٩.

(١٥) اللسان، مادة ملا.

(*) الخرم: هو حذف اول متحرك من الوتد المجموع في اول الطويل والمتقارب والهزج والوافر والكامل والمضارع.

(١٦) الديوان : ٤٧٦.

(١٧) م . ن : ٤٨٧ . وانظر: ديوان عامر بن الطفيل، تح: تشارلز لايل، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة: ١٤.

(١٨) م . ن : ٦٨٤.

وهذه أمثلة لكثير ورد في ديوانه، وهو إسقاط المتحرك الأول للتفعيلة الأولى، من جانبه العروضي وكذلك الاقواء.

أما من الجانب التركيبي والدلالي فإنّ هذه الابتداءات، بعد أن سقط حرف العطف، الواو، أو الفاء أو الهمزة منها، فانّ المعطوف عليه، (وهو الموقف الذي دفع الشاعر إلى التعبير)، قد ارتبط بالموقف الفني ارتباطاً، يدل على تفاعل الشاعر بالحياة، ولم يترك مجالاً للشاعر أن يشير إلى الدافع الواقعي، بل بدأ بالتعبير الفني، وهو مستمر، وكأنّ الواقع هو الفن وكأنّ الفن هو الواقع، بلا تخلّص أو تمهيد، وهذا في ديوانه كثير، سواء أكان في القصائد أم في المقطوعات، لأنه معالجات سريعة، أو استجابات آنية وفورية، ولسرعة استجابة الشعراء للتعبير، يبدو المطلع تركيباً بين الشعر والنثر، أو كأنّه الخطوة الأولى القريبة من الانتظام في بداية تكوّن الشعر، وهذا يدلّ على عدم احتفال عصر الريادة بالمقطوعات أو القصائد، التي لم يكن في حسبان الشاعر الاستمرار بها لتكون قصائد، ولكنّ الموقف التعبيري دفعه إلى الاستمرار، فأبقى مطالعها على افتتاحها الأول كما هو، ولم يصلحه الرواة التي كانت تصلح من شعر القدماء، ولا تدع أمراً كهذا بين يدي الناس، فإذا نقص شيء أو ارتبك شيء تواردت عليه أذواق الرواة بعد تطور الرواية، اعتماداً على أسلوب الشاعر، أو استلحاقاً من قصائد أخرى للشاعر نفسه، وربما غلا الرواة في أثناء رواية الشعر القديم في أكثر من هذا، ومن هنا نجد مسوغاً لشك الدكتور طه حسين وأساتيذه المستشرقين في انتماء هذا الشعر إلى الجاهليين، او سبيلا لهم للشك بهذا الشعر كله، ولكننا لا نميل معه في شكه في الشعر الجاهلي كله والا من اين جاء الرواة بلغة واساليب كانت شائعة في الجاهلية وألّفوا عليها قصائد ونسبوها!؟. أما شعر الفرزدق وشعر معاصريه، من فحول الشعر الإسلامي، فقد أدرك الرواة الموثقين وعصر التدوين، فبقي على حاله، وكل ما قاله في مناسبات فورية، كقصائد ومقطعات، جمع كما هو في حال عدم احتفاله وعدم تأنقه بالجانب الجمالي، ليكون دليلاً على انتمائه إلى عصور الفصاحة الأولى والاداء الاول، وتمكنه السليقي في بناء الشعر، وعراقة هذا البناء واصالته، وتقبل متلقيه له، لأن الأداء البدوي للشعر لمّا يزل ضارباً بإطنابه، يضمّ الشاعر والمتلقي معاً، (وليس كل شاعر وليس كل متلق)، لأن التغير التدريجي واقع متسلط يحيل الأشياء القديمة إلى ماض، ولكنّ الاصالة تُلمح في أثناء الثوابت، ومنها شعر الفرزدق وأمثاله من معاصريه.

وتبدو مضارعة الفرزدق للشاعر الجاهلي في أمور أخرى أوضح من الذي تقدم، فإهمال التصريع والزحاف المأنوس وغيره من العلل العروضية، تواضع عليها عصر الريادة الفنية، وهي ترد في بداية كل كلام يصدر من متكلمي العرب الذين لا يكثرون من أدوات الاستعانة التي عيبت على الذين جاؤوا بعد عصور الفصاحة، فضلاً عن أن مثل هذه الزحافات لم يلتقطها

الا علماء العروض، بعد استقرار علم العروض على منهج استقرائي، ومهما يكن من أمر فهذا أحد الدوال على أِن شعر تلك المرحلة كان لا ينفكّ عن هدفه القبيلي والاجتماعي، وتكاد الأهداف الجمالية تختفي وراء زحمة الأهداف الأخرى مهما تنوعت.

ويخطو اليقين، بانتماء شعر الفرزدق إلى تلك المرحلة، خطوة أخرى، إذا وجدنا أن معجمه العروضي يشير إلى أنه نظم أكثر شعره في بحر الطويل، فقد جاءت خمسمئة قصيدة ومقطوعة وخمس فيه، عدا سبعة وخمسين نصاً في الوافر، وخمسة وأربعين نصاً، تقاسمها البسيط والكامل والمتقارب والرجز، بواحد وعشرين نصاً للبسيط، وتسعة عشر نصاً للكامل، وأربعة للمتقارب وجاء نص واحد في الرجز، ولا تنوع آخر، ولا يبقى مجال– من هذا الجانب– لاهتمام جمالي فالنزعة الجاهلية القبيلية بنمطها الباعث لدواعي الشعر تبقيه في ظل الخيمة البدوية الجاهلية.

أما ما يتعلق بعناصر بناء قصائده التي وردت بمقدمات، فقد جاءت ثلاثون قصيدة بمقدمة غزلية، وتنوع ورود الرحلة، في تلك المقدمات تنوعاً أصيلاً، لا ينبئ عن تقليد، كتقليد المتأخرين، بل انشداد إلى طبيعة الموقف الفني أو الظرف الذي ألمّ بالنص، فالرجل عرف الترحال شأنه شأن سلفه الشاعر البدوي، ووقف على شكوى ناقته من طول الطريق إلى الممدوح، وترجم شكواها شعرا، ليكون هذا تخلصاً ضمنياً، وربما قتلها ليتخلص من عناء التخلص؛ وليحسم بنية الرحلة بعد وصوله إلى الممدوح، وهذا تطويع للأداء الجاهلي في بناء المقدمة وربما أسقط الرحلة كلها من المقدمة متناولاً غرضه، وقد ترد مبتسرة، وقد يتوكأ على تخلص يكثر في ديوانه وهو (إليك)، هذه المفردة التي يبدأ بها مديحه من دون مقدمة، وقد يقدم الرحلة على الغزل واصفاً– بتفاصيل جديدة– رفاقه الراحلين معه مسوّغاً ذلك بتأميلهم بخيال من يحبّ، كقوله [١٩]:

واغيد من مَنَّ النعاس بعظمه	**كأنّ به، مما سرينا به خبلاً**
إذا صحبتي مال الكرى برؤوسهم	**جعلت السرى مني بأعينهم كحلاً**
إذا سألوني: ما يداوي عيونهم	**بوقفة باز لا تحل لهم رجلاً**
رفعت لهم باسم النوار ليدفعوا	**نعاساً وديجوجاً أسافله جثلاً**
إليك أبن أيوب ترامت مطيتي	**لتلقاك ترجو من نداك لها سجلاً**

ويحتل الهجاء المرتبة الثانية وحصيلته منه اثنتان وخمسون قصيدة وثمانون مقطوعة، بعدد مقطوعات المديح، والعدد الأكبر من القصائد الهجائية من دون تقديم، أما النصوص التي وردت بمقدمات فلا تتجاوز العشرة، قدم أربعة بالغزل، وأربعة بالفخر، ونصين بالشكوى (شكوى

(١٩) نقائض جرير والفرزدق: ٢١٠/١ والموشح: ١٨٣.

الشيب والزمان)؛ واعد هذا بسبب سرعة إيقاع الأحداث وعضوية الشعر في قيادة القبيلة، فلا مجال للتأنق التقديمي، فهذا شغل المتأخرين الشاغل، ليسجلوا انتماءهم للتراث عند متلقيهم، أما الفرزدق فلا رمزاً من رموز هذا التراث فضلاً عن أن معظم هجائياته كانت في سياق المنافرات والنقائض، وهذا يستدعي رداً سريعاً لا وقت فيه للتقديم لهدم ما بناه الشاعر المناقض في ذهن المتلقي. أما معاني الهجاء فهي قسرية الورود لأنها في فلك النقائض، وحين يهجو جرير الفرزدق فأنه كان يهجوه بمعان معدودة مستمدة من حياة العامة والاقيان[٢٠] وكان الفرزدق يترفع عن الرد عليه بمثل هذه المعاني، لأنها لا تلائم مقام شاعر تميم، ولذلك كان يناقضه بما كان الشاعر الجاهلي يهجو خصومه، بتذكيرهم بمناقب قومه ومآثر قبيلته، ويعرض مثالب قوم المناقض، موازناً أو كالموازن، فلم يخرج الفرزدق عن أفق القصيدة البدوية الرفيع، وأعتقد أن الهجاء في ديوان الفرزدق لم يكن خالصاً بل كان الفخر يغالبه، وهذا هو السبب الأظهر في تغلب جرير عليه في هذا المضمار، وسرّ تفضيل العامة والعلماء جريراً عليه، مع أن كل ما كان في يدي جرير عليه هو أقيان عمه، وجعثن أخته، وسوء سمعته، التي قدمها لجرير طواعية بما كان يذكره هو عن نفسه لمجاهرته بالإثم، وادعاء جرير على مجاشع باطلا تفريطهم بجوار الزبير، وما فرطت مجاشع بجوار، وما استجارها الزبير حقا [٢١]، بل هو ادعاء ادعاه جرير وصدقه وظل مستمسكا به طويلا، وهذه كلها لاتؤلف رافداً هجائياً واقعيا لجرير، ولكنه كان يستغلها أيّما استغلال، لحاجته النفسية العميقة، فكأنّ تفوقه بالهجاء على شعراء عصره كافة تعويض لما يجده من ضعف حسبه، وقد كان يفخر بهذا التفوق ويقرّ بأنه فاق معاصريه بأب بخيل، ويدلّ هذا أيضاً على طاقته الشعرية القوية ليناقض شاعراً يفوقه بمآثر قومه، أما الفرزدق فقد كان يملأ فجوات هيكله بالفخر ولا يكاد يذكر المهجو الاّ قليلاً مترفعاً عنه، فهو لا يضارعه محتداً، ولذلك أرى أن جريراً بمعانيه اليسيرة فاق الفرزدق؛ لأن الأول كان يتحرك ضمن مأزق ضيّق، والثاني له الفضاء الافتخاري الذي يقدّم له مدداً في مناقب دارم وصعصعة ومآثر تميم وشرف مجاشع ؛ ومحض ذكر هؤلاء رد على هجاء رجل يُغمز بنسبه من حيث الضعة وخمول الذكر في الأقل[٢٢]، فكان جرير لضيق عطنه الانتمائي يملأ فجوات هيكله بالهجاء الفعلي فهو لا يجد ما يفتخر به على الفرزدق، فهو محض راع من كليب، وكليب مدرج للشتائم، كما يقول الفرزدق، غير اتهامه بما ذكرنا والدوران حوله، وهذا يجعل جريراً في صميم الهجاء ويقدم اليه مسوغات الغلبة الفنية على خصمه في نظر نقاد الشعر والعلماء، الذين كانوا على شاكلة جرير

---

[٢٠] الموشح: ١٧٩.

[٢١] تاريخ الطبري: ٥٣٥/٤.

[٢٢] الموشح: ١٨٣.

من ضعف النسب أو الحسب وضعف المواجهة الاجتماعية في ذلك العصر، فهم من الموالي، وينظرون إلى الفرزدق نظرة العبد إلى السيد، ويجدون في دونية جرير عزاء؛ ولذلك نلاحظ تفضيلهم جريراً مع أنه لم يكن عبداً ولا مولى، ولكنه لم يكن بمثل قامة الفرزدق، ولكنّ لديهم مسوغاً مقنعاً وهو أن جريراً كان يهجو حين الهجاء، ولابد للفرزدق من أن يهجوه، فلِمَ كان (يهرب) من هجائه بالفخر، وهم بهذا يتذرعون بيسر؛ ليكون جرير هو المنتصر، وبهذا عزاء لهم في عصر تفاقمت فيه العصبية القبيلية ولا يجدون نصيراً الا بهذا وأشباهه.

اذن كان الفرزدق، وهو يهجو يدور حول نفسه، لا حول من يهجوه، مفتخراً، وهذا يهدينا إلى غرض الفخر الخاص عنده، فالفخر يغطي مساحة المديح والهجاء معاً وله جانب خاص اختلى به ينظر في أعطافه وأعطاف قبيلته ورجالها ومآثرها وماضيها وحاضرها، كما كان يفعل الشاعر الجاهلي، فجاءت خمس وأربعون قصيدة خالصة للفخر، ستة فخر فيها بنفسه، واثنتان هدد فيهما الخلفاء والولاة، وفخر بثماني وثلاثين بقبيلته، وعنده في الفخر خمس وثلاثون مقطوعة، ولم يقدم قصيدة واحدة بمقدمة، ليدلّ بذلك على إخلاصه لهذا الغرض الأصيل، وعلى ان الفخر كان باعثه الجوهري في نظم الشعر، لأسباب: منها أن الفخر هو المعنى العميق لكل أغراض الشعر العربي، لأنهُ حينما يمدح فهو انما يفخر بنفسه وبقبيلته وممدوحها وحينما يهجو انما يفخر بهذا كله بين يدي مهجويه ليعلو عليهم، وحين يتغزل انما يفخر بنساء قبيلته وينّوه بمحاسنهن ويميزهن من بين نساء القبائل الأخرى وهكذا؛ وهذا هو عينهُ الذي وجدته في شعر الفرزدق، فحينما أزعم أن الفخر باعثه الأساس فهذا لكثرة نصوص الفخر فهي تعدل عدد قصائد الهجاء والمديح ويزيد بالمقطوعات على الهجاء، ولأنه لم يقدم هذه القصائد بشيء من تقاليد الافتتاح، فكأنه يستمطر الشعر بالفخر ولا يجامل المتلقي بشيء ؛ أما اتجاهات فخره فمتنوعة؛ فهو كما ذكرت في أن الفخر يسري في الشعر القديم سريان الدم في العروق وكذلك سرى في شعر الفرزدق ضمن المديح والهجاء والرثاء وحتى الغزل الذي وقع بين يدي الفخر؛ والأمر الذي لاحظته في هذا الشأن هو أن نزعته القبيلية العميقة جعلته يتخطى الرقاب حتى جسر على ملوك بني أمية حتى رأى أنهم دونه محتداً وتراثاً وكثرة وعزة ومنعة ومضى فرأى أنه أعظم منهم، سالكاً سبيل موازنتهم ببني هاشم، فهم قياساً على هؤلاء تبعُ وفرع، فضلاً عن ان الزعامة في هاشم قديماً وحديثاً، فهم السادة في الجاهلية والاسلام، وهم أصحاب الرسالة في الإسلام وأمية أعداء الرسالة في الجاهلية والإسلام، ونلحظ أن الفرزدق لا يرى في الإسلام الا حادثاً أضاف إلى هاشم تراثاً جديداً ولم تتغلغل مبادئ الإسلام وشرائعه في نفسه لينتمي اليه، فهو يرى أن من العدل أن تأخذ تميم مكان أمية ؛ لأنها أحق منها بمآثرها وتراثها، وهذا كله نجده في قصيدته التي هدد بها معاوية وفخر عليه وفضّل عليه بني هاشم وجعل تميماً في مصاف هاشم والنبي (صلّى الله

عليه وآله) فيهم، وهو يعالج حدثاً يتصل باستعادة ما كان أعطاه معاوية لأحد أعمام الفرزدق بعد موته وهو الحتات، قال [٢٣] :

ابـــوك وعمـــي يامعـــاوي اورثـــا تراثـــا، فـــأولى بـــالتراث اقاربـــه
فمـــا بـــال ميـــراث الحتـــات اكلتـــه وميـــراث حـــرب جامـــد لـــك ذائبـــه

ويستأنف الموازنة مهددا :

فلـو كـان هـذا الحكـم فـي جاهليـة عرفـت مـن المـولى القليـل حلائبـه

مستانفا التهديد ومذكراً بأيام الجاهلية، وهي نصب عينيه، متحسراً على أيام قوة القبيلة ويكرر هذا:

ولـو كـان هـذا الأمـر فـي غيـر ملككـم لأدّيتـــه أو غـــصّ بالمـــاء شاربـــه

الشاعر هنا لا يخاطب (الخليفة) بل يخاطب (الملك)، فهل يصدر الفرزدق– هنا– عن أيمانه بالإسلام حاكماً للعرب؟ مهما كانت سمعة الخلفاء أو الطبقة الحاكمة؟ كلا أن هذا النص يؤكد سلطة بني أمية ملوكاً لا خلفاء ؛ لأن الإسلام وأن أحاط بمفهوم السلطة الدينية بقي الرجل العربي ينظر الى بني أمية ملوكاً كالمناذرة مثلاً، لأن الأمويين لم يبنوا أنفسهم في ذهن العربي خلفاء، فقد نصبوا انفسهم ملوكاً ووضعوا لهم حجّابا ولهم وبلاط وسطوة دنيوية بالوراثة، فوازن العربي بين الراشدين والأمويين، والسلطة الآن بيد معاوية، ومن هنا هجم على معاوية، فتصاعد النص فنياً درجة أعنف من درجته حتى ذروته، ثم:

ولـو كـان– إذ كنـاّ– وللكـفّ بسطـة لصـمّم عضْـبٌ فيـك مـاض مضاربـه

ويلحظ هنا تحسره على ضياع سلطة القبيلة بنبرة حزينة تبدو من بين أنياب الغضب المؤيَّد بالفخر الموجه للتهديد، نبرة حزينة تواكب الفعل الناقص (كان، كنا) الذي تكاثر ليدل على قوة الانتماء إلى الماضي القبيلي وعزة الجماعة، والسياق يؤكد بوضوح ضياع هذا الماضي وتبدد قوة القبيلة التي رأى العربي بالإسلام انحسار مدّها، ولكنه وجد عزاءه بما جاء به من خير تعويضاًَ عما فقده من قوته الانتمائية الذاتية وإذا به يفقد عزاءه حينما قبضت قريش على حكم العرب بالسلطة الدينية، فلم ينظر اليها بمنظار السلطة الدينية، لأن أمية قاومت الإسلام وشنّت عليه الحروب، ونازعت الخلفاء الراشدين الخلافة، وسلكت خامسهم، سبط الرسول، على النزول عنها بما سلكته من سبل، وهنا لا يستطيع الفرزدق أن يخاطب معاوية على انه وليٌّ لأمر المسلمين، بل يستأنف فخره وتهديده وارتكانه إلى المحتد الشريف والحسب

---

(٢٣) الديوان : ٥٦.

الضخم بعقد موازنة بين تميم وأمية، التي لم تنل ما نالته بتراث أصيل كما نالت تميم تراثها بمفاخرها الأصيلة:

وما كنت أعطي النَّصْف من غير قدرة   سواك، ولو مالت عليَّ كتائبه
الستُ أعزَّ الناس قوماً وأسرة   وأمنعهم جاراً إذا ضيم جانبه
وما ولدت بعد النبي وأهله   كمثلي حصان في الرجال يقاربه

هذه أعلى سورات النص القبيلية، فقد وضع نفسه وقبيلته في مصاف بني هاشم بل النبي محمد 6 نفسه ؛ اندفاع بقي الشاعر المنتمي إلى العصر الجاهلي يصدر عنه طويلاً بنفس لم يغيرها الإسلام. ثم يستقر بعد هذا إلى ما قدمه فهو ذروة النص ليمشي إلى الفخر بخطى مطمئنة:

أبي غالب والمرء صعصعة الذي   إلى دارم ينمي، فمن ذا يناسبه
أنا ابن الجبال الشمّ في عدد الحصى   وعرق الثرى، فمن ذا يحاسبه
وبيتي إلى جنب رحيب فناؤه   ومن دونه البدر المضئ كواكبه

موقف النص والغرض منه (لا غرضه) مطالبته بتراث عمه أو ربما اليأس من الحصول على شيء، فضلاً عن امتعاضه من جرأة معاوية أو جرأة معاوية على سلب تراث عمه، ومهما يكن من أمر التفاصيل الاّ أنه نص له موقف، ولكنه تجاوز الموقف ونسي أنه بصدد مطالبة، لتعلو نبرة الفخر بصورة واضحة؛ ولقوة استجابة الشاعر لباعث الفخر ترك موضوع المطالبة، وهو الموضوع الأساس أو الباعث (نظرياً)، فكأنّه اتخذ المطالبة حجة لتتلاشى بين يدي تهديده لمعاوية وتعنيفه له، أو كأنه يتحين الفرصة ليجري وراء موازنة عشيرته، لا بأمية بل ليعلو بها على العرب كافة ويضع نفسه مع النبي وبني هاشم؛ وهذه سمة بنائية تمتاز بها القصيدة البدوية حين يتنازع الفخر مع كل موضوع يرد في القصيدة غالباً، حتى يستلب الفخر في النهاية موضوع القصيدة الأساس، سواء أكان مدحاً أم هجاءً أو رثاء أو غزلاً :

وكم من أب يا معاوي لم يزل   أغرّ يباري الريح ما أزورّ جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن   أبوك الذي من عبد شمس يخاطبه
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن   قصيّ وعبد الشمس ممّن يخاطبه

ولنا أن نعود إلى مطلع النص لنجد أنه بدأ بالفخر وانتهى به، فالبيتان (الأول والثاني) تكوّنا بالغضب القبيلي الذي بقى يهزّ البدوي إلى القرن الثالث الهجري بقوته، فقد قدّم (أبي) ثم جاء البيت الثاني ليقدم الحاضر (أنا)، ولكنّهما يرتّدان معاً إلى الماضي الرفيع، ثم جاء البيت الثالث يجمع الماضي والحاضر بمعنى حديث لا ينفكّ عنه البدوي بحاضره ولا بمستقبله

القريب:(بيتي والجنب الرحيب)، فالصورة التي ظهرت من هذه الابيات الثلاثة يختمها الاستفهام الإنكاري المتعالي المهدّد، فمن ذا يناسبه، فمن ذا يحاسبه؟

وهذه هي معاني الفخر ومفرداته التي ظلت القبيلة تمدّها، فما معنى تقسيم الشعر على المراحل الجاهلية والإسلامية والعباسية وغيرها؟

أما الاغراض الأخرى في ديوانه فهي شؤون قبيلته أيضاً: عشر قصائد في النصح والعتاب، وعلاقات القبيلة بالقبائل، وأربعون مقطوعة تدور في هذا المجال، وخمس قصائد وأربع عشرة مقطوعة في علاقة القبيلة بالدولة: مدحاً، هجاء، تحريضاً لأموي على وال من ولاته حول شأن من شؤون القبيلة؛ أي في سياسة القبيلة بتماسها بالدولة كسياسة القبيلة الجاهلية التي يمثلها شاعرها حينما تعامل مع دولتي الغساسنة والمناذرة .

وله في التهديد القبيلي والسخرية من أعداء القبيلة ثلاث قصائد وثلاث مقطوعات؛ أما الرثاء فله فيه سبعُ عشرة قصيدة، وكلها في رثاء رجال تميم وسبع وعشرون مقطوعة، ورثاء ولاة الدولة الذين يحترمون قبيلته، وله نص رثى فيه ديار القبيلة وجوامعها؛ وهو معنى جدّ في الإسلام، ولا يعني هذا أنه صدر فيه عن الإسلام، بل رثى الجامع لأنه يذكرّه بفتيان القبيلة كمنتديات مستحدثة لا أكثر، وله في الغزل خمس قصائد جرت على منوال(دارة جلجل) تغنّى فيها برجولته ومجونه وجرأته على اقتحام خدور النساء، وفيه أحدى عشرة مقطوعة يتغنى بفحولته الطاغية فيما بين ما يتغنى. أما الحكمة فكانت تنساب من ضياع مجد القبيلة وضياع الشباب.

اذن لم يكن في ديوانه ركن صغير يفرغ فيه لنفسه الاّ قليلاً بسبب الزعامة القبيلية والدافع الجماعي، وهكذا هو الشاعر البدوي القبيلي في أي زمان، ولكنّ هذا لا يمنع من وجود شعر فرغ فيه لنفسه بهيأة مقطوعات تجلّى فيها عتاب زوجاته وطلاقه لهن وندمه على زمن ضاع بينهن؛ وهذا كله في أربع عشرة مقطوعة؛ ولكننا إذا أردنا أن نقف على دخيلته وما فيها من عواطف صادقه بعيداً من متاعب الزعامة القبيلية ومتاعب خوض الحياة وجدنا الرجل البدوي المرهف الاحساس القوي العاطفة الذي يتكبّر على أعدائه ويسند ظهره إلى قبيلته ويلقى الذنب كله على غيره وانْ صدر منه، لا يندم ولا يعتذر ولا يتراجع ولكنه حينما طلّق النوار بدا له حبه كأقوى ما يكون عليه الحب لأن الحب الحق هو الذي يرغم هذا البدوي على الاعتذار وعلى الندم ويلقي الذنب كله على سوء فعله هو؛ بتعبير صادق صادر من معاناة القلب، ويترك النص يعبّر عن هذا كله في فراق زوجه النوار أسفاً من قرار طائش أخذه فيقدم في أول كلمة (ندمه) ويؤخر إلى أخر كلمة (الدهر) ليكون هو الملوم لا الدهر في هذا النص النادر [٢٤]:

---

(٢٤) الديوان : ٣٦٣.

ندمــــت ندامـــــة الكســـــعي لمــــا غـــــدت منـــــــي مطلّقـــــــة نـــــوار

وكانــــت جنتـــــي فخرجـــت منهــــا كـــآدم حيـــــن لـــــجَّ بــــــه الضـــــرار

وكنــــت كفاقــــيءٍ عينيــــه عمــــداً فأصـــــبح مــــا يضــــيء لـــــه النهـــــار

ولا يـــــوفي بحـــــب نـــــوار عنــــدي ولا كلفـــــــــي بهـــــــا إلاّ انتحــــــارُ

ولـــو رضــيت يـــداي بهـــا وقـــرّت لكـــان لهــــا علــــى القـــدر الخيـــــار

ومــــا فارقتهــــا شبعــــاً ولكـــــن رأيـــــت الدهـــــر يأخـــــذ مــــا يعــــار

اذن لا تزال الظلال القبيلية ماثلة في العصر الفني الذي عاش فيه الفرزدق ومعاصروه فبقيت قصائدهم تماطل الانتماء الجديد فالفرزدق يجير على قبر أبيه ويدفع الديات ويحمل الحمالات ويرتهن ابنه، وينحر على عادة الجاهليين على قبور آبائه، ويأنف أن يكون تابعاً للأمويين مفتخراً بمآثر قومه، ولكنه قد يرضخ على كره، لا اقتناع فيمدح بمفردات جديدة والياً أو أميراً، ولم يهج معاوية – لأنه يرى رأي العلويين– كما قد يظن– بل انطلاقاً من أساسه الاجتماعي القبيلي وحينما يمدح سليمان بن عبد الملك فأنه لا يراه الاّ كما يرى شيخاً من شيوخ تميم بل يفخر بنفسه وعشيرته، ثم يمدحه فأخذ عليه الممدوحون هذا وأبوا عليه ؛ فنصوصه عامة تقدم الفخر دليلاً على أنه باعثه وملهمه، وينتهي به مؤكداً انتماءَه الأصيل للنمط الفني الرائد عدا بعض النصوص التي تظهر فيها نفسه، كخوفه من السجن أو ندمه على فراق زوجته ومتابعة بعض المستجدات التي لها فعلها في تنوع موضوعاته، وكثرة تفصيلاته لتنوع الظرف البيئي والاجتماعي الذي يضمّ المتقدم والمتأخر معاً، وهذا لا يعني تحولاً أو تغيراً بالأفق العام للأداء الفني، لأن التنوع موجود حتى في العصر الجاهلي وفي لغة ذلك العصر أيضاً، لكثرة اللهجات وتنوع الأداء وغياب الأستقراء والدرس اللغوي والنحوي، علماً أن ضآلة التنوع وقلة الدوافع وسيطرة الدافع القبيلي على عصر الريادة – عدا بعض الاستجابات الآنية التي لاتغير من الواقع شيئاً – كلها مزايا عصر القصيدة البدوية القديمة،قياساً على عصر الفرزدق الذي كثرت فيه الدوافع وازدحمت فيه المستجدات؛ ومع هذا فقد بقي الشاعر المتأخر مشدوداً إلى صلاته الفنية التي تحكّمت بأدائه، لدورانه في فلك القبيلة، ولا يختلف عن الشاعر القديم الاّ بتأخره الزمني عنهم وصراعه مع الجديد وملاحقته له بكثرة المقطوعات؛ فالشاعر القديم مسيطر على واقعة لقلة تنوعه.

والأمر الأخر الذي يقدمه لنا التأخر النسبي الزمني للشاعر المتأخر هو أن ديوانه قد وصل تقريباً وغير متنازع النسبة، قياساً على دواوين فحول الجاهلية، لأسباب تتعلق بالرواية وبحدث الإسلام وشغل الناس به وتطور الدرس النحوي واللغوي واعتماده الشعر في تفسير القرآن وظهور التدوين، أي بظهور التوثيق للادب وتطوره.

ومن دلائل امتداد الأداء البدوي حتى القرن الثاني الهجري، الخوض في انتحال الشعر، الذي جعل شعر القرن الأول متهماً، فلو كان هنالك فرق بين الشعر الجاهلي والشعر الذي جاء بعد الإسلام ما وضع ابن سلام منهجاً في صفات الناقد المميز وتوصيات أخرى في التمييز بين الشعر القديم والشعر المنتحل أخذت صورة النظرية التي تقرر امتداد الأداء الجاهلي، حتى أن كتابه لم يكن التجربة المنهجية الأولى في النقد العربي القديم، بمفهوم التقويم الفني الموضوعي بل في التمييز بين المنتحل والأصيل، وإنما كان كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة هو الكتاب الأول في هذا المضمار؛ اذن أعدّ صفة الانتحال دليلاً على امتداد الأداء الجاهلي لما بعد الجاهلية لغياب الفارق بينهما؛ فلولا اعترافات المنتحلين أنفسهم وتمادي أولاد الشعراء الجاهليين في نسبة شعرهم الى آبائهم المقلّين ونزاع بعض القبائل في نسبة الشعر وتزيّدهم فيه والغلط في اسماء الاماكن والسهو القليل في المعنى الذي لا يغلط فيه جاهلي وشكوك العلماء في بعض القضايا الموضوعية، لما شكّ احد في نسبة الشعر المنتحل الى مرحلة الفن الجاهلي؛ وكذلك اقول ان الاسس التمييزية للفصل بين ما هو جاهلي وما هو غير جاهلي تبقى في مجال النظرية غالباً لا الواقع ولا التطبيق، عدا بعض الملاحظات الفنية التي لا تميز قصيدة كاملة بل ابيات قليلة.

واعدّ مدّ عصر الاستشهاد الى منتصف القرن الثاني للهجرة دليلاً مضافاً على امتداد مرحلة الفن الجاهلي، من جانب ضيّق، لان اللغة التي اعتمدها اللغويون والنحاة والدارسون ظلت ترفد الاداء الشعري حتى نهاية القرن الثاني او قبيل نهايته، لانها اللغة الجاهلية الفصيحة ان لم تكن الفصحى ((وهذا الاعتبار اصبح قانون النقد في العصور المتأخرة، المعترف به رسمياً من اصحاب السلطة الادبية الفكرية، فكان من نتائجه ان رفع الشاعر الى اعلى المقامات ...))[٢٥] فقضية الكشف عن الشعر المنتحل في النهاية لا تلغى امتداد الاداء الجاهلي على الآماد الاسلامية والاموية، وانما فقد الشعر المنتحل قيمته حينما عرف الناس انه لا ينتمي الى زمن الجاهلية، الذي اصبح رمزاً للفصاحة والنقاء، لان الاداء الجاهلي ليس حكراً على الجاهليين، فلا يمكننا تصور الفنان يرقب الاحداث ثم يخلع رداءه فور حدوث امر جديد بل يظل يرتديه لانه نسيج عصره خيطاً فخيطاً ويصّر على ان يلبسه هو واولاده ورواته حتى لو لم يكن يماشي عصرهم، وحتى لو فرضت الاحداث ازياء جديدة بخيوط والوان جديدة، بل يسوغ لهم بقاءهم عليه بشتى المسوغات التي اقلها الاعتزاز بالتراث وحتى لو كانت المسوغات الاخرى غير مقنعة الا اذا اوغل الزمان في بعده عن زمان ذلك الاب وجاء بكثير من الاحداث فهنا يستطيع الابناء ان يضعوا رداء جدّهم في مكان يعتزّون به، ولا حرج من ان يرتدوه كلما دعت الدواعي.

---

(٢٥) قراءة ثانية للشعر العربي (بحث في مجلة الفكر العربي المعاصر): ٢٠.

لذلك ولغيره، لانستطيع اعتماد الاسلام حداً فاصلاً يقسّم الاداء الفني الى حقب او مراحل او يزيل الدوافع القبلية التي هي من اهم الدوافع الموضوعية لانطلاق التعبير ولكن هذا يحدث بعد ان تتسع المدنية ويخفت الانتماء القبيلي في نفوس الشعراء العرب او بظهور شعراء اعاجم، ولم يعد الاداء الفني القديم مرجعاً موضوعياً ينطلق منه التعبير بل يظل بعيداً لإسباغ المشروعية لكونه افقاً تراثياً او استذكاراً للاصالة كمثال معتزٍّ به يقلده الشعراء تواصلاً منهم مع المتلقي لا اكثر في بدايات القرن الثالث الهجري، اذن نجد الاثر الفني الجاهلي كان سارياً حتى بعد ذي الرمة محتوياً شعراء القرن الاول ومن عاش منهم في القرن الثاني، اما شعراء الحاضرة فانهم شعراء مدن حتى في ايام الجاهلية، ولنا مثل في عدي بن زيد العبادي وسكناه في الحيرة أو في بلاط كسرى، ولذلك انتمى شعر الفرزدق الى الاصول الفنية والموضوعية الجاهلية، عدا بعض الصيغ التي تعدّ من مستلزمات الاستجابة للتجربة الانية التي لا يمكن ان يجمد الفنان ضمن اطار معين معها مهما كانت صرامتها وحديثّها، فلو تبادل زهير وامرؤ القيس الزمان مع الفرزدق لاستجابا لها كاستجابة الفرزدق، ولو اردنا الموازنة بين نصوص الفرزدق والنصوص الرائدة ما وجدنا ما يوحي بانقطاعه أو تمثيله لمرحلة مغايرة؛ لأن القصيدة الجاهلية هيكل لاوجود لثباته الا في بعض الرؤى المدرسية كقصيدة ابن قتيبة الناقصة الاستقراء؛ لان الشاعر الجاهلي فنان، والفنان اذكى من أن يلازم اسلوباً واحداً او يعمل بوصاية نقدية، ومن هنا نجد الفرزدق وهو يهاجم نقاده ونظرياتهم لان مرحلته ليست مرحلة تنظير، فالمدّ اللغوي لمّا يزل، ولمّا يأت زمن الاستقرار المدرسي، فضلاً عن ان مآخذ النقاد على الفرزدق كانت على طريقة استعماله بعض المفردات، ومع هذا فالوقت لمّا يزل مبكراً لظهور مثل هذا النقد الذي كان بذور حركة ستتطور ولكنّ هذه البذور دفعت الشعراء بعد الفرزدق الى اعتمادها خوفاً من البعد عن الاداء الذي يفضّله المتلقي، ولضمان بقائهم شواهد نحوية ولغوية واطالة امد عصر الاستشهاد؛ وكما حدث مع بشار، بعد ان كان الجاهلي يتكلم ويعبر تلقائياً على وفق دوافع لايدرسها مثل دراسة الشاعر الذي جاء بعد الفرزدق؛ لأنه ينطلق من دوافع قبلية وتفاصيل البيئة ؛ والظرف الذي ضمّ المتقدم والمتأخر لم يتغير الا قليلاً. واخيراً يبدو أن تقسيم الشعر العربي يجب ان يكون على اساس اتجاهات ادائية لا على مراحل زمنية؛ لان الانتماء الذي يجعل من الشعر هدفاً ابداعياً لا وسيلة لقول الشعر قبل الاسلام لم يمت إلاّ بعد أن حل محله الانتماء الى الاسلام بعد قرن من الاسلام تقريباً او يزيد بحسب البيئة وبحسب الشعراء انفسهم وبهذا ظهر اتجاه جديد في مرحلة الدولة العباسية فمفهوم (الاتجاه) اقرب الى طبيعة الفن قرب المرحلة الزمنية الى التاريخ.

المصادر:

- الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني، مصور عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية للعامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ج: ٨.
- البيان والتبين، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:٥، ١٩٨٥.
- التحليل النقدي والجمالي للادب، الدكتور عناد غزوان، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، العراق، ١٩٨٥.
- تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي والعصر الاسلامي) مج١، الدكتور طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٥.
- الحيوان، للجاحظ، تح: محمد عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٤٥.
- دراسات نقدية في الادب العربي، الدكتور بهجت عبدالغفور الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.
- شرح ديوان الفرزدق، شرحه وعلق عليه: عبدالله اسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، ط١، مصر، ١٩٣٦.
- شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه واكملها: ايليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢.
- المفضليات، جارلز جيمس لايل، ترجمة: الدكتور عناد غزوان، مستلة من مجلة كلية اصول الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٥.
- مواقف في الادب والنقد، الدكتور عبدالجبار المطلبي، دار الرشيد، ١٩٨٠.
- الموشح، المرزباني، تح: محمد علي البجاوي، القاهرة، ١٩٦٥.
- نقائض جرير والفرزدق، ابو عبيدة معمر بن المثنى، ليدن، مطبعة بريل ١٩٠٥- ١٩١٢.
- وفيات الاعيان، ابن خلكان، تح: الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.
- وفيات الاعيان، ابن خلكان، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٨.

المجلات والبحوث

- بناء القصيدة عند الشريف الرضي، الدكتور عناد غزوان (ضمن بحوث الشريف الرضي في ذكراه الالفية)، دار آفاق عربية، بغداد.
- مجلة فصول مجلة النقد الادبي تصدرها الهيئة المصرية العامة الكتاب.

أ- جماليات القصيدة التقليدية: الدكتور شكري عياد. مج٦، عدد٢، ١٩٨٦.

ب- بدايات النظر في القصيدة، فان جيلدر، ترجمة: عصام بهي، مج: ٦، عدد٢، ١٩٨٦.

المعجم الصوتي / عدا ذ ر ث / غ / خ / ط / و

الهمزة	الالف المقصورة	الباء	التاء	الجيم	الراء	الزاي	السين	الصاد	الضاد	الحاد	الذال	الهاء
قصيدتان	قصيدة واحدة	٣١قصيدة ٤٦مقطوعة	٥/٤	٤/١	٦٤ ٦٦	مقطوعة واحدة	٦مقطوعات	مقطوعتان	٢	٧/٢	٤٠/١٩	١/١
النون		اللام		الميم		العين		الفاء		القاف	الكاف	الياء
١٥/١١		٤١/٣٩		٥٩/٤٩		١٩/١٣		٤/٧		١٤/٨	٦مقطوعات	٥/٤

المجموع / ٢٥٦ قصيدة / ٣٤٢ مقطوعة

المعدل العام لطول القصائد الاعتيادية : ٣٠ بيتاً

المعدل العام للقصائد الطويلة : فوق الخمسين في اللام ٥ قصائد / الراء خمسة ايضاً / الميم اربعة / الفاء ٣ / الباء واحدة

القصائد الطويلة

١ نقط / ١٤٩ بيتاً على حرف اللام

١١٣ على حرف الفاء

شؤون القبيلة				المقطوعات	شؤون الولاة والخلفاء والتحريض		
الاعراض عن الهجاء	العتاب	النصيحة	سياسة القبيلة		قصيدة مصدرة بغزل	تحريض الخليفة على الولاة	مقطوعات
١	١	٢	٥	١٤ ٢٤ ٣٨	٤	١	١٤

شؤون الأسرة وعتاب الزوجات ووصف الطلاق والشكوى من الجو الأسري / والتحسر من فراق الزوجات

١٤ مقطوعة

	قصائد المديح						مقطوعات المديح			الرثاء			
قصائد مصدرة بالحكمة	قصائد مصدرة بالغزل	قصائد مصدرة بالشكوى	قصائد مصدرة بالفخر	قصائد مقدمة بالتأسف على الشباب	قصائد بدون مقدمة	عدد المقطوعات	مديح العشيرة		رثاء الابناء	رثاء الاقرباء والقبيلة	الرثاء المحض	المقطوعات
١	٣١	١	١	٣	١٠١	٧٩	قصيدتان		٢	امع رثاء الجوامع والمجامع	١٤	٢٧
هجاء مصدر بغزل		مصدر شكوى الشيب		غير مصدر	مصدر بفخر	عدد المقطوعات	الغزل قصائد تشبه دارة جلجل		قصائد مصدر بالشكوى	مقطوعات	شكوى الزمان لتأسف على الشباب وشكوى العقوق والسجن	مقطوعات
٣ ١		١		٤٢	٤	٧٧	٤		١	١١	٢	٥
							الحكمة	١مصدرة تأسف على الشباب	المقطوعات	الوصف المجرد	قصيدة	مقطوعة
								١	٤+١		٣	٩
الفخر بالنفس		بالقبيلة	الفخر مع الهجاء	الفخر دون شيء اخر	اعراضه عن الولاة وفخره بنفسه	مقطوعة	الخمرة / مقطوعتان		التهديد / السخرية ٣ / ٣			

مفهوم شبابيّةِ القرآن وفُتوّتهِ لدى بديع الزمان
سعيد النورسيّ [ت ١٣٧٩هـ]
- دراسة تأصيليّة في بيان حقيقة الإعجاز -

الأستاذ الدكتور عزيز محمد عدمان
أستاذ بجامعة الجزائر/ بن يوسف بن خدّة

الملخص:

من الثابت عند علماء الإعجاز أنّ القرآن الحكيم بلغ درجة الاستقلال الفنيّ والجماليّ، فأضحى نصاً خصباً سامياً لا ينتهي عند حدٍّ، يتجدد عبر الأزمنة معلناً حاجة الباحثين إلى استكشاف حقيقة إعجازه ، وتفرّد أسلوبه، وسمو بلاغته.

ولما كان القرآن الكريم بهذا الإشعاع البيانيّ، والتألق التعبيريّ؛ انبرى أهل الاختصاص لاستكناه ماهية سموه، و البحث في أسرار مخالفته لكل نظم بشريّ معتاد .

ولا جرم أنّ مسألة تميّز النظم القرآنيّ من غيره من النظوم البشرية من المباحث التي شغلت قديمًا وحديثاً أذهان علماء الإعجاز والبلاغة والمفسرين وغيرهم؛ ومن هذا المنطلق ألفينا أنّ الأستاذ النورسيّ –رحمه الله- [١٢٩٤هـ- ١٣٧٩هـ] بحِّسه البلاغيّ والنقديّ والأصوليّ قارب الموضوع من منطلقات غير مسبوقة في تاريخ الإعجاز القرآنيّ .

وستكشف هذه المقاربة عن رؤية تحليلية، ونقدية جليلة القدر، لمفهوم شبابية القرآن، وفتوته في كنف رسائل النور؛ وخليق بالذِكر أن المفهوم الذي ارتضاه النورسيّ؛ للتعبير عن حكمة القرآن البيانية ورد في بعض رسائل النور مفرّقا منجماً لم يلتئم في رسالة بعينها .

وقد حاول الباحث جمع ما تفرق من النصوص التي رأى أنها الأنسب؛ للدلالة على إعجاز القرآن الكريم من منطلقات بلاغية، وتشريعية .

فالبحث محاولة تأصيلية لمفهوم شبابية القرآن، وطراوته؛ قصد استخلاص البنية الكلية للمفهوم الذي تجاذبته مجموعة من المفاهيم الجزئية المستمدة من مجالات معرفية متباينة .

The Concept of The Qur'an Youth and its Generosity from The Perspective of Badi al-Zaman Said al-Nursi [1379 AH] A Fundamentalist Study in Explaining the Truth of Miracles and its Wisdom

Prof. Dr. Aziz Muhammad Admane
University of Algeria 1 Bin Yousif Bin Khuda / Algeria

Abstract

It is established among the scholars of miracles that the Holy Qur'an has attained the artistic and aesthetic independence, and has become a rich and sublime text that is renewed throughout time, declaring the need of the researchers to explore the truth of its miracles, its unique style, and the sublimity of its rhetoric.

And since the Holy Quran has such radiance and expressive brilliance; specialists set out to explore the nature of its sublimity, and the secrets of its opposition to every usual human system.

There is no doubt that the issue of distinguishing Quranic systems from other human systems is one of the topics that has preoccupied the minds of scholars of miracles, rhetoric, interpreters, and others, in the ancient and in modern time. It is from this point of view, we realized that Professor Al-Nursi (may God have mercy on him) [1294 Ah - 1379 AH] with his rhetorical, critical and fundamental sense approached the subject from unprecedented premises in the history of the Quranic miracles.

This approach reveals an analytical and critical view of the concept of the youth of the Quran and its generosity in light of Rasael Al Nour. It is worth mentioning that the concept that Al-Nursi accepted to express the wisdom of the Qur'an, appears in some of Rasael Al Nour, in separate parts that were not combined in a specific message.

The researcher tried to collect the scattered texts that he deemed most appropriate to indicate the miracles of the Qur'an from rhetorical and jurisprudential standpoints.

The research is a fundamentalist attempt to the concept of the youthfulness and freshness of the Qur'an, to derive the overall structure of the concept which is attracted by a set of partial concepts derived from different fields of knowledge.

المقدمة :

لما كان القرآنُ الكريم معجزة ربانيّة خالدة وجب الإقرار بأنّ مدده لا يتوقف وعطاءَه لا ينقطع؛ وسوف يستمر هذا التدفق البيانيّ؛ تحقيقاً لطبيعة الخطاب القرآني الغضّة والنديّة، والمرنة، والمتجددة بتجدد الزمان والمكان .

والناظر في رسائل النور نظرة ثاقبة يلفي أن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسيّ –رحمه الله– قد أدرك حقيقة هذا الثراء اللفظي والمعنويّ، والسيولة الدلاليّة؛ مُلِمًّا بفلسفة خلود النص القرآني وحيويته، وديمومته . فهل مفهوم الشبابية والفتوة من مخترعات النورسي؟ أم هو من الموروث الإعجازيّ والبلاغيّ والتفسيريّ ؟. وما مراده من توظيف الشبابية ؟ وهل الفتوّة هي مصدر الإعجاز والتحدي؟. وما مصدر فيض القرآن الذي ما له من نفاد ؟. وما تجليات الشبابية من المنظور البلاغيّ والفقهيّ . ؟ .

أولاً : تجليات مفهوم الشبابية في بيئات علماء الإعجاز والبلاغيين والنقاد والمفسّرين:

يجد المتأمل في التراث الإعجازيّ والبلاغيّ والتفسيريّ إشارات لمفهوم خلود النص؛ وقد تباينت آراء العلماء في ماهية هذا البقاء الأبديّ، واختلفت نظراتهم إلى معنى صلاحية القرآن لكل زمان ومكان – وإن أجمع العلماء على أنّ مسلك الإعجاز القرآنيّ مما لا يمكن بلوغ مقاصده وغاياته–؛ ومن ثم نجدهم يعبرون عن هذا النفيس المحتجِب عن العقول والأفهام بعبارات دالة على قصور الفكر البشريّ في فهم الظاهرة القرآنية؛ وفي هذا السياق يقول أبو بكر الباقلانيّ الذي نقل الدراسات الإعجازية من فضاء التنظير إلى الممارسة العملية: " طريقة الشعر شريعةٌ مَوْرودَةٌ، ومنزلة مشهودة، يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم، ويتناول منها ذووها على حَسب أحوالهم [...] فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه ورصفه، فإن العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتضلّ دون وصفه " [1] .

---

[1] الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، [د.ت]، ص ٢٧٨-٢٧٩.

وجليّ من كلام الباقلانيّ –رحمه الله– أن المتن الشعريّ هو أنفس صناعة العرب وأقدس ما جادت به قرائحهم، وأذواقهم؛ ولهم في تصريف الكلام مذاهب ثابتة، وطرائق معلومة معهودة أخذوا منها بقدر معلوم ناسب مقتضيات قول الشعر، ومتطلبات صناعة فن الكلام . في مقابل هذه المرتبة المشهودة تاريخيا بالسمو والرفعة البيانية؛ نجد أن نهج القرآن مما لا تدركه العقول .وقد عبّر عبد القاهر الجرجانيّ –رحمه الله– عن هذا العجز البيانيّ من أهل اللسان، وأقطاب الصناعة اللفظية فقال: " وجدوا اتساقاً بهَر العقولَ وأعجزَ الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدعْ في نفس بليغٍ منهم ولوْ حكَّ بيافوخه السماء، موضِعَ طَمعٍ "(٢).

فلا مجال للطمع في بلوغ نظم القرآن، ومجاراة رصفه، ولا سبيل لمحاكاة نسج القرآن؛ وقد أبدع شيخ البلاغيين بهذه الصورة التشبيهية للتعبير عن الاستحالة المطلقة، والعجز الكامل في الاهتداء إلى موطن يمكن أن يفتح أملَ المحاكاة أو المجاراة .

وتجسيدا لمفهوم شبابية القرآن، وفتوّته، وتجدد معانيه وخصوبة ألفاظه النديّة يرى ابن قتيبة –رحمه الله– أن مصدر حلاوة القرآن حكمة إلهية؛ إذ جعل الله الذكر الحكيم: " مَتْلُوّاً لا يُملُّ على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجُّه الآذان، وغضًّا لا يَخْلق على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده "(٣) .

وقد ذاق بعض المحدثين حلاوة السرّ المكنون في شبابية القرآن، ونالوا شرف الاغتراف من معينه الفيّاض مع إقرارهم بالعجز الواضح، والقصور الجليّ في بلوغ حقيقة الإعجاز وماهيته؛ وهو ما دفع سيد قطب الأديب الناقد –رحمه الله– إلى سرد جملة من الأسرار لعلها تفي بالمقصود من التعبير عن فتوة القرآن وطلاوته فقال متسائلاً: " إن في هذا القرآن سراً خاصاً، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن. يشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير. وأن هناك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس واضحاً ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه على كل حال موجود. هذا العنصر الذي ينسكب في الحس، يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي شعّها ؟ أهو الإيقاع القرآنيّ الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة ؟أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟ ! " (٤) .

---

(٢) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة.، [د.ت]، ص ٣٩.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، الثانية، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م،ص ٠٣ من المقدمة .

(٤) قطب، سيد إبراهيم حسين الشاذلي،، في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، دار الشروق، القاهرة ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٣م، الجزء السابع والعشرون، ص ٣٣٩٩.

التحقيق أن شهادة سيد قطب شهادة خبير متمرس في صناعة الذوق، والبيان؛ فقد عاش في ظلال القرآن الوارفة، بروحه، ووجدانه وأحاسيسه ؛ مسخراً ملكاته البيانية والذوقية في محاولة رصينة لاستكشاف درر القرآن السنيّة في مدارج الخطاب .

وبعد معايشة روحية، وجمالية للنص القرآني يعلن سيد قطب أن مدار الإعجاز مما لا يمكن حصر مصدره أو وصف كنهه ؛ وكأنه يعبّر عن شبابية القرآن ونضارته؛ وهي سمات البقاء السرمديّ لكل نص عالٍ تجاوز الأذواق، وتخطى الآفاق .

كما يُعدّ محمد الطاهر ابن عاشور من أكثر المفسرين اهتمامًا بقضايا البلاغة القرآنية؛ وقد لامس مفهوم شبابية القرآن ملامسة جمالية؛ منطلقاً من قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٢٠}﴾[سورة المزمل] (٥). يقول ابن عاشور؛ مبرزاً مفهوم التجدد: " فإن من أغراض القرآن استكثار أزمان قراءته كما قال تعالى " علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن " فقوله ما تيسر يقتضي الاستكثار بقدر التَّيَسُّر، وفي تناسب أقواله وتفنن أغراضه مجلبة لذلك التيسير وعون على التكثر " (٦) .

يرى ابن عاشور –رحمه الله– أن القرآن بصفته الموسوعية والمحيطية يتعذر على البشر الإحاطة به قراءة وتدبراً؛ ومن ثم جاءت فلسفة التيسير في قراءته دالة على مقصد الشارع الحكيم من التسهيل على الناس؛ وفي هذا التيسير ما يكفي لتأكيد معنى التجدد المصاحب لتجدد أغراضه، وفنونه .

فلو لم يكن القرآن مصدراً ثريا خصبا ندياً لما اقتضى الاستكثار في قراءاته وتأمله ؛فإن ثراء فنونه، وتعدد أساليبه مدعاة للتكثر .

ويكشف ابن عاشور عن حقيقة مفادها : إن القرآن الحكيم مورد عذب، ومنهلٍ صافٍ لكل المشارب والأذواق؛ ويشهد على عذوبة منبعه صفة الشبابية التي لازمته ولم تزايله؛ " فجاء القرآن بأسلوب في الأدب غض جديد صالح لكل العقول، متفنن إلى أفانين أغراض الحياة كلها معطٍ

---

(٥) سورة المزمل، الآية : ٢٠.

(٦) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، الجزء الأول، الكتاب الأول، ص ١١٦.

لكل فن ما يليق من المعاني والألفاظ . " [٧].

ويزيد ابن عاشور مفهوم تجدد قراءة القرآن، وتدبره وضوحا؛ مسترشدا بمفهوم تعدد القراءات الذي لا ينافي اللفظ؛ وبعبارة أكثر إضاءة يمكن القول: إن صلوحية القرآن لكل زمان ومكان لا يعني انفلات القراءة؛ وإنما ثراء مادة الوحي وغناها مدعاة لتأمل رشيد غير منفلت من أسر اللغة القرآنية وقوانينها . وقد عبّر ابن عاشور عن هذا القيد قائلاً : " صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معانٍ متعددة لكنها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ " [٨] .

فدائرة الاحتمالات لا تتسع إلا إذا أذن بذلك اللفظ؛ ذلك أن الصلوحية لا تعني الاستنطاق الفض الغليظ للنص، واستكراهه على معان ممجوجة لا يسمح بها النَّظم القويم .

ويخلص ابن عاشور إلى مذهب المحققين في إعجاز القرآن فيقول : " كان بما بلغه من منتهى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وما احتوى عليه من النكت والخصوصيات التي لا تَفْفُ بها عُدّة، ويزيدها النظر مع طول الزمان جدّة، فلا تخطر ببال ناظر من العصور الآتية نكتة أو خصوصية إلا وَجَدَ آيات القرآن تتحملها بحيث لا يمكن إيداع ذلك في كلام إلاّ لعلاّم الغيوب "[٩].

فطول الزمان كفيل بالكشف عن نكت القرآن، وأسراره وخصوصياته الفنية والجمالية؛ لأن إعجازه لا يقف عند غاية، وإنما تتجدد آفاقه عبر الزمان إلى ما لا نهاية ؛ وتتسع باتساع المعارف الإنسانية والكونية .

ثانياً : مفهوم الشبابية من مخترعات النورسي ومبتكراته :

تناقل علماء البلاغة والإعجاز والتفسير حديثاً نبويّاً مركزياً في موضوع تدفق النص القرآنيّ

وحيويته وخصوبته؛ فقد جاء في الحديث النبويّ الشريف: " كتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، وخبر ما بعدكُمْ، وحُكمُ ما بينكم. وهو الفصلُ ليس بالهَزْلِ ، منْ تركهُ من جبّار قَصَمَهُ الله، ومنِ ابتغى الهدى في غيره أَضَلّهُ الله، وهوَ حبلُ اللهِ المتينِ، وهو الذِّكْرُ الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواءُ، ولا تَلْتَبِسُ به الألسنةُ، ولا يشبعُ منه العلماءُ،

---

[٧] المصدر نفسه، الجزء الأول، الكتاب الأول، ص ١١٩.

[٨] المصدر نفسه، الجزء الأول، الكتاب الأول، ص ١٢١. عبّر محمد الطاهر ابن عاشور عن الكثافة الأسلوبية للخطاب القرآني؛ معلنا أن شبابية القرآن تتجاوز ما يتصور من المعاني، وأسراره تتعدى آفاق التنزيل . يقول – رحمه الله– : " ولو لا إيجاز القرآن لكان أداء ما يتضمنه من المعاني في أضعاف مقدار القرآن، وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حداً يدق عن تفطن العالم ويزيد عن تبصره " . التحرير والتنوير، الجزء الأول، الكتاب الأول، ص ١٢٢.

[٩] المصدر نفسه، الجزء الأول، الكتاب الأول، ص ١٣٠.

ولا يَخْلَقُ على كثرةِ الرَّدِ، ولا تنقضي عَجائِبُهُ "[١٠].

ومحل الشاهد في قول الرسول – صلّى الله عليه وسلم – (ولا يشبعُ منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه) .

وصف جامعٌ مغنٍ، وفاضل عن الكفاية في تصوير هذا المدد الجماليّ الذي يحرّك رغبة البشر في الاستزادة منه؛ والارتواء من معينه؛ وهيهات أن يشبع منه النهلان !. يقول الإمام الحافظ المبار كفُوري [ت ١٣٥٣هـ] شارحاً الحديث: " " ولا يشبع منه العلماء " أي: لا يصلون إلى الإحاطة بكنهه حتى يقفوا عن طلبه وقوف من يشبع من مطعوم، بل كلما اطلعوا على شيء من حقائقه اشتاقوا إلى آخر أكثر من الأول، وهكذا فلا شبع ولا سآمة."[١١].

فتمتد الرغبة النفسية والروحية؛ طلباً للمزيد من النهل، ويبقى العوز الروحيّ والفاقة الوجدانية لقراءة القرآن ، وتدبره قائمة متواصلة لا انقطاع ولا انفصال ولا ملل .ويضيف الإمام الحافظ في شرح الحديث قائلاً : " " ولا يخلق " بفتح الياء وضمّ اللام، وبضم الياء وكسر اللام من خلق الثوب إذا بلى، وكذلك أخلق " عن كثرة الرد "، أي : لا تزول لذة قراءته وطراوة تلاوته، واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تكراره . " .[١٢].

فالتكرار الذي يورث السآمة لا مكان له في قراءة القرآن؛ لأن الطاقة الروحية والتعبيرية والأسلوبية التي احتضنت القرآن هي مصدرة اللذة، ومنبع الأريحية .

وقد انفرد الأستاذ النورسي في التعبير عن مكنون هذه اللذة التي يستشعرها قارئ القرآن من منطلق مفهوم الشبابية الذي نعتقد أنها من لفتاته الجليلة، ومخترعاته الاصطلاحية .

ويتجلّى مفهوم الشبابية من منظور الأستاذ النورسي – رحمه الله – في رحاب رؤية كونية قرآنية؛ إذ يرى أن البيان القرآني هو مفتاح فهم أسرار الكون وحقائقه؛ ذلك أن القرآن المنظور والمسطور ناطق بوحدانية الله وقدرته الخارقة حيث : " إن القرآن الكريم، ببياناته القوة النافذة، إنما يمزّق غطاء الإلفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذكر إلاّ كأنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه

---

[١٠] المُباركفُوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمان، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ومعه شفاء الغلل في شرح كتاب العلل، خرّج أحاديثه عصام الصّبابطي، الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م، المجلد السابع، ص ٣٢٤، رقم الحديث : ٢٩٠٦، وفي إسناد هذا الحديث كلام .

[١١] المصدر نفسه، المجلد السابع، ص ٣٢٥.

[١٢] المصدر نفسه، المجلد السابع، ص ٣٢٥.

ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول. " [١٣].

فالكون ببيانه ناطق بأسرار لا تظهر إلا لمن دقّق، وتدبر وتحقق ؛ والبلاغة القرآنية من جملة هذا البيان الفاتح لأسرار الكون ومكنوناته؛ ولهذا عُدَّت حكمة الإعجاز في بلاغة القرآن؛ وهي بلاغة خارقة . يقول النورسي: " إن أساليب القرآن الكريم غريبة وبديعة كما أنها عجيبة ومقنعة، لم يقلّد أحداً قط ولا يستطيع أحد أن يقلّده. فلقد حافظ وما يزال يحافظ على طراوة أساليبه وشبابيته وغرابته مثلما نزل لأول مرّة ."[١٤].

وخليق بالإيماءة أن غرابة القرآن لا تعني الدلالة السلبية الموهمة لوحشية اللفظ كما يتوهم من لم يذق جمال العربية؛ وإنما في الغرابة إبداع .

ولعل لفظ الغرابة يوحي بمعنى الإبداع الخارق في الأسلوب؛ ومرتكزات هذا الجمال الأسلوبيّ الشبابية الممتدة عبر التاريخ؛ وهي طراوة متواصلة دون انقطاع تكشف عنها مذاهب فن الأسلوب ومدارسه . فما مصدر هذه الشبابية ؟.

يعزو النورسيّ مكمن الإبداع الخارق في أسلوب القرآن إلى الحقيقة الإلهية الأزلية؛ معللاً : " لأن القرآن حق وحقيقة وصدق وهدى وذو فصاحة خارقة فلا يورث الملل والسآمة، وإنما يحافظ على شبابيته دائماً كما يحافظ على طراوته وحلاوته . "[١٥].

---

[١٣] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، إسطنبول، شركة سوزلر للنشر، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م، ص ١٤٨.

[١٤] المصدر نفسه، ص ٤٣٠. يعلق النورسي – رحمه الله– على قضية استحالة تقليد القرآن ومماثلته؛ مع كثرة مقلدي أسلوبه قائلاً : " إنّ القرآن بفواتحه ومقاطعه بقي بعدُ كما كان قبلُ، لم يماثل ولم يقلّد مع تآخذ أسباب التقليد والتأسّي من شوق الأودّاء وتحدي الأعداء " . النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، تقديم محسن عبد الحميد، الطبعة الثالثة، إسطنبول، شركة سوزلر للنشر .، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م ، ص ٤٤.

مفهوم غرابة أساليب القرآن لا تعني صفة الوحشية كما توصف أساليب العرب في النقد الأدبي بأنها غير مألوفة وغير مأنوسة؛ بل إن الغرابة في ألفاظ القرآن وأساليبه تعني الإبداع والإقناع والإمتاع . ويشهد على هذه الخاصية المميّزة لألفاظ القرآن ما يذكره علماء الإعجاز من جمال لفظ (ضيزى) الوارد في سورة النجم في الآية الثانية والعشرين في قوله جل ثناؤه : ﴿ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى{٢٢}﴾. يقول مصطفى صادق الرافعي تعليقا على جمالية لفظ (ضيزى) وروعتها : " وقد تأتي الكلمة القرآنية في القرآن، لكن تأليف حروفها من جهة، وغرابة المعنى الذي جاءت فيه نجدها أنها فصلت تفصيلاً بحيث لا يصلح غيرها مكانها، وذلك مثل كلمة (ضيزى) " . الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، التاسعة، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، ١٩٩٦هـ –١٩٧٣م، ص ٩٦. وهذا دليل على لطف دلالات القرآن، وباهر أسراره .

[١٥] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات ، ص ٤٣٥. يرى النورسي أن صفة جامعية القرآن تعبير عن

المنعم للنظر في رسائل النور يجد أن النورسي أدار مفهوم الشبابية على محور دلاليّ مركزيّ له تعلق بالبعد الزمنيّ في مخاطبة البشر على اختلاف مستوياتهم، وتباين ملكاتهم الاستيعابية .

وفي هذا السياق يقول النورسي : " إن القرآن الكريم قد حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نضراً فتيا. نعم، إن القرآن الكريم لأنه خطاب أزليّ مخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطاباً مباشراً يلزم أن يكون له شبابية دائمة كهذه. فلقد ظهر شاباً وهو كذلك كما كان . "[١٦].

لا ريب أن نضارة القرآن وبهجته وحسنه وصفائه من خصائص وجوده الأزليّ؛ ومن مقتضيات إشراقه ونعومته أنه خطاب للخاص والعام؛ لينسجم مع طبيعة المخاطبين ونفسيات المتلقين ويواكب كل العصور والأزمان ويبقى فيضا متدفقا لا ينقضي لطفه، ولا تتوارى فوائده .

ويلتفت النورسيّ إلى مفهوم بِكْر لشبابية القرآن يتجاوز المفهوم التاريخي إلى معنى الخصوصية الحضارية والاستقلال المعرفيّ فيقول: " حتى إنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار والمتباينة في الطبائع نظراً كأنه خاص بذلك العصر ووفق مقتضياته مُلقنا دروسَه مُلفتا إليها الأنظار." [١٧].

إن تعدد مستويات المتلقين، وتباين مشاربهم لم يمنع من حصول الإقناع والإمتاع؛ ولعل صفة شمولية الخطاب القرآنيّ لطبقات الخاصة والعامة هو مصدر الإعجاز؛ فاللذة يحسّها العالم والجاهل؛ وإن اختلفت المدارك والمواهب؛ وحلاوة القرآن حاصلة عند الخاصة والعامة؛ ويبقى الفارق في الفهم والإدراك؛ لأن فيض القرآن الدائم هو عطاء غير منقطع يتجدد عند كل طبقة. فما الحكمة من تفاوت نظام المخاطبة في القرآن الحكيم ؟ .

يعزو علماء الإعجاز من الباحثين المعاصرين هذا التباين في اختلاف مستويات التلقي إلى جامعية الخطاب وشموليته؛ وهي جامعية لم تتوفر لخطاب آخر؛ مما يعني أن تباعد إرضاء الخاصة والعامة لم يمنع القرآن من تعدد طرائق نظام المخاطبة؛ وقد أشار محمد عبد العظيم

شبابيته المولّدة لكنوز من الأسرار، والمفجّرة لينابيع لطائفه . يقول – رحمه الله– : " إن لأسلوب القرآن جامعية عجيبة، حتى إنّ سورةً واحدة تتضمن بحرَ القرآن العظيم الذي ضمّ الكون بين جوانحه. وإنّ آية واحدة تضم خزينة تلك السورة " . النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات ،ص ٤٥٧. للإحاطة الشاملة بمفهوم جامعية القرآن ينظر الكلمات، ص ٥١٣–٥١٤. والنص ذاته تكرر في الشعاعات، ص ١٧٧.

[١٦] المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

[١٧] المصدر نفسه، ص ٤٦٧. ورد في ترجمة نص النورسي خطأ نعتقد أنه طباعيّ في: " ملقّنا دروسه مُلفتا إليها الأنظار " وصوابه لافت من اسم الفاعل للفعل الثلاثي (لفت) .

الزرقاني[ت ١٩٤٧م] إلى خصائص القرآن التي انفرد بها عن بقية الأساليب العربية؛ وعَدَّ الجمع بين خطاب الخاصة وخطاب العامة من سمات التعبير القرآني فقال : " إنه إن أرضى الخاصة والأذكياء، لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة، لم يرض العامة لأنهم لا يفهمونه؛ وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة،لم يرض الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه إمتاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم "[١٨]. فجَمَع القرآن ما لم يُجْمع في خطاب واحد يجد فيه كل إنسان مشربه وبغيته وطِلبته .

ويتوسل الأستاذ النورسي لحل هذه الإشكالية (خطاب العامة وخطاب الخاصة) بمفهوم الشبابية الذي يراه الأداة الحيوية القادرة على مخاطبةٍ كليةٍ شاملة لأفراد المجتمع الواحد مع حصول اللذة الروحية المتجددة، وتباين الفهم والاستيعاب فيقول : " فهذا الخطاب الجليل الذي اكتسب من السعة والسمو والإحاطة والشمول ما اكتسب، يبرز إعجازا رائعا وإحاطة شاملة، بحيث: إنّ مراتبه الفطرية والظاهرية التي تلاطف أفهام العوام البسيطة – وهم معظم المخاطبين – تمنح في الوقت نفسه حصةً وافرة لأعلى المستويات الفكرية ولأرقى الطبقات العقلية، فلا يهب لمخاطبيه شيئاً من إرشاداته وحدها، ولا يخصّهم بعبرة من حكاية تاريخية فقط، بل يخاطب مع ذلك كل طبقة في كل عصر – لكونها فرداً من أفراد دستور كليّ – خطاباً نديّاً طريا جديدا كأنه الآن ينزل عليهم . "[١٩].

فالمخاطبة المتجددة تلبي رغبات طبقات المجتمع المختلفة، وترضي عقولهم وأذواقهم؛ مراعية الاستعدادات الفطرية لكل طبقة، فالمراتب وإن اختلفت، وتباينت تبقى حلاوة القرآن وطراوته وسيلة فعالة في تجديد المدارك، وتوسعة دوائر التأثير الوجداني والروحيّ.

---

(١٨) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، حقّقه فؤاد أحمد زمَرلي، الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ٢٤٦.

(١٩) النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص ٥١٩.

يؤسس النورسيّ لمفهوم التلقي ومستوياته؛ وهو من المفاهيم النقدية المعاصرة التي تنطلق من سلطة القارئ في إعادة إنتاج النص؛ بيد أن الأستاذ النورسي يربط هذا المفهوم بخصائص أسلوب القرآن الذي يرضي خطابه الخاصة والعامة . وهو من المفاهيم المركزية في الدراسات الإعجازية الحديثة والمعاصرة . يقول محمد عبد الله درآز – رحمه الله – في سياق حديثه عن خطاب العامة وخطاب الخاصة : " وهاتان كذلك غايتان متباعدتان عند الناس فإن الكاتب إذا أراد مخاطبة العامة لا بدّ أن ينزل إلى مستواهم فيوضح ويبيّن، ولو خاطب بهذا الأسلوب الخاصة لعد كلامه معيباً ، لأن الخاصة تكفيهم اللمحة والإشارة، وهكذا تجد أن هناك أسلوباً للخاصة وآخر للعامة، ولا يمكن أن تخاطبهما بجملة واحدة، ولكنك واجد هذا في القرآن الكريم. فإن الجملة الواحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء، والأذكياء والأغبياء " . دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن –، اعتنى به وخرّج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني، الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ١٠٥.

كما يوسّع النورسيّ من مفهوم الشبابية ويقرنه بمفهوم ينطلق من رؤية شاملة للزمن الغابر الذي هو حقبة زائلة وفترة عابرة؛ ليجعل من هذه الأزمنة السالفة مادة متدفقة تعطي للزمن مفهوما متحرًّكا يتجاوز السكون القاتل إلى فضاء الحركة والديمومة والاستمرارية . يقول النورسيّ :" ثم إنّ هذا القرآن العظيم يرشد كل طبقة من كل عصر إرشاداً واضحاً بإعجاز رائع مبيّنا: أن " الأزمنة الغابرة" والعصور المندثرة التي هي في نظر الغافلين الضالين وادٍ من عدم سحيق موحش رهيب، ومقبرة مندرسة أليمة كئيبة، يعرضها صحيفة حيّة تطفح عبراً ودروساً، وعالَما عجيبا ينبض بالحياة ويتدفق بالحيوية من أقصاه إلى أقصاه، ومملكة ربانية ترتبط معنًى بوشائج وأواصر فيبيّنها – بإعجازه البديع– واضحة جلية كأنها مشهودة تعرض أمامنا على شاشته "[٢٠].

إن هذا الاستحضار التاريخيّ الحيّ لمفهوم الزمن المنصرم، والعصر المندثر يعرضه الخطاب القرآني عرضا موحياً ناطقا بإعجاز باهر . فما الذي يعطي الزمن الغابر هذه الحيوية المتجددة والمتدفقة ؟.

قد عاين النورسي جوهر الزمن الماضي معاينة فيها كثير من التأمل الروحي والاستبصار النفسي؛ بيان ذلك أن قصور فهم العوام، وعجزهم عن إدراك حقيقة العصور الغابرة بوصفها حقبة مظلمة عفّ عليها الزمن وطويت؛ دفعته لإعادة النظر في حركية الزمن من منطلقات العبرة والعظة التي تعطي للزمن معنى نفسيا يتراءى لقاصر النظر أنه مرحلة سائلة زائلة .

فالقرآن خطاب متجدد في معانيه ودلالاته منذ نزوله إلى أن تقوم الساعة؛ ولأنه خطاب أزليّ اكتسب صفة الشبابية والفتوة، وتحدى معارضيه في كل الأزمان؛ وقد استعان النورسي بصورة تشبيهية للتعبير عن هذا الامتداد الأزليّ فقال : " إنّ من شأن صنعة البشر أنها أول ما تظهر خشنة ناقصة من وجوه، يابسة من الطلاوة، ثم تكتمل وتحلو. مع أنّ أسلوب القرآن لما ظهر ظهر بطلاوة وطراوة وشبابية، وتحدى مع الأفكار المعمرين– بتلاحق الأفكار وسرقة البعض عن البعض – وغلبهم فأعلن الغلبة : " إنه من صنع خالق القوى والقدر " " .[٢١].

يفهم من هذا الأسلوب التمثيليّ أن الصناعة البشرية مهما علا كعبها وسما نجمها تبقى ناقصة بالفطرة التكوينية؛ في حين امتد أريج القرآن عبر الزمان والمكان في نسق تعبيريّ متواصل غير منقطع ولم تنل منه ألسنة المعارضين له، ولم تُضْعِف من شبابيته؛ بل انتصر على كل المحاولات؛ معلناً غلبته وقهره؛ لأنه من صنع الخالق القهّار .

ويواصل النورسي في تأصيل مفهوم الشبابية في علاقته بالزمان؛ ليخلص إلى القاعدة

---

[٢٠] المصدر نفسه، الكلمات، ص ٥٢٠.

[٢١] النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ٤٤.

الذهبية الآتية : " فكلما شاب الزمان شبّ القرآنُ وتوضحت رموزه [...] شبابيته الخارقة شاملة محيطة، وأنسيته جعلته محبوب الإنس والجان، وذلك بالتنزلات الإلهية إلى عقول البشر لتأنيس الأذهان، والمتنوعة بتنوع أساليب التنزيل . " [٢٢].

علاقة عكسية توّجه طبيعة الوشيجة القائمة بين العمر الافتراضيّ للزمن، وبقاء القرآن السرمديّ؛ وفي هذه الاستعارة المكنية ما يعزّز عطاء القرآن المتدفق اللامحدود الذي لا يبليه الزمان أو النسيان؛ بل إن كِبر الزمن يقابله ريعان شباب القرآن، ونعومة الأظفار؛ وفي توظيف النورسي للفعلين (شاب وشبّ) ما يعكس وعيه بالمفهوم البيولوجي الذي يحكم نمو الأشياء وتطورها وانقراضها؛ وهو مفهوم لا ينطبق على ثراء القرآن وحيويته واتساعه وامتداده . فمن تفيأ ظلاله وارتوى من معينه بقي حياً حاضرا في نفس قارئه ومريديه.

ثم إن الشبابية والفتوة ليست جزئية؛ بل كلية شاملة، وجامعة وفاضلة عن الكفاية؛ وفي امتداد طراوة القرآن ما ينبئ عن مصدر أنسه الذي يتجلى في تنوع أساليب القرآن .

ويسترشد النورسي ببنية فرعية مكمِّلة لاصطلاح الشبابية من منظور فلسفة الجمال للتعبير عن التجلي الحقيقي لفتوة القرآن وإشراقه؛ وفي هذا المقام يعلق الأستاذ معللاً سر الكمال القرآني وحقيقة ديمومة نضارته فيقول : " إنّ من شأن الكمال الدائم، التظاهر بالدوام، ووجود نظر المستحسن الدائمي.. فالناظر الذي لا يدوم يسقط من نظر محبته قيمة الكمالات [...] لأن الجمال سرمديّ، يقتضي أبدية المستحسن المتحير؛ إذ الجمال الدائم الكامل لا يرضى بالمشتاق الزائل الآفل. " .[٢٣]

لا يعزب عن بالنا سمو هذه الفلسفة العرفانية في علاقة المحبّ بالمحبوب؛ لأن السرمدي ما لا أول له ولا آخر؛ فهو دائم أبديّ لا ينقطع .

ولعل استمرارية علاقة المحِب بالمحبوب موقوفة على طبيعة الناظر إلى قيمة الجمال المطلقة؛ فلا يبلغ المستحسِن درجة النظر الدائم إلا إذا واظب على النظر والتحير في هذا الفضاء اللامحدود؛ وكأنه استغراق وجدانيّ متواصل سرمدي لا تشغله كثرة العلائق والعوائق، والعواصف والصوارف عن الاستمتاع بالنظر في المحبوب؛ لأن طبيعة الجمال في كمالها

---

[٢٢] النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق في فقه النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، إسطنبول، فرع القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ١٩٩٩م، ص ١٨٤.

[٢٣] النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، إسطنبول، فرع القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م، ص١٠٥– ١٠٦.

وديمومتها لا تقبل بناظر عابر سيّار لا يتوقف عند مكنونات هذا الفضاء الفسيح من الجمال والكمال .

ثالثاً : أشكال شبابية القرآن، وصوره :

تعددت صور مفهوم الشبابية في رسائل النور؛ فقد أخذت أشكالاً وأنواعاً مختلفة باختلاف مجالات المعرفة الإسلامية؛ ومن أبرز هذه الصور:

أ- الشبابية البلاغية: أجمع علماء الإعجاز على أن أظهر وجه للإعجاز الإعجاز البلاغيّ؛ وهو التجلي الحقيقي لسمو القرآن وعلو بيانه، ورقي أسلوبه . وقد اتفق أهل الصناعة وحذاق علماء الكلام في مسائل الإعجاز على أن الوجه البلاغي هو المقصود دون بقية الأوجه الأخرى التي هي محل خلاف بين العلماء؛ وفي هذا الصدد يقول الإمام الخطابيّ : " وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر . "[٢٤].

يكشف النورسيّ عن شبابية القرآن من منظور البلاغة في رحاب موازنة بين حكمة القرآن وجمال أسلوبه، وبين البلاغة المعاصرة قائلاً: " فكما أن المدنية الحاضرة غُلبت أمام إعجاز حكمة القرآن العملي والعلميّ، كذلك آداب المدنية وبلاغتها فهي مغلوبة أمام الأدب القرآني وبلاغته . "[٢٥].

وهي غلبة شاملة للإعجاز البلاغي والعلميّ؛ لأن بلاغة البشر وإن بلغت درجة من التألق التعبيري تبقى قاصرة عن ملامسة حقيقة الكون في تجلياته المنظورة؛ وقد كشف النورسي عن سر هذا التفوق الجماليّ والمغايرة والمباينة الفنية بقوله : " فلا تخلقه كثرة الرد ولا يبليه مرور الزمان، فهو أسلوب طري يحتفظ بفتوته وشبابه ونضارته دائماً، وهو أسلوب يحمل من النثر المنظوم والنظم المنثور ما يجعله رفيعاً عالياً ولذيذاً ممتعاً في الوقت نفسه. ".[٢٦].

فبلاغة القرآن جامعة لنثر فريد، ونظم عجيب؛ فأسلوبه يباين النثر المألوف، ويغاير النظم المعروف؛ ولهذا السر المكنون بقي القرآن حيا في أسماع السامعين، وعذباً على ألسنة القارئين.

---

[٢٤] الخطابي، أبو سليمان بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حقّقها وعلّق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، [د.ت]. ص٢٤.

[٢٥] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص ٤٧٢.

[٢٦] النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة، الثالثة، إسطنبول، شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠١م ، ص ٢٣٨.

يتجدد فيض التعبير القرآنيّ، وتفيض معانيه، وتزكو ألفاظه باستمرار دون انقطاع ولا ينضب معينه المتدفق الفيّاض مع كثرة رواده وزحمة مريديه وطلابه؛ لأنه بيان راقٍ وجمال باقٍ؛ ومن ثم : " فقد احتفظ القرآن الكريم بطراوته وفتوته ونضارته وجدّته وكأنه قد نزل الآن، وعلى الرغم من مرور أربعة عشر قرناً من الزمان عليه، وعلى الرغم من تيسر الحصول عليه للجميع. فكل عصر قد تلقاه شاباً نضراً وكأنه يخاطبه. وكل طائفة علمية –مع أنهم يجدونه في متناول أيديهم وينهلون منه كل حين، ويقتفون أثر أسلوب بيانه– يرونه محافظا دائما على الجدة نفسها في أسلوبه، والفتوة عينها في طُرز بيانه. " [٢٧] .

تتغير الأجيال وتتحول الأزمان، وتبقى بلاغة القرآن حاضرة حيّة في نفوس مخاطبيها؛ لا تبرح عقولهم، ولا تفارق مداركهم مع كثرة الإقبال، وشغف النهل منه، وتعلق الاحتذاء بأساليبه وتراكيبه .

وفي اقتفاء البشر – على اختلاف مستوياتهم وأجناسهم– لأساليب القرآن فإنه لا تنفد معانيه ولا تشيخ دلالاته؛ بل تزداد رونقاً وحلاوة؛ وفي استمرار هذه الشبابية على كثرة التوظيف والاستعمال ما ينبئ عن مخزون معجز لا يتوقف عن العطاء والمدد؛ وفي وفرة القرآن البلاغية واتساع فضاء تمدده وانتشار ظلاله دليل على إعجازه .وهو ما عبّر عنه النورسي قائلاً : " إنّ القرآن الحكيم ينشر جميع حقائقه في سوق الكون ويعرضها على الملأ أجمعين منذ أكثر من ألف وثلاث مائة سنة. وإنّ كل فرد وكل أمة وكل بلد قد أخذوا من جواهره ومن حقائقه، وما زال يأخذ.. على الرغم من هذا فلم تخِل تلك الإلفة، ولا تلك الوفرة، ولا مرور الزمان، ولا التحولات الهائلة، بحقائقه القيمة ولا بأسلوبه الجميل، ولم تشيّبه ولم تتمكن من أن تفقِده طراوته أو تسقط من قيمته أو تطفئ سنا جماله وحسنه. إن هذه الحالة وحدَها إعجاز وأيّ إعجاز . "[٢٨].

فجمال المعروض –وهو شبابية القرآن– كنز سرمديّ لا يتوقف عن مسايرة كل زمان ومواكبة حقائقه المتجددة، ولا يفقد خصائصه الجمالية والأسلوبية . فما السرّ في ديمومة حسن القرآن ورقي بلاغته مع مرور آلاف السنين ؟.

لا مرية في أنّ الكمال الدائم يبقى دائما لا تنقصه كوارث الحدثان ونوائب الزمان؛ وتستمر بلاغة القرآن يافعة نضرة، تغري مخاطبيها بمزيد الإقبال ومسرّة الإنعام عليه بمختلف الفهوم والنعم .

---

[٢٧] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات ، ص ٥١٣.

[٢٨] المصدر نفسه، ص ٤٩٧.

فقد تولى الله جلّ جلاله رعاية القرآن من طوارق الزمان، وتقلبات أمزجة الإنسان؛ وتبقى شبابيته القوة المقاومة المدافعة عن حصن فتوته، وطراوته .

ب- الشبابية التشريعية:

يتجاوز مفهوم شبابية القرآن إطاره البلاغيّ، وفضاء جماله الأسلوبيّ إلى مفهوم طراوة أحكامه الفقهية؛ فالشريعة صالحة لكل زمان ومكان؛ و أسرارها تشريعية ثابتة عامة شاملة؛ تحقيقاً لمصالح العباد في الدارين . فما معالم شبابية أحكام الشرع الحنيف ؟.

ثقافة الأستاذ النورسيّ المحيطية تجعل القارئ المتخصص يقف حائراً أمام رؤيته الفقهية العميقة لأحكام الشريعة الإسلامية؛ فهو يرى أن شبابية الأحكام الفقهية لا تتعارض مع مرونة الشريعة؛ بل تزيدها متانة وصلابة وثباتاً؛ ودليل تبحره في مسائل التشريع أن فهمه لرسوخ قوانين الشرع مما أجمع عليه الفقهاء . وفي هذا الصدد يقرر الإمام الشاطبيّ في سياق حديثه عن خواص الأحكام الشرعية بأنها تتسم بـ: " الثبوت من غير زوال؛ فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخاً، ولا تَخْصيصاً لعمُومها، ولا تقْييداً لإطلاقها، ولا رفْعاً لِحْكم من أحكامها، لا بحسب عموم المكلّفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حالٍ دون حال [...] فلا زوال لها ولا تبدُّل، ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية؛ لكانت أحكامها كذلك. "[٢٩].

لا تبديل لحكم الله، ولا تغيير، ولا زوال؛ بيان ذلك أن قوانين الشرع بلغت درجة الكمال التشريعيّ، ومرتبة الاستواء التنظيمي؛ ومن ثم فهي قطعية ثابتة .

يعبّر الأستاذ النورسي- رحمه الله- عن ثبوت أحكام الشرع من منطلق مفهوم الشبابية الفقهية فيقول : " إنّ آثار البشر وقوانينَه تشيب وتهرم مثلَه، وتتغير وتبدّل، إلاّ أنّ أحكام القرآن وقوانينَه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور ."[٣٠].

لا جرم أن القوانين الوضعية متغيرة ومتذبذبة؛ لأنها من وضع البشر؛ ولما كانت في أصل نشأتها بشرية يعتريها التبدل والنقصان؛ بل الجور والطغيان؛ أضحت عرضة للتغيير والاستفتاء؛ وما يشهده العالم المعاصر من تغيير دساتير الحكومات ومواثيق الدول عشرات

---

[٢٩] الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصّه وقدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الأولى، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ١٠٩ وما بعدها .

[٣٠] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات ، ص ٤٦٧.

المرات إلا علامة بارزة على بشرية هذه القوانين وعدم ثباتها؛ بل إن بعض القوانين التي تسنّ في الغرب منافية للفطرة البشرية .

ويعلّل النورسي؛ مبرزاً سرّ ديمومة القوانين الإلهية واستمراريتها بقوله: " إن دساتير القرآن الكريم وقوانينَه لأنها آتية من الأزل، فهي باقية وماضية إلى الأبد. لا تهرَم أبدا ولا يصيبُها الموتُ، كما تهرمُ القوانين المدنية وتموت، بل هي شابّة وقوية دائما في كل زمان . "[٣١].

أبدية الدساتير الربانية، وأزليتها هي مصدر الثبات والرسوخ والفتوة؛ لأنها وضعت لمصلحة المكلَّفين، وتحقيق مصالح العباد؛ فالشريعة كلها عدل ورحمة .

ويجد المتخصص في القانون أن القواعد القانونية الوضعية نسبية يتم تعديلها وتجاوزها من حين لآخر بحسب الأحوال والظروف، ومقتضيات الحاجة.

ولم يكتفِ النورسي بتأسيس مفهوم الشبابية الفقهية وتأصيلها ؛ وإنما أنزله على الواقع المعيش في ظل موازنة مثيرة للنظر بين الأحكام القرآنية، والمدنية الحاضرة . ومن أبرز القضايا الفقهية التي عالجها في رحاب هذه الموازنة الشرعية ما يأتي بيانه:

١. تعدد الزوجات:

لا مناص لنا من الإقرار بأن مسألة تعدد الزوجات من القضايا المعاصرة التي نالت حظها من النقاش الفقهيّ، وخاض فيها كثير من الدارسين فبيْن محسن ومسيء؛ بل إن آراء بعض المستشرقين والحداثيين العرب تشهد على قصور شرعيّ، ونفسيّ في فهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

ينطلق النورسي في مقاربة مسألة تعدد الزوجات من رؤية مقاصدية ونفسية وروحية لافتة للنظر؛ فالتعدد ليس قاصرا على قضاء حاجة بيولوجية لذاتها، وإشباع لنهمٍ حيوانيّ؛ بل إن الحكمة الربانية من الزواج عمارة الأرض لسوْق البشر نحو المثل الإنسانية وتجسيد إنسانية الإنسان ؛ ومن ثم يُعد الزواج ارتباطاً روحيا يتجاوز الوظيفة البيولوجية والمتعة الزائلة العابرة؛ ومِنْ ثَمَّ تتجلى حكمة التعدد في محاربة الحرمان العاطفيّ . يقول النورسي : " إن المدنية الحاضرة لا تقبل تعدد الزوجات، وتحسب ذلك الحكم القرآنيّ مخالفاً للحكمة ومنافياً لمصلحة البشر [...] إن الحكمة من الزواج والغايةَ منه إنما هي التكاثر وإنجاب النَّسْل .أما اللذة الحاصلة من قضاء الشهوة فهي أجرة جزئية تمنحها الرحمةُ الإلهية لتأدية تلك المهمة. " [٣٢].

كلام النورسي في غاية النفاسة الفقهية، والتحقيق العرفانيّ؛ آية ذلك أن قصور الباحثين في إدراك مقاصد الشرع الحنيف، وغاياته النبيلة من التشريع والتكليف هو مصدر اختلال آراء كثير

---

[٣١] المصدر نفسه، ص ٤٦٩.

[٣٢] المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

من الدارسين في فهم ماهية تعدد الزوجات، وحقيقته الربانية.

ويفهم من كلام النورسي أنه لا وجود للكبت الجنسيّ في الإسلام؛ بل إن الزواج قناة شرعية للإنجاب مواتية للفطرة البشرية، وموافقة للحكمة الإلهية. فما الحكمة التشريعية من التعدد ؟.

مهمة التكاثر البشريّ هي غاية التشريع لعمارة الأرض وتحقيق العدل، والأداة الموصلة لهذا المقصد السامي قضاء الشهوة؛ وهي جزئية ليست مقصودة لذاتها؛ بل إنها رحمة إلهية .

ويزيد النورسي مسألة تعدد الزوجات بيانا وإضاءة من منطلقات بيولوجية وأخلاقية فيقول: " فمادام الزواج للتكاثر وإنجاب النسل ولبقاء النوع حكمةً وحقيقةً، فلا شك أن المرأة التي لا يمكن أن تلد إلاّ مرةً واحدة في السنة، ولا تكون خِصبة إلاَ نصف أيام الشهر وتدخل سن اليأس في الخمسين من عمرها. لا تكفي الرجلَ الذي له القدرة على الإخصاب في أغلب الأوقات حتى وهو ابن مائة سنة .لذا تضطر المدنيةُ إلى فتح أماكن العهر والفحش . " [٣٣].

يلمس المتأمل في هذا التحليل البيولوجيّ الواقعيّ أن العفة هي مقصد التعدد؛ سداً لأبواب الفسق والرذيلة؛ فتعدد الزوجات أفضل من تعدد الخليلات؛ ثم إن هذا الرأي ينسف مزاعم دعاة الانحلال الذين يتهمون المسلمين بالحيوانية والشبق الجنسيّ؛ فضلاً عن أنّ التعدد له قيوده واعتباراته الشرعية .

٢. الميراث :

من العدالة القرآنية أن قسمة الميراث ربانية فيها من مقاصد التشريع وغايات التنزيل ما يخفى على فهم الغرب لهذه القسمة العادلة التي تراعي جملة من الخصوصيات الاجتماعية والنفسية .

ويرى النورسي– رحمه الله– أن مكمن شبابية الأحكام الفقهية أنها مسايرة لاختلاف الرجل عن المرأة؛ تحقيقاً للعدالة والإنصاف في منح النساء الثلث من الميراث من منطلقات تراعي تفاوت الزوجين في الفوارق البيولوجية والعاطفية والاجتماعية ." ومن البديهي أنّ أغلب الأحكام في الحياة الاجتماعية إنما تُسن حسب الأكثرية من الناس، فغالبيةُ النساء يجدن أزواجاً يعيلونَهن ويحمونَهن، بينما الكثير من الرجال مضطرون إلى إعالة زوجاتهم وتحمّل نفقاتهم .فإذا ما أخذت

---

[٣٣] المصدر نفسه، ص ٤٧٠ . يشير النورسي في مسألة الميراث للتدليل على شبابية التشريعات القرآنية إلى قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً{١١}﴾ سورة النساء، الآية : ١١؛ منطلقاً من رؤية اقتصادية واجتماعية تؤصّل لمفهوم الإنصاف القرآني في التعامل مع الإرث .

الأنثى الثُلث من أبيها (أي نصف ما أخذه الزوج من أبيه) فإن زوجَها سيسدُّ حاجَتها. بينما إذا أخذ الرجل حظّين من أبيه، فإنه سيُنفق قسطا منه على زوجته. وبذلك تحصل المساواةُ، ويكون الرجل مساويا لأخته. وهكذا تقتضي العدالة القرآنية . " [٣٤] .

تفصيل فقهيّ موافق لطبيعة النفس الإنسانية، والعدالة القرآنية الموجِبة لفلسفة الإنفاق في الإسلام، فالاستقلالية الاقتصادية الممنوحة للمرأة منافية لمقصد التشريع من قوامة الرجل على تصريف شؤون الأسرة .

ولا جدال في أنّ الشريعة الغراء تسنّ قوانينها في رحاب خصوصيات المجتمع؛ مراعية التفاوت النفسي والبيولوجي والاجتماعي بين الرجل والمرأة؛ وهذا هو عين تحقيق المقاصد، وتجسيد قيم المساواة، وعدم حرمان المرأة من الميراث كما يحدث في بعض المجتمعات العربية والإسلامية التي تعامل المرأة بوصفها كياناً فاقدا للأهلية الأسرية، والاجتماعية، والقيادية .

٣. الحجاب:

حجاب المرأة المسلمة الذي أرهق فلاسفة الغرب، وحيّر ألبابهم في إدراك حقيقة هذا اللباس المحتشم الذي يتجاوز الإطار الرمز الدينيّ كما يسمونه إلى لباس التقوى والعفة والطهر له مقاصده الشرعية . يقول النورسي موضحا المقاصد السامية الشريفة لفرض الحجاب على المرأة : " إنّ القرآن يأمر النساء أن يحتجبن بحجاب الحياء، رحمةً وصيانةً لحرمتهن وكرامتهن، ولكي لا تُهان تلك المعادن الثمينة معادن الشفقة والرأفة، وتلك المصادر اللطيفة للحنان والرحمة، تحت أقدام الذل والمهانة. ولكي لا يكنّ آلةً لهوسات الرذيلة ومتعة تافهة لا قيمة لها. أما المدنية فإنها قد أخرجت النساء من أوكارهن وبيوتهن ومزّقت حجابَهن، وأدّت بالبشرية أن يجنّ جنونها . "[٣٥].

فالمقصد الأسمى من الحجاب حماية الجواهر المكنونة، والحرائر المصونة من الأيادي العابثة الملوثة لطهرهنّ وجمالهنّ؛ فالمعدن النفيس يبقى مخبوءا مستوراً وليس مكشوفا ظاهرا؛ ولنفاسته

---

[٣٤] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص٤٧٠– ٤٧١.

رسائل النور نورانية، ومددها المعرفيّ بحر لا ساحل له، ولطائفها باهرة؛ إلا أنّ الاعتبارات العلمية والمنهجية تحول دون الاستفاضة العلمية، والتوسع المعرفي؛ فقد أحجمنا عن مقاربة كل القضايا الفقهية التي تناولها النورسيّ كمسألة الزكاة ومحاربة الربا، واقتراح الحلول الفعّالة في تصويب المؤسسات البنكية العالمية وإرشادها إلى روح التشريع الإسلاميّ الحيّ الذي بقي محافظا على شبابيته الفقهية .

[٣٥] المصدر نفسه، ص ٤٧١.

وأصالته وجب الإقرار بضرورة صيانته؛ وحجاب الحياء هو الحامي لهذه الدرر الغالية، والمدافع عن عفّتها وشرفها .

وبإيجاز يمكن تلخيص أهم القضايا الفقهية التي ناقشها النورسيّ من منظور مفهوم الشبابية وفق المخططات الآتية :

تعدد الزوجات ←────── تحريم تعدد الخليلات.

الميـراث ←────── مراعاة الأكثرية من الناس؛ تحقيقا للعدالة القرآنية

الحجاب ←────── محاربة التكّشف والتبرج وصيانة المرأة من الذل والمهانة.

ت- سرّ إعجاز القرآن وتفوّقه على المدنية الحاضرة – دراسة موازنة في ظل مفهوم الشبابية القرآنية –

من مرتكزات فلسفة الإقناع في الحضارة العربية الإسلامية أنها تقوم على فقه الموازنات؛ وهو فقه عمليّ استقرائي استنتاجيّ يحمل المخالف على الإقناع، وقبول الحق؛ ذلك أن الحجة الناصعة تدحض الشبهة المتهافتة .

وقد ولج النورسيّ بفكره الناقد، وبصيرته النّفاذة في عمق مفهوم شبابية القرآن من زاوية الموازنة؛ كاشفاً عن سرّ إعجاز القرآن وغلبته في مقابل مدنية حاضرة متهالكة؛ متوسلاً بمنهجية علمية رصينة لكشف زيف الحضارة الغربية التي توشك على الأفول والغروب؛ منطلقا من عقد

موازنة بين فلسفة حكمة القرآن وهدفها ودستورها ورابطتها وغايتها من جهة، وفلسفة المدنية الحاضرة من جهة أخرى.

وهي موازنة لطيفة حازت متطلبات القوة الإقناعية، والحجج الدالة على صدق الشريعة وأصالة القرآن، وشبابية أحكامه. ونظرا لنفاسة هذه الموازنة ارتأينا أن ننقلها كاملة؛ لأنها تعري فلسفة المدنية الحاضرة، وتعلي من شأن حكمة القرآن، وحصافة قوانينه . يقول الأستاذ النورسيّ : " فالمدنية الحاضرة تؤمن بفلسفتها أن ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي " القوة "، وهي تستهدف " المنفعة " في كل شيء. وتتخذ " الصراع " دستوراً للحياة. وتلتزم بِ " العنصرية" و" القومية السلبية" رابطة للجماعات .وغايتها هي " لهو عابث " لإشباع رغبات الأهوال وميول النفس [...] أما حكمة القرآن فهي تقبل " الحق " نقطة استنادٍ في الحياة الاجتماعية، بدلا من " القوة " ..وتجعل " رضا الله " و " نيل الفضائل " هو الغاية والهدف، بدلا من " المنفعة ". وتتخذ دستور " التعاون أساسا في الحياة، بدلا من دستور " الصراع" .. وتلتزم رابطة " الدين" والصنف والوطن لربط فئات الجماعات، بدلاً من

" العنصرية" و " القومية السلبية" .. وتجعل غاياتها " الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور وتطمئن مشاعرها السامية لسَوق الإنسان نحو الكمال والمُثل العليا لجعل الإنسان إنساناً حقاً ."[٣٦].

موازنة حكيمة منصفة غير متعصبّة للدين، تكشف عن مقابلة بين شبابية القرآن وفتوّته وبين شيخوخة المدنية الحاضرة فلسفةً وهدفاً ودستوراً ورابطةً وغايةً .

وتتجلى شبابية القرآن في قبول الحق الذي لا يقهر في مقابل القوة المادية التي ستضعف بمرور الزمن، فشبابية القرآن تسعى إلى تثبيت الفضيلة التي تبقى راسخة في وجدان الأمم والشعوب بدلا من المنفعة الزائلة التي هي مصدر الصراع والتكالب بين الدول؛ كما أنّ دستور القرآن التعاون الذي يبني القيم المشتركة، والتعايش بين الأجناس؛ وتستند حكمة القرآن إلى الدين بوصفه عنصراً لربط المجتمعات البشرية بدلا من العنصريات المقيتة، والقوميات البغيضة .

وخلاصة هذه الموازنة أن الغاية السامية من حكمة القرآن كبح جماح النفس البشرية، وترقية الروح لبناء الإنسان الأمثل .

شبابيةٌ وفتوةٌ تناقض شيخوخة المجتمع الغربيّ، وتضعه أمام محاكمة عقلية لإقناعه بأن طراوة حكمة القرآن أزلية تسعى لسعادة البشر، وتحقيق الطمأنينة.

ولما كانت المدنية الحاضرةُ حاضرة قوةً وصراعاً ومنفعةً وجب الإقرار بفنائها واختلال موازينها؛ لأنها غيّبت المُثل والمبادئ؛ وما يشهده العالم المعاصر من صراع بين الدول يقوم دليلاً على أنّ دستور الغرب متهافت يحمل بذور الفناء في ذاته. ويمكن اختصار معالم هذه الموازنة العميقة في الجدول الآتي:

مقومات الموازنة بين حكمة القرآن والمدنية الحاضرة	فلسفتها	هدفها	دستورها	قِوامها	غايتها
حكمة القرآن	الحق	رضا الله	التعاون	رابطة الدين	الحدّ من تجاوز النفس
المدنية الحاضرة	القوة	المنفعة	الصراع	رابطة الجماعات العنصرية والقومية السلبية.	لهو عابث .

[٣٦] المصدر نفسه ، ص ٤٦٨-٤٦٩.

الخاتمة :

يحسن بنا في نهاية هذه المقاربة العلمية أن نقرّ للأستاذ النورسيّ بفضل السبق، وعمق النظر في تأصيل مفهوم شبابية القرآن، وفتوّته، وهو اصطلاح ينّم عن فلسفة إسلامية حيّة تنطلق من دفق حيويّ يجسد مفهوم الإعجاز البلاغيّ، والتشريعيّ.

فقد تعاطى علماء الإعجاز والبلاغة والتفسير قديما وحديثا عبارة (القرآن ذو فنون وشجون لا تنقض عجائبه) دون تأسيس لهذا المفهوم –فيما نعلم–؛ وإنما طغى على بعض هذه المقاربات الإعجاب النفسي ببلاغة القرآن وبيانه، في حين اكتفى بعضهم الآخر بالتعبير عن العجز عن مواجهة النص القرآني؛ لأنه معجز؛ والتفت فريق ثالث إلى تجسيد مفهوم الإعجاز من خلال الممارسة التطبيقية على آي الذكر الحكيم وغيرها من الدراسات الجادة.

ولا مناص لنا من الإقرار بنفاسة كل هذه الجهود على اختلافها عمقاً ودرايةً؛ وتبقى رؤية النورسي للإعجاز القرآني رؤية شاملة مستمدة من فلسفة القرآن وروحه .وبالجملة يمكن جمع ما تفرق من لمع هذا البحث في النتائج الآتية :

١. احتضن مفهوم شبابية القرآن مجموعة من المفاهيم اللغوية مثل: طريّ/ حلو / غريب/ نديّ/ نضر/ غضّ .
٢. شبابية القرآن خارقة شاملة ومحيطة.
٣. أزلية الخطاب الإلهيّ هي مصدر شبابية القرآن، وطراوته.
٤. من تجليات شبابية القرآن مخاطبة جميع طبقات البشر.
٥. لا علاقة لشبابية القرآن بالمفهوم الحسيّ الزائل للزمن .
٦. ربط شبابية القرآن الكريم بفلسفة الجمال (علاقة المحِب بالمحبوب) .
٧. من صور شبابية القرآن الشبابية البلاغية، والشبابية التشريعية .
٨. تجسّد مفهوم شبابية القرآن من خلال حكمة إعجازه في مقابل تراجع المدنية الحاضرة.

المصادر:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الإصدار الثاني .

١. ابن عاشور، محمد الطاهر،، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م
٢. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، الثانية، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.
٣. الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، [د.ت].
٤. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، [د.ت] .
٥. الخطابي، أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حقّقها وعلّق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر. [د.ت].

٦. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن –، اعتنى به وخرّج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني، الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.
٧. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، التاسعة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٦هـ – ١٩٧٣م .
٨. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، حقّقه فؤاد أحمد زمَرلي، الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م .
٩. الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصّه وقدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الأولى، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٠. قطب، سيد إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م .
١١. المُباركفُوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمان، طبعة تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ومعه شفاء الغلل في شرح كتاب العلل، خرّج أحاديثه عصام الصّبابطي، الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م .
١٢. النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، تقديم محسن عبد الحميد، الطبعة الثالثة، إسطنبول، شركة سوزلر للنشر، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩ م .
١٣. النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية ، إسطنبول، فرع القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م .
١٤. النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة ، إسطنبول، شركة سوزلر للنشر، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م .
١٥. النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري ، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى ، إسطنبول، فرع القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.
١٦. النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة، الثالثة ، إسطنبول، شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠١م.
١٧. النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق في فقه النور ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة ، إسطنبول، فرع القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ١٩٩٩م.

الاحتجاج بالشِّعر في «جواهر التّفسير: أنوار من بيان التنزيل» للشّيخ أحمد بن حمد الخليلي: دراسة وصفيّة

الأستاذ المساعدة الدكتورة مريم البادي

النّقد الأدبي/ جامعة نزوى/ سلطنة عُمان

الأستاذ المساعد الدكتور مسعود الحديدي

اللّسانيات/ جامعة نزوى/ سلطنة عُمان

الملخص:

يعدُّ القرآن الكريم المصدر الأوّل للنّظر في مباحث اللّغة بفروعها المختلفة، لكنّا نجد مفسّري القرآن الكريم يعودون إلى مدوّنات العرب شعرًا ونثرًا لبيان بعض معاني مفردات القرآن الكريم، وأساليبه، واستنطاق مقاصده.

ويسعى البحث الذي بين أيدينا للنّظر في هذه المسألة في «جواهر التّفسير: أنوار من بيان التنزيل» لسماحة العلّامة الشّيخ أحمد بن حمد الخليلي.

وعليه، فقد أجرينا مسحًا شاملًا لحضور الشّعر في «جواهر التّفسير» بأجزائه المختلفة، وإلى جانب ملاحظتنا كثافة الاحتجاج بالشّعر العربيّ قديمة وحديثه ما يشكّل ظاهرة لا يمكن إغفال دراستها في هذا التّفسير، وجدنا كذلك من الطّريف أنْ نركّز بحثنا على النّظر في: منهج الاحتجاج، وغاياته.

ولغايات النّظر في هذه الظّاهرة قسّمنا هذا البحث على قسمين؛ أوّلهما اهتمّ بـ«منهج الاحتجاج» بالشّعر في «جواهر التّفسير»، وثانيهما نظر في: «غايات» الشّواهد الشّعريّة كما وظّفها التّفسير.

كلمات مفتاحيّة: احتجاج، شعر، تفسير القرآن، جواهر التّفسير (كتاب)، أحمد بن حمد الخليلي (مؤلّف).

Sheikh Ahmed bin Hamad al-Khalili

Assist. Prof. Dr. Mariam Albadi

Assist. Prof. Dr. Masoud Al Hadidi

University of Nizwa, Sultanate of Oman

Abstract

The Holy Qur'an is considered the primary source for examining the language's issues in its various branches. However, we find interpreters of the Holy Qur'an referring to Arab writings in poetry and prose to clarify some of the meanings of the Holy Qur'an vocabulary, its methods, and to interrogate its purposes.

This research seeks to look at this issue in "Jawahir Al-Tafseer: Anwar Min Bayan Al-Tanzeel" by His Eminence Sheikh Ahmed bin Hamad al-Khalili.

Accordingly, the researchers conducted a comprehensive survey of the presence of poetry in "Jawahir AlTafseer" in its various parts, and in addition to our observation of the intensity of the invocation of ancient and contemporary Arabic poetry in general, which constitutes a phenomenon that cannot be ignored in this interpretation. They also found it interesting to focus the research on looking at the method of invocation and its goals.

For the purposes of examining this phenomenon, they divided this research into two parts; The first of which was concerned with the "method of invocation" of poetry in "Jawahir Al-Tafseer," and the second looked at: the "purposes" of poetic evidence as employed by interpretation.

Keywords: Invocation, Poetry, Interpretation of the Qur'an, "Jawahir Al-Tafseer" (book), Ahmed bin Hamad Al-Khalili (author).

المقدّمة:

يعدُّ القرآن الكريم المصدر الأوّل للنّظر في مباحث اللّغة بفروعها المختلفة، فهو المصدر الأوّل الذي تبني اللّغة عليه قوانينها، وتكتسب بفضله فصاحتها(١)، ومع ذلك نجد مفسّري القرآن الكريم يعودون إلى مدوّنات العرب شِعرًا ونثرًا قصد بيان معاني مفردات القرآن الكريم، وأساليبه، واستنطاق مقاصده ودلالاته.

ويحتجّ مفسّرو القرآن الكريم بالشّعر بتوجيه من القرآن الكريم نفسه؛ فقد جاء قوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] مادحًا الشِّعر العربيّ لأنه كلام العرب وبرهان فصاحتهم وبيان لغتهم، ثمّ لأنّ القرآن «لا يُمدح بأفضل من أنّه كلامُ الله»(٢). وبهذا قصد المفسّرون دواوينَ شعر العرب ومأثور كلامهم بوصفها مصادر أوليّة للاستشهاد على تفسير ما يشكل من معاني القرآن الكريم وأساليبه.

ونحن في هذا السّياق ننظر في ظاهرة الاحتجاج بالشّعر في «جواهر التّفسير: أنوار من بيان التنزيل»(٣) للشّيخ أحمد بن حمد الخليلي. ومفهوم بالاحتجاج بالشّعر هنا هو تقديم الشِّعر حجّة لتوضيح معنى يذهب إليه المفسّر، أو تأكيد معنى آخر، أو بيان لفظ، أو توضيح مسألة لغويّة أو بلاغيّة، أو أسلوبيّة، كما يشمل الشّواهد الشّعريّة التي تأتي لتدعيم فكرة يريدها المفسّر في سياق تفسيره نصوص القرآن الكريم.

فمن المعلوم أنّ في القرآن الكريم «كلمات غريبة، يحتاج المفسر عند بيان معناها إلى الاستشهاد بشيء من كلام العرب، حتّى يعلم طالب العلم أن التفسير لم يخرج عند حدود اللسان العربي، فيطمئن إلى صحة التفسير لا إلى القرآن [...]، فإن هذا لا يشك فيه مؤمن عرف القرآن، ومارس العلم»(٤). وكذا تحتمل بعض آيات القرآن الكريم أوجهًا من الإعراب، ويسفر الاختلافُ في الإعراب عن اختلاف معاني بعض الآيات، وعليه يذهب المفسّر لاختيار الإعراب الأرفع بلاغة، أو الأثبت بحكمة

---

(١) عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم: أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط.١، ٢٠٠٨، ص. ٥.

(٢) نفسه، ص.٦.

(٣) هذا التّفسير عبارة عن محاضرات قدّمها سماحته بجامع السلطان قابوس بروي أمام طلاب إعداد القضاء وغيرهم، ثم جُمعت، وصدرت عن مكتبة الاستقامة بسلطنة عُمان في ثلاثة أجزاء متفرّقة في: (١٩٨٤، ١٩٨٦، و١٩٨٨)، ثمّ في عام ٢٠٠٤ صدر جزء خاص في تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران عن المكتبة نفسها. ونحن في هذا العمل سنعتمد على الأجزاء الثّلاثة الصّادرة في الثّمانينيّات الموضّحة.

(٤) عبد الرحمن بن معاضة الشهري، سابق، ص.٥١.

المعنى[٥]، وقد يكــون في كلام العرب منظومه ومنثوره من الرّوافد النّحويّة التي تُثبت صحّة الوجه الذي يختار في التّفسير.

ولم يقتصر الاحتجاج بالشّعر في «جواهر التّفسير» على هذين الجانبين (تفسير الكلمات الغريبة أو الموازنة بين وجوه إعرابيّة في اللُّغة)؛ إذ نجده حاضرًا مثلا في الفصول السّابقة للتّفسير في الجزء الأول، وهي فصول شملت موضوعات متعدّدة لعلّ أبرزها: التّفسير ومسالك المفسّرين، ومصادر التّفسير، وأطوار التّفسير، والإعجاز القرآنيّ، والإعجاز البيانيّ، والإعجاز التّشريعيّ، والإعجاز الاجتماعيّ والخلقيّ، والإعجاز الخبريّ، والإعجاز العلميّ وغيرها من الموضوعات التي قدّمت في حوالي ١٥٠ صفحة، وقد حضر فيها الشِّعر لغايات سيأتي ذكرها في موضعها من هذا البحث.

اشتمل «جواهر التّفسير»، بأجزائه الثلاثة، على حوالي ٢٧٩ شاهدًا شعريًّا توزّعت بين شطر مفردٍ، وبيت مكتمل، وبيتين متّصلين، أو مجموعة أبيات ممّا زاد عددها على عشرة في بعض المواضع. ولعلّ هذه الإشارة توصل إلى ذهن القارئ فكرة أردناها وهي توضيح ظاهرة وفرة الشّواهد الشّعريّة التي وجدناها في المدوّنة المدروسة، ودفعتنا للنّظر فيها.

والملاحظ أيضًا، أنّ التّفسير المذكور احتجّ بالشّعر العربيّ القديم عمومًا، وإنْ كان هذا هو الأوفر حضورًا، لكنّه لم يعنِ غياب الشِّعر الحديث، إذ حضر على نحوٍ بارز في مواضع متعددة من التّفسير. ولغايات النّظر في هذه الظّاهرة قسّمنا هذا البحث على قسمين؛ أوّلهما اهتمّ بـ«منهج الاحتجاج» بالشّعر في «جواهر التّفسير»، وثانيهما نظر في: «غايات» الشّواهد الشّعريّة كما وظّفها التّفسير. وفيما يلي تفصيل القول في هذين القسمين بدءًا بأولهما.

أوّلًا: منهج «جواهر التّفسير» في الاحتجاج بالشّعر:

سننظر في هذا القسم في المنهج الذي سار عليه «جواهر التّفسير» في بسط شواهده الشّعريّة، وسنبدأ بالمنهج الذي اتبعه فيما يخصّ الشّعراء المستشهد بشعرهم.

١. التصريح باسم الشاعر أو إهماله:

ومعنى بيان الشّاعر هنا أنْ يقدّم التّفسير «ما يفيدُ نسبته إلى قائله»[٦]، أمّا معنى إبهامه فهو خلوّ موضع الاحتجاج من أيّ شيء يدلّ على نسبة الشّعر إلى قائله؛ وهما طريقتان تتبعهما تفاسير القرآن الكريم.

---

(٥) نفسه.

(٦) نفسه، ص.٣١٧.

أ. بيان القائل:

وبيان نسبة الشّعر المحتجّ به إلى قائله في «جواهر التّفسير» هو الأغلب شيوعًا وإن وردت مواضع وافرة أيضًا ذكر فيها الشّاهد الشّعريّ من دون إشارة إلى قائله. وقد جاء بيان الشّاعر في التّفسير الذي بين أيدينا على طرائق هي:

– **ذكر اسم الشّاعر المجرّد من دون تتمّه باسم آخر ولا بذكر نسبه**؛ وذلك نظرًا إلى شهرته باسمه مفردًا، وعدم مشاركته غيره من الشّعراء المنزلة ذاتها في الأدب؛ الأمر الّذي يجعلُ هذه الطّريقة في البيان غير ملتبسة باسم شاعرٍ غيره. ومن أمثلته في «جواهر التّفسير»: «ومنه قول النابغة»[٧]، «ومنه قول لبيد»[٨]، «واستدلّ لذلك بقول جرير»[٩]، و«ومنه قول زهير»[١٠]، «قال زُهير»[١١]، «كما في قول لبيد»[١٢]، «واستشهدوا لذلك بقول حسّان»[١٣]، «نحو قول امرئ القيس»[١٤] وهكذا.

– **نسبة الشّاعر بذكر لقبِه واسمه واسم أبيه ونسبه**؛ ومن أمثلة هذا شاهد يورده؛ لبيان ما تُحدثه العبادة الخالصة لله تعالى من تواؤم بين حركتي الإنسان الاختياريّة والاضطراريّة، يقول: «ومن هنا نجد الإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي (رحمه الله) يُعبّر في إحدى قصائده النورانية عّما يشعر به، وهو يسبِّح لله سبحانه من تجاوب ألسنة لا تحصى فيه مع هذا التسبيح حيث يقول:

أعاين تسبيحي بنور جناني * فأشهد مني ألف ألف لسان
وكل لسان أجتلي من لغاته * إذا ألف ألف من غريب أغان
ويُهدى إلى سمعي بكل لُغية * هدي ألف ألف من شتيت معان

---

[٧] أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ط.١، ١٩٨٤، ج.١، ص.١٥٢. ورغم وجود «النابغة الجعدي» مثلًا لكن تبقى مكانة النابغة الذبياني وشهرته الواسعة مقارنة بغيره سببًا في اعتبار اسمه غير ملتبسٍ مع اسم غيره.

[٨] نفسه، ج.١، ص.١٩٨.

[٩] نفسه، ج.١، ص.٢٠٩.

[١٠] أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ط.١، ١٩٨٦، ج.٢، ص.٢/٧٠

[١١] أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ط.١، ١٩٨٨، ج.٣، ص.٣/٢٧، ص.٣/٣٣٥.

[١٢] نفسه، ج.٢، ص.٧١، ج.٣، ص.١٦٢، ج.٣، ص.١٨٤.

[١٣] نفسه، ج.٣، ص.٧١، و. ص.٣٣٩.

[١٤] نفسه، ج.٣، ص.٣٧. و. ص.٣٣٦.

وفي كـل معنى ألف ألف عجيبة * يقصـــر عن إحصائـها الثقـلان»[١٥]

ومثله أيضًا مما ورد في التّفسير قوله: «وقد أجاد الإمام اللغوي نشوان بن سعيد الحميري صاحب شمس العلوم حيث قال:

آل النبي هم أتباع ملّته * من الأعاجـــم والســـودان والعـــرب

لو لم يكن آله إلا قرابته * صلى المصلي على الغاوي أبي لـهب»[١٦]

– **نسبة الشّاعر إلى اسمه واسم أبيه** كما في احتجاجه ببيت شعر لبيان أنّ العبادة تأتي لغةً بمعنى الذّل، يقول: و«يقال طريق معبد إذا وطئته الأقدام حتى ذللته ومنه قول طرفة ابن العبد:

تبارى عتاقًا ناجيات وأتبعت * وظيفًا وظيفًا فوق مور معبد»[١٧]

ومثله ذكر شواهد شعريّة لشعراء آخرين منهم: «عبيد بن الأبرص»[١٨]، و«عمرو بن معد يكرب»[١٩]، «رؤبة بن العجاج»[٢٠]، «عمرو بن كلثوم»[٢١]، «ما قاله أمية بن أبي الصلت»[٢٢]، «وقول عبد الله بن رواحة»[٢٣].

– **نسبة الشّـاعر إلـى اسـمه ولقـب أبيـه**؛ كما حين ذكر شاهدًا لعروة بن أذينة[٢٤]؛ وهو الشّاعر عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث اللّيثي[٢٥].

– **نسبة الشّاعر إلـى اسمه مشفوعًا بلقبه**؛ كما في الاحتجاج بشعر «علقمة الفحل»[٢٦] لبيان؛ طريقة من كلام العرب: «إنهم يتكلمون بالحروف المقطعة أحيانا بدلا من الكلمات التي تتألف منها»[٢٧].

---

(١٥) نفسه، ج.١، ص.٢٤٩.

(١٦) نفسه، ج.٣، ص.-ص.٢٩٢-٢٩٣.

(١٧) نفسه، ج.١، ص.-ص.٢٤٤-٢٥٥.

(١٨) نفسه، ج.٢، ص.٢٧١.

(١٩) نفسه، ج.٢، ص.٢٨٢.

(٢٠) نفسه، ج.٣، ص.٢٧.

(٢١) نفسه، ج.٣، ص.٢٩٨.

(٢٢) نفسه، ج.٣، ص.٣٥٠.

(٢٣) نفسه، ج.٣، ص.٥٩١.

(٢٤) نفسه، ج.٢، ص.٢٨٢.

(٢٥) عروة بن أذينة، ديوان عروة بن أذينة، لم يذكر المحقق، دار صادر، بيروت، ط.١، ١٩٩٦، ص.١٣.

(٢٦) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.٢، ص.٧١.

(٢٧) نفسه، ج.٢، ص.٧٠ .

– **نسبة الشّاعر إلى اسمه واسم قبيلته**؛ كما في استشهاده بـ«حاتم الطائي»[٢٨].

– **نسبة الشّاعر إلى اسمه واسم أمّه وقبيلته**؛ كما في: «خفاف بن ندبة السُّلمي»[٢٩]؛ حيث ذكر اسم الشّاعر واسم أمّه، وأشار إلى نسبته إلى سُلَيم بن منصور بن عكرمة[٣٠].

– **بيان القائل بذكر لقبه،** كما في: «قول الفرزدق»[٣١]، «كما قال المتنبي»[٣٢]، «وأنشد قول العجاج»[٣٣]. وجميع هذه الألقاب مما غلبت على أسماء الملقَّبين بها فعرفوا بها وصارت أسماؤهم رهينة الكتب لا التّداول؛ فالفرزدق لقب للشّاعر همّام بن غالب بن صعصعة المكنّى بأبي فراس، ولقبه لجهامة وجهه وضخامته[٣٤]، والمتنبّي أبو الطيّب أحمد إبن الحسين الجعفي، ولقبه بسبب ما قيل إنّه ادّعى النبوة في بادية السّماوة بالكوفة[٣٥]، أمّا العجّاج فهو لقب الشّاعر عبد الله بن رؤبة بن لبيد لُقّب به لشطر من أرجوزة له يقول فيه مفتخرًا بقومه وذاكرًا أيّامهم: «حتى يَعِجّ ثَخَنًا من عجعجا»[٣٦].

– **بيان القائل بذكر كنيته**؛ كما في: «ابن المعتز»[٣٧]، وهو الشّاعر والخليفة العبّاسيّ عبد الله بن المعتز[٣٨].

– **بيان القائل بذكر لقبه واسم قبيلته،** أو بيانه بلقبه واسمه واسم أبيه وقبيلته. ومن الأمثلة على هذا في التّفسير قوله: «وهو الظاهر من كلام الإمام نور الدين السالمي –رحمه الله– في

---

(٢٨) نفسه، ج.٢، ص.٢١٠.

(٢٩) نفسه، ج.٢، ص.٩٨.

(٣٠) خفاف بن ندبة السلمي، شعر خفاف بن ندبة السلمي، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ط.١، ١٩٦٧، ص.٧.

(٣١) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.١، ص.٢٢٤، وأيضًا: ج.٣، ص.١٠٦.

(٣٢) نفسه، ج.٢، ص.٣٣٥.

(٣٣) نفسه، ج.٣، ص.٤٣٣.

(٣٤) همّام بن غالب (الفرزدق)، ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدّم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٨٧، ص.٥.

(٣٥) ينظر: أبو العلاء المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط.٢، ١٩٩٢، ج.١، ص.– ص.٧٧ – ٨١.

(٣٦) عبد الله بن رؤبة (العجاج)، ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق، دمشق، ط.١، ١٩٩٥، ص.–ص.٥–٦.

(٣٧) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.٢، ص.١١٥.

(٣٨) ينظر: عبد الله بن المعتز، شعر عبد الله بن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي، صححه ب. لوين، منشورات جمعيّة المستشرقين الألمانية، مطبعة المعارف، إسطنبول، ١٩٤٥.

جوهره...»[٣٩]، وهو اسم اشتهر به العلّامة الفقيه أبو محمّد عبد الله بن حميد السّالمي صاحب «جوهر النظام»[٤٠]، ومثال آخر: وذكره «الإمام المحقق الشهيد سعيد بن خلفان الخليلي»[٤١] في سياق الحديث عن ثلّة من مناصري الحقّ، وأيضًا ذكره «أعشى بني قيس بن ثعلبة»[٤٢]؛ وهو ميمون بن قيس بن جندل من قبيلة بني قيس بن ثعلبة، والأعشى من لا يبصر في اللّيل ويبصر في النّهار، وفسّره آخرون بمن ضعف في بصره[٤٣].

- **بيان القائل بنسبته إلى قبيلته**، كما في الاستشهاد بـ«قول شاعر بني حنيفة في مسيلمة»:

«سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا»؛

ما يعني قولهم لمسيلمة رحمن اليمامة، في إشارة لبيان تعنّتهم في الكفر[٤٤]، والاستدلال كذلك «بقول الهذلي: وقاسمها بالله جهدا لأنتم * ألذ من السلوى إذا ما نشورها»[٤٥] في بيان حجّة حجّة من يفسّر السّلوى بالعسل، والهذليّ إشارة إلى الشّاعر خويلد بن خالد الهذلي نسبة إلى قبيلته «هذيل»[٤٦]، وغيرهم.

- **بيان القائل بذكر صفته، أو بذكر ما اشتهر به بين النّاس من طبائع وأخلاق**، كما احتجاجه على أنّ «إنكار العرب للرحمن ناشئ عن تعنتهم في الكفر وإصرارهم على التكذيب وإلا فقد كانوا غير جاهلين به» مستشهدًا ببيت لـ«أحد الجاهلية الجهلاء»، وهو: ألا ضربت تلك الفتاة هجينها * ألا قضب الرحمن ربي يمينها»[٤٧].

ثمّ حديثه في موضع آخر من التّفسير عن أبي نواس قائلًا: «ومن أحسن وأبلغ وأصدق

---

(٣٩) أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير، ج.٣، ص.٢٠١.

(٤٠) عبد الله بن حميد السالمي، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، علق عليه أبو إسحاق أطفيش وإبراهيم العبري، ضبط نصه إسماعيل بن ناصر العوفي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط.٢، ٢٠١٨.

(٤١) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.٣، ص.٥٩٣.

(٤٢) ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب، (د.ت)، (د.ط)، ص.أ (مقدّمة الدّيوان).

(٤٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط.١، ١٩٥٨، ج.١، ص.٢٥٧.

(٤٤) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.٢، ص.٢٠٩.

(٤٥) نفسه، ج.٣، ص.٣٥١.

(٤٦) أبو ذؤيب الهذلي، ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق: أحمد خليل الشال، مطبوعات مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.١، ٢٠١٤، ص.١٠.

(٤٧) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.١، ص.٢٠٨.

ما وُصفت به الدنيا من قول شاعر كان غارقًا في حب الدنيا إلى الأذقان ولم يدع بابا من أبواب اللّهو والمجون والخلاعة إلا طرقه وولجه وهو أبو نواس شاعر البلاط العباسي الماجن في عهد هارون الملقب بالرّشيد فقد قال في وصف الدّنيا:

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق»[٤٨]

– **بيان القائل بذكر اسمه واسم أبيه وتوضيح مناسبة القول،** ومثال هذا من التّفسير ما جاء في معرض بيان معنى مفردة «متاع» بأنّها تُطلق على كلّ ما يُستمتع به سواء كان نظرة سارّة أو صوتًا محبوبًا أو رائحة أو طعامًا أو غيره، يقول: «ويشهد لذلك ما رُوي عن سليمان بن عبد الملك أنه وقف على قبر ابنه أيوب بعد ما دُفن فقال: وقفت على قبر غريب بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق»[٤٩]. فقد ذكر التّفسير في هذا الشّاهد القائل، وحدّد سياق القول ومناسبته، وقد وردت مواضع حيث ذكر اسم الشّاعر واسم أبيه فضلا عن مناسبة القول، ومنه أنْ تحدّث في موضع عن تسابق أصحاب النّبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) في بذل أرواحهم في سبيل الله، يقول مستشهدًا بأدلّة منها: «قول عبد الله بن رواحة عندما خرج إلى غزوة مؤتة ودعا المسلمون له ولمن معه أن يردهم الله سالمين، فقال (رضي الله عنه):

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً * وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

أو طعنة من يدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا...»[٥٠]

ويطلب التّفسير من بيان مناسبة القول زيادة التّوضيح للقارئ بموطن الشّاهد، وإزالة ما قد يخفى فيه من معنى أراده المفسّر.

ولا شكّ في أنّ هذا التّنوع في بيان نسبة الشّعر إلى قائليه في «جواهر التّفسير» يدلّ على معرفة المفسّر الموسوعيّة بكلام العرب شعرًا ونثرًا، كما يدلّ على الاجتهاد في توثيق القول زيادة في الاطمئنان بحجيّته[٥١] كبرهان على القضيّة موضوع التّفسير. وبعد هذا العرض لطرائق بيان قائل الشّاهد الشّعريّ في التّفسير مدوّنة الدّراسة، ننتقل فيما يلي إلى مسألة إبهام القائل.

---

[٤٨] نفسه، ج.٣، ص.– ص.١٢٠–١٢١.

[٤٩] نفسه، ج.٣، ص.١٣٥.

[٥٠] نفسه، ج.٣، ص.٥٩١.

[٥١] عبد الرحمن بن معاضة الشهري، سابق، ص. ٣٢٣.

ب. إبهام القائل:

مسوّغات إبهام نسبة الشّعر إلى قائليه في تفاسير القرآن الكريم كثيرة؛ لعلّ أبرزها شيوع البيت وجريانه مجرى السّائر من القول حتى إنّ المفسّر لا يجد سببًا لإعلان قائله. كما يمكن أنْ يكونَ سببًا لتركيز النّظر في مسألة النّقاش دون شغل بالِ القارئ بنسبة الشّواهد إلى قائليها ولا سيما إن كانت حاضرة بوفرة كما هو الحال في التّفسير موضوع هذا البحث.

كما أنّ سببًا آخر قد يكون وجيهًا في هذا السّياق ويعود إلى أصل التّفسير الذي بين أيدينا؛ فهو في الأصل عبارة عن محاضرات قدّمها سماحته بجامع السّلطان قابوس بروي أمام طلاب إعداد القضاة وغيرهم، ثم جُمعت، وصدرت مشكّلة أجزاء «جواهر التّفسير» التي نتحدّث عنها هنا. وإلقاؤها كمحاضرات قد يفرض استشهادات حيّة مرتجلة يستغني المتحدّث بالشّاهد عن إطالة الحديث إلى ذكر قائله، كما أنّ الشّاهد يفرض حضورَه التّلقائيّ نظرًا للثّقافة الموسوعيّة التي يتمتّع بها سماحته.

فضلًا عن غياب بيان القائل، فقد غابت التّوطئة لبعض الشّواهد الشّعريّة في مواضع من التفسير كما سنوضّح، ونقدّر سبب هذا الغياب هو ما يفترضه المفسّر من تمتّع المخاطب بمعرفة جيّدة بشعراء مشهورين على طليعتهم أبو مسلم البهلانيّ، أو ما حظيت به بعض الشّواهد الشّعريّة من شهرة واسعة لدى المخاطبين.

وهكذا نجد احتجاجات شعريّة كثيرة في «جواهر التّفسير» اقتصرت على ذكر الشّاهد الشّعريّ من دون الإشارة إلى قائله، كما نجد بعض المواضع حيث ورد الشّاهد مباشرة في ضمن نسيج التّفسير بغير تمهيد. ومثل مواضع إبهام القائل حديث المفسّر عن معنى «الرّكوع» يقول:

«والركوع معروف وأصله طأطأة الرأس وحني الظهر، ويطلق على الذلة وخسة المنزلة كما في قول الشاعر:

ولا تعاد الضعيف علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه»(٥٢)

ومثله أيضًا حديثه عن معنى «الغشاوة» يقول: «والغشاوة ما يغشى العين من موانع الإبصار، كما قال الشاعر:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي ألومها»(٥٣)

(٥٢) نفسه، ج.٣، ص.١٩٤.

(٥٣) نفسه، ج.٢، ص.- ص.٢٥٠-٢٥١ .

وهكذا نجد التفسير في المثالين يكتفي بإيراد الشّاهد دون ذكر قائله.

كما سبقت الإشارة، فقد وردت أمثلة أُخرى في «جواهر التفسير» حيث لا يوطّئ النّصّ للشّاهد الشّعريّ، إنّما يسوقه في ضمن نسيج القول مباشرة، ومن هذا قوله في معنى «الموعظة»:

«والموعظة ما دعا إلى الاعتبار وبعث على الاستعبار من كلمات نافعة أو أحداث رادعة وأصلها بالقول المرقق للقلوب الباعث على الخير، الزاجر عن ضده، ثم أطلقت على كل ما أثر في النفس هذا الأثر كالمنايا وسائر الأحداث:

ليس العظات بما يقول مذكر * مثل العظات بمصرع الأعمار

وتخصيص الموعظة بالمتقين لأنهم هم المستفيدون منها بتأثرهم بها»[٥٤]. والبيت لأبي مسلم البهلانيّ من قصيدته التي قالها في رثاء العلامة نور الدّين السّالمي ومطلُعها:

ريب المنون مقارض الأعمار * وحياتنا تعدو إلى المضمار[٥٥]

ومثال آخر نجد فيه الشّاهد الشّعريّ أكثر لحمة في نسيج النّصّ الذي خارجه، يقول: «والنفس ميالة بطبعها إلى مما فيه مضرتها إن لم يتعدها صاحبها بالرعاية ويستمد من الله التوفيق والعون.

ودأب النفوس السوء من حيث طبعها * إذا لم يصنها للبصائر نور»[٥٦]

والبيت كذلك لأبي مسلم البهلاني من قصيدته النّهروانيّة[٥٧]، ونلاحظ كيف أنّ التّفسير لم يوطِئ لمجيء الشّاهد الشّعريّ، إنّما ساقه مباشرة، وكأن في هذا إشارة إلى الاستغناء بمنزلة الشّاعر البهلانيّ، وألفة إرثه الشّعريّ في ذهن المتلقّي في السّياق الذي قدّم فيه أصل هذا التّفسير – كما سبق القول.

والشّواهد على إبهام اسم الشّاعر المحتجّ بشعره كثيرة في «جواهر التّفسير»، وهو أسلوب أنتج –زيادة على مواضع إبانة القائل– ثراءً في حضور النّصّ الشّعريّ في التّفسير بأجزائه. وهنا

---

[٥٤] نفسه، ج.٣، ص.٤٣٤.

[٥٥] ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني، ديوان أبي مسلم، ووزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، بدون طبعة، ١٩٨٧، ص.- ص.٣٢٨-٣٣٥.

[٥٦] نفسه، ج.٣، ص.١١٣.

[٥٧] ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني، سابق، ص.- ص.٧-١٦.

سننتقل إلى محورٍ آخر في النّقاش ألا وهو منهج الاحتجاج من حيث مقدار الشّاهد بعضًا أو كلًّا، أو أكثر من بيتٍ.

٢.من حيث الاحتجاج بشطر من البيت الشعري، أو ببيت، أو ببيتين متّصلين أو أكثر:

تنوّع منهج «جواهر التّفسير» في الاحتجاج الشّعريّ من حيث ذكر بيت شعريّ كاملًا أو بيتين متّصلين أو متفرّقين، أو مجموعة أبيات، أو اقتصاره على الاستشهاد بشطر من البيت الواحد. وتوضيح هذا في الآتي:

أ. الاحتجاج بشطر من بيتٍ شعريّ:

مع أنّ الاستشهاد بشطر من البيت الشّعريّ لا يمثّل أسلوبًا شائعًا للاحتجاج في «جواهر التّفسير» لكنّه موجود، ويستعيض المفسّر عن إيراد البيت كاملًا بشطرٍ منه نظرًا لشهرة الشّاهد في التّداول، أو لرغبة التّفسير في تركيز النّظر في موضع الشّاهد المقصود دون صرف القارئ إلى غيره، وقد يكون كذلك إحجامًا عن الإشارة إلى دلالة يتضمّنها المحذوف. ومن أمثلة الاستشهاد بشطر مثال يذكره موضّحًا أنّ أصل كلمة «ملك» هو «ملأك؛ وقد «حذفت همزته تخفيفًا وألقيت حركتها على اللام قبلها»[٥٨]. ويحتجّ التّفسير ببيت شعر على هذا، ثمّ يعقبه بشاهد آخر من شطرٍ. يقول:

«وقد جاء على أصله في بعض الأشعار كقوله:

فلست لإنسيٍّ ولكن لملأك * تنزل في جو السماء يصوب.

وقول الآخر: .... * من نبي وملأك ورسول» [٥٩]

ومن أمثلة الاكتفاء بشطرٍ من الشّاهد بسبب شهرته قوله: «ولو طرق سمعك قول امرئ القيس: «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» لوجدت نفسك تفيض مشاعرها وتتحرّك أوتار شعورها حتّى ليكاد قلبك ينخلع من بين جنبيك فيطير مما استهواه من كلام يتدفق بفيض عاطفي...» [٦٠].، وذلك في سياق حديثه عمّا يميّز القرآن الكريم من جمعه بين إمتاع العاطفة وإقناع العقل على نحو لا يتوفّر في أيّ كلام غيره.

وقد جرى الشّطر الشّعريّ: «**ليس التكحّل في العينين كالكحل**» مجرى القول السّائر، لذا وظّفه التّفسير من دون توطئة له وذلك في معرض حديثه عن عجز العرب عن الطّعن في القرآن

---

(٥٨) نفسه، ج.٣، ص.١٦.

(٥٩) نفسه، ج.٣، ص.١٦.

(٦٠) نفسه، ج.٣، ص.٦٥.

الكريم أو معارضته، وأنّ المتكلّف بلاغة ليس كالبليغ، «ولو استطاعوا ترتيب المعاني الذهنية في نفوسهم بعمق تصورهم وسعة خيالهم لخانتهم ألسنتهم وتعثرت في نهج البيان»(٦١).

والبيت تامًّا للمتنبّي:

لأن حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تكلَّفُهُ * لَيْسَ التَكَحُّلُ في العَيْنَيِن كالكَحَلِ(٦٢)

ومن أمثلة اكتفائه بالاحتجاج بشطر من الشّاهد الشّعريّ المثال الآتي الذي يورده في سياق الحديث عن معنى كلمة «ويل»، و«أنّها معروفة عند العرب، ومستعملة في كلامهم قبل نزول القرآن وورود الأحاديث»(٦٣) بدليل أمثلة منها:

«له الويل إن أمسى ولا أم هاشم»(٦٤)

والشّطر المحذوف هو عجز البيت ونصّه من قصيدة لامرئ القيس: «**قَرِيبٌ وَلا البَساسةِ ابنَةَ يَشكُرا**»(٦٥).

ثمّ يأتي بشاهد آخر على القضيّة نفسها لامرئ القيس نصّه:

«............................. * فقالت لك الويلات إنك مرجلي»(٦٦)

وصدر البيت المحذوف هو: «**ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ**»(٦٧) من معلقته الشهيرة:

قِفا نبكِ، من ذِكرى حَبيبٍ، ومنزلِ * بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ، فحَوْمَلِ(٦٨)

ب. الاحتجاج بأبيات شعريّة كاملةً:

والاحتجاج بأبيات شعريّة كاملة هو الوجه الأغلب في «جواهر التّفسير»، ومنه مثلًا احتجاجه على إطلاق اسم «الرّب» على «الملك» بقول النّابغة(٦٩):

---

(٦١) نفسه، ج.١، ص.٧٦.

(٦٢) أبو العلاء المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط.٢، ١٩٩٢، ج.٣، ص.٢٨٣.

(٦٣) نفسه، ج.٣، ص.٤٩٨.

(٦٤) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.٣، ص.٣/٤٩٨.

(٦٥) ينظر: امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط.٥، ١٩٨٤، ص.٦٨.

(٦٦) ص.٣/٤٩٩.

(٦٧) ينظر: امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص.١١.

(٦٨) ينظر: المرجع نفسه.

(٦٩) أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.١، ص.٢١٩.

تخب إلى النعمان حتى تناله * فذلك من ربٍّ تليدي وطارفي

واحتجاجه ببيتِ طرفة بن العبد:

لعمرُكَ ما كانتْ حَمولةُ مَعْبَدٍ * على جُدِّها حَرْبًا لِدينكَ مِن مُضَرْ

لتوضيح أنّ أحد معاني «الدّين» هو «القضاء»(٧٠).

ت. الاحتجاج ببيتين متفرّقين على القضيّة نفسها، أو بمجموعة أبياتٍ متفرّقة:

يأتي الاحتجاج ببيتين متفرّقين أو بمجموعة أبيات متفرّقة للبرهان على القضيّة نفسها، وهذا وجه مألوف في «جواهر التّفسير»، ومن شواهده المثال التالي الّذي حضر في معرض نقاشه قول الله تعالى: ﴿لكنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] ، والحديث عن (لكنَّا) وإمكان حذف اسمها ضمير المتكلّم، ووجه هذا في كلام العرب أنّ حذف الضّمير الذي هو اسم (لَكِن) في قول الشاعر(٧١):

وترمينني بالطرف أي أَنْت مذنبٌ * وتقلينني لَكِن إياك لَا أقلي

ولتوضيح الفكرة نفسها يأتي بشاهد شعريّ آخر نصّه:

فلو كنتَ ضَبِّيًّا عَرَفْتَ قرابتي * ولكِنّ زَنْجِيٌّ عظيمُ المَشافِرِ

معلّقًا عليه قائلًا: «على رفع زنجي وتقديره (ولكنك زنجي)»(٧٢).

ومن أمثلة هذا أيضًا حديثه عن أسلوب الانتقال من مَثَلٍ إلى آخر في القُرآن الكَريم على نحو ما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ ۝ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩، ٤٠]، واستشهاده بأبيات شعريّة متعدّدة للدّلالة على أنّ مثل هذا الأسلوب موجود في كلام بلغاء العرب منظومه ومنثوره، «وهو لا يأتي إلا مع قصد التأكيد على الشيء لأجل مزيد العناية به»(٧٣)، يقول محتجًّا على وجاهة هذه الفكرة: «ومن أمثلة ما ورد من ذلك في كلام العرب قول امرئ القيس:

(٧٠) نفسه، ج.١، ص.٢٣٩.

(٧١) نفسه، ج.١، ص.٢٠٣.

(٧٢) نفسه، ج.١، ص.٢٠٣.

(٧٣) نفسه، ج.٢، ص.٣٩٤.

أصاح ترى برقًا أريك وميضــه * كلمع اليدين في حَبِيّ مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب * أمال السليط بالذبال المفتل

فقوله «أو مصابيح راهب ... الخ» معطوف على التشبيه في قوله «كلمع اليدين»؛ وقول لبيد في وصف ناقته:

فلها هباب في الزمام كأنــه * صهباء خف مع الجنوب جهامها

أو ملمع وسقت لأحقب لاحه * طرد الفحول وضربها وكدامهـــا

أفلتك أو وحشية مسبوعــة * خذلت وهادية الصواري قوامها»(٧٤)

ثمّ يسوق بعد هذه الأبيات ثلاثة أبياتٍ أُخرى لذي الرمّة أدلّة على الفكرة نفسها.

وهكذا تتعدّد الشّواهد الشّعريّة لتوضيح أنّ الانتقال من مثلٍ إلى آخر أسلوب متّبع في كلام العَرب.

ومثال هذا النّهج في إيراد أكثر من شاهد للاحتجاج على الفكرة نفسها توضيحه معنى «الصّراط» في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] بأنّه الطّريق، يقول: «ومنه قول الشاعر:

أمير المؤمنين على صراط * إذا اعْوجَّ الموارد مستقيم

وقول الآخر:

وطِئنا أرضهم بالخيل حتى * تركناهم أذل من الصراط»(٧٥)

هذا فيما يخصّ الاحتجاج ببيتين متفرّقين، أو أكثر، لبيان قضيّة معيّنة في ضمن قضايا التّفسير، كما يحتجّ أيضًا ببيتين متّصلين أو بمجموعة أبيات متّصلة لتوضيح قضيّة ما كما سيأتي بيانه فيما يأتي:

ث. الاحتجاج ببيتين متّصلين أو بمجموعة أبيات متّصلة:

يأتي الاحتجاج ببيتين متّصلين أو بمجموعة أبيات متّصلة برهانًا على القضيّة نفسها في «جواهر التّفسير» قصد رسم صورة واضحة لسياق الشّاهد، ومن أمثلته إيراد ثلاثة أبيات متّصلة لأميّة بن أبي الصّلت في معرض حديثه عن معنى «المنّ»(٧٦) في قوله تعالى ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ...﴾ [البقرة: ٥٧]، وإيراده سبعة أبيات

(٧٤) نفسه، ج.٢، ص.- ص.٣٩٤ – ٣٩٥.

(٧٥) نفسه، ج.١، ص.٢٧٠.

(٧٦) نفسه، ج.٣، ص.٣٥٠.

شعريّة متّصلة لشبلي شميّل في باب «اعتراف الحاقدين بإعجاز القرآن» لبيان وقع القرآن الكريم على حسّ هذا الرّجل[٧٧]، زيادة على إيراد سبعة أبيات أخرى من شعر حاتم الطّائي في سياق تفسير أنّ صفتي الهدى والفلاح في الآية الكريمة: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، تعودان إلى «المتقين» مع أنّه موصوف محذوف، لكن لا سبيل – كما يوضّح التّفسير – إلى الفلاح إلا بتحقق تلك النّعوت الفاضلة التي تميزهم من غيرهم من النّاس[٧٨].

ومن الشّواهد على هذا أيضًا أنْ أورد ستّة أبيات متّصلة لأبي الأسود الدّؤلي في بيان أهميّة «مجاهدة العبد نفسه أوّلًا فيقوم اعوجاجها ويصفي كدرها، ثم ينثني إلى غيره»[٧٩]، وإيراده ثلاثة عشر بيتًا لعمرو بن الحصين العنبري، وألحقها ببيتين آخرين، في سياق الحديث عن عباد الله المخلصين الذين «خاضوا في سبيل نصرة الحقّ بحار المنون، [...]، وقد تدفق أدبهم الرفيع بمشاعرهم التي تجيش بها صدورهم»[٨٠].

وفي سياق الحديث عن الفكرة نفسها أورد ثلاثة أبيات متّصلة للإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، وألحقها بخمسة أبيات أخرى لأبي مسلم البهلاني[٨١].

ونكتفي هنا بشاهد من بيتين متّصلين أورده التّفسير في سياق حديثه عن بلاغة القرآن الكريم، وحجاجه أنّ «البَلَاغة لا تكون إلا بعمق التصور وفنية التصوير، فإن المعاني لا تحيا في العبارات حتى في الأنفس ولذلك استحسن قول الأخطل:

لا يعجبنك من خطيب خطبة * حتى يكون مع الكلام أصيــــلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنمــــا * جعل اللسان على الفؤاد دليلا»[٨٢]

ثمّ يعلّق على الشّاهد الشّعريّ قائلًا: «وهذا يعني أن تترتب المعاني في الذهن بتصور عميق فإذا فاضت بعد اللسان أو القلم خرجت مترتبة بحسب ترتبها في الذهن، فتتمثل أمام السامعين أو القارئين وكأنما هي مشاهد حيّة وصور ماثلة»[٨٣].

---

(٧٧) نفسه، ج.١، ص.٥٥.

(٧٨) نفسه، ج.٢، ص.٢١٠.

(٧٩) نفسه، ج.٣، ص.٢٢٥.

(٨٠) نفسه، ج.٣، ص.-ص.٥٩٢-٥٩٣.

(٨١) نفسه، ج.٣، ص.-ص.٥٩٣ – ٥٩٤.

(٨٢) نفسه، ج.١، ص.٦٤.

(٨٣) نفسه، ج.١، ص.٦٤.

وهكذا فقد تعدّدت الشّواهد الشّعريّة على المستوى الكمّي؛ ففي حين اكتفى التّفسير بالاحتجاج بشاهد شعريّ واحد في مواضع، واستشهد بأكثر من شاهد في مواضع أُخرى تأكيدًا للمعنى المُراد وزيادة في إيضاح سياق الحجّة، كما وجدناه يستشهد ببيتين متّصلين أو بمجموعة أبيات متّصلة في مواضع من التّفسير قصد نقل صورة واضحة للمعنى للقارئ، كما اكتفى بالاحتجاج بأشطر شعريّة في بعض المواضع؛ وجميع هذا أسهم في تشكيل زخم حضور الشّواهد الشّعريّة في «جواهر التّفسير»، والإبانة عن القضايا المناقشة.

ثانيًا: غايات الاحتجاج بالشّعر في «جواهر التّفسير»:

أ. بيان معاني بعض المفردات:

وظّف «جواهر التفسير» الشّعر في شرح ألفاظ القرآن الكريم، وتوضيح دلالاتها، وهو نهج يتّبعه المفسّرون لغايات من أبرزها بيان ما قد يشكل على القارئ من مفردات، فضلا عن الردّ «على من طعن في عربية بعض ألفاظ القرآن الكريم من جهة ثانية»[٨٤].

والاحتجاج لتفسير معاني الألفاظ هو الأبرز غاية في «جواهر التفسير». ومن الأمثلة على هذا توضيح تعدّد معاني مفردة «الرّيب»، فمن معانيها «الشّك»[٨٥] كما في بيت عبد الله بن الزِّبَعْري:

لَيْسَ في الحَقِّ يا أميمة رَيْبٌ * إنّما الرَّيْبُ ما يقولُ الجهولُ

ويواصل القول: تأتي كذلك بمعنى «التّهمة» كما في بيت جميل:

بُثَيْنَةُ قالَت يا جَميلُ أَرَبتَني * فَقُلتُ كِلانا يا بُثَينَ مُريبُ

وفي سياق توضيح دلالة تسمية سورة الفاتحة بـ«أمّ الكتاب» بمعنى «كلّ جامع» يقول بـ«أن العرب قد عُهد منهم تسمية كل جامع أما ومنه قولهم للراية «أم» لالتفاف الجيش حولها وفي ذلك يقول ذو الرمّة:

وأسمر قوام إذا نام صحبتي * خفيف الثياب لا توارى له أزرا

على رأسه أم لنا نهتدي بها * جماع أمور لا نعاصي لها أمرا

إذا نزلت قيل انزلوا وإذا غدت * ذات تزريق ننال بها فخرا» [٨٦]

---

[٨٤] عبد الرحمن بن معاضة الشهري، سابق، ص.١٩٤.

[٨٥] أحمد بن حمد الخليلي، سابق، ج.٢، ص.١٠٤.

[٨٦] نفسه، ج.١، ص.١٦٨.

وتتعدّد الأمثلة على الشّواهد الشّعريّة المحتجّ بها في التّفسير لغايات توضيح معاني المفردات.

ب. بيان قضايا نحويّة أو صرفيّة أو بلاغيّة:

وُظِّفَ الشّاهد الشّعريّ في «جواهر التفسير» لغايات بيان قضايا نحويّة وصرفيّة وبلاغيّة. ومن الأمثلة على هذا حديثه عن مدلول البدل ومشتقّاته، وطرائق التّعدية في الأفعال، يقول مثلًا: «وإذا تعدت إلى مفعول واحد وتعدت إلى الآخر بالباء وهو الأكثر فالمنصوب هو المأخوذ والمجرور هو المبذول، نحو قوله هنا: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، [...]، وقد يجرّ المعمول الثاني بـ«من» التي هي بمعنى باء البدليّة كقول أبي الشيص:

بُدِّلت من مرد الشباب ملاءة * خلقا وبئس مثوبة المعتاض»[٨٧].

ومن أمثلة الاحتجاج بالشّعر توضيحًا لقضيّة صرفيّة ما يورده احتجاجًا على أنّ «مجيء فعيل بمعني مُفْعِل مشهور في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع

وجاء في شعر ذي الرمة «أليم» بمعنى «مؤلم» في قوله:

ونرفع من صدور شمردلات * يصك وجوهها وهج أليم»[٨٨].

وفي تفسيره الآية: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ...﴾ [البقرة: ٤٩] يتطرّق لمعنى «فرعون» موضّحًا أنّ الاسم «فرعون»: «في أصله جامد غير مشتق لكن بما أنه أطلق على أعتى الناس وأمردهم صار كالعلم على العتوّ والتّمرد فاشتقّ منه بعضهم «تفرعن» إذا عتا حيث قال:

قد جاءه موسى الكلوم فزاد في * أقصى تفرعنه وفرط عرامِه»[٨٩].

ومن أمثلة استشهاد «جواهر التفسير» بالشعر لبيان وجه بلاغي في القرآن ما جاء في معرض تفسيره الآية الكريمة: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، حيث ناقش اختلاف العلماء في الوجه البلاغي فيها، ومما يقوله: «وما تقدم من صفات هؤلاء المنافقين لا يصرف هذه الصورة عن حكم الاستعارة، وإفهامها للمراد من اللفظ، وهو مما يفتقر إليه كل مجاز، إلا أنهم اتفقوا بأن ذكر المشبه في غير جملة الاستعارة لا يؤثر شيئا على حكمها، نحو قول الشاعر:

---

(٨٧) نفسه، ج.٣، ص.-ص.٣٨٥-٣٨٦.

(٨٨) نفسه، ج.٢، ص.٣٠٤.

(٨٩) نفسه، ج.٣، ص.٢٩٤.

قامت تظللني من الشمس * نفس أعز عليّ من نفسي

قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس

فقد اتفقوا على أن لفظة شمس في البيت الثاني استعارة، مع أن المراد بها منصوص عليه في البيت الذي قبله...»[٩٠].

والأمثلة على الاحتجاج بالشّعر لتوضيح قضايا نحوية وصرفية وبلاغية في القرآن الكريم في «جواهر التّفسير» كثيرة.

ت. ربط صورة بصورة:

وقد حضر الاحتجاج الشّعريّ في «جواهر التّفسير» لغرض ربط صورتين ببعضهما، ومن أمثلة هذا ربط صورة الأشعريّين في تفاعلهم «العجيب مع روح القرآن»، مع صورة أُخرى من «السّلف الصالح» وهم الإباضيّة يعبر عنها أبو مسلم البهلاني في قوله[٩١]:

تراهم في ضمير الليل صيرهم * مثل الخيالات تسبيح وقرآن.

وفي قوله:

أكبوا على القرآن شربا لمائه * فأصدرهم والكل ريّان هائم.

ومثال على هذا أيضًا جملة من الشواهد الشعرية التي يسوقها في معرض تفسيره الآية: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّـهِ خَالِصَـةً مِّن دُونِ النَّـاسِ فَتَمَنَّـوُاْ الْمَـوْتَ إِن كُنـتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله إنّ أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يتسابقون إلى الموت تسابق الصّادئين إلى الماء الفرات، وكم صاغوا أمانيهم في عقود من الأدب ازدان بها الكلام، كقول عمير اِبن الحمام رضي الله عنه:

جريا إلى الله بغير زاد * إلا التقى وعمل المعاد»[٩٢]

ثم استشهاده بعدها بأبيات لعبد الله بن رواحة لربط صورة تسابق السّلف الصّالح إلى الدّار الآخرة.

ث. بيان وجه من وجوه كلام العرب:

كما احتجّ «جواهر التّفسير» على مواضــع من التّفسير بالشعر لبيان وجــه من وجوه كــلام

---

[٩٠] نفسه، ج.٢، ص.٣٩١.

[٩١] نفسه، ج.١، ص.٨.

[٩٢] نفسه، ج.٣، ص.٥٩١.

العرب، أو معنى متداول بينهم وذلك في معرض حديثه مثلًا عن وجه من وجوه تفسير حروف مثل «الم»، و«المر»، و«المص»، وقوله إنّ من العرب من «يتكلمون بالحروف المقطعة أحيانا بدلا من الكلمات التي تتألف منها»(٩٣)، و«منه قول زهير:

بالخير خيرات وإن شر فا * ولا أريد الشّر إلا أن تا..

أراد وإن شر فشر، وأراد: إلا أن تشاء، فاكتفى من كل كلمة بحرف، وقول آخر:

ناداهم أن الجموا الا تا.. * قالوا جميعا كلهم ألا فا..

أراد بالأول: ألا تركبون، وبالثاني ألا فاركبوا»(٩٤).

ومن الأمثلة على الشّاهد الشّعريّ الذي احتجّ به التّفسير للدّلالة على معنى متداول في لغة العرب ما يورده من شواهد شعريّة لتوضيح أنّ «أصل الصلاة عند العرب الدعاء، ومنه قول الشاعر:

تقــول بنتي وقد قربت مرتحـــلا * يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * نوما فإن لجنب المرء مضطجعا»(٩٥)

ويسوق شاهدين شعريّين غيره في المعنى نفسه.

ج. حشد أصوات متعدّدة للحجاج عن فكرة معيّنة:

ونعني بحشد أصوات متعددة للحجاج عن فكرة معيّنة لجوء المفسّر إلى الشّعر أو غيره من النّصوص (ولاسيّما القرآن الكريم ونصوص السنّة النبويّة)؛ لتوظيف ما يعضّد صوته على وجاهة الخطاب؛ الأمر الذي يكون له وقعه الخاصّ في ذهن القارئ. وشواهد هذا وافرة في «جواهر التّفسير»، ونستدلّ عليها بشاهدين أولهما يأتي في سياق الحديث عن وجوب سدِّ ذرائع المعصية، وتعليق التّفسير بقوله: فـ «النفس مّيالة بطبعها إلى ما فيه مضرتها، إن لم يتعهدها صاحبها بالرعاية ويستمد من الله التوفيق والعون»(٩٦)، قبل أن ينتقل مباشرة إلى الشّاهد الشعريّ:

ودأبُ النفوس السوءُ من حيث طبعُها * إذا لم يصُنْها للبصائر نورُ

---

(٩٣) نفسه، ج.٢، ص.٧٠.

(٩٤) نفسه، ج.٢، ص.٧٠.

(٩٥) نفسه، ج.٢، ص.١٥٧.

(٩٦) نفسه، ج.٣، ص.-ص.١١٤-١١٣.

وهو بيت لأبي مسلم البَهلاني من نهروانيّته الشّهيرة التي سبق أنْ أشرنا إليها، وقد اكتفى التّفسير بذكر الشّاهد في ضمن نسيج النّصّ من دون تمهيدٍ له، وبلا نسبة إلى قائله كذلك.

أمّا الشّاهد الثّاني فيأتي في سياق الحديث عن الدّنيا وطبيعتها، يقول:

«وإنما هي حياة مصائب ومتاعب، وجهد وبلاء، والشواهد على ذلك قائمة من طبيعة الحياة نفسها، فهي لا تكاد تحلو حتى تمر، ولا تزهر حتى تذبل، ولا تقبل حتى تدبر، ولا تمنح حتى تسلب»[٩٧]. ثم ينتقل مباشرة إلى بيت الشّعر من دون التّمهيد له بذكر قائله:

جُبلت على كدر وأنت تريدها * صفوًا من الأقذار والأكدار[٩٨]

والبيت من قصيدة للشّاعر علي بن محمّد التّهامي المشهور بأبي الحسن التهامي، وقد قالها في رثاء ابنه، ومطلعها:

حُكمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جاري * ما هَذِهِ الدُنيا بِدار قَرار[٩٩]

وقد تقدّم الاستشهاد بمواضع أخرى حيث لا يوطئ التّفسير للشّاهد الشّعريّ دفعًا بالقارئ للتّركيز على المعنى دون الانشغال بغيره، أو لغير ذلك من الأسباب.

ح. تصحيح رأي:

كما يحتجّ «جواهر التّفسير» بالشّعر لتصحيح رأي معين، ومن ذلك تصحيح رأي بعض كبراء أئمّة اللّغة حيث زعم أنّه لم يستعمل في كلام العرب لفظ «التّصلية» بمعنى مصدر صلاة؛ فيعلّق سماحته: «وليس كذلك، فقد نقل بعضهم استعماله بهذا المعنى وهو نادر، ومنه قول الشّاعر:

تركت القيان وعزف القيان * وأدمنت تصلية وابتهالا»[١٠٠]

وفي سياق آخر من التّفسير نجده يصحّح رأيًا للقرطبيّ في قوله بزيادة الواو في ﴿وذَكِّرْهم بِأَيّامِ اللّـهِ﴾ [إبراهيم: ٥]؛ يقول: «ولا معنى لقول القرطبي إن الواو في (سورة إبراهيم) زائدة مستدلًّا بقول الشاعر: «**فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحى**»، أي قد انتحى، وقول الآخر: «إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم». والذي دعا القرطبي إلى القول بزيادتها

---

[٩٧] نفسه، ج.٣، ص.١٢٠.

[٩٨] نفسه.

[٩٩] علي بن محمّد التهامي، ديوان أبي الحسن علي بن محمّد التهامي، تحقيق محمد عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط.١، ١٩٨٢، ص.٣٠٨.

[١٠٠] نفسه، ج.٢، ص.١٦١.

قبل (انتحى) من الشاهد الأول توهمه أن انتحى جواب للشّرط وليس كذلك...»[١٠١]؛ ويورد أصل البيتين الشّعريّين في سبيل تصحيح رأي القرطبيّ.

خ. تنزيه القرآن الكريم وتأكيد فصاحته:

وقد احتجّ «جواهر التّفسير» بالشّعر لتنزيه القرآن الكريم وتأكيد فصاحته وتعاليه على الضّرورات، وذلك بخلاف ما قد يضطرّ إليه الشّعراء من تراكيب لُغويّة أو عروضيّة. وهنا يستشهد بقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا * أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

معلّقًا: «وقد أجمع علمَاء البلاغة على رداءة هذا التركيب، فهل يصح أن يُحمل عليه أو على مثله شيء من التركيب القرآني الذي يتعالى على الضرورات»؟[١٠٢].

ومن الأمثلة على الشّاهد الشّعريّ الذي احتجّ به التّفسير لتنزيه القرآن وتأكيد فصاحته ما أورده في معرض تفسيره الآية: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] وأقوال المفسرين في المراد بـ«الفرقان»، وما أورده ابن عطية من حجة بأن العطف بين الكتاب والفرقان للتغاير الحاصل بين مدلول الاسمين وإن كان مسماهما واحدا، واستدل بعض المفسرين لهذا القول بقول الشّاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم»[١٠٣]

غير أنّ «جواهر التفسير» يخالف هذا الرّأي، ويرى أنّ قول الشّاعر: «فألفى قولها كذبا ومينا .....» أقرب إلى الاستدلال، ومع ذلك «يمتنع تخريج الآية عليه كذلك، لأن القرآن الكريم بلغ من فصاحة القول وبلاغة الكلام ما لم يبلغه شعر ولا نثر، فمن المستحيل أن يعطف فيه لفظ على آخر من غير اشتمال هذا العطف على فائدة لا تحصل دونه»[١٠٤].

وهكذا نجده يوظّف الشّاهد الشّعريّ في هذا السّياق ليؤكّد أنّ القرآن الكريم معجز في بيانه، منزّه أن يبلغه قول قائل شعرًا أو نثرًا.

---

[١٠١] نفسه، ج.٣، ص.-ص. ٢٩٨- ٢٩٩.

[١٠٢] نفسه، ج.١، ص.٢٢٤.

[١٠٣] نفسه، ج.٣، ص.٣٣٠.

[١٠٤] نفسه، ج.٣، ص.٣٣٠.

خلاصة:

نظرنا فيما سبق في موضوع الاحتجاج بالشّعر في «جواهر التّفسير» للعلّامة الشّيخ أحمد بن حمد الخليلي، ودافعنا لهذا التناول هو ما وجدناه من حضور شعريّ وافر في هذا التفسير تمثّل في توظيف حوالي ٢٧٩ شاهدًا شعريًّا. قسّمنا عملنا على مبحثين أوّلهما نظر في منهج الاحتجاج في «جواهر التّفسير» من حيث بيان القائل أو إبهامه، ومنهج الاحتجاج بشطر من الشّاهد الشّعري أو بالبيت كاملًا أو بمجموعة أبيات متّصلة أو متفرّقة. وجدنا أن التّفسير يذكر القائل غالبًا، في حين أبهمه في مواضع مركّزًا على الشّاهد دون غيره. كما وجدناه يستشهد في مواضع بالشّطر المفرد، في حين وصل عدد أبيات الشّاهد المحتج به إلى أكثر من خمسة أبيات شعريّة متّصلة في مواضع أخرى، وجميع هذه الصّور أدّت إلى خدمة السّياق الذي وردت فيه، كما أسفرت عن زخم حضور النّصّ الشّعريّ في التّفسير.

أمّا المبحث الثّاني فقد نظرَ في غايات الاحتجاج بالشّعر في «جواهر التّفسير»، وقد وجدناها متعدّدة وخلاصتها: بيان معاني بعض المفردات، أو بيان قضايا نحويّة أو صرفيّة أو بلاغيّة، أو ربط صورة بصورة، أو تصحيح رأي، أو بيان وجه من وجوه كلام العرب، أو حشد أصوات متعدّدة للحجاج عن فكرة معيّنة، أو تنزيه القرآن الكريم وتأكيد فصاحته.

المصادر والمراجع:

المصادر:

القرآن الكريم.

أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل ، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ط.١، ١٩٨٤، ج.١.

--------------------، جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل ، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ط.١، ١٩٨٦. ج.٢.

--------------------، جواهر التفسير: أنوار من بيان التنزيل ، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ط.١، ١٩٨٨، ج.٣.

المراجع:

امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط.٥، ١٩٨٤.

خفاف بن ندبة السلمي، شعر خفاف بن ندبة السلمي ، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف، بغداد، ط.١، ١٩٦٧.

أبو ذؤيب الهذلي ، ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، تحقيق: أحمد خليل الشال، مطبوعات مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.١، ٢٠١٤.

عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم: أهميته، وأثره ، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط.١، ٢٠٠٨.

عبد الله بن المعتز ، شعر عبد الله بن المعتز ، صنعة أبي بكر الصولي، صححه ب. لوين، منشورات جمعيّة المستشرقين الألمانية، مطبعة المعارف، إسطنبول، (بدون. ط) ١٩٤٥.

عبد الله بن حميد السالمي ، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، علق عليه: أبو إسحاق أطفيش وإبراهيم العبري، ضبط نصه: إسماعيل بن ناصر العوفي ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط.٢، ٢٠١٨.

عبد الله بن رؤبة (العجاج)، ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق، دمشق، ط.١، ١٩٩٥.

عروة بن أذينة، ديوان عروة بن أذينة، تحقيق: يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط.٢، ١٩٨٢.

أبو العلاء المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط.٢، ١٩٩٢، ج.١.

---------------- ، شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط.٢، ١٩٩٢، ج.٣.

علي بن محمّد التهامي، ديوان أبي الحسن علي بن محمّد التهامي، تحقيق: محمد عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط.١، ١٩٨٢.

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط.١، ١٩٥٨، ج.١.

ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب، (د.ت)، (د.ط).

ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني، ديوان أبي مسلم، ووزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، بدون طبعة، ١٩٨٧.

همّام بن غالب (الفرزدق)، ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدّم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١، ١٩٨٧.

ترجمة الأدب العربي في الصين

الباحثة: يي هايهوا
جامعة شنغهاي للدراسات الدوليّة

الملخّص:

لـلأدب العربـي تـاريخ طويـل، وبدأت ترجمتـه فـي الصـين منذ أكثر مـن ثلاثمائـة عـام. وإذا نظرنا إلى تاريخ ترجمته هنا، فسنجد أنّ اختيارات المترجمين قد حافظت على توافق واعٍ أو لا واعي مـع سياسـات الترجمـة التـي تهيمن عليهـا الأيـديولوجيا فـي أي فتـرة. ويمكـن تقسـيم ترجمـة الأدب العربـي في الصـين إلى ثـلاث مراحـل هـي: المرحلـة الأولـى قبـل تأسيس الصـين الجديدة . قبل عام ١٩٤٩، والمرحلة الثانية من تأسيس الصين الجديدة إلى فترة "الثورة الثقافيـة" (١٩٤٩-١٩٧٧)، والمرحلـة الثالثـة مـن الإصـلاح والانفتـاح إلـى اليوم الحاضـر -مـن ١٩٧٨ حتّى الآن. وعليه سيقوم هذا البحث على هذه المراحل الثلاث، ويأخذها كمحور زمنـي أساسـه التحليل التاريخي لتطور ترجمة الأدب العربي في الصين، الأمر الذي سيكشف عن خصائص ترجمته في فترات مختلفة وأسباب تكوّن هذه الخصائص. وأيضًا سيستعين البحث بالنقد التاريخي ذي البعد الاجتماعي ليُقرأ في ضوئه النص قراءة دقيقة تفيد من اشتراطات المقارن. وفي سياق البحث، ستتمُّ المقارَنة بين المراحل الثلاث بدرجات متفاوتة. وبتعبير آخر، إن البحث يعتمد على تغيّر السياق التاريخي والاجتماعي وسياسات الترجمة في المراحل الثلاث. وعليه قُسّمت المباحث إلى ثلاثة تسبقها مقدّمة. والمبحث الأول ترجمة الأدب العربي في الصين قبل تأسيس الصين الجديدة، وسينصب التحليل فيه على القرآن الكريم، وألف ليلة وليلة. والفصل الثاني سيبيّن صورة ترجمة الأدب العربي في الصين منذ تأسيس الصين الجديدة إلى فترة "الثورة الثقافية"، من خلال الروايـات والأشـعار والمسـرحيات المترجمـة. أمـا الفصـل الثالـث فَعن ترجمـة الأدب العربـي فـي الصين إبّان الإصلاح والانفتاح. إذ شهدت الترجمة ازدهارا غير مسبوق في هذه الفترة، وانمازت بستِ خصائص جرى التفصيل فيها.

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي، الترجمة، الصين.

The Translation of Arabic Literature in China

Haihua Ye
Shanghai International Studies University

Abstract

Arabic literature has a long history, and its translation began in China more than 300 years ago. Looking at the history of its translation here, we find that the translator's choices have maintained a conscious or unconscious agreement with the translation's policies dominated by ideology in any period. The translation of Arabic literature in China can be divided into three stages. The first stage is before the founding of New China (before 1949), the second stage is from the founding of New China to the "Cultural Revolution" period (1949-1977), and the third stage is from the reform and opening up to the present (1978-present). Thus, this study will be based on these three stages, and take it as a chronological topic based on the historical analysis of the development of Arabic literature translation in China which reveals the characteristics of its translation in different periods and the reasons behind forming these characteristics. The research will also use the social historical criticism to close text reading and comparative research. A comparison is made, in the context of the research, among the three stages in varying degrees. In other words, it is based on the change in the historical and social context and the policies of translation in the three stages.

This article is divided into three sections preceded by an introduction. The first section is the translation of Arabic literature in China before the founding of New China and the analysis will focus on the Holy Qur'an and the Thousand and One Nights. The second section

introduces a picture of the translation of Arabic literature in China from the founding of New China to the "Cultural Revolution" period by focusing on the translation of novels, poems and plays. The third section is about translating Arabic literature in China during since the reform and opening-up as translation witnessed an unprecedent boom in this period, exhibiting six major characteristics, which the author will conduct in details in the research.

Keywords: Arabic literature, translation, China

المقدّمة:

بدأت ترجمة الأدب العربي في الصين بترجمة الكلاسيكيات الإسلامية التي تحتوي على عدد كبير من العناصر الثقافية والأدبية، فأدرجتها هذه الدراسة في فئة الأدب. وعلى الرغم من دخول الإسلام إلى الصين في منتصف القرن السابع، إلا أن ترجمة "القرآن" لم تبدأ حتّى في عهد أسرة مينغ وتشينغ (أوائل القرن العشرين)، وبدأت ترجمة النص الكامل للقرآن في أواخر عشرينيات القرن الماضي. سيقدّم الفصل الأول بالتفصيل تاريخ ترجمة للقرآن وألف ليلة وليلة في الصين، وكذلك بعض الأعمال لطه حسين وجبران خليل جبران. وسيحلّل الأسباب الرئيسة التي شكلت صورة الترجمة. أما الفصل الثاني فسيدرس ترجمة الأدب العربي في الصين منذ تأسيس الصين الجديدة إلى "الثورة الثقافية". وبعد تأسيس الصين الجديدة، سيطرت السياسة على اتجاه ترجمة الأعمال الأدبية، وذلك بسبب تعديل السياسات الخارجية والثقافية المحلية الصينية والمهمة المشتركة في معارضة الإمبرياليّة الغربية للصين والدول العربية. الأمر الذي جعلها عاملاً في بلوغ الذروة الأولى لترجمة الأدب العربي في الصين. فزادت الأعمال المترجمة وتنوعت في هذه الفترة. فمن عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٧٧ تمّت ترجمة ما مجموعه ٦٠ عملا بأشكال أدبية تبدأ بالشعر والنثر، وتتضمن أيضًا بعضًا من الخرافات والسرد. وموضوعات تلك الأعمال تغلب عليها مناهضة الإقطاع والحرب والاستعمار والإشادة بحركة التحرر الوطني. وعدد الأعمال المترجمة لمختلف البلدان العربية متفاوت، حيث أنّ الأدب المصري هو الأكثر ترجمة إلى الصينية. أما الفصل الثالث فسيدرس ترجمة الأدب العربي في الصين في عهد الإصلاح والانفتاح. في عام ١٩٧٨، طبقت الصين سياسة الإصلاح والانفتاح. ومنذ ذلك الحين، شهدت ترجمة الأدب العربي في الصين تقدّما عظيما. وفي العقدين الأخيرين من القرن الماضي، بلغت ترجمة الأدب العربي في الصين ذروة أخرى. وخلال هذه الفترة، تُرجم عدد كبير من الشعر القديم والحديث والمسرحيات والروايات والنثر. وعلى الرغم من أن الترجمة كانت لا تزال تعتمد بشكل

أساسي على الأعمال المصرية واللبنانية والسورية، بيد أنّ الأدب من منطقة الخليج ومنطقة المغرب العربي دخل تدريجياً إلى الصين. وفي الوقت نفسه ظهرت سلسلة من الأعمال الكلاسيكية المترجمة مثل أعمال نجيب محفوظ وخليل جبران، وقد ترجمت أعمال الكاتبين جميعها إلى اللغة الصينية، كما تعاد طبعاتها وترجماتها الجديدة لبعض أعمالهما باستمرار. وبالإضافة إلى ذلك، شرع المترجمون والكتاب العرب والصينيون في لقاءاتهم وتبادل زياراتهم الثقافية، فتجد ضمن مقدّمات الأعمال المترجمة الكثيرة صورًا وكتابات بخطّ أيدي المؤلفين، مما يضيف لونًا كبيرًا إلى الأعمال المترجمة. وحتى الآن، يقوم ستة وخمسون معهدا وجامعة في الصين بتدريس اللغة العربية واحدة تلو الأخرى، فالأساتذة الجامعيون وطلابهم مسؤولون عن تقديم الأدب العربي والبحث فيه بسبب حبهم الشديد لهذا الأدب.

المبحثُ الأوّل: ترجمة الأدب العربي وإدخاله إلى الصين قبل عام ١٩٤٩:

للأدب العربي تاريخ طويل، ولكن لأسباب تاريخية مختلفة، نظرًا لتأثير "المركزية الأوروبية" في بلدنا لفترة طويلة، حتى في الأدب الشرقي، فإن ترجمة الأدب العربي والبحث فيه متأخران كثيرًا عن ترجمة الأدب الياباني والأدب الهندي والبحث فيهما[(١)]. وقبل تأسيس الصين الجديدة، تمت ترجمة عدد قليل جدًا من الكلاسيات الإسلامية والأعمال الأدبية العربية إلى الصينية. وللبحث في الأعمال المترجمة في هذه المرحلة، نحتاج أولاً إلى الحديث عن الترجمة المبكرة للقرآن. لأن القرآن لا يحتوي فقط على العديد من الأمثال والأقوال والقصص، بل كان له أيضًا تأثير كبير على الثقافة والأدب العربي.

وفقًا للسجلات التاريخية، دخل القرآن إلى الصين في حوالي القرن العاشر الميلادي، ولم تكن في الصين تجربة لترجمته حتى أواخر عهد أسرة مينج وأوائل أسرة تشينغ، كان بعض المثقّفين المسلمين الذين يستوعبون الصينية استيعابا جيدا، مثل وانج دايو (حوالي ١٥٧٠-١٦٦٠)، وما تشو (١٦٤٠-١٧١١) وإلخ. شرعوا بترجمة مقتطفات أو مقاطع مختارة منه في كتبهم الإسلامية، وهذه بداية الترجمة التي ستواصل مسيرها نحو الأدب العربي في الصين.

وفي عام ١٩٢٧، نشرت دار بكين للنشر القرآن الذي ترجمه غير المسلم تاي زينغ (تاي زينغ

هو الاسم المستعار والاسم الحقيقي وسيرته غير معروفة) بناءً على الترجمة اليابانية وإشارة إلى الترجمة الإنجليزية. وهذه هي أول ترجمة للنص الكامل للكتاب الكريم في الصين. ومن الأربعينيات إلى الخمسينيات من القرن الماضي، تمت ترجمة أربع نسخ من القرآن، وهي ترجمة

(١) زونج جيكون، ستون عامًا من الأدب العربي في الصين الجديدة، غرب آسيا وشمال أفريقيا، ٢٠١٠ ، ص٢٠٣.

من اليابانية والإنجليزية إلى العربية. واللغة الصينية الحديثة لم تكن شائعة في ذلك الوقت، فقد كانت معظم الترجمات باللغة الصينية الكلاسيكية[٢].

وفي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، أرسلت الصين مجموعات كثيرة من الطلاب المسلمين إلى جامعة الأزهر في مصر لدراسة اللغة العربية والمعرفة الدينية. وبُعث السيد ما جيان، أستاذ اللغة العربية بجامعة بكين، والرائد في دائرة اللغة العربية الصينية، والمترجم للنسخة الصينية النموذجية للقرآن، إلى القاهرة مع الدفعة الأولى من الطلاب الصينيين في عام ١٩٣١. وتخرّج في جامعة الأزهر عام ١٩٣٤ وفي الجامعة المصرية عام ١٩٣٩، وبعد عودته إلى الصين عام ١٩٣٩، كرّس نفسه لترجمة القرآن، ونشر أول ثمانية مجلدات منه عام ١٩٤٩. وبعد ذلك، بسبب انشغاله بالتدريس والسنوات العشر المضطربة في تاريخ الصين خلال الثورة الثقافية، لم يتمكن من مواصلة ترجمته، ولم يكملها إلا في سنواته الأخيرة، وقد نُشرت في الصين عام ١٩٨١. وفي عام ١٩٨٧، تم نشرها مع النص العربي الأصلي للقرآن تحت إشراف وزارة الحج في المملكة العربية السعودية، وأصبحت الترجمة الصينية الأكثر تأثيرًا للكتاب الكريم في العالم حتى الآن[٣].

أما في الأدب فقد تُرجمت قصيدة البُردة" للشاعر المصري البوصيري (١٢١١-١٢٩٦) إلى الصينية. ففي عام ١٨٦٧، ترجم ونشر الباحث المسلم ما ديكسين (١٧٩٤-١٨٧٤) هذه القصيدة. وقد حاكت ترجمتها نمط الجملة المكونة من أربعة مقاطع من الشعر الصيني الكلاسيكي كالمألوف في"كتاب الأغاني"[٤]، لذلك أُطلق عليه "كتاب الأغاني من الأراضي البعيدة".

وشذّب ترجمتها تلميذه ما أنلي (١٨٢٠-١٨٩٩) ونشرها في شكل لوحة خشبية. فأصبحت "قصيدة البردة" أول ما يترجم من الشعر الكلاسيكي العربي إلى اللغة الصينية في الصين. وفي عام ١٩٥٧، قامت دار الأدب الشعبي للنشر بطباعتها وإعادة نشرها.

بالإضافة إلى المثالين الكلاسيكيين الإسلاميينِ المذكورين أعلاه، فإن الحكايات العربية الشعبية

---

(٢) تشن يوهيانغ، الثقافة العربية في الصين مثالًا خلال القرن العشرين، ينتشوان، دار نينغشيا الشعبية للنشر، ٢٠١٦، ص٨٧.

(٣) تشي يو هاو ودينغ سو هونغ وتسونغ شياوفي، تاريخ تبادل الأدب العربي الصيني (المجلد الصيني العربي)، جينان، دار شاندونغ التعليمية للنشر، ٢٠١٦، ص٤٥.

(٤) "كتاب الأغاني" هو بداية الشعر الصيني القديم وأقدم مجموعة شعرية جمعت ٣١١ قصيدة من السنوات الأولى من عهد أسرة تشو الغربية إلى منتصف فترة الربيع والخريف (القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى القرن السادس قبل الميلاد).

ألف ليلة وليلة تكاد تكون مرادفة للأدب العربي في هذه المرحلة. ففي عام ١٩٠٦، نشرت دار النشر للتجارة رسميًا ألف ليلة وليلة، الذي ترجمه شيروه (١٨٨٠. ١٩١٥) من النسخة الإنجليزية. ووزّعت ترجمته على نطاق واسع، وطبعت ما يصل إلى سبع طبعات حتى عام ١٩٤٧[٥]. وقبل صدور النسخة المترجمة لناشيون من العربية، كانت نسخة شيروه تعد النسخة المترجمة الأكثر موثوقية في النصف الأول من القرن العشرين.

وقبل صدور نسخة شيروه، لم يكن ألف ليلة وليلة قد نشر رسميًا في الصين، ولكنّ المترجمين والعلماء علّقوا على هذا الكتاب أو ترجموا محتوى بعض الحكايات في بعض المنشورات.

وفي عام ١٩٠٣ قدّم تشو قويشنغ، الأديب في أواخر عهد أسرة تشينغ، هذا العمل المشهور في مجموعته المترجمة. ووفقًا للبحث هذه أول رواية أجنبية مترجمة إلى الصينية. وفي عام ١٩٠٠، نشرت "صحيفة الريح" القصّتين المترجمتين من الإنجليزية: قصة الملك شهريار وإخوانه" و "قصة الصياد"، اللتين ترجمهما تشو قويشنغ. وبالإضافة إلى ترجمة تشو قويشنغ، من مايو إلى سبتمبر عام ١٩٠٣، نشرت "صحيفة البر الرئيسي" قصص" ألف ليلة وليلة " بشكل متسلسل في الأعداد ٦–١٠، والمترجم غير معروف. وفي العام نفسه، نشرت مكتبة الثقافة" قصة رحلة سندباد" التي ترجمها تشيان كاي من الإنجليزية[٦].

كان ناشيون، العالم المسلم، أول من ترجم ألف ليلة وليلة من اللغة العربية الأصلية. وفي عام ١٩٣٤ بُعث إلى مصر للدراسة في جامعة الأزهر. فبدأ بترجمتها من لغتها الأم. وقبل عودته إلى الصين في عام ١٩٤١، نشرت دار النشر للتجارة ترجماته لخمسة مجلدات. وفي عام ١٩٥٧، قامت دار الأدب الشعبي للنشر بنشر المجلدات الخمسة من ألف ليلة وليلة، بعد أن عُني بترجمتها السابقة. وهذه هي الترجمة الوحيدة من ألف ليلة وليلة التي أقبل عليها القرّاء الصينيون لفترة طويلة. وفي عام ١٩٨٤، نشرت ترجمته لـ ألف ليلة وليلة للقصص الكاملة في ستة مجلدات، التي هو حوالي ٢.٣ مليون كلمة. وكرّس السيد ناشيون حياته كلها لترجمة ألف ليلة وليلة، وكان أول من ترجمه من اللغة العربية، وأول من أتم الترجمة الكاملة لهذا الكتاب. وعلى الرغم من وجود العديد من الترجمات الكاملة من العربية فيما بعد، إلا أن تأثيرها لم يكن كبيرا مثل ترجمة السيد ناشيون.

وفي العقد الثاني والثالث من القرن الماضي، بدأت الأوساط الأدبية الصينية تهتم بالأدب العربي الحديث، فتُرجمت أعمال خليل جبران وطه حسين ومحمود تيمور وعددا قليلا من الأدب العربي الحديث والقديم.

---

(٥) زو زينهوان، شيرو مع ألف ليلة وليلة، الترجمة الشرقية، العدد٢، ٢٠١٣، ص٤.

(٦) ما تاو، ترجمة الأدب العربي في الصين التاريخ والواقع، مجموعة الدراسات العربية، ٢٠٢١، ١، ص١٥.

وفي عام ١٩٢٣، نشر الكاتب الشهير ماو دون (١٨٩٦-١٩٨١) ٨ مقالات متتالية في صحيفتي "الجهود" و "الأدب "، والتي تُرجمت من مجموعة الشعر النثرية الإنجليزية "الرائد" للكاتب اللبناني جبران. وبعد ماو دون، ترجم عديد من المترجمين بعض القصائد المقتطفة لجبران.

وأول ترجمة كاملة لأعمال جبران في الصين هي "المجنون" ترجمها ليو تينغفانغ (حوالي ١٨٩٢-١٩٤٧). بالإضافة إلى ذلك، قام أيضًا بترجمة مختارات أخرى من قصائد نثر جبران – "الرائد" و"يسوع ابن الإنسان"، وهو المترجم الذي ترجم معظم أعمال جبران في دائرة الترجمة الصينية الحديثة. لكن تأثيره على ترجمة جبران لم يكن كبيرًا مثل تأثير الكاتبة المشهورة الأخرى، بينغ شين (١٩٠٠-١٩٩٩). وفي عام ١٩٣١، نشر أول عمل مترجم لبينغ شين بعنوان "النبي". على الرغم من أن جميع هذه الأعمال تُرجمت من النسخة الإنجليزية، إلاّ أنّه لم تكن هناك أي ترجمة جديدة لأعمال جبران في الصين لمدة نصف قرن منذ ذلك الحين(٧).

وفي هذه المرحلة، تُرجمت أيضًا أعمال الكاتب المصري الشهير طه حسين إلى الصينية، والمترجم هو الباحث المسلم ما جيويو. وفي عام ١٩٣٤، سافر ما إلى مصر للدراسة في جامعة الأزهر مع ناشيون، المترجم السالف الذكر. وخلال دراسته في الخارج، قام بترجمة "الأيام" إلى اللغة الصينية. وفي أغسطس عام ١٩٤٧، تم نشرها في دار النشر للتجارة وأعيدت تسميتها ب"ذكريات الطفولة".

في عام ١٩٢٩، أُدرجت رواية محمود تيمور "إلى اللقاء أيها الحب" في مجموعة قصص قصيرة أجنبية بعنوان "اعترافها الأول". وهذه أول رواية عربية ترجمها الصينيون.

وبالإضافة إلى الأعمال المذكورة أعلاه، تمت ترجمة بعض الأعمال إلى اللغة الصينية بعد القرن العشرين وقبل تأسيس الصين الجديدة، لكن أعدادها قليلة جدًا بشكل عام. لأن معظم علماء اللغة العربية في الصين خلال هذه المدة كانوا علماء مسلمين تلقوا تعليمًا دينيًا واهتموا بترجمة الكتب الدينية.

المبحث الثاني: ترجمة الأدب العربي في الصين منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية حتى الثورة الثقافية

خلال الزمن الجاري بين عامي ١٩٤٩و ١٩٧٧، وعلى الرغم من أن ترجمة الأدب العربي في

(٧) جان ليجوان، انتشار أعمال جبران في الصين الحديثة، المجلة الصينية للعلوم الاجتماعية، ٧يونيو، ٢٠١٣، ص٢١.

الصين قد بدأت للتو، إلا أنها حققت نتائج مرضية، مع أكثر من ٦٠ نوعًا من الأعمال المترجمة[٨]. خلال هذه الفترة، تمت ترجمة الأعمال الأدبية الكلاسيكية والأعمال الممتازة للدول العربية التي تعكس الواقع الاجتماعي، حتى يتمكن القراء الصينيون من فهم التاريخ والثقافة والخصائص الوطنية والوضع التنموي والاتجاهات الاجتماعية للدول العربية في ضوء تلك المُترجمات. وفي السبعة عشر عامًا الأولى بعد تأسيس الصين الجديدة، كان التركيز في ترجمة الأدب العربي على نقل الأعمال العربية الحديثة. وذلك أنّ الصين لم تكن لديها عددًا كافيًا من المترجمين المقتدرين على الترجمة من العربية إلى الصينية في ذلك الوقت، فتُرجمت الأعمال من الروسية والإنجليزية، وترجمت بعض الأعمال من الفرنسية، ومعظمها من الروسية. والأشكال الأدبية للأعمال المترجمة تتوزّع على الروايات والقصائد، كما عُرضت الدراما المصرية على المسرح الصيني. وموضوعات هذه الأعمال المترجمة هي في الغالب مناهضة الحرب والإقطاع والثناء على حركة التحرر الوطني، التي تعكس حياة الناس والصراع بين الأفكار القديمة والجديدة في فترة التحول الاجتماعي.

إذ تُرجمت ست وعشرون رواية في هذه الفترة. وقد نشرت دار الأدب الجديد للنشر عام ١٩٥٨ "الحريق" لمحمد ديب، التي ترجمها تشو يانغ. وفي العام نفسه، نُشرت "مجموعة من الروايات العربية الحديثة" في دار الكُتاب للنشر. وتُرجمت معظم المقالات من الروسية، وواحدة من الفرنسية، واثنتان من العربية. ورواية "الدار الكبيرة" لمحمد ديب تُرجمت إلى الصينية في عام ١٩٥٩، وتم نشرها في دار الأدب الجديد للنشر. وفي عام ١٩٦٠، نشرت دار الأدب الشعبي للنشر "مجموعة القصص القصيرة اللبنانية"، التي تُرجمت من الروسية. في عام ١٩٦١، نشرت دار الكُتاب للنشر السيرة الذاتية "الأيام" التي كتبها طه حسين وترجمها من العربية تشين شينغ. وفي عام ١٩٦٢، نُشرت رواية "الإحساس الأخير" التي كتبها مالك حداد وترجمها شيزونج. وفي عام ١٩٦٣، نشرت دار الكُتاب للنشر "مجموعة القصص القصيرة" لمحمود تيمور وترجمها شوي جينغشيان. وفي هذه المرحلة تُرجمت بعض الأعمال المصرية ليوسف إدريس وعبد الرحمن الشرقاوي وطه حسين وتوفيق حكيم، وكذلك الأعمال العراقية لعبد الوهاب البياتي، والأعمال اللبنانية لأمين ريحان والأعمال التونسية لأبي القاسم الشابي[٩].

في السبعة عشر عامًا هذه، نشر في الصين ما مجموعه اثنتان وعشرون مجموعة أو مختارة من الشعر العربي الحديث المترجم إلى الصينية. والشعر في المرتبة الثانية بعد الرواية حيث أنّه يركز على المحتوى الإيديولوجي، والمشاعر القوية بالعصر، ويلبي الاحتياجات السياسية للصين

---

[٨] تشن يوهيانغ، الثقافة العربية في الصين خلال القرن العشرين مثالًا، ص١٥٢.

[٩] تاريخ تبادل الأدب العربي الصيني، ص٣٠.

في ذلك الوقت. بعد تحليل ٤٠ عملاً أدبيًا عربيًا نُشرت في الصين في الخمسينيات من القرن الماضي، وجد بعض العلماء أن ترجمة ما جيان للقرآن وترجمة شياو بولون لكتاب ألف ليلة وليلة قد نُشرا قبل عام ١٩٥٧، بينما الأعمال الثمانية والثلاثون المتبقية نشرت في ١٩٥٨-١٩٥٩. وفي تلك السنتين، قامت بلادنا بترجمة عدد كبير من المجموعات الشعرية التي كتبها شعراء الدول العربية ضد الإمبريالية والاستعمار، مثل "رياح السلام" (مجموعة شعرية لشعراء لبنانيين)، "القصائد المختارة للمحاربين السلميين الأردنيين"،" القصائد المختارة للمحاربين السلميين العراقيين "،" القصائد المختارة للمحاربين السلميين اللبنانيين "،" القصائد المختارة للمحاربين السلميين السوريين "،" القصائد المختارة للمحاربين السلميين المصريين "،" صوت الشعب العربي "،"النصر للجزائر" وهلّم جرا.

خلال الفترة من تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٤٩ إلى عشية "الثورة الثقافية" في عام ١٩٦٦، بلغت ترجمة الأدب العربي ذروتها في أواخر الخمسينيات، وكان اتجاه الترجمة هذا مرتبطًا بالعلاقة بين الصين والدول العربية ارتباطا وثيقا في ذلك الوقت. إذ مدت الصين علاقاتها الدبلوماسية مع مصر وسوريا واليمن عام ١٩٥٦، ومع العراق والمغرب والجزائر عام ١٩٥٨. ولإظهار العزم على الاتّحاد جنبًا إلى جنب مع هذه الدول العربية، تمت ترجمة عدد كبير من أدب هذه الدول. ومما يلفت الأنظار أن الأعمال الأدبية المصرية المنشورة في مجلة "الترجمة"، خُصّصت أعمدة خاصة لها في كل من ١٩٥٦ و١٩٥٧: فنُشرت في ديسمبر ١٩٥٦ بعمود خاص اسمه مصر نحن ندعمك؛ مقالات لعنوانات متفرقة نحو "مصر، نحن ندعمك!" و" من أجل مصر " و" مصر، أحبيك!" و" إلى الشعب المصري" وغيرها. وفي أكتوبر ١٩٥٦ اندلعت الحرب بين مصر وبريطانيا لقناة السويس، فقدّمت الصين الدعم والمساندة من جميع النواحي لمصر. أما من حيث الأدب، فقد بدأت في ترجمة الأعمال الأدبية المصرية ونشرها مثل" مجموعة القصص القصيرة المصرية " و"أرض النيل" و"مجموعة القصص القصيرة المصرية الحديثة" والخ[١٠].

كانت الفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٦ هي السنوات العشر للثورة الثقافية، حيث سقطت القضية الثقافية إلى الحضيض، فترجمت خمسة أعمال إلى اللغة الصينية فقط، ونشر جميعها في عام ١٩٧٥، عندما كانت الكارثة على وشك الانتهاء.

المبحث الثالث: ترجمة الأدب العربي في الصين خلال الإصلاح والانفتاح

مع تنفيذ سياسة الإصلاح والانفتاح في عام ١٩٧٨، دخلت ترجمة الأدب العربي في الصين

[١٠] الثقافة العربية في الصين خلال القرن العشرين مثالًا، ص١٥٠.

فترة ازدهار غير مسبوقة. إذ شجّعت سياسات الصين على تطوير ترجمة الأدب الشرقي ونشره، بما في ذلك الأدب العربي. كما تغيرت أفكار الناس مع رياح الإصلاح والانفتاح، فهم أرادوا فهم العالم من خلال الأدب الأجنبي. وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، قامت الجامعات التي فيها اللغة العربية بتدريب المترجمين المتميزين واحدًا تلو الآخر، وهم تحملوا عبء تقديم النماذج الرفيعة في ميدان الأدب العربي للقرّاء الصينيينَ. ومنذ ذلك الحين، بدأت بعض المعاهد والجامعات في تدريب طلاب الدراسات العليا ومرشّحي الدكتوراه، مما يُهيء نخبة من الكفاءات لترجمة الأدب العربي. وفي الوقت نفسه، أدى انعقاد منتدى التعاون الصيني العربي إلى تعزيز ترجمة الأدب العربي في الصين في القرن الحادي والعشرين.

مقارنة مع المرحلة السابقة، قد أُولِيت الأعمال الأدبية مزيدًا من الاهتمام في ترجمة الأدب العربي بعد الإصلاح والانفتاح. ولم يعد التأثير السياسي هو التأثير الوحيد في اختيار الأدب، فقد بدأ المترجمون في الاهتمام بأفكار الأعمال ومكانة المؤلّفين في عالم الأدب العربي، والقيمة الأدبية للأعمال نفسها.

وخلال هذه الفترة، زاد عدد الأعمال المترجمة بشكل كبير، ووفقًا لإحصاءات غير مكتملة، تمت ترجمة أكثر من ثلاثمائة عمل أدبي عربي إلى اللغة الصينية. ومن منظور البلد، بالإضافة إلى الأعمال المصرية واللبنانية والسورية التي حظيت باهتمام أكبر في المرحلة السابقة، قد تُرجمت الأعمال من الجزائر وتونس والمغرب والدول الأخرى من المناطق المغاربية إلى الصينية. وتمت ترجمة "ريح الجنوب" للكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة، و "أغاني الحياة" للكاتب التونسي أبي قاسم الشابي، و"الخبز الحافي" للكاتب المغربي محمد شكري وما إلى ذلك. كما دخلت الأعمال من دول الخليج مثل الإمارات العربية المتّحدة والكويت والمملكة العربية السعودية في حديقة الأدب الصيني. وأيضًا ترجمة "البيدار" و"على حافة النهار" للكاتب الإماراتي عبد الحميد أحمد، و" في البدء كانت الأنثى" و"إليك يا ولدي" للكاتبة الكويتية سعاد الصباح و"الصحراء جنّتي" للكاتب السعودي سعيد صلاح. كما دخلت الأعمال العراقية والأردنية والفلسطينية من الإقليم الشمالي الغربي إلى الصين، حيث تُرجم "الرجال في الشمس" و"عائد إلى حيفا" للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني إلى اللغة الصينية.

والأعمال المترجمة خلال هذه الفترة هي أيضا أكثر تنوّعًا، فكانت بين الرواية والقصيدة والنثر والمسرحية، وإن كانت الرواية المصرية متصدّرة في جميع الدول العربية. والجدير بالذكر أنّ أعمال نجيب محفوظ كلّها قد ترجمت إلى اللغة الصينية، كما تُرجمت "عودة الروح" و"يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم، و" في بيتنا رجل" و" يا عزيزي كلّنا لصوص" لإحسان عبد القدوس، و"العمر لحظة" و"إني راحلة" ليوسف السباعي، و"الحرام" ليوسف إدريس، "سنة أولى

حبّ" لمصطفى أمين وما يشبه ذلك من الأعمال الأدبية، كما لبعض الأعمال ترجمات متعددة. وتُرجم كل من الشعر القديم والشعر الحديث إلى اللغة الصينية بدرجات متفاوتة. وفي عام ١٩٩٧، نشرت دار جامعة بكين للغات والأدب للنشر "مختارات الشعر العربي القديم"، الذي اختار قصائده الأستاذان يانغ شياوباي ولي يانهو من جامعة بكين للغات والأدب وترجمه مدرسو قسم اللغة الصينية وطلابه لجامعة عين شمس. وفي عام ٢٠٠١، نشرت دار الأدب الشعبي للنشر "مختارات الشعر العربي الكلاسيكي" الذي ترجمه زونج جيكون. ويُعد هذا الكتاب المجموعة الأولى من الشعر العربي القديم في الصين، وهي أيضًا المجموعة الأشمل من الشعر العربي القديم المنشور في الصين حتى الآن. وقسمت المُختارات الشعرية فيه إلى مراحل بحسب تاريخ الأدب العربي، حيث بلغ إجمالي عدد شعراء أربعمائة وواحد وثلاثين شاعرًا، ومنهم اثنان وعشرون شاعرا من الجاهلية و ثمانية شعراء من العصر الإسلامي، و ثلاثة وعشرون شاعرًا من العصر الأموي، و ستون شاعرًا من الدولة العباسية[١١]. أمّا من بين الشعراء المعاصرين، فإنّ الشاعر اللبناني أدونيس هو الأكثر شعبية في الصين. وفي عام ٢٠٠٩، قام الأستاذ شيوه تشينغقوه من جامعة بكين للدراسات الأجنبية بترجمة أول مختارات شعرية لأدونيس بعنوان "عزلتي حديقة". وحتى الآن، تم نشر ستة أعمال لأدونيس. كما سافر الشاعر إلى الصين عدة مرات لعقد الندوات مع القرّاء، وكانت ندوات ناجحة لحضور عشاق الشعر فيها. وفي عام ٢٠١٦، تمت ترجمة مجموعة قصائد لمحمود درويش، ممثّل شعر المقاومة الفلسطينية: "عاشق من فلسطين: القصائد المختارة لدرويش" الذي ترجمه شيوه تشينغقوه وتانغ جون ونشره.

ومع التعمّق التدريجي لعمل الترجمة، أصبح المترجمون والكتّاب العرب أصدقاء بسبب نقل هذه الأعمال، وكانت ثمة مراسلات بينهم، كما كتب بعضهم مقدمات للنسخ الصينية، وكانت هناك زيارات متبادلة بينهم، الأمر الذي عزّز التبادلات الثقافية والأدبية بين الصين والدول العربية. ولكثير من الأعمال مثل " الثلاثية" و" في بيتنا رجل" كتابة بخط اليد لـ "المقدمة" في بداية الكتب والصور الشخصية التي أهداها الكتّاب، مما يضيف لونًا خاصًا إلى النسخة المترجمة. وهذا لا يقوي العلاقة بين المترجمين والأدباء فحسب، بل يجعل القراء يشعرون بتقرّب أكثر من الأدباء. وفي عام ١٩٨٣، نشرت دار جيانغسو الشعبية للنشر "في بيتنا رجل" لإحسان عبد القدوس، وفي الصفحة الأولى كانت هناك صورة للكاتب الذي هو أرسلها إلى المترجم تشونغ جيكون في ٢٣ مايو ١٩٨٣. وخلف هذه الصورة كتابة بخط يد عبد القدوس. في يونيو ١٩٨٥، كتب الكاتب المصري المعاصر جمال الغيطاني "المقدمة" من القاهرة بشكل خاص

[١١] تاريخ تبادل الأدب العربي الصيني، ص١٦٣.

تعبيرا عن سعادته بنشر عمله في الصين في النسخة الصينية لـ"هاتف المغيب" الذي ترجمها لي تشن.

وإحدى الخصائص للترجمة في هذه الفترة هي ترجمة الأعمال الكلاسيكية لكبار الأدباء مثل نجيب محفوظ وخليل جبران. وكان نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل للآداب، قد حظي باهتمام باحثي العربية الصينيين. وقبل حصوله على الجائزة تُرجمت ستة من أعماله من أصل ثمانية عشر عملاً مترجما نحو "زقاق المدق" و"اللص والكلاب" و"الحب تحت المطر". وهناك نسختان مترجمتان ل"ثلاثية". كما تُرجمت جميع أعمال جبران إلى الصينية، ول"النبي" أربع نسخ مترجمة، ول" دمعة وابتسامة" ثلاث نسخ.

ومن بين الأعمال المترجمة من العربية، هناك ثلاثة كتب أكثر مبيعًا. وفي عام ١٩٨٥، نشر "الراقصة الشرقية" (العنوان الأصلي هو"الليالي")، الذي كتبه الكاتب اللبناني جورج إبراهيم الخوري وترجمه لي ويتشونغ وما رويو. وكان الطلب على هذا الكتاب تجاوز عرضه بكثير حيث طُبع ٧ مرات في غضون عامين، وبلغ حجم المبيعات أكثر من ٣٠٠٠٠٠ نسخة. والكتاب الثاني هو "المرأة ذات الرداء الأبيض" (العنوان الأصلي هو"الرغيف")، كتبه الروائي اللبناني توفيق يوسف عواد وترجمها ما رويو عام ١٩٨٤. وبلغ عدد النسخ المطبوعة لمرة واحدة عشرة آلاف وتسعمائة نسخة، مما حقق رقما قياسيا جديدا لطباعة الأعمال المترجمة من العربية لمرة واحدة. والكتاب الثالث هو "بين الأطلال" للكاتب المصري يوسف السباعي وترجمه لي ويتشونغ ويانغ يانهونغ وطبع مئة ألف نسخة ثلاث مرات. كانت هذه الأعمال شائعة بشكل خاص بين القرّاء في الصين في ذلك الوقت.

وينعكس تطور أنشطة ترجمة الأدب العربي أيضًا في مراحل التاريخ المستقل للأدب العربي ونشره. وفي عام ١٩٩١، نشرت دار هونان للنشر أول كتاب منهجي للأدب العربي كتبها صيني بعنوان موجز لتاريخ الأدب العربي بقلم يي هونغ. وفي عام ١٩٩٨، نشرت دار شنغهاي لتعليم اللغات الأجنبية للنشر "تاريخ الأدب العربي" بقلم تساي ويليانغ وتشو شونشيان. في عام ٢٠١٠، نُشر "التاريخ العام للأدب العربي" الذي ألّفه تشونغ جيكون بحوالي مليون كلمة. المجلد الأول هو "الأدب العربي القديم"، والمجلد الثاني عن "الأدب العربي الحديث". من حيث الفترة الزمنية والدول المتناولة فيه، فإن هذا التاريخ العام للأدب أشمل من تاريخ الأدب العربي الذي كتبه الغربيون[١٢].

وخلال هذه الفترة، حقّقت ترجمة الأدب العربي في الصين إنجازات كبيرة، ولكن لا تزال هناك

---

[١٢] الثقافة العربية في الصين خلال القرن العشرين مثالًا، ص٢٠٩.

بعض المشاكل، حيث أنّ جودة الترجمة لبعض الأعمال رديئة بسبب المستوى غير المتكافئ للمترجمين، وكذلك هناك بعض المترجمين مدفوعون بفوائد اقتصادية، فيلبّون تفضيلات القرّاء والناشرين عن طريق تغيير الأعمال أو حذفها أو استكمالها.

الخاتمة:

ونافلة القول، إن ترجمة الأدب العربي في الصين بدأت بترجمة القرآن في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ترجمه العلماء المسلمون الصينيون بشكل أساسي. وعادة ما ترجمت الأعمال خلال هذه الفترة من غير اللغة العربية. وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وبسبب تدهور العلاقات بين الصين والدول العربية والاتحاد السوفيتي، وإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والدول العربية في أواخر الخمسينيات، قامت الصين بترجمة عدد كبير من القصائد والروايات لدعم حركات التحرر الوطني المناهضة للاستعمار والإقطاع في الدول العربية. وبعد مؤتمر باندونغ، توطّدت العلاقة الصينية العربية، ووصل عدد الأعمال المترجمة إلى مستوى غير مسبوق خلال هذه الفترة. وبعد الإصلاح والانفتاح، أقبلت ترجمة الأدب العربي في الصين على فترة مزدهرة. إذ تشكّل فريق من المترجمين، منهم الجيل الأكبر من العلماء كالرواد، ومعلمو الجامعات في منتصف العمر كنخبة رئيسة، وطلاب الدراسات العليا كداعمين لأساتيذهم. وترجمت الأعمال العربية بمختلف أنواعها مثل الرواية والقصيدة والمسرحية وغيرها إلى اللغة الصينية. وعلى الرغم من أن ترجمة الأدب العربي قد حققت إنجازات ملحوظة، إلا أنها لا تزال تنطبع بمشكلات متمثلة في تراجع جودة الترجمة والتصرّف المتعمد في النصوص. وفي الوقت نفسه، لم يُترجم عدد كبير من الأعمال العربية الممتازة إلى الصينية، مثل أفضل ١٠٠ رواية عربية من القرن العشرين، لم يُترجم سوى ربعها إلى اللغة الصينية، وفي المستقبل، سيبذل المترجمون العرب والصينيون جهودا كبيرة لمواصلة التعمق في أرض الأدب العربي.

المصادر:

١. منغ تشاوي، لي زيداو: تاريخ أدب الترجمة الصيني. بكين: مطبعة جامعة بكين، ٢٠٠٥.

٢. تشي بوهاو، دينغ سوهونغ، تسونغ شياوفي: تاريخ تبادل الأدب العربي الصيني (المجلد الصيني العربي). جينان: دار شاندونغ التعليمية للنشر، ٢٠١٦.

٣. تشين يويانغ: الثقافة العربية في الصين خلال القرن العشرين مثالًا. ينتشوان: دار نينغشيا الشعبية للنش، ٢٠١٦.

٤. قه تييونغ: الحديث عن الأدب العربي. بكين: دار جامعة المعلين بالعاصمة للنشر، ٢٠٠٧.

٥. تنغ مي: بحث في سياسة الترجمة الصينية منذ عام ١٩١٩. جينان: دار جامعة شاندونغ للنشر،٢٠٠٩.

٦. الكاتب جورج إبراهيم خوري، المترجم جي فوهاو: تاريخ الأدب العربي. بكين: نشر الأدب الشعبي للنشر،١٩٩٠.

٧. تشونغ جيكون: الأدب العربي في الصين لمدة ستين عامًا، مجلة غرب آسيا وشمال إفريقيا، المجلد ٤، ٢٠١٠.

٨. ما تاو: ترجمة الأدب العربي تقديمه في الصين: التاريخ والواقع، مجلة الدراسات العربية، المجلد ١، ٢٠٢١.

٩. زو زينهوان، شيرو مع" ألف ليلة وليلة، مجلة الترجمة الشرقية، المجلد ٢، ٢٠١٣.

٠١. جان ليجوان، مياو شيويهوا: البحث في انتشار أعمال جبران في الصين الحديثة. مجلة السلسلة الشرقية، المجلد ١، ٢٠٢٢.

١١. يان رو: ترجمة الأدب العربي في الصين. مجلة العالم العربي، المجلد ١، ١٩٩٤.

١٢. جوويليه: ترجمة الأدب العربي في بلدي. مجلة الترجمة الصينية، المجلد ٣، ١٩٨٦.

١٣.يو لينغ: تشو قويتشنغ: الرائد في الترجمة الصينية الحديثة، مجلة جيانغسو للتعليم، المجلد ٤، ٢٠١٤.

١٤. تشين تشويي: ٦٠ عامًا من ترجمة الأدب الأجنبي البحث فيها، مجلة الترجمة الصينية، المجلد ٦، ٢٠٠٩.

تأثير التغير المناخي على السكان
في الوطن العربي

الأستاذ الدكتور عباس فاضل السعدي
أستاذ الجغرافية والدراسات السكانية بجامعة بغداد

الملخص:

يهـدف هذا البحـث إلـى إلقاء الضـوء علـى تـأثير التغير المنـاخي علـى السكان: نمـوهم وتوزيعهم ونشاطهم الإقتصادي. وإنطلاقاً من هذا الهدف تتحدد **مشكلة البحث** بتساؤل مفاده، هل للتغيرات المناخيـة تـأثيرات علـى أحـوال السكان وإنتشـارهم الأرضـي وبنيـتهم السكانية وحركـاتهم المكانيـة. والإجابة على هذا التساؤل يمثل **فرضية البحث** التـي تؤكد على التأثير المشار إليه، وسيتضح ذلك من خلال خطوات البحث اللاحقة بإعتماد **منـهج** التحليل المكاني. وأُتخذ الوطن العربي إنموذجاً للدراسة وبإعتماد البيانات التي توفرها المنظمات الدولية المعنية بتغير المناخ وبعض المصادر ذات الصلة.

وتوصل البحث الى عدد من **النتائج** أبرزها المستوى الإقتصادي المتدني للمهاجرين في المناطق كثيفة السكان في الوطن العربي والذي يزداد مع إرتفاع مخاطر الجفاف والتصحر وتناقص المياه. ومع أن الوطن العربي يساهم بنحو ٥٪ من إجمالي إنبعاثات ثاني أوكسيد الكربون إلا ان بلدان الخليج العربي تعد من بين أعلى عشر دول في العالم. والمناطق الساحلية العربية معرضة للغرق عند إرتفاع مستوى مياه سطح البحر في نهاية القرن الحالي الحادي والعشرين.

أما **التوصيات** فإن علاج مشكلات التغير المناخي تتطلب تغيير الأنماط الزراعية السائدة، وتبني تقنيات الإقتصاد بالمياه، وإعادة إستخدام المياه العادمة والرمادية لزيادة المساحات الخضراء والتحول إلى الطاقة المتجددة والنظيفة، ولابد من تنويع الإقتصاد وخفض معدل نمو السكان في منطقة الدراسة.

The Impact of Climate Change on The Population in The Arab World

Prof. Dr. Abbas Fadhil Al-Saadi
Professor of Geography and Population Studies/ University of Baghdad

Abstract

The research aims to shed light on the impact of climate change on the population's growth, distribution, and their economic activity. Proceeding from this goal, the research problem is determined by asking: Do climate changes have effects on the conditions of the population, their terrestrial spread, their population structure and their spatial movements? The answer to this question represents the research hypothesis that emphasizes the aforementioned effect, and this will be evident through the subsequent research steps by adopting the spatial analysis approach. The Arab world has been taken as a model for the study, by relying on the data provided by the international organizations concerned with climate change and some relevant sources.

The research reached a number of results, most notably is the low economic level of the immigrants in densely populated areas in the Arab world, which increases with the high risks of drought, desertification and water shortage. Although the Arab world contributes about 5% of the total carbon dioxide emissions, the Arab Gulf countries are among the top ten countries in the world. The Arab coastal regions are at risk of drowning when the sea level rises at the end of the current twenty-first century.

As for the recommendations, the treatment of climate change problems requires changing the prevailing agricultural patterns, adopting water-saving techniques, reusing waste and gray water to increase the green spaces and switching to renewable and clean energy, and the economy must be diversified and the population growth rate should be reduced in the study area.

المقدمة:

التغير المناخي هو التحولات المؤثرة الطويلة الأجل في درجات الحرارة وأنماط الطقس وإتجاه الرياح وما يتمخض عنها من نتائج. وتتميز ظاهرة التغير المناخي عن المشكلات البيئية الأخرى بعالميتها، حيث أنها تتعدى حدود الدولة الواحدة لتشكل خطورة على العالم كله.

والبحث الذي نحن بصدده **يهدف** إلى إلقاء الضوء على تأثير التغير المناخي على السكان ونموهم وتوزيعهم ومظاهر نشاطهم. وإنطلاقاً من هذا الهدف تتحدد **مشكلة البحث** بتساؤل مفاده، هل للتغيرات المناخية تأثيرات على أحوال السكان وإنتشارهم الأرضي وبنيتهم السكانية وحركاتهم المكانية. والإجابة على هذا التساؤل يمثل **فرضية البحث** التي تؤكد على التأثير المشار إليه، وسيتضح ذلك من خلال خطوات البحث بإعتماد **منهج** التحليل والتنظيم المكاني. وأُتخذ الوطن العربي إنموذجاً للدراسة وبإعتماد البيانات التي توفرها المنظمات الدولية المعنية بتغير المناخ وبعض المصادر ذات الصلة.

ومن مظاهر تغير المناخ زيادة المتوسط العالمي لدرجات حرارة الهواء السطحي على الكرة الأرضية خلال القرن العشرين بمعدل تراوح ما بين (٠,٣ و ٠,٦) درجة مئوية[١]. وهناك من علماء المناخ، من يؤكد بوجود إرتفاع في درجة حرارة الأرض في الوقت الحاضر يزيد عن ٠,٦ درجة مئوية، والذي يعود إلى الزيادة الكبيرة في إنبعاثات الغازات الطبيعية الناتجة عن النشاطات البشرية.

تعريف جغرافي بمنطقة الدراسة:

يتكون الوطن العربي من ٢٢ دولة، يبلغ عدد سكانها ٤٣٧,٨١٢,٥٤٦ نسمة، أي ٥,٥٪ من سكان العالم البالغ عددهم ٧,٩ مليار نسمة، وتعد مصر أكثرها سكاناً وجزر القُمر أصغرها. ويعيش ٥٦٪ منهم في المدن والمراكز الحضرية. ومن المتوقع إرتفاع تلك النسبة إلى ٧٥٪ بحلول العام ٢٠٥٠، وقد يصل العدد بحلول العام ٢١٠٠ إلى مليار نسمة[٢].

ويملك الوطن العربي مساحة كبيرة من الأرض تتنوع فيه الأقاليم المناخية، وإن إختلاف خصائصها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية يعد العامل المؤثر في تباين قدرتها على مواجهة عواقب التغير المناخي. ويمتلك الوطن العربي سواحل يبلغ طولها ١٨٠٠٠كم تطل على المحيط

---

(١) محمد محفوظ،" ظاهرة التغير المناخي تشكل خطورة على دول العالم"، جريدة البورصة، القاهرة، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٢.

(٢) المجلس القومي للسكان، تأثير التغيرات المناخية المحتملة على السكان في المنطقة العربية، ديسمبر ٢٠٢١، ص٤.

الأطلسي والهندي والبحر المتوسط والأحمر والخليج العربي. ويتركز فيها معظم السكان. وتمتد أقطار عربية كثيرة (مثل بلدان الخليج العربي، وبلاد الشام، والمغرب العربي، والقرن الإفريقي) على السواحل. وتشكل الصحاري أكثر من ٨٠٪ من مساحة الوطن العربي، ولا يتعدى متوسط كمية الأمطار الهاطلة على تلك المناطق ٢٠٠ ملم، ما يضعها ضمن أكثر اقاليم العالم جفافاً(٣).

ويساهم الوطن العربي بحوالي ٥٪ فقط من إجمالي الإنبعاثات الغازية الملوثة للبيئة عام ٢٠١٩. في حين يبلغ مجموع إنبعاثات ثلاث دول، وهي الصين والهند والولايات المتحدة، بحوالي نصف إنبعاثات العالم. وفي المقابل فإن نصيب الفرد من إنبعاثات ثنائي اوكسيد الكربون في بلدان الخليج العربي هي من بين أعلى عشر دول في العالم.

ومن أمثلة الآثار السلبية للتغير المناخي في الوطن العربي ظاهرة التصحر والحرائق والجفاف والفيضانات وندرة المياه والعواصف وغيرها من الظواهر. وسوف تُحدِث تغيرات المناخ جنباً إلى جنب مع تغيرات حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم في العالم إلى تفاقم المشكلات التي يعاني منها البشر، وقد تؤدي في حالات غيرها إلى تخفيفها.

تأثير المشاريع المائية على السكان في حوضي نهري دجلة والفرات

- **تأثير المشاريع المائية في دول المنبع على دول المصب**

إن قيام المشاريع التركية على نهر الفرات سيعرض حوالي ١,٢ مليون هكتار من الأراضي العراقية الزراعية المروية الواقعة بين هيت والهندية للخطر، ليس فقط بسبب حرمانها من المياه اللازمة لها من أعالي الفرات وإنما أيضاً بسبب ملوحتها(٤).

ويتوقع أن يؤدي ذلك الى خفض متوسط نصيب الفرد من المياه في العراق من ٥٩٠٠ م٣ في عام ١٩٧٧ الى ١٦٣٧م٣ عام ٢٠٠٠، والى ٥٠٠ م٣ عام ٢٠١٩ والى ٢٥٠ م٣ بحسب توقعات عام ٢٠٢٥.

ويبلغ متوسط نصيب الفرد العراقي من المياه العذبة حالياً ٣٩٧ لتر في اليوم، بينما الحصة الواجب توفرها ينبغي أن تبلغ ٤٥٠ لتراً، أي بفجوة ٥٣ لتر/ يوم وفق تقرير (خطة التنمية الوطنية العراقية).

ويمثل الجدول الآتي الطلب على مياه الفرات في الدول المتشاطئة عامي ١٩٨٥ و ٢٠٠٥ (مليار م٣):

---

(٣) المصدر نفسه، ص١٥.

(٤) يحيى بكور، جون كولارز،" تاريخ المياه ومشكلاتها وآفاقها المستقبلية"، كتاب المياه في العالم العربي: آفاق وإحتمالات المستقبل، تحرير بيتر روجرز، وبيتر ليدون، ط١، ترجمة شوقي جلال، أبو ظبي، ١٩٩٧، ص٢١٨.

الجدول (١)

الطلب على مياه الفرات في الدول المتشاطئة عامي ١٩٨٥ و٢٠٠٥ (مليار م٣)

الدولة	١٩٨٥	٢٠٠٥
تركيا	١	١٠-١٥
سوريا	٤	٥-٦
العراق	١٤-١٩	٢٠-٢٤
المجموع	١٤-٢٤,٦	٣٥-٤٥
العرض	٣٠	٣٠
الميزان المائي	(+٥,٤) الى (+١٦)	(-٥) الى -١٥)

المصدر: آرنون سوفير، الصراع على المياه في الشرق الأوسط، إصدار جامعة حيفا، ترجمة الدار العربية للدراسات والترجمة، الجيزة، ١٩٩٣، ص١٠٤.

يوضح الجدول إرتفاع الطلب على مياه الفرات بإطراد في مطلع الألفية الثالثة وسيكون هناك عجزاً بحسب ما يوضحه الميزان المائي. وهو ما ينبه الى ضرورة وضع حل لقسمة مياه الفرات، وذلك بتحديد الحصص المائية وفق معايير تتفق عليها تلك الدول وبخاصةً طول النهر في كل دولة، وحاجة كل منها إليه، إنطلاقاً من كون مياه الفرات تعد شريان حياة تلك الدول بغض النظر عن مكان منبعه أو مصبه لاسيما وأن تركيا تتمتع بفائض مائي يزيد عن حاجتها بكثير بعد أن انجزت غالبية مشاريعها المائية(٥).

وتشير التقارير الى أن إنخفاض مياه الفرات، بعد إنجاز المشاريع التركية والسورية، الى معدل ٨,٥ مليار م٣ عند الحدود العراقية- السورية، وبنوعية رديئة وبالتالي حصول نقص مقداره ١٢,٥ مليار م٣ سنوياً، ومن مياه دجلة فإن ما سيصل الى الحدود العراقية – التركية قبل نهاية القرن الحادي والعشرين لا يتجاوز ١٠ مليار م٣(٦)، وهو دون الحاجة بكثير.

من نتائج نقص المياه الحاد تم في عام ٢٠١٢ رصد نزوح ٢٠٠٠٠ نسمة من التجمعات السكانية بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٩. وبحسب منظمة الهجرة الدولية نزح في عام ٢٠١٩

(٥) عباس فاضل السعدي، الموارد المائية وعلاقتها بالتزايد السكاني في الوطن العربي، ط١، دار صفاء، للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨، ص ٢٢٠ .

(٦) عبد الستار سلمان حسين"، مشروع جنوب الأنضول (الكَاب)/ الجوانب الفنية"، مجلة دراسات إجتماعية، بيت الحكمة، بغداد، العدد ٧، السنة الثانية، خريف ٢٠٠٠، ص٢٥.

نحو ٢١٣١٤ شخصاً من تسع محافظات عراقية وسطى وجنوبية بسبب شح المياه، وإرتفاع نسبة الملوحة، وتفشي الأمراض المنقولة بوساطة المياه في ١٤٥ منطقة[٧]، دون أن تحرك الحكومات ساكناً. ووفقاً لمعيار كفاءة الأداء البيئي جاء العراق بالمرتبة ١١٦ من مجموع ١٨٠ دولة.

وأشارت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إحدى تقاريرها أن ٩٠٪ من الأهوار في جنوب العراق قد جفت بحلول عام ٢٠٠١، ما ادى الى إختفاء التنوع البيولوجي وحدوث نزوح واسع النطاق بإتجاه المدن. وإثناء الحرب مع إيران (١٩٨٠-١٩٨٨) قُطعت أغلب أشجار النخيل من منطقة شط العرب لأغراض عسكرية والتي كانت تبلغ نحو ١٠ ملايين نخلة. ثم إنخفضت أعداد النخيل في العراق من ٣٠ مليون نخلة قبل الحرب المذكورة الى النصف فأُصيبت البيئة بالضرر الكبير وأصبحت غير صالحة للإستعمال.

- **مصدر مياه حوضي النهرين وإعتماد الزراعة والسكان عليها:**

ومن الحقائق الجغرافية المعروفة يأتي أكثر من ٩٨٪ من تصريف نهر الفرات من تركيا و٥١٪ من تصريف نهر دجلة من تركيا أيضاً و٣٩٪ من العراق و١٠٪ من إيران بحسب دراسة منظمة الغذاء والزراعة الدولية في العام ٢٠٠٩[٨].

يضاف لها عشرات الروافد التي تنبع من جبال زاكروس الإيرانية والمتجهة إلى داخل العراق والتي حولتها إيران إلى داخل أراضيها. ويوفر نهر دجلة وروافده مياه لما يقرب من ٣٠ مليون شخص. في حين يعد الفرات مصدراً للمياه لما يقرب من ٦٠ مليون نسمة. والزراعة مسؤولة عن إستهلاك الجزء الأكبر من مياه النهرين (٧٨٪) في جميع الدول المتشاطئة. وتستخدم تركيا مياه النهرين لإنتاج الطاقة الكهرومائية بنسبة أعلى بكثير من البلدان المتشاطئة الأخرى.

وتبلغ نسبة العاملين في الزراعة في تركيا سنة ٢٠١٧ نحو ١٨٪ من مجموع العمالة و١٧,٨٪ في كل من العراق وإيران و١٠,٥٪ في سوريا. وبينما تساهم الزراعة بنسبة ٦,٤٪ من الناتج الإجمالي المحلي في تركيا وضعف هذه النسبة في إيران، لا تشكل هذه النسبة في العراق سوى ١,٥٪ بحسب بيانات البنك الدولي في العام ٢٠٢١[٩].

ويتباين نصيب الفرد الواحد من موارد المياه العذبة المتجددة من دولة لأخرى، فهو في

---

[٧] صفاء خلف، العراق لا حياة لنا بدون الماء، قمة المناخ ٢٦، ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٢١. أُنجز هذا التقرير بدعم من مؤسسة كانديد.

[٨] أندريه مولر وآخرون، المناخ والمياه والتعاون في حوض الفرات ودجلة: التحديات التي تواجه التكيف مع تغير المناخ وتحقيق الإستقرار وإدارة المياه عبر الحدود، يناير ٢٠٢٢، ص١٤.

[٩] المصدر نفسه، الملحق (أ)، ص٧٩.

تركيا يبلغ ٢٧٩٩م[٣]، نجده في إيران ١٥٣٩م[٣]، وفي العراق ٩٣٧ م[٣]، في حين يبلغ في سوريا ٤١٨ م[٣] سنة ٢٠١٧. ويتباين صافي تجارة الغذاء بين دول حوضي النهرين، ففي تركيا يبلغ ٢,٠٢ مليون طن، وفي العراق ٠,٦٨ مليون طن وسوريا –٣,٧٤ مليون طن وفي إيران –٥,٤٩ مليون طن بحسب الأمم المتحدة ٢٠٢١[١٠].

وبالرغم من إنخفاض سكان المنطقة العربية وإيران وتركيا بالنسبة الى سكان العالم، إلا أنها تمثل ثلث مشتريات الحبوب العالمية. ويؤثر حالياً سوء التغذية على ٥٥ مليون إنسان من بلدان هذه المنطقة. والسكان المفتقرين للموارد المالية هم الأكثر تأثراً بالتغير المناخي، والأقل قدرة على التأقلم في ظل هذه الظروف.

الجدول (٢)

المؤشرات الرئيسة لموارد مياه نهري الفرات ودجلة وإستخدامها من قبل السكان

التفاصيل	تركيا	سوريا	العراق	إيران
عدد سكان الحوض (مليون نسمة)، ٢٠١٤	١١,٩	١١,٨	٢٨,٨	١٢,٩
حصة الفرد من المياه المتجددة م٣/ سنة،٢٠١٧	٢٦٠٩	٩٨٣	٢٣٩٣	١٦٩٩
نسبة الإعتماد على المياه العابرة للحدود، ٢٠٠٧٪	١,٥	٧٢	٦١	٢٨
مجموع السحب من الحوض(كم^{3}/ سنة،٢٠١٤	٢٠	١٤	٥١	٢٨
سحب المياه الزراعية ٪،٢٠١٧	٨٥	٨٨	٩٢	٩٢
نصيب الفرد من المياه المسحوبة م^{3}/ سنة٢٠١٧	٧٢٧	٩٨٠	١٠٢٧	١١٥٧
الإجهاد المائي الأساسي في عام ٢٠١٧	٤٥	١٢٤	٩٢	٩٢
نسبة إنتاج الطاقة الكهرومائية في الحوض ٪، ٢٠١١	٢٣	٨	٨	–

المصدر: أندريه مولر وآخرون، المناخ والمياه والتعاون في حوضي الفرات ودجلة، ٢٠٢٢، ص١٥

يشير الجدول إلى أن عدد السكان في حوضي نهري دجلة والفرات في العراق يفوق ما هو موجود في كل دولة من الدول الثلاثة المتبقية المشتركة في الحوض بأكثر من الضعف، فهو

[١٠] المصدر نفسه، الملحق (ب)، ص٧٩، الملحق (د) ، ص٨٠، والملحق (و)، ص٨٥.

٢٩ مليون نسمة في العراق، مقابل ١٢ مليون نسمة في كل دولة من الدول الثلاث المذكورة في العام ٢٠١٤.

ويلاحظ ان حصة الفرد الواحد من المياه المتجددة هي الأعلى في تركيا قياساً ببقية الدول المتشاطئة الأخرى. يقابلها إعتماد سوريا والعراق على المياه العابرة للحدود في العام ٢٠١٧ بنسبة كبيرة (٧٢٪، ٦١٪ بالتتابع) مقابل ١,٥٪ في تركيا. كما يلاحظ تباين إجراءات عمليات السحب من مياه الحوضين في العام ٢٠١٤. ففي العراق هي الأكبر في الكمية (٥١كم^{٣} / سنة)، مقابل (١٤ كم^{٣}/ سنة) في سوريا، و (٢٠كم^{٣}/ سنة) في تركيا. أما سحب المياه لأغراض الزراعة في العام ٢٠١٧ فهي في العراق وإيران تبلغ النسبة الأكبر، وهي ٩٢٪ لكل منهما، وأقل منها بقليل في تركيا وسوريا. وينعكس ذلك على نصيب الفرد من المياه المسحوبة.

- **الإجهاد المائي وتأثيره على السكان:**

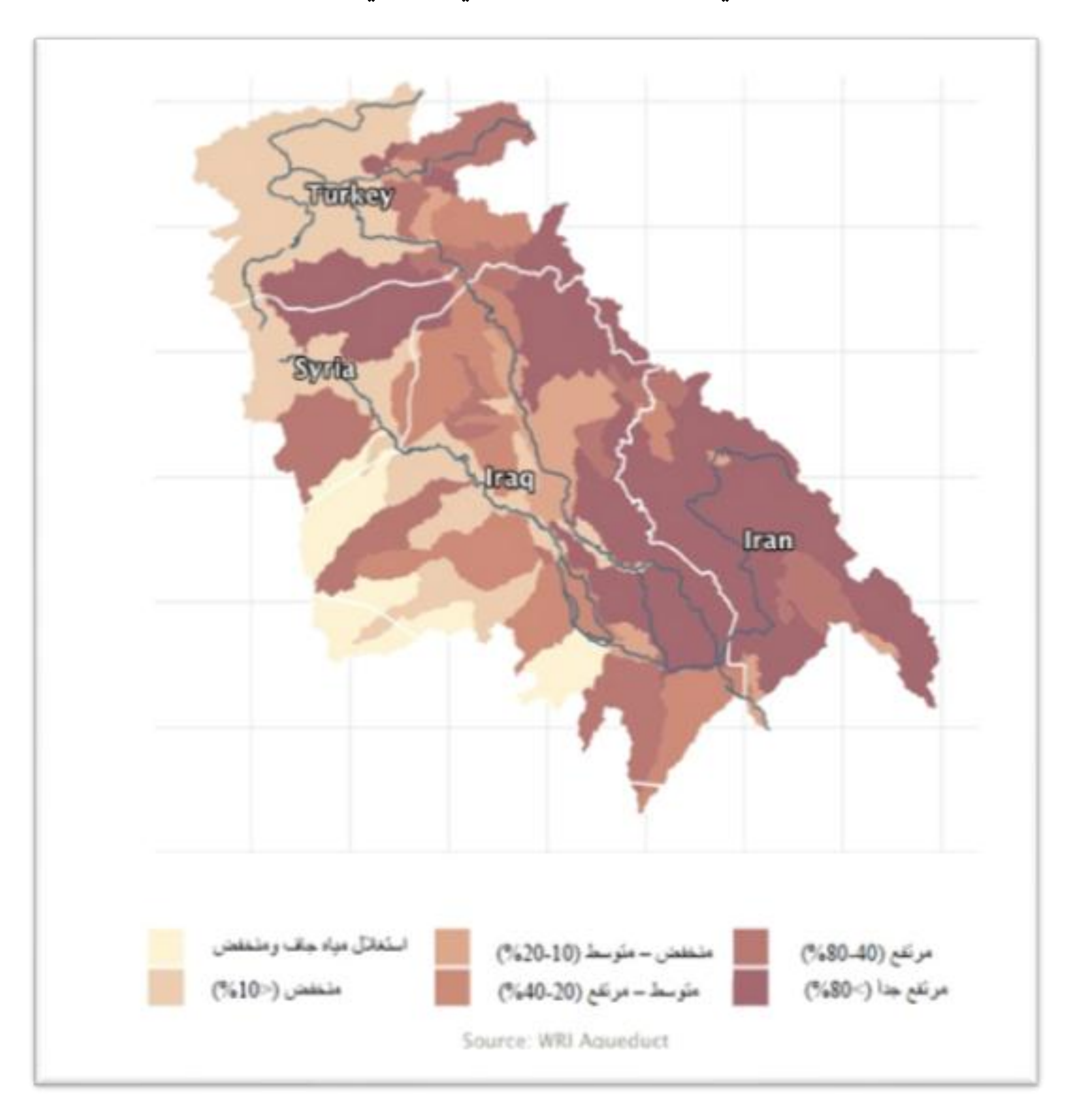
تعاني جميع دول الحوض من الإجهاد المائي الذي يقيس نسبة إجمالي سحب المياه إلى إمدادات المياه المتاحة المتجددة (السطحية والجوفية) لأغراض الإستخدامات المنزلية والصناعية والحيوانية والري. ففي العراق وسوريا وإيران يتعرض ما يقرب من ٨٠٪ أو أكثر من السكان لمستويات عالية أو عالية جداً من الإجهاد المائي، وهي أعلى بكثير من المتوسط العالمي البالغ ٤٠٪ (بحسب البنك الدولي، ٢٠١٨).

ويوضح الجدول (٢) أن الإجهاد المائي هو الأعلى في سوريا، ويمكن أيضاً ملاحظة الجيوب ذات الإجهاد المائي (المرتفع إلى المرتفع للغاية) في الجزء الإيراني من الحوض. وكذلك في الجزء الجنوبي من تركيا وعلى طول الحدود بين العراق وإيران بسبب الإستغلال المفرط في بعض أجزاء الحوضين، ومعظمها من المياه الجوفية. وإنخفض إجمالي موارد المياه في الحوضين خلال العقود الأخيرة. علاوةً على ذلك فالتدهور التدريجي لنوعية المياه يجعل نسبة كبيرة من المياه غير صالحة للإستعمال، ما يزيد من تفاقم الإجهاد المائي.

ويتميز جنوبي العراق بوجود منطقة أهوار تتجمع فيها المياه من النهرين، كانت توفر سبل العيش لنحو نصف مليون شخص خلال مرحلة السبعينيات مع وجود تنوع بيولوجي كبير. وقامت الحكومة التي سبقت عام ٢٠٠٣ بتجفيف الجزء الأكبر منها. ومع ذلك بقيت الأهوار محافظة على سبل العيش لحوالي ٢٠٠٠٠ نسمة، وبعد العام ٢٠٠٣ أُعيدت الأهوار لنحو ٤٠–٦٠٪ من مساحتها.

الشكل (١)

الإجهاد المائي لخط الأساس للمياه في حوضي دجلة والفرات



المصدر: أندريه مولر وآخرون، المناخ والمياه والتعاون في حوضي الفرات ودجلة ، يناير ٢٠٢٢، ص١٤

- **عدد النازحين في حوضي دجلة والفرات:**

تتصف دول حوضي نهري دجلة والفرات بإرتفاع عدد النازحين فيها، ففي العراق قُدّر عدد النازحين فيه بحوالي مليون وربع شخص بحسب منظمة الهجرة الدولية، (لعام ٢٠٢١). وتخلق الأعداد الكبيرة من النازحين، من الريف إلى الحضر تحديات كبيرة للوصول إلى الخدمات الأساسية، بما في ذلك الصحة والتعليم، فضلاً عن قلة نصيب الفرد من المياه المتاحة.

ومن المثير للإهتمام أن عدداً من النزاعات العشائرية قد حدثت في سوريا على طول نهر الفرات، وفي أهوار جنوب العراق. ويتأثر شط العرب باللسان الملحي وتلوث المياه الناجم عن تحويل مجرى نهر الكارون إلى الداخل الإيراني بدلاً من مصبه في شط العرب، وكذلك زحف اليابس الإيراني على حساب الأراضي العراقية، وقد يكون قد ساهم في زيادة عدد النزاعات هناك.

وستؤثر التغيرات الديموغرافية في دول الحوضين على الديناميكيات المستقبلية للطلب على المياه وإستهلاكها وزيادة الإجهاد المائي. فقد شهدت المنطقة العربية ومحيطها الإقليمي أعلى معدل لنمو السكان في العالم خلال القرن العشرين، وزاد عدد السكان في بلدان حوضي النهرين ٣-٥ أضعاف خلال المدة ١٩٤٠-٢٠٢٢. ومن المرجح أن يتضاعف عدد السكان، في العراق وسوريا، مرة أخرى حتى العام ٢٠٢٥[١١]. في حين أن معدلات الخصوبة لا تزال مرتفعة فيهما، وان أجزاء كبيرة من المنطقة العربية وإيران وتركيا تشهد تحولاً ديموغرافياً بحسب البنك الدولي، ٢٠١٨.

وإذا ما تمكنت البلدان المتشاطئة في حوضي النهرين من التغلب على مشكلات التغير المناخي ولها القدرة على إستيراد الغذاء، يمكن أن يقلل ذلك من قابلية التعرض للإجهاد المائي المحلي وبالتالي يخفف النزاعات بين سكان الدول خاصةً إذا ما كانت المحاصيل المستوردة تستلزم إستهلاكاً مرتفعاً للمياه.

وفي العراق وسوريا ستعتمد إمكانيات معالجة مياه الشرب والصرف الصحي التي يحتاجها السكان على الطاقة الكهربائية الكافية، وبالتالي مواجهة الزيادة في الإجهاد المائي المرتبط بتغير المناخ. ولابد أيضاً من معالجة تحديات الإنتقال بعيداً عن الوقود الأحفوري.

المناخ المعتدل وتأثيره على تركز السكان:

تتسم مناطق المناخ المعتدل بقلة الأمطار، وجفاف متقطع، وصيف دافيء، ويزيد متوسط درجة الحرارة الشهري فيها عن ١٠ درجات مئوية في الأشهر الأكثر دفئاً، وأكثر من ٣ درجات مئوية في الأشهر الباردة. وبسبب تزايد السكان المرتبط بالنمو الإقتصادي السريع، تحولت مناطق واسعة من الأراضي الساحلية الرطبة ذات المناخ المعتدل إلى أراضٍ زراعية، وتمَّ إستثمارها بتربية الأحياء المائية، وتكثير الغابات وإستغلالها في الإستخدامات الصناعية والسكنية.

ومن توقعات التغير المناخي في المناطق ذات المناخ المعتدل حدوث خطر الفيضانات الناجمة عن الأمطار الغزيرة، وإرتفاع مستويات سطح البحر الناجمة عن ذوبان القمم الجليدية

---

[١١] المصدر نفسه، ص٣٨.

القطبية. ما أدى إلى زيادة الوفيات بسبب الإجهاد الحراري وإنخفاض غلة المحاصيل في معظم المناطق الإستوائية وشبه الإستوائية لمعظم الزيادة المتوقعة في درجات الحرارة.

وتشير التوقعات في المناطق ذات الندرة المائية إلى إنخفاض كميات المياه لسكانها، وزيادة عدد الأشخاص المعرضين للأمراض المنقولة مثل الملاريا والأمراض المنقولة بالمياه مثل الكوليرا بسبب التغيرات في أنماط درجات الحرارة وهطول الأمطار.

وسوف تحدث تغيرات المناخ جنباً إلى جنب مع تغيرات حجم السكان وتركيبهم وتوزيعهم في العالم، في كثير من الحالات، إما إلى تفاقم أو تخفيف تأثير تغير المناخ على المجتمعات البشرية. وقد أشارت إحدى الأبحاث التي إهتمت بدراسة ثلاثة إتجاهات سكانية (وهي التحضر، الشيخوخة، النمو) في البلدان الأقل نمواً، إلى أن التغير الديموغرافي فيها سوف يجعل البشرية أكثر عرضةً لتغير المناخ، ما هي عليه اليوم.

وقد ذكرت الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ IPCC أن معظم الإحترار في الماضي على مدار ٥٠ عاماً سببه الأنشطة البشرية بشكل إنبعاثات غازات الإحتباس الحراري في الغلاف الجوي وأهمها ثاني أوكسيد الكربون. وتعد الدول الصناعية المتقدمة المصدر الأكبر لهذه الإنبعاثات. وتتراوح نسبة الغازات الدفيئة في المدن ٤٠-٧٠٪، وتتركز تأثيرات التغير المناخي على ما يقرب من ١٣٪ من إجمالي الكثافة السكانية الحضرية العالمية خاصةً في آسيا[١٢].

ومن المتوقع أن يرفع النمو السكاني والإقتصادي بشكل سريع في العالم النامي معدل إنبعاثاته الحرارية بدرجة أعلى من معدل البلدان الصناعية خلال القرن الحادي والعشرين. والعامل الأكثر تأثيراً في تخفيض الإنبعاثات في القرن المقبل يأتي من إجراءات دول العالم النامي نحو التخفيض بنسبة أكبر من الدول المتقدمة التي بدأت بتلك الإجراءات وما زالت منذ عدة سنوات.

والملاحظ أنه في كل عام تتزايد نسبة أعلى من سكان العالم في المناطق الحضرية، حيث تتوقع الأمم المتحدة بحلول عام ٢٠٣٠ أن ٥٠٪ من البشر سوف يعيشون في مناطق حضرية للمرة الأولى. ومن المتوقع إرتفاع النسبة إلى ٦٠٪[١٣]. ويركز ذلك الإتجاه على الهجرة من الريف إلى المدن، وكذلك الزيادة الطبيعية (وهي الفرق بين عدد المواليد وعدد الوفيات) في المناطق الحضرية القائمة.

---

[١٢] خوان كلوس، برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الهابيتات)، التقرير العالمي للمستوطنات البشرية لعام ٢٠١١- المدن وظاهرة تغير المناخ: توجهات السياسة العامة، عمان، الأردن، ٢٠١١.

[١٣] إبتسام مهران، تأثير المناخ المعتدل على تركز السكان، المرسال، ٢٠٢٢/٢/١٢. أنظر الرابط:
https://www.almrsal.com/post/1002/82

النمو السكاني وعلاقته بتغير المناخ

إن التأثير البشري على البيئة، نتيجة الإكتظاظ السكاني والإستهلاك المفرط للموارد الطبيعية وإنتشار التكنولوجيا أدّى إلى تغير المناخ. كما غيَّر البشر كيميائية المحيطات وتسببوا في عمليات إنقراض جماعي، والآثار هائلة لدرجة أنها باتت، كما يرى البعض، تشكل عصر جيولوجي جديد يعرف بإسم (حقبة الانثربوسين)[١٤] التي أدت، منذ خمسينيات القرن العشرين، إلى سرعة هائلة في نمو السكان الذين يشكلون قوة الدفع الرئيسة للنمو الإقتصادي وإستهلاك الموارد الطبيعية.

والمعروف عن الإكتظاظ السكاني البشري (أو الزيادة السكانية)، وهو العلاقة بين البشر وبيئتهم، يحدث عندما تتجاوز البصمة البيئية لمجموعة من السكان، (عدد الأنواع) في موقع جغرافي معين، القدرة الإستيعابية للمكان الذي تشغله تلك المجموعة. وينجم الإكتظاظ المذكور عن الزيادة في معدل المواليد (معدل الخصوبة)، أو إنخفاض في معدل الوفيات، وزيادة في الهجرة، أو وجود منطقة بيولوجية غير مستدامة، تستنفد الموارد.

وعندما يحدث الإكتظاظ السكاني يحدّ الأفراد الموارد المتاحة للبقاء على قيد الحياة. وتعد التغيرات في عدد الأفراد لكل وحدة مساحية في منطقة معينة أحد المتغيرات المهمة التي تؤثر بقوة على النظام البيئي بأكمله.

ويمكن تكثيف القدرة الإنتاجية ذات الكثافة السكانية المنخفضة إذا كانت قدرتها ضئيلة أو غير موجودة للحفاظ على الحياة (مثل الصحراء). ويستشهد دعاة الإعتدال السكاني بقضايا مثل الحفاظ على نوعية الحياة، والقدرة الإستيعابية، وخطر المجاعة كأساس للوقوف ضد النمو السكاني البشري المرتفع والمتواصل. والخشية في المستقبل من النمو السكاني غير المستدام الذي يمكن أن يطغي على جهود الإنسان في علاج التغير المناخي.

وقد تم حصر النزاعات الديموغرافية (الخاصة بإجهاد الأرض والمياه) إلى حدٍ كبير بما يتلائم وخطورة الآثار المترتبة على إنبعاثات الغازات الدفيئة. فلا بدَّ من تكيف تلك النزاعات مع تغيرات المناخ. وقد عبّرت ٩٣٪ من الدول الأقل نمواً عن قلقها إزاء تأثير النمو السكاني السريع على قدرتها على التكيف مع تغيرات المناخ[١٥] ، ما يتطلب تنفيذ برامج تنظيم الأسرة بما يتلائم ومقدار توفر الموارد الإقتصادية.

والملاحظ أن المناطق عالية الكثافة السكانية تتميز بالإفراط الشديد في إستغلال الأرض والغطاء النباتي التي تتسبب، في المراحل المتقدمة، بحدوث التآكل والإنهيار الأرضي. يفسر هذا

---

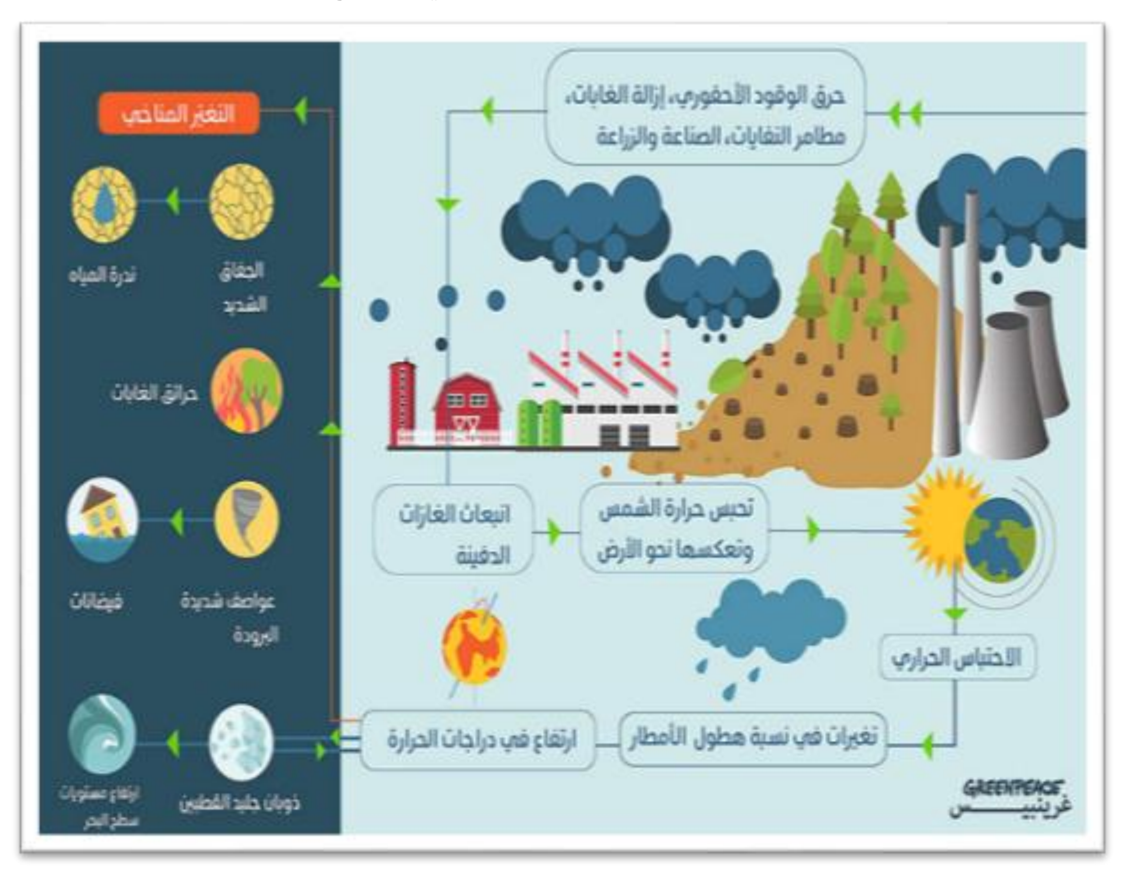
[١٤] كريستوفر توماس، كوكب أطفالنا ما علاقة تعليمهم بتغير المناخ، ٢٠١٩/١/٣٠. أنظر الرابط: https://blogs.worldbank.org .

[١٥] نور سعيد، اثر الزيادة السكانية على المناخ، وكيبيديا، ٢٠٢٠/١١/١٧.

الوضع ديناميكية الهجرة الحالية في بعض البلدان من المناطق الأكثر إكتظاظاً بالسكان نحو المناطق الأقل سكاناً بحثاً عن أراضٍ جديدة للزراعة والثروة الحيوانية، ويتصف هؤلاء السكان المهاجرين بضعفهم الإقتصادي، ويزداد هذا الضعف بإرتفاع نسبة مخاطر الجفاف والتصحر في المنطقة التي يتجهون إليها.

الشكل (٢)

نشاط الإنسان وتأثيره على ظهور التغير المناخي والنتائج المترتبة عليه



المصدر: غرينبيس الشرق الاوسط وشمال أفريقيبا، ما هو تغير المناخ، ٢٦/٤/ ٢٠٢٢

greenpeace MENA.htm

ويتضح تأثير المناخ وإرتباطه بالموارد المائية على توزع سكان الشمال الإفريقي العربي وكثافتهم من خلال تركزهم في مناطق محددة، ووجود فراغ سكاني في مناطق غيرها بسبب إنتشار الصحاوي في معظم أجزاء تلك المنطقة بحيث لا تترك إلا الجهات الساحلية وأودية الأنهار بمثابة واحات سكانية متناثرة في الإمتداد الصحراوي المذكور[١٦].

كما أن عامل المناخ والموارد المائية يفسر تجمع أكثر من ثلثي سكان الشمال الإفريقي

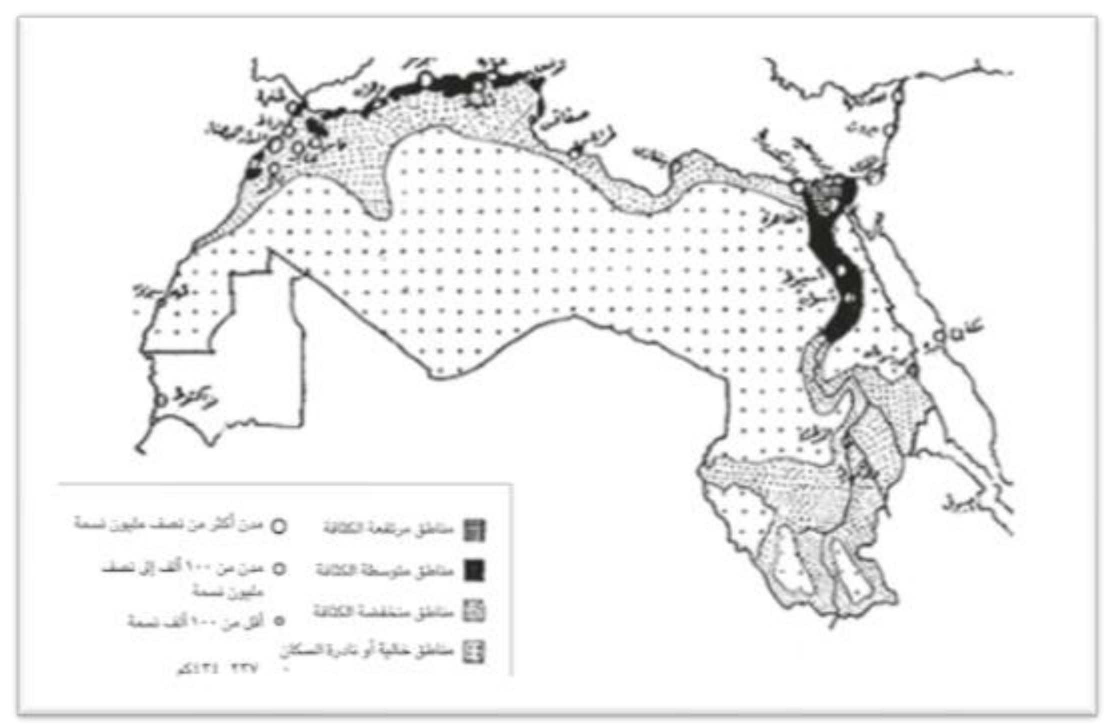
---

(١٦) عباس فاضل السعدي، " توزع الإنسان في الشمال الإفريقي العربي ودور المناخ في تفاوت إنتشاره المكاني"، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٦٠، حزيران (يونيو) ٢٠١٧، ص٣٦.

المذكور في المنطقة المعتدلة وشبه المعتدلة بين دائرتي عرض ٣٠ و٣٧ درجة شمالاً[١٧]. وتقع ضمن تلك المنطقة دلتا النيل في مصر والجبل الأخضر ومنطقة طرابلس في ليبيا وقوس المغرب العربي الممتد من موجادور (الصويرة) في الجنوب الغربي إلى صفاقس في تونس.

الشكل (٣)

كثافة السكان في الشمال الإفريقي العربي



المصدر: محمد عبد الغني سعودي، الوطن العربي، دار الرائد للطباعة، القاهرة، ١٩٧٨، ص٩٧

النمو السكاني والهجرة من الريف إلى الحضر:

يتوقع أن يظل النمو السكاني والهجرة من الريف إلى المدن والنمو الحضري عند مستويات مرتفعة خلال الثلاثين عاماً القادمة. وإحتلت أهمية هذا العامل المرتبة السادسة (من بين تسعة عوامل رئيسة وضعها بعض خبراء السكان). وإذا غابت الأنظمة الجيدة لإدارة المياه فمن المتوقع أن يؤدي تزايد عدد السكان إلى زيادة الطلب على المياه، وإرتفاع نسبة التلوث بما يتجاوز مستويات الإستدامة، وبالتالي تعرض الأسر لمخاطر المياه المستقبلية المتعلقة بالمناخ.

وحول إدارة موارد المياه وبقية الموارد الطبيعية تبرز شريحة الشباب المتزايدة من سكان الحوضين كمحرك أساسي للتغيير حيث تساعدهم تكنولوجياً المعلومات الرخيصة والتي يسهل الوصول إليها على تمكين أنفسهم بشكلٍ رئيس، وإن وسائل التواصل الإجتماعي هي أداتهم الأساسية.

وفي السيناريو المتشائم سيؤدي تزايد عدد السكان في الحوضين، بدون إحراز تقدم لمعالجة

---

[١٧] محمد عبد الغني سعودي، الوطن العربي، دار الرائد للطباعة، منشورات المكتبة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٩٥.

مشكلات تغير المناخ، إلى زيادة الضغط على موارد المياه مع تعرض أعداد كبيرة من الناس لمستويات عالية من الإجهاد المائي. كما يشكل إحباط الأجيال الشابة في ظل غياب الفرص الإقتصادية، وتدهور نوعية الحياة بشكلٍ عام تهديداً خطيراً للإستقرار السياسي. كما أن عمليات النزوح والهجرة الريفية إلى المناطق الحضرية تطغي على قدرات المدن وستؤدي إلى توترات بين مختلف الجماعات العرقية والدينية[١٨].

ومن وسائل علاج مشكلات المياه في دول حوضي نهري دجلة والفرات عقد صفقات تجارية توفر فوائد إقتصادية، ومنها يمكن لتركيا تخزين المياه للعراق في أراضيها حيث تكون خسائر التبخر منخفضة والتضاريس أكثر ملاءمة لبناء الخزانات. وفي المقابل يقدم العراق لتركيا طاقة رخيصة (بما في ذلك الطاقة الشمسية والغاز الاحفوري) ويمكن بسهولة متابعة هذه الصفقات، ولابد من إجراء إصلاحات في قطاع المياه التي تشتد الحاجة إليها. كما يمكن للتكامل الإقتصادي الإقليمي أن يعزز إستثمارات القطاعين الأجنبي والخاص.

النازحون في المنطقة العربية:

تفيد مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين بأن ٩٠٪ من اللاجئين في العالم يأتون من مناطق معرضة بقوة لتأثيرات التغير المناخي. ففي عام ٢٠٢١ دفعت الكوارث الطبيعية ٣ ملايين شخص إلى مغادرة ديارهم في المنطقة العربية وبعض الدول التي تقع في محيطها. ويتوقع خبراء المناخ إحتمال أن تفقد مصر بحلول العام ٢٠٦٠ نصف إنتاجية القطاع الزراعي، ومن بين العوامل المؤثرة في ذلك ظهور طفيليات جديدة جعلت من الزراعة أقل ربحية من ذي قبل بسبب تدهور الإنتاجية الزراعية.

ويرى البنك الدولي أنه ما لم يتم الحد من التغيرات المناخية سيكون هناك بحلول العام ٢٠٥٠ نحو ٢١٦ مليون مهاجر في العالم داخل بلدانهم وبضمنهم ١٩ مليون من دول الشمال الإفريقي العربي الخمس، وأن ٧٪ من سكانها يعيشون في مناطق منخفضة تقل بنحو ٥م عن مستوى سطح البحر، أي أنها معرضة للغرق وفقاً للمؤسسة الأوربية للمتوسط. ويتجه المواطنون عادةً للمدن الكبرى مثل القاهرة والجزائر وتونس وطرابلس وطنجة ومحور الرباط- الدار البيضاء. وفي الإسكندرية سيضطر مليونا شخص (ثلث سكان المدينة) إلى الإنتقال إلى مكان آخر. وستفقد المدينة ٢١٤ ألف وظيفة إذا إرتفع مستوى سطح البحر نصف متر. وستزيد التجمعات السكانية في تلك المناطق الضغوط على الموارد، وهو ما قد يؤدي إلى نزاعات عنيفة في منطقة يعتمد ٢٢٪ من سكانها على الزراعة[١٩].

وفي السودان اوقعت النزاعات بين القبائل حول الماء والكلأ والأراضي مئآت القتلى منذ

---

(١٨) المصدر نفسه، ص٤٢.

(١٩) التغير المناخي يهدد بنزوح الملايين بالشرق الأوسط،٢٠٢٢/١٠/٣٠. موقع بوداكست عرب ٤٨. أنظر الرابط: 48.comhttps://www.arab

مطلع العام ٢٠٢٢ في عدد من الولايات. وبحسب اليونسيف ستواجه ١١ دولة في الأقل من بين ١٧ دولة في المنطقة العربية، مشكلة في المياه.

وفي العراق إذا لم يتخذ أي إجراء بحلول العام ٢٠٥٠، وفي حال إرتفاع درجة الحرارة بمقدار درجة مئوية وإنخفاض كمية الأمطار بنسبة ١٠٪ سيفقد هذا البلد، البالغ عدد سكانه ٤٢ مليوناً من الأشخاص، نسبة ٢٠٪ من مياهه العذبة وفق البنك الدولي. وإضطر الأردن، أحد أكثر بلدان العالم جفافاً، مضاعفة وارداته من المياه من الكيان الصهيوني (إسرائيل) عام ٢٠٢٢، فيما يعاني قطاع غزة الخاضع لحصار الكيان الإسرائيلي من نقص مزمن في المياه منذ سنوات. وعليه لابد من إيجاد حلول لهذه التحديات.

وفي المغرب إختفت ثلثي الواحات خلال القرن العشرين، وفي موريتانيا إزداد معدل درجة الحرارة بين عامي ١٩٠١ و٢٠٢٠ بمقدار سنوي قدره (٠,١٦)°م . وفي الجزائر تضمن المشهد حرائق كثيرة للغابات أودت بحياة ٩٠ شخصاً على الأقل. وفي مصر لم يقتصر الخطر على الزراعة وإنما حتى على الإهرامات فإنها باتت تحت الخطر[٢٠].

وفي سلطنة عُمان وخلال المدة ١٩٩٠–٢٠٠٨ حينما إرتفعت درجة الحرارة بمقدار (٠,٦)°م وإنخفضت كمية الأمطار بنسبة ٢١٪، إنتقل الرعاة إلى القرى والمدن، ما أدى إلى إنخفاض الإنتاجية البيئية[٢١].

أثر تغير المناخ على المناطق الحضرية في الوطن العربي:

تشهد المنطقة العربية نمواً حضرياً كبيراً حيث كان يسكنها (عام ٢٠١٢) حوالي ٥٦٪ من سكانها في المدن والمراكز الحضرية. ومن المتوقع إزدياد النسبة إلى ٧٥٪ بحلول عام ٢٠٥٠. وقد ساهمت الظواهر الطبيعية المختلفة، كالجفاف والقحط، إلى جانب تحسين الخدمات الإجتماعية وخدمات البنى التحتية في المدن، في تسريع عملية التحضر وزيادة النزوح من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية.

ويسود الإعتقاد بأن تأثير التغير المناخي في المدن أقل من تأثيره في المناطق الريفية، إذ أن سبل كسب العيش في المناطق الحضرية أقل إعتماداً نسبياً على البيئة الطبيعية. غير أن المدن العربية تعد معزولة عن تغيرات المناخ وإرتفاع معدلات درجات الحرارة. فقد كان العام ٢٠١٠ العام الأكثر حرارةً منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، حيث سجلت ١٩ دولة مستويات جديدة لإرتفاع درجات الحرارة خلال ذلك العام، من بينها خمس دول عربية. وتلاه إرتفاع آخر في العام ٢٠١١ حيث إرتفعت درجة الحرارة بنسبة ٥٣,٥٪. وتشير التوقعات إلى إحتمال إزدياد درجات الحرارة في العام ٢٠٥٠ بمقدار ٣ درجات في أنحاء المنطقة مع إرتفاع تلك الدرجات

---

(٢٠) المجلس القومي للسكان، تأثير التغيرات المناخية المحتملة على السكان، مصدر سابق، ص١١.

(٢١) نور الضحى الشطي، تروي شتير نبرغ، الآثار المناخية على مجتمعات البدو الرحل، نشرة الهجرة القسرية، جامعة أُكسفورد، مايو ٢٠١٥.

ليلاً في المدن و ٣ درجات إضافية[٢٢] بسبب ظاهرة (جزيرة الحرارة الحضرية)*. والمنطقة العربية هي الأكثر تضرراً من إرتفاع درجات الحرارة. ويعود ذلك إلى الإشعاع الشمسي العالي، ونوع التربة التي تميل إلى إمتصاص وتخزين الحرارة، وتردي نوعية الهواء في المدن.

ومن نتائج التغير المناخي بروز ظاهرة التصحر التي أدت إلى تزايد هجرة سكان الريف والرعاة نحو المدن طلباً للعمل ولحياة أفضل. وينتج عن هذه الهجرة ضغوط متزايدة على إمكانيات المدن المحدودة، وتساهم في زيادة معدل نمو سكانها بدرجة أسرع من معدل نمو سكان الريف. ويؤكد ذلك أن المعدل السنوي لنمو سكان المدن في أقطار شمال أفريقيا للمدة ١٩٩٠–١٩٩٥ بلغ نحو ٣.٩٪ مقابل ١.٣٪ لسكان الريف. كما ان ترك الأرض هو الآخر يساهم في توسيع رقعة التصحر.

وعلى مدى السنوات الثلاثين الماضية ألقت الكوارث المناخية بظلالها على حوالي ٥٠ مليون شخصاً في المنطقة العربية، وبلغت الكلفة الإجمالية الناجمة عن هذه الكوارث ١١,٥ مليار دولار أمريكي، علماً أنه لا يتم التبليغ عن تلك الأضرار سوى بنسبة ١٧٪ فقط من الكوارث[٢٣]. ونادراً ما يتم رصد المعاناة التي تعقب الخسائر في الأرواح وفي سبيل العيش. وقد تضاعف عدد السكان المتضررين من الفيضانات في المدن العربية خلال السنوات العشر الماضية ليصل إلى نصف مليون شخص في مختلف أنحاء الوطن العربي، مثل مدن جدة وفاس والعقبة وعدد من مدن الجزائر وعُمان، وهي مدن ساحلية.

إن التقاعس عن علاج مشكلات التغير المناخي سيؤثر على خلق صعوبات لمسيرة حياة السكان، وسيؤدي إلى تدهور حياتهم المعيشية وعلى صحتهم بل سيؤثر على حقوق الإنسان المرتبطة بحياته.

تأثير التغير المناخي على حقوق الإنسان:

يعترف أكثر من ٨٠٪ من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بالحق في بيئة آمنة ونظيفة وصحية ومستدامة. وهذه هي العناصر الأساسية المترابطة وبالغة الأهمية لبقاء الإنسان، وهي مثبتة في دساتير تلك الدول أو في تشريعاتها أو بتصديقها على معاهدات إقليمية لحقوق الإنسان. وأبرز هذه الحقوق هي[٢٤]:

---

(٢٢) هنري بول ستيتونك، أُثر تغير المناخ على المناطق الحضرية في المنطقة العربية وإستراتيجيات التكيف المحتملة، بيروت، الشرق الأوسط، ٢١ نوفمبر ٢٠١٢.

(*) الجزيرة الحرارية الحضرية Urban Heat Island هي مصطلح مناخي يطلق على إرتفاع درجات حرارة المدن الكبرى، وتحدث الظاهرة بسبب حدوث التنمية الحضرية في المدن، وإستخدام الطاقة التي قد تزيد في معدلات الحرارة بين ٢–٦ درجات مئوية.

(٢٣) المصدر نفسه، ٢٠١٢/١١/٢١.

(٢٤) الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، – مكتب المفوض السامي، أسئلة يتكرر طرحها بشأن حقوق الإنسان وتغير المناخ، صحيفة الوقائع، رقم ٣٨، نيويورك وجنيف، ٢٠٢٢، ص١٠–١١، ٢٥.

حق الصحة:

تشكل الأمراض الحيوانية المصدر لقرابة ٦٠٪ من جميع الأمراض المعدية التي تصيب البشر، وتستند صحة الإنسان ونموه إلى سلامة النظم الإيكولوجية. فالتغيرات البيئية، ومن بينها تغيرات المناخ، التي يتسبب فيها الإنسان تُعدِّل التركيبة السكانية وتقلل التنوع البيولوجي، محدثةً ظروفاً بيئية جديدة تساعد في تدهور الوضع الصحي للبشر.

الحق في التغذية:

يُتوقع أن يتعرض حوالي ٦٠٠ مليون شخص إضافي، من دول العالم، لسوء التغذية بحلول عام ٢٠٨٠ من جراء التغير المناخي. إن ٨٠٪ من الكوارث التي وقعت في السنوات الأخيرة ناجمة عن التغير المناخي أصابت بلداناً تفتقر إلى الأمن الغذائي.

الحق في السكن:

إن الظواهر الجوية القصوى يمكن أن تدمر المنازل فتشرد الملايين من الناس، وقد تصبح الأراضي غير صالحة للسكن بفعل الجفاف والتآكل والفيضانات، ما يؤدي إلى التشرد والهجرة. ومع إرتفاع درجة الحرارة (بمقدار ٢ درجة مئوي) بحلول العام ٢٠٨٠-٢١٠٠ سيصبح السكن الحضري عرضةً لدرجة عالية من المخاطر. وإن تغير المناخ يسهم إسهاماً كبيراً في الأضرار بحقوق الإنسان وما يقترن به من حراك بشري (في تنقله من مكان لآخر).

الخاتمة:

توصل البحث الى **النتائج** الآتية:

١. إتضح، وعلى مدار ٥٠ عاماً، أن غازات الإحتباس الحراري في الغلاف الجوي (وأهمها ثاني أوكسيد الكاربون) سببه الأنشطة البشرية، وتعد الدول الصناعية المتقدمة المصدر الأكبر لهذه الإنبعاثات. ومن المتوقع أن يرفع النمو السكاني والإقتصادي بشكل سريع في العالم النامي معدل إنبعاثاته الحرارية بدرجة أعلى من معدل البلدان الصناعية خلال القرن الحادي والعشرين.

٢. إن المناطق عالية الكثافة السكانية والتي تتميز بالإفراط الشديد في إستغلال الأرض والغطاء النباتي تفسر ديناميكية الهجرة الحالية، حيث يتصف هؤلاء المهاجرين بضعفهم الإقتصادي الذي يزداد بإرتفاع نسبة مخاطر الجفاف والتصحر وتناقص الموارد المائية.

٣. إن تأثيرات المناخ السلبية والموارد المائية تفسر تجمع أكثر من ثلثي سكان الشمال الإفريقي العربي والهلال الخصيب في المنطقة المعتدلة وشبه المعتدلة الواقعة بين دائرتي عرض ٣٠ و٣٧ درجة شمالاً.

٤. يساهم الوطن العربي بحوالي ٥٪ من إجمالي الإنبعاثات الغازية العالمية الملوثة للبيئة، وإن نصيب الفرد من إنبعاثات ثاني أوكسيد الكربون في بلدان الخليج العربي هي من بين أعلى

عشر دول في العالم. حيث يبلغ معدل نصيب الفرد من تلك الإنبعاثات في الخليج العربي ٥,٦ طن للفرد، مقابل ٤,٥ طن للفرد كمعدل عالمي.

٥. من المتوقع أن تتعرض الأقطار العربية للتأثيرات السلبية للتغير المناخي مثل ظاهرة التصحر أكثر من غيرها، ولن تكون تلك التأثيرات متشابهة في أقاليم الوطن العربي لتنوع مناخها وإختلاف خصائصها الطبيعية والبشرية المؤثرة في المناخ.

٦. تشير الدراسات إلى أن مستوى سطح البحر قد إرتفع حتى الوقت الحاضر نحو ٢٠سم، ويتوقع إستمرار إرتفاعه إلى ٢م مع نهاية القرن الحالي (القرن الحادي والعشرين)، وسيؤدي إرتفاع المستوى المذكور إلى غرق عدد من المدن الساحلية في الوطن العربي.

٧. ما يخص العراق وبسبب التغير المناخي أصبح المناخ المداري (في الجنوب) يتمدد، والمتوسطي (في الشمال) يتقلص. لذلك زحف خط المطر المتساوي إلى الشمال من موقعه السابق، فتحولت مساحات شاسعة من الزراعة المطرية إلى الزراعة المروية ما أثر سلباً على زيادة الإستهلاك المائي من مياه نهري دجلة والفرات. وبسبب ذلك مع وجود الهدر المائي الناجم عن التبخر والذي لا تقابله وفرة إنتاجية لوحظ إنخفاض الإنتاج الزراعي والحيواني بنسبة ٧٥٪ قياساً بالسنوات السابقة مقابل توقع مضاعفة السكان في عام ٢٠٥٠.

أما **التوصيات** بخصوص علاج مشكلات التغير المناخي فتتطلب قبل كل شيء

تحديد المناطق المتأثرة بالتغيرات المناخية ودراستها بهدف التعرف على واقعها ومعرفة حجم المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها، وخاصةً البنى التحتية الحيوية. وهذا يتطلب إجراء دراسات تفصيلية بعملية التخطيط الحضري خاصةً في المدن الساحلية لتجنيبها الكوارث المستقبلية الناجمة عن تغيرات المناخ.

كما تتطلب المخاطر الناجمة عن التغير المناخي التكيف للوضع الجديد، وتغيير الأنماط الزراعية السائدة في الوطن العربي، وتبني تقنيات الإقتصاد بالمياه، وإعتماد إدارة متكاملة للموارد المائية، وإعادة إستخدام المياه العادمة والرمادية لزيادة المساحات الخضراء في المدن. كذلك تطوير أنواع جديدة من المحاصيل تكون أكثر تكيفاً لدرجات الحرارة المرتفعة وملوحة التربة، مع إستخدام تقنيات حديثة لتحلية المياه. أيضاً ترشيد إستهلاك الطاقة الأحفورية والتحول إلى الطاقة المتجددة والنظيفة مثل طاقة الشمس والرياح، والتوجه نحو الإقتصاد الأخضر والأزرق وصيانة التنوع البيئي والحياتي. كذلك زراعة المحاصيل المقاومة للجفاف والحرارة المرتفعة والتي تتطلب القليل من العناية. ومن الضروري تنويع إقتصاد الأقطار العربية التي يعتمد إقتصادها على النفط فقط. ومن ناحية أخرى لابد من خفض معدل نمو السكان فهو طوق نجاة لها من تأثير تغيرات المناخ السلبية، حيث أن الحرارة الشديدة والجفاف يؤثران على أغلبية سكان الوطن العربي ولاسيما سكان الريف.

المصادر:

١. الأمم المتحدة، حقوق الإنسان – مكتب المفوض السامي، أسئلة يتكرر طرحها بشأن حقوق الإنسان وتغير المناخ، صحيفة الوقائع، رقم ٣٨، نيويورك وجنيف، ٢٠٢٢.

٢. بكور، يحيى، جون كولارز، " تاريخ المياه ومشكلاتها وآفاقها المستقبلية"، كتاب المياه في العالم العربي: آفاق وإحتمالات المستقبل، تحرير بيتر روجرز، وبيتر ليدون، ط١، ترجمة شوقي جلال، أبو ظبي، ١٩٩٧.

٣. التغير المناخي يهدد بنزوح الملايين بالشرق الأوسط،٢٠٢٢/١٠/٣٠. موقع بوداكست عرب ٤٨. أنظر الرابط:

48.comhttps://www.arab

٤. توماس، كريستوفر، كوكب أطفالنا ما علاقة تعليمهم بتغير المناخ، ٢٠١٩/١/٣٠. أنظر الرابط:

https://blogs.worldbank.org

٥. حسين، عبد الستار سلمان،" مشروع جنوب الأنضول (الكَاب)/ الجوانب الفنية"، مجلة دراسات إجتماعية، بيت الحكمة، بغداد، العدد ٧، السنة الثانية، خريف ٢٠٠٠.

٦. خلف، صفاء، العراق لا حياة لنا بدون الماء، قمة المناخ ٢٦، ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٢١. أُنجز هذا التقرير بدعم من مؤسسة كانديد.

٧. ستيتونك، هنري بول ، أُثر تغير المناخ على المناطق الحضرية في المنطقة العربية وإستراتيجيات التكيف المحتملة، بيروت، الشرق الأوسط، ٢١ نوفمبر ٢٠١٢.

٨. السعدي،عباس فاضل،" توزع الانسان في الشمال الافريقي العربي ودور المناخ في تباين إنتشاره المكاني"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٤٦٠، حزيران (يونيو)٢٠١٧ .

٩. السعدي، عباس فاضل، الموارد المائية وعلاقتها بالتزايد السكاني في الوطن العربي، ط١، دار صفاء، للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨.

١٠. سعودي، محمد عبد الغني، الوطن العربي، دار الرائد للطباعة، منشورات المكتبة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٨.

١١. سعيد، نور، اثر الزيادة السكانية على المناخ، وكيبيديا، ٢٠٢٠/١١/١٧

١٢. سوفير، آرنون، الصراع على المياه في الشرق الأوسط، إصدار جامعة حيفا، ترجمة الدار العربية للدراسات والترجمة، الجيزة، ١٩٩٣.

١٣. الشطي، نور الضحى، تروي شتير نبرغ، الآثار المناخية على مجتمعات البدو الرحل، نشرة الهجرة القسرية، جامعة أُكسفورد، مايو ٢٠١٥.

١٤.غرينبيس الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ما هو تغير المناخ، ٢٦ إبريل ٢٠٢٢. أنظر الرابط:

https://greenpesce.0rg/mena/?

١٥. كلوس، خوان، برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الهابيتات)، التقرير العالمي للمستوطنات البشرية لعام ٢٠١١ – المدن وظاهرة تغير المناخ: توجهات السياسة العامة، عمان، الأردن، ٢٠١١.

١٦. المجلس القومي للسكان، تاثير التغيرات المناخية المحتملة على السكان في المنطقة العربية، ديسمبر ٢٠٢١، ص٤.

١٧. محفوظ، محمد،" ظاهرة التغير المناخي تشكل خطورة على دول العالم"، جريدة البورصة، القاهرة، ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٢٢.

١٨. مهران، إبتسام، تأثير المناخ المعتدل على تركز السكان، المرسال، ٢٠٢٢/٢/١٢. أنظر الرابط:

https://www.almrsal.com/post/1002/82

١٩. مولر، أندريه وآخرون، المناخ والمياه والتعاون في حوض الفرات ودجلة: التحديات التي تواجه التكيف مع تغير المناخ وتحقيق الإستقرار وإدارة المياه عبر الحدود، يناير ٢٠٢٢.

فنُّ تحقيق النصوص، مفهومُهُ وأصولُهُ ومراحلُ نشأتِه

الأستاذ الدكتور عادل عباس النصراوي
كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة

الملخص:

يُعدُّ التحقيقُ اليوم من الفنون والعلوم المهمة التي لها أثرٌ كبيرٌ في إحياء التراث العربي وتقديمه للباحثين والقرّاء، فقد كان موضع اهتمام العلماء والمثقفين في العالم العربي والإسلامي، لِما له من علاقة بإعادة الكتب القديمة التي علاها غبارُ السنين وتُرِكَت من دون عناية، فَعُدِمت منها الفائدة إلاّ النزر القليل منها، فجاء المحققون فبعثوا فيها الحياة من جديد بنشاط كبير يحسب لكلِّ العاملين في هذا المجال الصعب.

لم يأتِ فنُّ التحقيق دفعةً واحدةً بنشاطٍ عالٍ، وإنما مَرَّ بمراحل متعدّدة تطوّر عنها فضلاً عن تأثيرات أجنبية ساعدت على تهذيبه، مع أنَّه كان جزءاً من تراث العرب القدماء واهتماماتهم، وظهرت مدارس في التحقيق كالمدرسة المصرية والشامية فضلا عن جهود المحققين العرب الآخرين الذين تأثروا بهما .

The Art of Investigation Texts, its Concept, Origins, and Stages of its Development

Prof. Dr. Adil Abbas Al-Nasrawi
College of Basic Education / University of Kufa

Abstract

Today, investigation is considered one of the important arts and sciences that has a great impact in reviving the Arab heritage and presenting it to the researchers and readers. It has been the subject of interest for scholars and intellectuals in the Arab and Islamic world, because of its relationship to returning old books that have been covered with the dust of years and left without care, so that they are of no use except only a few of them were presented, and the investigators came and revived them with great activity, which is credited to all people working in this difficult field.

The art of investigation did not emerge all at once with great activity, but rather went through several stages of development, in addition to foreign influences that helped to refine it, even though it was part of the heritage of the ancient Arabs and their interests. Schools of investigation appeared, such as the Egyptian and Levantine schools, as well as the efforts of other Arab investigators who were influenced by them.

المقدمة:

يُعدُّ التحقيقُ اليوم من الفنون والعلوم المهمة التي لها أثرٌ كبيرٌ في إحياء التراث العربي وتقديمه للباحثين والقرّاء، فقد كان موضع اهتمام العلماء والمثقفين في العالم العربي والإسلامي، لِما له من علاقة بإعادة الكتب القديمة التي علاها غبارُ السنين وتُرِكَت من دون عناية، فَعُدِمت منها الفائدة إلاّ النزر القليل منها، فجاء المحققون فبعثوا فيها الحياة من جديد بنشاط كبير يحسب لكلِّ العاملين في هذا المجال الصعب.

لم يأتِ فنُ التحقيق دفعةً واحدةً بنشاطٍ عالٍ، وإنما مَرَّ بمراحل متعدّدة تطوّر عنها فضلاً عن تأثيرات أجنبية ساعدت على تهذيبه، مع أنَّه كان جزءاً من تراث العرب القدماء واهتماماتهم، وبخاصةٍ ما كان متعلقاً بدراسة الحديث النبوي وتهذيبه وتصحيح هذه الأحاديث عند إملائها وكتابتها، فظهرت ضرورة المقابلة بين نسخ الكتاب الذي يضم موضوعاً معيناً وإصلاح ما وقع فيها من الخلل نتيجة التصحيف والكتابة والسماع واختلاف النسخ للكتاب في بعض المواضع، وقد أُلِّفت في ذلك كتبٌ كثيرة سنأتي عليها .

التعريف بعلم التحقيق :.

يُعرَّف هذا الفن أو العلم بعددٍ من التعريفات، ربما اتفقت هذه مع بعضها، وفي مجالات أخرى وقع الاختلاف بينها، فمثلاً عرَّف الشيخ عبد السلام هارون أنّ الكتاب المحقق (هو الذي صحَّ عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون الى الصورة التي تركها مؤلفه)[١]، ثم أوضح الجهود التي تُبذل في ذلك، فيما عرَّفه الدكتور عبد الهادي الفضلي اعتماداً على رأي الدكتور حسين علي محفوظ، بأنَّه : (إخراج الكتاب بصورة مطابقة لأصل المؤلّف أو الأصل الصحيح الموثوق إذ فُقدَت نسخة المؤلف)[٢]، ونجد في هذا التعريف اختصاراً، إذ لم

[١] تحقيق النصوص ونشره / عبد السلام هارون : ٤٢

[٢] تحقيق التراث / الدكتور عبد الهادي الفضلي : ٣٦

يذكر المقابلة بين نسخ الكتاب أو معالجة السقط والخطأ والتحريف والتعريف ببعض القضايا المطلوب فيها التعريف .

وعرّفه الدكتور زهير غازي زاهد بأنه : (إعداد مخطوطة قديمة من تراثنا الفكري للطبع، يكون إخراجها على ما تركه مؤلفها، أو أن تكون أقرب الى ما تركه عليه مؤلفها، وقد تكون أحسن مما تركه صاحبها)[٣] وهنا لم يتطرق الى معالجات ما وقع فيه النساخ والسقط وغير ذلك .

وقد عرّفه الدكتور عبد الستار الحلوجي بقوله مستدركاً على غيره : (ولكن تحقيق النص ليس مجرد مقابلة عدة نسخ على بعضها، ولا هو تصويب له أو تصحيح لأخطائه، وإنما هو محاولة للاقتراب من النص الذي تركه المؤلف وافتقدناه)[٤] .

في حين تحدّث الدكتور فخر الدين قباوة من جامعة حلب وعرّفه اصطلاحاً بأنَّه : (علم بأصول لإخراج النص المخطوط على الصورة التي أرادها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى، فإنْ تعذّر هذا كانت عبارات النص على أقرب ما يمكن من ذلك)[٥]، وربما هذا التعريف أشمل ممّا سبق؛ لأنه يُشير الى الأصول المعتمدة في التحقيق وهي معروفة لدى المحققين في اختيار النسخ المعتمدة في التحقيق ونسبة المخطوطة الى مؤلفها وعنوانها والمقابلة بين النسخ وغيرها من متطلبات هذا الفن الرفيع .

ولعلّ أوسع التعريفات لفن التحقيق ما ذكره الدكتور محيي هلال السرحان حين قال : (هو تحرّي الحق في إخراج المخطوطة بالصورة الصحيحة التي وضعها مؤلفها، وبذل ما في الوسع للمحافظة على وقتها وسلامتها وضبط نصّها حين اختلاف نسخها إن لم تكن بخط مؤلفها وإقامة الدليل على كلّ ما يأتي به محققاً من نسبتها الى مؤلفها، وتصحيح تصحيف في نسخها وإكمال نقصٍ سقط منها، والتنبيه على ما وقع من السهو والخلل فيها وتوثيق نصوصها بمراجعة المصادر التي أخذت منها تلك المخطوطة، وغير ذلك)[٦]

إذن يعني تحقيق النصوص **(إخراج النص المخطوط على صورة ما أراده مؤلفه أو بما يقرب عن ذلك باتبّاع الأصول الحديثة المعتمدة في التحقيق)** والأصول الحديثة – كما نعلم – تتمثل بتعدد النسخ ومقابلتها ومعرفة نسبة الكتاب الى مؤلفه وعنوانه، وزمن النسخ واسم الناسخ ونوع الورق المستعمل وكذلك الأحبار، وغيرها مما تعارف عليه أصحاب هذا الفن في عصرنا الحاضر.

---

(٣) في تحقيق التراث / الدكتور زهير زاهد والدكتور ناظم رشيد : ١٧

(٤) المخطوط العربي / الدكتور عبد الستار الحلوجي : ٢٧٩

(٥) علم التحقيق للمخطوطات العربية / الدكتور فخر الدين قباوة : ٣٠

(٦) مشكلات تحقيق المخطوطات في العلوم الإسلامية / محيي هلال السرحان : (بحث) نُشِر في مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الثاني – المجلد السبعون – أيار ٢٠٢٣ م – شوال ١٤٤٤ هـ) : ٨٤

مرّاحل نشأة التحقيق :.

مرّ علم تحقيق النصوص بمراحل متعدّدة حتى وصل إلينا بهذه القواعد والأسس الرصينة التي من شأنها أن تُوصِلَ المحققَ الى الكتاب المحقَّق بما يريده مؤلفه أو قريباً من مراده بحسب المتوفّر من تلك القواعد الملائمة لتحقيق النص المخطوط، فربما في مخطوطٍ معيّنٍ توافر له عددٌ جيدٌ من النسخ وفيها النسخة الأم التي تتمثل بنسخة المؤلف أو المقروءة عليه أو هي أقدم ما وصل الينا، فإن الكتاب سيكون أقرب الى مراد المؤلف بعد المقابلة وتلافي النقص والخطأ والتحريف والتصحيف، أمّا أهم المراحل التي مرَّ بها فن التحقيق فتمثّل بما يأتي :.

أولاً– بدأت إرهاصات علم التحقيق في العالم العربي مع بدايات القرن الرابع للهجرة التي كان فيها مراجعة للحديث النبوي وجمعه متناً وسنداً، ونحن نعلم ما أصاب الحديث النبوي الشريف من الدسّ والتزييف والتحريف وإدخال ما ليس فيه من كلام لا يصحّ أن يكون حديثاً في روايات مزيفة، وهذا مما دفع علماءَ الحديث الى التدقيق في الحديث النبوي الشريف روايةً وسنداً ونصّاً، فظهر نتيجة لذلك علمُ الجرح والتعديل فيه، فوضعوا من خلالها أسساً للجرح والتعديل لأجل تمييز الصحيح من الخبيث.

وقد رُصِدَ النشاطُ التحقيقي عند العرب الأوائل في عصر الحضارة الإسلامية الزاهية فصدر عنهم عددٌ من الكتب والمؤلفات التي اهتمت بملاحقة الأخطاء التي وقعت في قواعد رسم الحروف والكلمات وتشكيلها، فضلاً عن ملاحقتها نقداً وتصحيحاً، وبخاصةٍ ما كان منها في الحديث النبوي الشريف، ولعلّه من أهم الدوافع التي دفعت علماء العرب الى التحقيق فيه، فبرز عندهم مَنْ اهتم بتدقيق الأحاديث النبوية فألّفوا مجموعةً من الكتب التي وضعت الأسسَ والقواعدَ والتوجيهاتِ لتدقيق وتصحيح ما وقع عندهم من الخطأ والتحريف في الروايات والأسانيد، ومن أهم هذه الكتب ما يأتي :.

١– **كتاب (الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع) للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)،** الذي درس فيه مظاهر الدقة والتثبّت من النص، وإرجاع النصوص الى قائليها وجمع مخطوطات الكتاب الواحد، فضلاً عن وضع رموز خاصة يُقابلون عليها النسخ مع بعضها، إذ قسّم كتابه على أبواب بعضها خاص بالحديث النبوي الشريف وطريقة أَخْذِهِ وسماعه، وأبوابٍ أخرى تخصّ التقييد والضبط والسماع وأخرى في طريقة أَخْذِ الرواية سماعاً أو إملاءً، ثم وضع باباً آخر في التقييد والمقابلة والشَّكل والنَّقْط والحاق للنقص، ثم أوجد باباً آخر في إصلاح الخطأ وتقويم اللحن الذي وقع في الكُتّاب [٧] .

هذه الأسس والأصول هي في الحقيقة كان أكثرُها معمولاً بها في فن التحقيق في أيامنا هذه،

---

[٧] ظ : الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع / القاضي عياض : ٢١٣ – ٢٦٢ .

إذاً شكّلت مثل هذه الأصول أُسُساً لتحقيق النصوص وكتابة الريادة للعرب المسلمين على غيرهم في هذا الفن الكريم .

٢- **كتاب (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)** وهو لا يختلف كثيراً عن سابقه في التأكيد على أصول التثبّت في رواية الحديث والتأكد من صحته سنداً ومتناً ومقابلة النسخة الأم مع النسخ الأخرى وعدم وقوع التحريف والتصحيف وضرورة إقامته من اللحن والخطأ[٨] .

٣- **كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)**، فقد ذكر في (النوع الخامس والعشرون) من كتابه هذا كيفية ضبط الكتاب وتقييده فذكر أنّ على كَتَبَة الحديث وطلبته صرف الهمة الى ضبط ما يكتبونه أو يحصلونه بخط غيرهم من مروياتهم على الوجه الذي رووه شَكْلاً ونَقْطاً يُؤمَن معها الالتباس، وكثيراً ما يتهاون بذلك الواثق بذهنه وتيقظه، وذلك وخيم العاقبة، فإن الإنسانَ مُعرضٌ للنسيان[٩] .

٤- **كتاب (الاقتراح في بيان الاصطلاح) لابن دقيق العبد (ت ٧٠٢هـ) .**

٥- **كتاب (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالِم والمتعلّم) لابن جماعة (٧٣٣هـ)** وغيرها من الكتب المعتبرة التي عنيت بتحقيق نصوص الحديث النبوي الشريف التي أصبحت فيما بعد أسساً وأصولاً في التحقيق ونقده، وكانت القواعد التي اتّبعوها في التحقيق تتمثل بما يأتي[١٠] :.

١- **التثبّت من نسبة النص الى قائله**، وهذا الأمر واضح في كتب العرب القدماء، ولاسيما ما كان من الشعر الذي كان العرب يرونهم منحولاً، حتى أنهم بقوا سنيناً عديدة يتدارسون الشعر الجاهلي ويرون أنّ بعضَهُ منحولٌ، كما كان ذلك في مقدمة ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء)[١١]، وما كان أيضاً ما ذُكِر من انتقادات على كتاب العين والاختلاف في نسبته والتحقيق في ذلك، إذ أثار زوبعةً كبيرة في نسبته الى الخليل، ومنه أيضاً ما انتقد صاحبُ الأغاني ابنَ خُرْداذبه (المؤرخ) في أنَّ الأخير قليل التصحيح لما يرويه ويضمِّنه كتبه[١٢] ...

٢- **جمع المخطوطات والمقابلة بينهما في الهامش**، واتخاذ أقدم النسخ أساساً للنقد، كما

---

[٨] ظ : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / الخطيب البغدادي : ٣٧٥ – ٣٨٨ .

[٩] ظ : علوم الحديث / ابن الصلاح : ١٧١ – ١٨٥ .

[١٠] ظ: تحقيق التراث العربي – منهجه وتطوره : الدكتور عبد المجيد دياب : ٥٤ – ٨٠ ، ظ : مشكلات تحقيق المخطوطات في العلوم الإسلامية / محيي هلال السرحان : ٩٠ – ٩١ .

[١١] ظ: طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي : ١ / ٤ .

[١٢] تحقيق التراث العربي – منهجه وتطوره : الدكتور عبد المجيد دياب: ٥٤ – ٦١ .

يفعل محققو اليوم، مع وضع رموز مختلفة يُشارُ بها الى تلك المخطوطات .

فقد كان العالِمُ المسلمُ يدقق في المخطوطات ليتخذ أقربها الى المؤلف وأصحَّها كي يصل الى النص الصحيح، لذا كان يختار النسخ الأصيلة والموثوقة، وقد كان ذلك من الآمدي (ت ٣٧١هـ) إذ ذكر في كتابه (الموازنة بين الطائيين) بعد موت أبي تمام والبحتري، أنه وجد رسائل متعددة تتعصب لهذا الشاعر أو لذلك، حتى تعدّدت النسخ، فنظر فيها فوجد في بعضها إسرافاً في الأحكام، كما وجد ضعفاً في التعليل وتصوراً في الآداب، وهذا مما حدا به الى الرجوع لنسخ قديمة لتحقيق الأبيات [١٣].

والأمر نفسُه وَجَدَه القاضي الجرجاني (ت ٣٨٢هـ) في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه)[١٤] .

٣- **رموز القدماء للنسخ التي كانوا يُقابلون عليها** :. وهذا كان مما يوسم به أكثر العلماء في المخطوطات التي بين أيديهم، فمثلاً كان الحافظ أحمد اليونيني (ت ٧١٠هـ) في نسخته قد اعتنى بضبط رواية صحيح البخاري وقابلها على نسخٍ متعددة، وكان يرمز لكلٍّ نسخة برمز خاص، مثلما يفعل المحققون في أيامنا، وقد بلغ من الدقة أن بعضَهم كان يُشير الى المكتبة التي تُوجد بها كلُّ نسخة[١٥] .

٤- **مقدمة المحقق** :. لقد وُجِد أن كثيراً من الكتب القديمة تبدأ بالبسملة وتليها مقدمة يستهلها بحمدِ الله والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين بعد ذِكر الله تعالى، ثم يتكلم على الغرض من الكتاب ومنهجه في العمل وطريقة ترتيب المادة، كما فعل (ابن قراقول) في مقدمة (مطالع الأنوار)، وكتاب (مشارق الأنوار) للقاضي عياض، وهما من أهم الكتب التي نهجت منهجاً تحقيقياً كما في أيامنا هذه[١٦] .

٥- **الهوامش** :. ولها أهمية كبرى، إذ كان النُّساخ يتركون على جوانب المخطوطة جزءاً منها مساحة بيضاء لكتابة ما يرونه ضرورياً في اختلاف القراءات وشرح اللغويات وترجمة الأعلام وتصحيح الألفاظ، وهو ما يُعرف اليوم بـ(تخريج النص) وكذلك نسبة الأقوال الى قائليها في الكتاب الذي يُحقَّق؛ وكذلك ما كان من ناسخ الكتاب أو متملكه وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث والأمثال[١٧]، فنرى مثلاً تصحيحات كثيرة لابن مالك على صحيح البخاري

---

[١٣] ظ : الموازنة / الآمدي : ١/ ٧ – ٨ .

[١٤] الوساطة / القاضي الجرجاني : ١ / ٧٩ .

[١٥] ظ : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري / القسطلاني : ١ / ٤٠ .

[١٦] ظ : م . ن : ٧١ – ٧٢.

[١٧] ظ : م . ن : ٧٢ – ٧٣ .

سمّاه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) وكذلك فعل القاضي عياض في منهجه في تحقيقه الموطأ وصحيح مسلم وصحيح البخاري .

٦- **ذِكرُ المراجع التي استقى منها المحقق ما سجله في هامش الكتاب** . وهذا لم يكن خافياً على أهل العلم فقد نوّه الى ذلك كثيرٌ من العلماء، فكانوا إذا أخذوا شيئاً من عالم أو كتاب نسبوه الى صاحبه، ويُروى عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنَّه قال :(من شُكْر العلم ذكرك الفائدة منسوبة الى من أفادك إياها)[١٨] .

ثانياً / حركة التحقيق في العصر الحديث (البدايات) :

اتسمت حركة التحقيق في الوطن العربي عند نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين بالنشاط والحيوية، وقد تزامن ذلك مع بداية الحركة العلمية المتوثّبة في بلاد الشام ومصر وبعض البلدان العربية الأخرى، فكانت بدايات النهضة العربية الحديثة التي بدت بوادرها تشعّ من هناك وتنذر بانفتاح عصرٍ جديد من الثقافة قائم على أنقاض عهد قديم وُسِمَ به مجتمعُنا العربي لعصور طويلةً بالتخلّف والانحطاط الثقافي .

وقد تبلور عصر النهضة وانفتاح العالم العربي العلمي عبر ما يأتي [١٩] :.

١- الوعي القومي لدى الشعوب العربية، ودبيب روح القومية المُشعِرة بالانتماء الى الذات العربية كسائر الشعوب الأخرى التي تعتّز بانتماءاتها لوطنها وشعوبها وقومياتها، فهذا الأمر مما دفع الفرد العربي ولاسيما المثقف فيه الى ضرورة التفكير ببناء كيانٍ عربي مستقلٍ عن تحكّم الأجنبي، وكان العربي يرى أنّ ذلك لا يتحقق إلاّ من خلال بذل الجهود الكبيرة في التعليم لأجل يقظة الشعب من سباته وإقامة الحياة فيه على أركان تراثه التي تمثّلت بلغته ودينه وأدبه وتقاليده، فكان من نتاج هذا التفكير أن تنبّهَ الشبابُ العربي آنذاك الى ضرورة إحياء تراثه وإبراز عظمة حضارته وذلك لأجل مواجهة قِيَم الغرب الوافدة الى الوطن العربي، وقد كان ذلك التحدي تمثّل في إحياء التراث العربي المتمثّل بالكتب، أي أرادوا أن يواجهوا التحدي الغربي بالأصالة العربية في علومها وفنونها وحضارتها، فتكللت تلك الجهود بتحقيق كتب التراث العربي الزاهر وإشاعته ونشره وطباعته كي يكون سهلاً في متناول الجميع .

٢- اتصال العرب بالثقافة الغربية التي تمثّلت بإرسال البعثات العلمية من الشباب العربي الناهض الى الدراسة في أوربا، أو إشراك بعض المثقفين في المؤتمرات هناك، وهكذا فان هذا الاتصال قد حقق أمراً مهماً هو الاطلاع على ثقافة الغرب، وهذا مما أدهش هؤلاء الشباب العربي فعندما رجعوا الى بلدانهم نقلوا هذه التجربة الكبيرة فعمدوا الى إعادة تحقيق ما وقع بأيديهم

---

(١٨) أدب الخواص / أبو القاسم الوزير المغربي : ٨٥

(١٩) تحقيق التراث العربي – منهجه وتطوره : الدكتور عبد المجيد دياب : ٨٥ – ٨٦ .

من المخطوطات كي يُظهروا تراثَهم؛ ليكون سدّاً منيعاً اتجاه الثقافة الغربية، ولعلّ من أبرز هؤلاء المبتعثين هو رفاعة رافع الطهطاوي (ت ١٨٧٣هـ) الذي يُعدّ أولَ رائدٍ من رواد النهضة العربية الحديثة، فضلاً عن الذين حملوا راية النهضة والدعوة الى التجديد من نحو الشيخ محمد عبده، وعلي مبارك، وأحمد زكي وغيرهم .

٣- أثر البعثات التبشيرية للديانة المسيحية الى العالم الإسلامي وبخاصةٍ ما كان منها في بلاد الشام والعراق، إذ نقل هؤلاء المبشرون معهم ثقافة الغرب والمطابع في الأديرة والكنائس وقام الأساقفة والقسسة بالتأليف والطباعة فأظهروا كثيراً من كتب التراث العربي وما يتعلّق بالأدب المسيحي عامة والسرياني خاصة، وقد تأثر بهم الشباب العربي في بلاد الشام، وقد انصبَّ اهتمامهم بكتب اللغة والأدب والدين والتاريخ ...

* * *

لقد كانت أُولى الخطوات نحو التحقيق ما كان من جمعية المعارف في مصر التي قامت بتحقيق بعض كتب التراث العربي، وكان قائدهم في ذلك (علي باشا المبارك) حين ألَّف هيئةً برئاسة رفاعة رافع الطهطاوي حملت على عاتقها تحقيق وطباعة بعض الكتب المهمة، وكان من أهمها تفسير الفخر الرازي، ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب ومقامات الحريري وغيرها من كتب التراث الأخرى[(٢٠)] .

وقد حذت حذوَ هذه الهيئة جمعيةُ المعارف بمصر في سنة ١٨٦٨هـ التي أسسها محمد عارف باشا، فأسرعت بتحقيق وطباعة عدد كبير من كتب التاريخ والأدب، كما عُنِيَت بنشر طائفة من الدواوين الشعرية، منها كتاب شرح التنوير على سقط الزند، وتاج العروس، وأُسْد الغابة، وألف باء البلوي، والفتح الوهبي، وشرح تاريخ العيني، وزهر الآداب، وديوان ابن خفاجة الاندلسي بخمسة أجزاء، وغيرها .

وكذلك أُلّفت جمعية جديدة سنة ١٨٩٨م وهي شركة طبع الكتب العربية، إذ اهتمت بنشر الكتب القديمة وإحيائها، وكان من أعضائها حسن باشا عاصم، وأحمد تيمور، وعلي بك بهجت، وطبعت عدداً من كتب التراث أهمها : الموجز في فقه الإمام الشافعي، وسيرة صلاح الدين الأيوبي، وفتوح البلدان للبلاذري، والإحاطة في أخبار غرناطة وغيرها .

ثم تألفت هيئة أخرى برئاسة الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٢م، وكان في زمانها مفتياً للديار المصرية، وكان في عضوية الهيئة حسن عاصم، وعبد الخالق ثروت، ومحمد النجاري، وكانت مهمة الهيئة إحياء الكتب القديمة، فأخرجت كتابَي دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني، ونشرت كتاب المخصص لابن سيده في سبعة عشر مجلداً، وقد قام بتصحيح هذه الكتب والتعليق عليها الشيخ الشنقيطي الكبير، ونظر فيها محمد عبده، وشارك الشيخُ محمد عبده الشيخَ

[(٢٠)] ظ : تحقيق التراث العربي – منهجه وتطوره : الدكتور عبد المجيد دياب : ٨٦ .

الشنقيطي في كثير من التحقيقات[٢١] .

المنهج في تحقيق النصوص في تلك المرحلة :.

اتسم منهج التحقيق آنذاك بإخراج المتن للنص المحقّق على أحسن وجه، وقد ذكرت لنا المصادرُ كوكبةً من هؤلاء الأمناء على التحقيق والنشر، منهم الشيخ نصر الهوريني[٢٢] والشيخ محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ(قطة العدوي)[٢٣]، والشيخ محمد الحسيني، والشيخ طه محمود، والشيخ محمد عبد الرسول، والشيخ محمد قاسم، والشيخ محمد الغمراوي، والشيخ عبد الغني محمود وغيرهم المعروفون بالبولاقيين، فضلاً عن الشيخ محمد عبده وحسن السندوبي وغيرهم[٢٤] .

لقد انتهج هؤلاء منهجاً قام على ضرورة إخراج النص وتصحيحه على خير ما يُرام، فمثلاً كان الشيخ محمد عبده في تحقيقاته لا يذكر النسخ التي اعتمد عليها، ولا من أين جاء بها، ولا يعطي مقدمة دراسة للكتاب ولمخطوطاته وتوصيفه، مثل المقدمة التي عرفناها في الكتب المحققة في عصرنا .

وكانوا يعدون فهارس للكتاب المحقق لكنها ليست كالفهارس الفنية المعروفة عندنا اليوم، بل كانوا يُكثرون من الشروح اللغوية والتعليقات الأدبية التي قد تطول وهي تشبه الحواشي القديمة .

وكذلك نجد هؤلاء المحققين لا يهتمون كثيراً بتخريج الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ولا يترجمون للإعلام ولا يعرِّفون بالبلدان ولا يصنعون الفهارس الفنية .

بيد أن هذه الأمور قد لا تجدها عند بعضهم من الذين عاصروا الشيخ محمد عبده، وإنما كانت عند مَنْ سبقهم من المحققين، فيما كان الشيخ محمد عبده يرجع الأصل اللغوي للمفردات المبهمة في مصادرها وتصحيح ما وقع في المخطوطات من أخطاء النُسّاخ التي تُفسد المعنى بتغيير المبنى أو ما فيها من الزيادات أو النقص[٢٥].

---

[٢١] ظ : تحقيق التراث العربي – منهجه وتطوره : الدكتور عبد المجيد دياب: ٨٦ – ٨٨ .

[٢٢] هو ابو الوفاء نصر بن نصر بن يونس الهوريني الازهري الحِفْني المصري ، عالمٌ بالأدب واللغة ارسلته الحكومة المصرية الى فرنسا إماماً لأحدى بعثاتها فتعلم فيها الفرنسية ، ولمّا عاد الى مصر وُلِّي رئاسة تصحيح الكتب في المطبعة الاميرية ، فصحح كثيراً من كُتب اللغة والأدب وصنف كتابه (المطالع النَّصرية للمطابع المصرية) في أصول الكتابة والأملاء . توفي سنة ١٢٩١ هـ . ينظر : الأعلام / الزركلي : ٨ / ٢٩ .

[٢٣] هو الشيخ محمد بن عبدالرحمن الشهير بقطة العدوي ، العالم المدقق النحوي الفقيه المصحح بدار الطباعة المصرية ببولاق ، كان غايةً في الدقة والاتقان بتصحيح الكتب وطبعها في مطبعة بولاق ، وله كتاب (فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل) في النحو . توفي سنة ١٢٨١هـ . ينظر : الاعلام الزركلي : ٦ / ١٩٨ .

[٢٤] ظ : تحقيق التراث العربي – منهجه وتطوره : الدكتور عبد المجيد دياب: ٩٠ – ٩١ .

[٢٥] ظ : م . ن: ٩٠ .

ولعلّ من أهم سمات التحقيق عند المحققين البولاقيين[٢٦] ما يأتي :.
١- لم يعتنوا بذكر الأصول المخطوطة التي اعتمدوا عليها في إخراج الكتب .
٢- السكون عن وصف النسخ المخطوطة من حيث تاريخ النسخ، ونوع الخط، وعدد الأوراق والأسطر، وما يكون على المخطوطة من تملكات وإجازات وسماعات .

وكان من حسناتهم ما يأتي[٢٧] :.
١- اعتمادهم على أكثر من نسخة من الكتاب عند التحقيق .
٢- يذكرون الفروق بين النسخ عند التحقيق بالهامش .
٣- ذِكْر الروايات المختلفة كالذي وَجدَ في حواشي لسان العرب والقاموس المحيط من الرجوع الى التهذيب والمحكم لابن سيده والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.
٤- ويقفون كثيراً عندما يُشكل عليهم شيءٌ من النص ويكتبون أمامه في الهامش : " هكذا بالأصل، وحُرِّرّ أو تنبَّه " ونحو ذلك .
٥- لم يعنوا بالفهارس الفنية الكاشفة عن كنوز الكتاب المنشور، واكتفوا بذكر الفهارس الموجزة لمباحث الكتاب وأبوابه وفصوله .

- غير أن أحمد زكي باشا[٢٨]، قد طوّر التحقيق، وخرج قليلاً عن منهج أقرانه المذكورين، إذ نجد في تحقيقه لكتاب (نَكْتُ الهميان في نُكَت العميان) سنة ١٩١٠م، يرمز الى النسخ برموز لاتينية على طريقة المستشرقين، وكان يقابل بينها ويذكر الاختلافات في حواشي النسخ المطبوعة، وقد نشر كلَّ ذلك أيضاً في تحقيقه لكتاب (الأصنام) و (أنساب الخيل) لابن الكلبي وطُبعا في المطبعة الأميرية سنة ١٩١٤م، باسم لجنة إحياء الآداب العربية[٢٩] .

ولعل من أوائل الكتب المحققة والمنشورة آنذاك، أي قبل دخول المستشرقين وسيادة منهجهم في التحقيق هي : صبح الأعشى للقلقشندي طبع سنة ١٩٢٠م وطبع في المطبعة الأميرية باسم دار الكتب، وطُبِع هذا الكتاب في طبعته الأولى في بولاق سنة ١٩٠٥م، ثم كتاب (نهاية الأرب) للنويري طُبِع محققاً سنة ١٩٢٣م في مطبعة بولاق، وكذلك نشر كتاب (عيون الأخبار) سنة ١٩٢٤م بدار الكتب المصرية وغيرها من الكتب التراثية المهمة الأخرى[٣٠] .

---

[٢٦] ظ : م . ن : ٩١ -٩٢ .
[٢٧] ظ : م . ن : ٩٢ .
[٢٨] من اهتماماته انه اهتم بعلامات الترقيم والف كتاباً سماه (الترقيم وعلاماته في اللغة العربية) طبع سنة ١٣٣٠هـ .
[٢٩] ظ : م . ن : ٩٢ – ٩٣ .
[٣٠] ظ : م . ن : ٩٤ .

ثالثاً/ حركة التحقيق في بدايات القرن العشرين ودخول المستشرقين :.

ظهر فن التحقيق في أوربا في القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك حين اهتم الأوربيون بإحياء الآداب اليونانية واللاتينية، وكانوا عندما يريدون تحقيق كتاب من كتبهم التراثية أجْرُوا عليه تصحيحات بسيطة ولا يبحثون عن النسخ الأخرى للمخطوط، وعندما تطوّر الأمر عندهم عمدوا الى جمع النسخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء والى المقابلة بين النسخ المتعددة، وكانوا إذا تخالفت النسخ في موضع من المواضع اختاروا إحدى الروايات المختلفة ووضعوها في نصِّ الكتاب وقيّدوا ما بقي منها في الهامش، وبقي الأمر عند هذا الحدِّ من الجهد في تحقيق النصوص الى أواسط القرن التاسع عشر حين وضعوا أصولاً علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة[٣١].

عندما تطور العمل التحقيقي لدى المستشرقين، بدأت كلُّ مدرسة استشراقية تتخصص في مجال معيّن في التحقيق، فقد كانت المدرسة الالمانية قد اهتمت كثيراً بقضايا اللغة والأدب بالدرجة الأولى، فيما كان يميل الاستشراق الانكليزي الى ما يتصل بالتفكير العقدي أو التشريعي، فيما كان يهتم الاستشراق الفرنسي بالكشف عن الحضارات الشرقية القديمة وثقافة الحضارات الكبرى ولا سيما الحضارات الشرقية القديمة والفرعونية .

لذلك نجد الفرنسيين عندما دخلوا مصر أمر نابليون بإنشاء المعهد المصري وجعل نفسه نائباً للرئيس الذي رأى أن يكون من العلماء، وهذا المعهد لم يكن الوحيد من المعاهد الفرنسية في المنطقة إذ أنشئت معاهد متخصصة مثل المعهد الكاثوليكي في باريس (١٨٧٥م) والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة سنة (١٨٨٠م) الذي أنشأه ماسبيرو، ومدرسة الآداب العالية في الجزائر سنة (١٨٨١م) والمعهد الفرنسي في دمشق عام (١٩٢٢م) والمعهد الفرنسي في طهران سنة (١٩٤٨م) فضلاً عن كراسي اللغات الشرقية في جامعات السوربون وتولوز وبوردو وليون وغيرها[٣٢] .

هذا التحرك الثقافي للغرب اتجاه التراث العربي الفكري واللغوي والتاريخي قد عمل على تحفيز الهمم على ضرورة إحياء التراث العربي وإعادة النشاط الدؤوب؛ لتحقيق الكتب التراثية وطباعتها، وإنَّ هذا النشاط بدأ في الحقيقة مع دخول المستشرقين الى الجامعات العربية وبخاصةٍ ما كان في مصر بمناهجهم الحديثة فضلاً عن انتشار المطابع في البلاد العربية (مصر والشام والعراق) وغيرها التي اهتمت بطباعة كتب التراث العربي ونشره والبحث فيه، وكان نشاط هؤلاء

[٣١] ظ : أصول نقد النصوص ونشر الكتب / براجستراسر : ١١ .

[٣٢] ظ : محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث / اعداد وتحرير الدكتور حسام أحمد الظاهر : ١ / ٢٦٩ – ٢٧١ .

المستشرقين قد بدأ مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي حين اتصلوا بالكنائس، فأخذوا منها أنفس المخطوطات وأغلاها، حتى ارتفعت مكانتهم العلمية مع نهايات القرن التاسع عشر الميلادي حين دخلوا الجامعات المصرية، وكانوا من قبل قد أسسوا في جامعاتهم كراسي للآداب الشرقية .

وكان من أهم ما قاموا به هو تحقيقهم لكتب التراث العربي ونبغ فيهم مستشرقون كبار منهم الالماني (وتسفيليد ١٨٠٨ – ١٨٩٩م) الذي حقق أكثر من مئتي كتاب، والمستشرق البولندي (بيفان ١٨٥٩ – ١٩٣٤م) الذي نشر (نقائض جرير والفرزدق) في ليدن (١٩٠٥ – ١٩٠٧م)، وكذلك جاير ونولدكه وبروكلمان من المانيا، ومرجليوث من بريطانيا، أما من الهولنديين فكان دوزي عام ١٨٨٣م، ودي غويه ١٩٠٩م، وجولدزيهير ١٩٢٩م، ومن إيطاليا جويدي الكبير وابنه جويدي الصغير، ومن روسيا المستشرق كراتشكوفسكي (١٨٨٣م – ١٩٥١م)، ولعلّ من أهم هؤلاء المستشرقين الذين أولوا التحقيق دراسة وعلماً وتدريساً في الجامعة المصرية هو المستشرق الألماني براجستراسر، الذي قَدِمَ مصر أستاذاً ومحاضراً في علم التحقيق بجامعة مصر، وقد أسفرت جهوده عن نشر كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) وحقق كتاب (طبقات القرّاء لابن الجوزي) .

ومن المستشرقين الذين عنوا بتحقيق التراث العربي ونشره وأفاد منه العرب الدكتور سلفادور جوميتر الأسباني والدكتور نوجاليس وغيرهم من نحو المستشرق ريتر .

لقد امتازت تحقيقاتهم لكتب التراث العربي بوجود مقدمات التحقيق والفهارس والحواشي والتدقيقات التي تكسب الكتاب أهمية فضلاً عن أهميته، واتبعوا منهجاً دقيقاً في التحقيق عصم أقلامَهم من الزلل والخطأ في كثير من الأحيان .

لم يقتصر عمل المستشرقين على نشر المحققات التراثية، بل وضعوا كتباً في ذلك منها :.

١- (نقد النصوص) لبول ساس نشره عام ١٩٢٧م .
٢- (قواعد نشر النصوص وترجمتها) وضعه المستشرقان الفرنسيان بلاشير وسوفاجيه
٣- مقدمات المستشرقين في الكتب المحققة التي تُشير الى مناهجهم، من نحو المستشرق دي غويه الذي حقق كتاب الشعر والشعراء، والمستشرق فان فلوتين الذي حقق كتاب البخلاء للجاحظ .

هؤلاء المستشرقون لم يسلموا من النقد في محققاتهم التراثية من قبل المحققين العرب من أمثال أحمد شاكر وصلاح الدين المنجِّد وعبدالسلام هارون والحاجري والطناحي وغيرهم ممّن أعادوا تحقيق الكتب التي حققها المستشرقون قبلهم[٣٣]، فصححوا لهم بعض الأخطاء وزادوا من عدد

---

(٣٣) ظ: تصحيح الكتب / أحمد شاكر : ٤١ – ٤٢

النسخ التي اعتمدوا عليها في التحقيق وقابلوها مع بعضها .

لقد أخذ أغلب هؤلاء المحققين العرب فنَ تحقيق النصوص الحديث عن هؤلاء المستشرقين أما مباشرة دراسةً عليهم أو من خلال كتبهم، ولعلّ أكثرهم تأثيراً هو المستشرق الألماني براجستراسر الذي ألقى عدداً من المحاضرات في هذا الفن على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة عام ١٩٣١م، وهذه المحاضرات كانت الأساس الذي بُني عليه كتابه (أصول تحقيق النصوص ونشر الكتب)، فضلاً عما نشره المحققون الفرنسيون وغيرهم من كتب – كما ذكرنا – تُعنى بالتحقيق، وكان لها أثرٌ كبير في توجيه فن التحقيق عند العرب، وقد أشاد الدكتور صلاح الدين المنجِّد في كتابه (قواعد تحقيق النصوص) بفضل المستشرقين في وضع أسس هذا العلم، وقد استقى المنجِّد القواعد التي ذكرها من نهج المستشرقين الالمان ومن خطة جمعية (جيوم بوده) الفرنسية، ومن قواعد المحدِّثين والقُدامى في ضبط الروايات[٣٤]، ثم انتقد كتاب (تحقيق النصوص ونشرها) للأستاذ عبد السلام هارون، فقال : (ويؤخذ على المؤلف أنه لم يطلع قط على ما كُتِب في هذا الموضوع باللغات الأجنبية ؛ ليكون كتابه تاماً والنهج الذي يدعو اليه كاملاً)[٣٥]، لكن الأستاذ عبدالسلام هارون ردَّ عليه ردّاً قوياً، وقال : (إنَّ المستشرقين إخواننا وشركاؤنا، لكن ليس من الحكمة والكرامة في شيء أن تكون خُطانا متأثرة بخطاهم في كلِّ أمرٍ من أمورنا الثقافية وأن نستعير عقولهم في صَغار الأذلاء، وقد منحنا اللهُ القدرة وحُسن الفهم والدرس لمّا باغتنا وبوحي نفوسنا العربية)[٣٦]،

وهنا النزاع يُشير الى اختلاف المناهج بين المدرسة الشامية التي يقودها الدكتور صلاح الدين المنجِّد والمدرسة المصرية التي يتزعمها عبد السلام هارون .

لقد نهج منهج الاعتراض على مَنْ اراد الخضوع لمناهج المستشرقين في تحقيق التراث الشيخ أحمد شاكر، فهو لم يغمط جهودهم بل أشاد بها وذكر أنّ طبعات المستشرقين نفائس تُقتنى وأعلاقاً تُدَّخر لكن جعل من كثرة تمجيدهم مغالاةً والأخذ عنهم خطأً أو صواباً، غير صحيح[٣٧]، وكان يرى أنّ صناعة التحقيق ليسوا هم الذين ابتكروها، بل كان للعرب قصب السبق إليها، فقال : (غر الناس ما رأوا من اتقان مطبوعات المستشرقين، فظنوا أنّ هذه خطةً اخترعوها وصناعة ابتكروها، لا على مثالاً سبق، ليس لهم فيها من سلف، ووقع في وهمهم أن ليس أحد

---

[٣٤] ظ : قواعد تحقيق النصوص /الدكتور صلاح الدين المنجِّد : ٧ – ٨ ، ظ : أصول نقد النصوص ونشر الكتب / براجستراسر : ١١ – ١٣ .

[٣٥] م . ن : ١١ .

[٣٦] تحقيق النصوص ونشرها / عبدالسلام هارون : ٨ .

[٣٧] ظ : تصحيح الكتب / أحمد شاكر : ١٢ – ١٣ ، ٦٠ .

من المسلمين بمستطيع أن يأتي بمثل ما أتوا، بَلْهَ أن يبزَّهم إلاّ أن يكون تقليداً أو اتباعاً)[٣٨]، ثم قال: (لم يكن هؤلاء الأجانب مبتكري قواعد التصحيح، وإنما سبقهم اليها علماءُ الاسلام المتقدمون وكتبوا فيها فصولاً نفيسة)[٣٩]، ثم ذكر بعضاً من الكتب التي عنيت بالتصحيح من قبل العلماء السابقين كابن الصلاح وغيره .

ومن المخطوطات المهمة في التراث العربي التي اعتنى بها المستشرقون تحقيقاً هي نقائض جرير والفرزدق بشرح أبي عبيدة، بتحقيق انطوني بيفان (١٨٥٩ – ١٩٣٣م)، فقد عَني بها عناية فائقة في التحقيق فجعلها في مجلدات ثلاثة ومجموع صفحاتها (١١٠٢ صفحة)[٤٠] ووضع للكتاب فهرساً لتفسير الألفاظ على حروف المعجم، وشرح المعاني على وفق القرائن، لأن كثيراً منها – بحسب ما يرى – لم تذكره المعاجم القديمة، وكذلك وضعت له حواشٍ كثيرة مفسرة أو مترجمة بالانكليزية، وقد شمل تحقيقه على أربعة أمور رئيسة هي[٤١]:

١- رصد القراءات في النسخ الأخرى المخالفة لقراءة النسخة المعتمدة .
٢- شرح الكلمات أو ترجمتها للانكليزية، أو ذِكر لرواية غير التي بالمخطوطة الأم إنْ وجدها في مكان آخر .
٣- وضع مقابلة في أبيات القصيدة الواحدة أو ترتيب القصائد بالمخطوطات المختلفة أو ترتيبها مقابلة مع ديوان جرير بالطبعة القاهرية القديمة .
٤- رصد ملاحظ رايت التي تشرح النص الغامض أو تقترح تنقيحاً أو تصويباً .

وقد اعتمد بيفان على عدد من النسخ ورمز لكلِّ واحدة منها برمز خاص وذكر معلومات كلِّ نسخة من حيث تاريخ النسخ واسم الناسخ، ثم قام بتصويب الأخطاء الواضحة في المخطوطة المعتمدة مع المقابلة ببعض النسخ الأخرى، كما أضاف نقاط الحروف الواجب إضافتها – وهي كثيرة، كما حذف الأحرف الزائدة، وإذا ارتاب في صحة التشكيل ترك الكلمة من دون تشكيل[٤٢].

فهذا أُنموذج من تحقيق المستشرقين، وددت أن أعرضه هنا ليكون مصداقاً لمنهجهم في التحقيق، لكن مع كلِّ هذا كان هناك اعتراضات من المحققين العرب الذين جاؤوا بعدهم وكان لهم استدراكات كثيرة وتصحيحات وملاحظات .

---

[٣٨] م . ن : ١٤ .
[٣٩] م . ن : ١٥ .
[٤٠] ظ : محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث : ١ / ٣٤١ .
[٤١] ظ : م . ن : ١ / ٣٤١ – ٣٤٢ .
[٤٢] ظ : م . ن : ١ / ٣٥١ .

رابعاً/ مرحلة التحقيق ما بعد المستشرقين :

لعلّ ما قام به المحققون من المستشرقين أثرَّ كثيراً على حركة التحقيق ما بعد المستشرقين إذ استفاد الطلبةُ العربُ الذين درسوا عليهم أو تعلموا منهم من خلال ما ألّفوا من كتب في التحقيق والتصحيح لكتب التراث، غير أنهم لم يكتفوا بما قدّمه لهم المستشرقون من خبرات في التحقيق، بل أضافوا الى مناهجهم وخططهم في التحقيق أشياء كثيرة متأثرين بالبيئة التي عاشوا فيها استقلالاً بشخصية علمية في هذا المجال وعدم التبعية للآخرين، وهذا ما كان من كثير من المحققين الرواد بعد مرحلة المستشرقين من نحو عبدالسلام هارون ومحمود محمد شاكر وغيرهم، فنجد لهم تعليقات ونقوداً على تحقيقات المستشرقين ولذلك قام هؤلاء المحققون العرب بإعادة تحقيق الكتب التي حققها المستشرقون من قبلهم مع إضافات وتنبيهات على أخطاء وتصحيف في زيادة أو نقص أو تقديم وتأخير وغيرها .

ولعلّ ما وقع من أخطاء عند هؤلاء المستشرقين كان بدوافع مختلفة – بحسب ما يرى الشيخ أحمد شاكر – إذ تنبّه لها مشايخ العربية فوجدوا في محققاتهم تحريفات كثيرة وعزوا ذلك الى أنّ هؤلاء المستشرقين كانوا طلائع المبشرين وأنّ جلّ أبحاثهم وبخاصةٍ في الإسلام كانت تصدر عن هوى وقصدٍ دفين، مع أنّ منهم كانوا أحراراً ولا يقصدون الى التعصب، لكنّهم أخذوا العلم عن غير أهله وبلغة غير لغتهم وفي علوم لم تمتزج بأرواحهم، فمالوا عن جادة الصواب في أعمالهم(٤٣) .

هذا ممّا يؤكد على استقلالية في الشخصية العلمية لهؤلاء الرواد، وبرز منهم كُثُرٌ وتنازعوا فيما بينهم الريادة في تحقيق النصوص أو في وضع قواعد للتحقيق بهويته العربية، بعيداً عن النزعة الاستشراقية إلاّ قليلاً منهم من نحو الدكتور صلاح الدين المنجِّد الذي قاد حركة التصحيح في بلاد الشام متأثرّاً بالمستشرقين، ولعلّ ذلك يعود الى تأثير الكنيسة في بلاد الشام التي حملت أوزار المستشرقين وعلومهم في هذا الفن من البداية وبحكم المطابع التي يملكونها، فكان هذا الأمر مدعاة لتأثر الدكتور المنجِّد بالحركة الاستشراقية في فن التحقيق والتصحيح العلمي لكتب التراث .

هذا الرجل قد عاب على الشيخ عبدالسلام هارون عدم اطلاعه على ثقافة الغرب والمستشرقين فيما كتبوا عن هذا الفن، لكن الشيخ عبد السلام هارون ردَّ عليه ردّاً مفحماً في أن يتخلص : (من إسار سادة هؤلاء الضعفاء، الذين لا يضعون قدماً على قدم حتى تصدر إليهم إشارة بإصبع من زعماء هذا الاستعمار الثقافي)، ثم يُعقِّب بعد ذلك عليه، فيقول : (إنَّ المستشرقين

---

(٤٣) ظ : تصحيح الكتب / احمد شاكر : ١٣ .

إخواننا وشركاؤنا، لكن ليس من الحكمة ولا الكرامة في شيء أن تكون خطانا متأثرة بخطاهم في كلِّ أمر من أمورنا الثقافية، وأن نستعير عقولهم في صَغار الأذلاء)[٤٤].

تمثّل نشاط الرواد العرب في التحقيق، أنهم سلكوا ثلاثة مسالك، الأول تمثّل في عمل تحقيق كتب التراث، كلّ على طريقته ومنهجه الذي يراه صحيحاً ومُخْرِجاً النص قريباً مما يريده مؤلفه، والثاني أنّهم ألّفوا كُتباً في فن التحقيق، بيَّنوا قواعدهم والأسس التي يجب أن يكون عليه التحقيق العلمي، والثالث أنهم أعادوا تحقيق بعض ما حققه المستشرقون بعد أن وجدوا في تحقيقاتهم أخطاء ونقصاً وتحريفاً أو تصحيفاً.

ولعل من أهم مَنْ كتب في فن التحقيق من الرواد ما يأتي :.

١- أصول نقد النصوص، وهذه رسالة في تصحيح النصوص كتبها عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ) وسوّدها سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م[٤٥] .
٢- أصول التحقيق العلمي للمعلمي أيضاً، وهي مكملة لما سبق من الرسائل الأولى وقد سوّدها سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م .
٣- تحقيق النصوص ونشرها للشيخ عبدالسلام هارون نشرها عام ١٩٥٤م .
٤- قواعد تحقيق المخطوطات للدكتور صلاح الدين المنجِّد، أصدره عام ١٩٥٥م .
٥- ولحقهم بعد ذلك الدكتور مصطفى جواد الذي أملى على تلاميذه في الدراسات العليا في دائرة اللغة العربية بجامعة بغداد سنة ١٩٦٥م أماليه في تحقيق النصوص وقد جمعها تلميذه عبدالوهاب محمد علي، وسمّاها بـ(أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص) التي ذكر فيها القواعد المعتمدة في تحقيق النصوص التراثية .

وكانت مؤلفاتهم هذه تمثّل الأصول المنهجية في هذا الفن، ورُبما أصبح كل فرد من هؤلاء الرواد يمثّل مدرسة في التحقيق في بلادهم لاختلاف طريقتهم في اختيار المخطوط المناسب للتحقيق وعدد النُسخ وتقديم الأحسن منها على غيرها فضلاً عن اختلاف طرقهم في إخراجه ومعالجته من حيث الأخطاء والتصحيف وتفسير الغامض من الكلمات فضلاً عن اختلافهم في اختيار نوع المخطوطات، فمنهم من اهتم بكتب التاريخ وأَكثَرَ منها، ومنهم من لازم دواوين الشعراء وكتب اللغة والأدب، وهكذا تنوّع العمل التحقيقي تبعاً للذائقة التي يتحلّى بها محققو تلك البلاد .

أمّا مناهجهم في التحقيق، فقد كان الشيخ المعلمي اليماني لم يطلق اسم (التحقيق) على المحققات وإنما كان يسمي عمله تصحيحاً، إذ تكلم على مقدار الثقة بالنسخة المعتمدة في

---

[٤٤] تحقيق النصوص ونشرها / عبد السلام هارون : ٨ (مقدمة الطبعة الثانية)

[٤٥] ظ : مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص / العلامة الميمني اليماني : ٨ .

التحقيق، وأشار الى أن النسخة الفرعية كلما ابتعدت عن الأصل كلمّا قلَّت الثقة بها، وذكر تسعة أسباب في اختلاف الفرع عن الأصل تتمثل في التصحيف، وخطأ الناقل في اقتحام الحاشية في المتن، والتحريف السمعي، والتحريف الذهني، وتصرُّف النسّاخ وتصرُّف القرّاء جهلاً وخيانة، وهكذا يُتابع المخطوط في تحقيقه وتصحيحه .

وقبل هذا ذكر مجموعة أعمال يقوم بها المصحح – بحسب قوله – وهي انتخاب كتاب للطبع وانتخاب نسخة للنقل وصفاتها، وانتخاب الناسخ للمسوَّدة وصفاتها، ونَسْخ المسوَّدة، فجعل لكل حالة شروطها اللازم توفرها في التحقيق [٤٦] .

ثم ينتهي في تصحيح المخطوط بقوله: (تصحيح الكتاب معناه، جعله صحيحاً، ولصحة المطبوع ثلاث اعتبارات :

الأول : مطابقته لما في الأصل العلمي فأكثر، الثاني : مطابقة ما فيه لِما عند المؤلف، الثالث : مطابقة ما فيه للواقع في نفس الأمر ... فالتصحيح العلمي حقّه مراعاة الأوجه الثلاثة)[٤٧] .

ثم أنه كان يرى ضرورة عرض الكتب المنتخبة للطبع والتصحيح على هيئة علمية من كبار العلماء وأشار الى الأزهر الشريف ليقوم بهذه المهمة، دون أن يُشير الى " معهد إحياء المخطوطات العربية "[٤٨] الذي أُسس سنة ١٩٤٦م، وهذا يعني أنَّ هذه القضية في التحقيق كانت قبل تأسيس المعهد، وإنَّ آراءه هذه كانت قبل أن يكتب الشيخ عبد السلام هارون كتابه في التحقيق .

فيما كان الشيخ عبد السلام هارون قد نهج نهجاً آخر، فهو كان يعدُّ التحقيق مصطلحاً معاصراً، ويُقصَد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبّت من استيفائها لشرائط معينة، وعنده أنَّ الكتاب المُحقَّق هو الذي صَحَّ عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون الى الصورة التي تركها المؤلف[٤٩]، أي أنّ التحقيق ينبغي أن يهتمَّ بأمورٍ أربعة هي تحقيق عنوان الكتاب واسم الكتاب، وتحقيق نسبة الكتاب الى مؤلفه، وتحقيق متن الكتاب حتى يظهر مقارباً لنص مؤلفه[٥٠] .

ثم ذكر الشيخ عبد السلام هارون ما يتعلّق بالتصحيف والتحريف وعدّها آفة تفتك بالنصوص،

---

[٤٦] ظ: مجموعة رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص / المعلمي اليماني : ١٦ .

[٤٧] ظ : م . ن : ١٦ .

[٤٨] ظ : م . ن : ١٧

[٤٩] ظ: تحقيق النصوص ونشرها / عبد السلام هارون : ٤٢ .

[٥٠] ظ : تحقيق النصوص عن عبد السلام هارون و صلاح الدين المنجِّد – دراسة مقارنة في منهجية التحقيق (مجلة جامعة الانبار للغات والآداب – ٢٥ / ٢٠١٧ (عصام محم الشنطي – عهد المخطوطات العربية – القاهرة – م . عمر عبد عواد الدليمي – كلية الامام الأعظم / الرمادي) : ١٠٦.

وهذه آفة لا يكاد يسلم منها كتاب قديم، وبعدها يعرج على مسألة معالجة النصوص الواردة في المخطوط حينما تجلب نسخ الكتاب صوراً متعددة للروايات، فيقوم بترجيح بعضها على بعض، فضلاً عن تصحيح الأخطاء والزيادات والنقصان في المخطوطة والنسخ المقابلة لها، وكذلك الفهارس العامة .

فهو ينهج نهجاً علمياً يكاد يكون خليطاً من نهج المستشرقين والمحققين في عصر النهضة من نحو أحمد باشا والشيخ قطة العدوي والهوريني وأمثالهم، وهذا في الحقيقة شكَّل لوحده مدرسة اقتدى آثارها كثير من المحققين الذين تتلمذوا عليه أو في مصر عامة .

أما الدكتور صلاح الدين المنجِّد فقد نهج نهجاً تأثّر كثيراً بالمستشرقين وبأحدث الطرق والمناهج التي ظهرت بالغرب، وقد ذكر ذلك في رسالته الموسومة (قواعد تحقيق المخطوطات)[٥١]، وهذه القواعد هي أول الأسس التي وُضِعَتْ نهجاً لتحقيق النصوص عندما أراد نشر كتاب (تاريخ دمشق) لابن عساكر .

لقد درس في قواعده كيفية جمع النسخ وترتيبها، وكان يؤكد ضرورة الرجوع الى كتاب (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان، ثم اختيار النسخة المناسبة للتحقيق، وبعد ذلك يُدرج قواعد تحقيق النص فيتكلم عن غاية التحقيق ومنهجه، وكان ينقد كثرة الناشرين الذين يُثقلون الحواشي بالشروح والزيارات، وكأنه يُشير في ذلك الى منهج الشيخ عبد السلام هارون الذي كان من منهجه إثقال الهوامش بكثرة الشروح، لأنه يرى أنّ عمل المحقق هو التحقّق من صحة الكتاب ونسبته الى مؤلفه وعنوانه وما يتعلّق بهذه الأمور التي تزيد الثقة بهذه النسبة .

هذا الأمر وغيره أحدث صداماً علمياً بين الدكتور صلاح الدين المنجِّد والشيخ عبد السلام هارون ولعلّ دافعه كان الحسد العلمي، وكلاهما من الرواد في هذا الفن ومن عمالقته، فكان مما أخذ الدكتور المنجِّد على الشيخ عبد السلام هارون إنه لم يعتمد على الجهود التي سبقته، ومنها جهود المستشرقين فقال الدكتور المنجِّد : (ولابد أن نُشير هنا الى أمر يجب التنويه عليه، فقد كنا ذكرنا في الطبعة الأولى، أنّ من السابقين لنا في وضع قواعد النشر الدكتور محمد مندور، والأستاذ عبد السلام هارون، وأخذنا على الأستاذ هارون أنه لم يطّلع على الطرق التي وضعها المستشرقون لنشر المخطوطات، ومن المبادئ التي نلقّنها تلاميذنا أن على الباحث عندما يتصدّى الى بحث ما أن يطَّلع على كل ما كُتِب فيه، وهذا ما لم يفعله الأستاذ هارون)[٥٢]، وهذا الأمر لا يشكّل نقداً بعدما وجد الشيخ عبدالسلام هارون منهجاً قويماً في التحقيق، فلا

---

[٥١] قدّم الدكتور المنجِّد هذه القواعد الى مؤتمر المجامع العلمية المنعقد بدمشق عام ١٩٥٦م ، وأقرتها لجنة تحقيق المخطوطات وقد ترجمت فيما بعد الى لغات كثيرة منها الفرنسية والانكليزية .

[٥٢] قواعد تحقيق المخطوطات / الدكتور صلاح الدين المنجِّد : ٤ .

يضيره في شيء، ثم يقولُ المنجِّد : (وأخذنا عليه أنه لم يميّز قواعد تحقيق المخطوطات من العلوم المساعدة على التحقيق، فجاء بحثه خليطاً من كلِّ شيء، لا منهج فيه ولا تنسيق)[٥٣].

هذه مجمل الاعتراضات التي ساقها المنجِّد على الشيخ عبدالسلام هارون، لكنه ذكر أن الشيخ عندما أصدر الطبعة الثانية شتمه في مقدمته[٥٤] .

* * *

* أمّا في العراق فقد برز عددٌ كبيرٌ في تحقيق النصوص، لعلّ من أبرزهم الدكتور مصطفى جواد الذي توضَّح منهجه في تحقيق النصوص من خلال تحقيقاته العلمية ورؤاه في هذا الفن الذي ألقاها على طلبته في حينها لنيل درجة الماجستير لطلبة اللغة في جامعة بغداد سنة ١٩٦٥م، جمعها أحد طلابه وهو السيد عبدالوهاب محمد علي ونشرها بعنوان (أمالي مصطفى جواد في : فن تحقيق النصوص) وقد بدا الدكتور مصطفى جواد في هذه الأمالي ذا منهجٍ علمي صارم في التحقيق إذ نشر الأستاذ عبدالوهاب محمد هذه المحاضرات مشفوعة ببعض ما ذكره من معلومات أدمجها في محققاته توضّح طريقته المعتمدة التي اختلطت مصادره في هذا الفن بين ما جاء في التراث وطرائق المستشرقين وبخاصةٍ من الفرنسيين إذ كان قد درس في السوربون وتأثّر بهم أيّما تأثّر حتى بدا الأثر واضحاً في الاعتماد عليهم .

إنّ تحقيق النصوص عنده يُراد بها (الاجتهاد في جعلها ونشرها مطابقة لحقيقتها كما وضعها صاحبها ومؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى، وذلك بسلوك الطريقة العلمية الخاصة بالتحقيق)[٥٥] أي أنّه يرى بذل الجهد في تقديم النص مطابقاً لما يريده مؤلفه أو بما يقرب من ذلك، ثم وضّح الطريقة التي يسلكها المحقق في ذلك (وهي البحث عن الأصول الخطية للنصوص، وأصحها وأصدقها ما كتبه المؤلف نفسه)[٥٦]، وإذ لم يحصل على مثل هذه النسخة أو عدم صلاحيتها بسبب الخرم والتحريف والسقط وغير ذلك فانه يلجأ الى حشد جميع النسخ الممكن جمعها سواء أكانت أصلية أم مصورة أو النسخ المكتوبة معارضة على الأصل، ثم يعمد الى التنبيه على الاختلافات والزيادات والنقصان في الحواشي برموز حرفية لكلِّ نسخة من النسخ المعتمدة في التحقيق، وكان يُكمل النقص بالمعنى بالنص أن يضعه بين عضادتين (...) والاشارة في الحاشية الى موضع الزيادة، وكان إذا أراد نسخة معينة يتثبّت منها من فهارس

---

[٥٣] م . ن : ١٠ – ١١ .

[٥٤] ظ : م . ن : ٤ ، ظ : تحقيق النصوص ونشرها / عبد السلام هارون : ٨ .

[٥٥] أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص / جمع وتعليق عبد الوهاب محمد علي (بحث)(نُشِر في مجلة المورد العراقية – العدد الأول – ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م) : ١١٩ .

[٥٦] ظ : م . ن : ١١٩ .

المخطوطات في القاهرة وباريس ولندن وغيرها من المدن الأخرى الحاوية لكبريات المكتبات، كما أنه إذا حصل على كتاب معيّن لا يكتفي بنسخة واحدة منه، بل يبحث عن النسخ الأخرى التي ربما يكون مؤلفها قد كتبه أكثر من مرة ليرى الفروق بين هذه النسخ، ويرى أن أعلى النسخ ما كانت بإملاء المؤلف على طلابه أو بقراءته إياها عليه[٥٧] .

ثم يعرّج في منهجه على ذِكر صفات المحقق العلمية والفنية، فأكَّد على أن يكون المحقق عالماً في الموضوع الذي يحققه وعارفاً بمصطلحاته ومطَّلعاً على أنواع الكتابة وتاريخ تطورها فضلاً عن المعرفة باللغة العربية .

ويختم هذه الأصول في فن التحقيق أنه كان يعرض بعض الكتب المحققة لغيره ليرصد ما وقع فيها من أخطاء وينبّه اليها ويصححها، وهذا ما يُسمى بنقد التحقيق وقد ازدهر في العراق كثيراً، حتى أُلِّفت فيه بعض المراجع من نحو كتاب (فوات المحققين) لتلميذه الدكتور علي جواد الطاهر، وغيره من تلامذته ومريديه أو ممن تأثر به علمياً وفنياً، واتبع طريقته ومنهجه في فن التحقيق.

ولا يفوتنا أن نذكر من المحققين البارزين في العراق الأب أنستانس ماري الكرملي (ت ١٩٤٧م) الذي كان له عددٌ من المحققات، وهو أول من حقّق بعضاً من كتاب العين على نسخة واحدة لكنه لم يكن بالمستوى المنهجي الذي عُرِف عن المحققين العراقيين الذي جاؤوا بعدهم في النصف الثاني من القرن العشرين، ومنهم أيضاً الأستاذ هلال ناجي والدكتور صلاح الفرطوسي والدكتور عباس الجراخ وغيرهم ممن أبدع في فن التحقيق في العراق .

الخاتمة:

- توصل البحث بعد هذه الرحلة الموجزة الى ما يأتي :.

١- إنّ التحقيق كان عربياً في أصوله، وقد اختص أصلاً بعلوم الحديث النبوي الشريف فقد أُجريت دراسات كبيرة على متون الأحاديث سنداً وتصحيحاً ونقداً وترجيحاً في رواياتها وأسانيدها .

٢- تطوّر فن التحقيق بشكله المعاصر على أيدي المستشرقين ودخل البلاد العربية بعدما سافر الطلبة العرب الى أوربا واطلاعهم على أعمال إحياء التراث هنا، وهذا مما دفعهم الى أن يقابلوا هذا النشاط بنشاط عربي مماثل، وكانت آنذاك بدايات لحملة في تحقيق النصوص لم تبلغ مستواها المطلوب .

٣- لم تتضح حركة التحقيق في الوطن العربي إلاّ بعد دخول المستشرقون الجامعات العربية

---

[٥٧] ظ : م . ن : ١١٩ – ١٢٠ .

وإلقائهم محاضرات في هذا الفن وعلى أثر ذلك نشأ جيلٌ جديد من المحققين العرب، منهم من تأثر بالمستشرقين بشكل واسع ومنهم مَنْ حاول أن يوجد له شخصية تحقيقية عربية خاصة به .

٤- لم يتوقف المحققون العرب على تحقيق النصوص التراثية، بل قاموا بنقد تحقيقات المستشرقين لها فأعادوا تحقيقها مرة أخرى مع تصحيحات وإضافات .

٥- تمخّض عن ذلك بروز عدد من الاتجاهات في فن التحقيق في مصر وسوريا والعراق والحجاز .

المصادر

- أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها _ الحسين بن علي بن الحسين أبو القاسم الوزير المغربي(٤١٨ هـ) _ أعدّه حمد الجاسر – دار اليمامة للبحوث والترجمة والنشر – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني – مصورة عن طبعة دار الطباعة الأميرية بالقاهرة – ١٣٢٧ هـ .
- أصول نقد النصوص ونشر الكتب – محاضرات براجستراسر – إعداد وتقديم محمد حمدي البكري – دار المريخ – الرياض – (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) .
- الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الخامسة – أيار – مايو ٢٠٠٢ م .
- الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع – القاضي عياض بن موسى اليحصبي ٠(ت ٥٤٤هـ) – دراسة وتحقيق أبي همام محمد بن علي الصومعي البيضاني – سلسلة قرّة عيون المحدِّثين .
- أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص (بحث) – إعداد وجمع عبد الوهاب محمد علي – مجلة المورد – العدد ١ – سنة ١٩٧٧م .
- تحقيق التراث – الدكتور عبد الهادي الفضلي – مكتبة العلم – جدة – الطبعة الأولى – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٩ م .
- تحقيق التراث العربي – منهجه وتطوره – الدكتور عبد المجيد دياب – دار المعارف – الهيئة المصرية للكتاب – بمصر – القاهرة .
- تحقيق النصوص بين عبد السلام هارون وصلاح الدين المنجِّد – دراسة مقارنة في منهجية التحقيق (بحث)– عصام محمد الشنطي، معهد المخطوطات العربية – القاهرة، عمر عبد عواد – كلية الإمام الأعظم / مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب – العدد ٢٥ / سنة ٢٠١٧م .
- تحقيق النصوص ونشرها – عبد السلام هارون – القاهرة – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م – ط ٧ .
- تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب – أحمد شاكر – باعتناء عبد الفتاح أبو غدة – دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – الحافظ الخطيب البغدادي (٣٦٢ – ٤٦٣هـ) تحقيق محمد الطعان – مكتبة المعارف – الرياض – (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) .
- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلّام الجمحي – تحقيق محمود محمد شاكر – دار المدني – جدة .
- علم التحقيق للمخطوطات العربية، بحث تأسيسي للتأصيل – الدكتور فخر الدين قباوة – دار الملتقى – حلب – ٢٠٠٥ م .
- علوم الحديث – أبو عمرو بن الصلاح – تحقيق العلامة الشيخ راغب الطباخ – طبعة حلب – ١٣٥٠هـ .
- في تحقيق التراث – الدكتور زهير غازي زاهد، الدكتور ناظم رشيد – الطبعة الأولى – ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .
- قواعد تحقيق المخطوطات – الدكتور صلاح الدين المنجِّد – دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان – ط ٥ / ١٩٧٦م .

- محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث / إعداد الدكتور حسام أحمد عبد الطاهر – دار الكتب والوثائق القومية – الموسم الثقافي الأول ٢٠٠١– ٢٠٠٢م) والموسم الثقافي الثاني (٢٠٠٢– ٢٠٠٢م) – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة – ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
- – مجموعة رسائل في تحقيق وتصحيح النصوص – تأليف العلّامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني – تحقيق محمد أجمل الإصلاحي – مطبوعات منظمة المؤتمر الإسلامي – جدة – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – ط ١ / ١٤٣٤هـ
- المخطوط العربي – الدكتور عبد الستار الحلوجي – مكتبة مصباح – جدة – المملكة العربية السعودية – الطبعة الثانية – ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .
- مشكلات تحقيق المخطوطات في العلوم الإسلامية – محيي هلال السرحان (بحث) – مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الثاني – المجلد السبعون – آيار ٢٠٢٣ م – شوال ١٤٤٤ هـ .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري – أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) – تحقيق أحمد صقر – دار المعارف – الطبعة الرابعة .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه – أبو الحسن علي بن عبد بالعزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) – شرح وتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – وعلي محمد البجاوي – مطبعة عيسى الحلبي البابي وشركاه .

Editorial Board

Prof. Dr. Mohammed Hussein Al Yaseen

Iraqi Academy of Sciences' President - Chairman

Prof. Dr. Abdul Majeed H. Al-Nassir

Iraqi Academy of Sciences' Member - Managing Editor

Members

Prof. Dr. Abdul Aziz bin Ali Alharbi
President of the Arabic Language Academy on the Web/ Mecca / Saudi Arabia

Prof. Dr. Bakri Mohamed Elhag Mohamed
President of the Arabic Language Academy / Khartoum / Sudan

Prof. Dr. Salah Belaid
President of the Supreme Council of the Arabic Language in Algeria

Prof. Dr. Abdul Hameed Alharrama
President of the Libyan Academy of Arabic Language

Prof. Dr. Hassan Al-Salwadi
President of the Arabic Language Academy / Ramallah / Palestine

Prof. Dr. Mamoon Abdelhalim Mohammed Wagih
Arabic Language Academy's Member - Egypt

Prof. Dr. Mohammed Ibrahim Abdel Hadi Howar
Arabic Language Academy's Member -Jordan

Prof. Dr. Sabeeh Hamoud Al-Timimi
Iraqi Academy of Sciences' Member

Prof. Dr. Sahab Mohammed Al-Asadi
University of Baghdad

Prof. Dr. Abdulla Hasan H. Al- Hadeethi
Al-Iraqia University

Prof. Dr. Talib Mahdi Alsoodani
University of Baghdad

Prof. Dr. Latifa Abd Al-Rasul
Al-Mustansiriyah University- (Arabic Proofreader)

Prof. Dr. Mohammed H. Ali Zayin
University of Kerbala

Assist. Prof. Dr. Ali Hasan Taresh
University of Information Technology and Communications

Dr. Nadia Ghadban Mohammed
Iraqi Academy of Sciences / Director of the Quality Department

Editing: Ikhlas Mohey Rasheed / Responsible of the Magazine Section

English Proofreader: Ghada Sami Abdul Wahhab / Director of the Media and Public Relations Dep.

Email: iraqacademy@yahoo.com, journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription: In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100) Dollars



IRAQI ACADEMY OF SCIENCES' JOURNAL

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No. 4

Vol. 70

Rabi' al-Akhir 1445H
November 2023